

# الدر الثمين في

## سيرة الرسول الأمين ﷺ

### سؤال وجواب

### صياغة جديدة مختصرة لسيرة النبوية

### على طريقة السؤال والجواب

#### بقلم

معيض بن عبدالله آل عبدالله الزهراني

مدرس السيرة بمعهد الحرم المكي الشريف [سابقاً]

#### تقديم

د. ياسين بن ناصر الخطيب

الأستاذ المشارك بقسم القضاء بجامعة أم القرى

الطبعة الثالثة ١٤٣٧هـ

### تقديم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على محمد أفضل الناس ديناً ومنهجاً، وعلى آله وصحبه والتابعين الذين عبدوا الله بين الخوف والرجا، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. وبعد:

فإنَّ الله تعالى لما أكمل لنبيه ﷺ الدين، وأتمَّ عليه نعمه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ أمر النَّاسَ بأن يكون هذا الرَّسول قدوتهم، وأسوتهم؛ لأنَّ كل ما كان يقوم به ﷺ من قولٍ أو عملٍ تشريعي ما هو إلاَّ وحْيٌ يُوحى، فهو إذاً المفسر. لما في القرآن الكريم من أوامر ونواهٍ، سواء كان ذلك في قوله، أو فعله، أو تقريره، وهذا من فضل الله تعالى على هذه الأمة المرحومة، حيث لم يتركهم جلَّ جلاله هملاً يتخبطون، وقد أمرهم أن يتأسوا برسول الله ﷺ، بل حفظ جلَّ جلاله سيرة النَّبي ﷺ كاملة تبين لنا حياته، وما كان عليه ﷺ من حملة، إلى ولادته، إلى شبابه... وإلى أن توفاه الله تعالى، بل بينت كتب السيرة كل ما يتعلق بأبائ النَّبي ﷺ ونسبه الشريف، كما أنَّ كتب السيرة بينت صفات النَّبي ﷺ الخُلُقِيَّةَ دقيقةً وجليلها، ناهيك عن الصفات الخُلُقِيَّةَ، وما فيها من معانٍ وعبر، وقد بدأ الكثير من الذين كتبوا عن شمائل المصطفى ﷺ ببيان صفاته الخُلُقِيَّةَ قبل بيان صفاته الخُلُقِيَّةَ كما فعل الإمام الترمذي في «شمائله».

ومما يذكر في هذا الصدد أنَّ الله تعالى لم يحفظ سيرة أي رسول من رسله عليهم السلام كما حفظ سيرة رسول الله محمد ﷺ، وبهذا يتحقق للنَّاس القدرة على الاقتداء به ﷺ، والسير على سيرته الشريفة، ونذكر هنا أيضاً أنَّ الإنسان كلما اقتدى بالنبي ﷺ كلما ازداد حباً له، وازداد حباً للاقتداء به ﷺ أكثر؛ لما يرى من المعاني السامية في أخلاقه ﷺ، رزقنا الله تعالى حبه وحب من يحبه، ورزقنا

حسن الاقتداء به، وهذا الحفظ الذي نتحدث عنه كان على مستوى عالٍ من الضبط والتحقق، والتمحيص والتدقيق، صحيح أن في بعض كتب السيرة الغث والسمين، وبعضهم جمع السيرة كحاطب ليل، ولكن الله تعالى قيّض لها رجالاً بينوا الصواب من الخطأ، والصحيح من الضعيف.

وإن أخانا الكريم الأستاذ الشيخ معيض بن عبد الله الزهراني قام - جزاه الله تعالى خيراً - بعمل مشكوراً كتاباً سماه «الدر الثمين في سيرة الرسول الأمين ﷺ» ورتبه على مقدمة وثلاثة أقسام، جعلها تسير سيراً طبيعياً. حيث جعل القسم الأول: في بيان ما كان عليه آدم وذريته من توحيد الله تعالى، ثم انتقل متدرجاً يبين ما أحدث الناس من الشرك والبعد عن الله تعالى، ثم تنقل يبيّن ما كان عليه الأنبياء وخاصة نبي الله إبراهيم - عليهم السلام - من الدعوة إلى الله تعالى ومستخرجاً العبرة من قصصهم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام:

﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف].

ثم انتقل إلى مكة وما كان من بناء البيت العتيق، وزمزم، والقبائل، ووصل إلى نسبه ﷺ ثم تكلم عن سيرته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي مكة المكرمة.

**وفي القسم الثاني:** هاجر مع الهجرة وبين ما فيها من معاني التضحية والتصميم على العمل من أجل دين الله تعالى، وتحدث عن غزواته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حتّى وصل إلى فتح مكة وهنا انتقل إلى القسم الثالث.

**وفي القسم الثالث:** بيّن كيف حطم ﷺ الأصنام وأظهر التوحيد، وكيف دخلت القبائل في دين الله أفواجا، كما وقف مع شائه ﷺ وقفة تظهر عظمة هذا النبي ﷺ من جميع جوانبها، وقد جعل المؤلف - وهو الذي درس المادة ويعلم ما ينفع الطلاب - جعلها على طريقة السؤال والجواب؛ لترسخ في أذهان الطلاب.

جزى الله أخانا معيـض على هذه اللفتة المباركة، وأحسن لنا وله المثوبة والأجر. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى الله تعالى

د. ياسين بن ناصر الخطيب

الأستاذ المشارك بقسم القضاء

بجامعة أم القرى

هـ ١٤٢٤/٤/٢٤



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا  
ومن سيئات أعمالنا، ونصلي ونسلم على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه  
أجمعين. أما بعد...

فقد دفعني حب السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية  
إلى أن أقوم بكتابة هذا البحث، وطالما صال وجال فرسان الكتابة والتأليف في  
هذا الميدان وتروى منه الصالحون وتأسى بهديه في الدرب السالكون، كيف لا،  
وهي سيرة من هدى الله به الخلائق، وتنورت به قلوب المؤمنين في المشارق  
والمغارب، حياته أسوة، وصفاته قدوة، فسيرته ﷺ بلسم لقلوب المؤمنين،  
ونبراس يهتدي به المسلمون، لهذا كان شغفى بالسيرة النبوية قد ملأ القلب،  
واحتوى على اللب، فارتأيت أن أكتب هذا البحث بطريقة مختصرة، ووجدت  
أسهل وسيلة لذلك أن يكون السؤال والجواب، فبالسؤال تتشوق النفس إلى  
معرفة المسؤول عنه فتثبت المعلومة عن طريق الجواب، وهذا كان كثيرًا في هدي  
الرسول ﷺ، وطريقته في التعليم، كقوله ﷺ: «ألا أنبئكم»، «ألا أخبركم»،  
«أتدرون ما كذا» وذلك ثابتٌ في الأحاديث الصحيحة، أما السبب المباشر لهذا  
البحث فقد كُلفت من قبل فضيلة مدير معهد الحرم المكي الشريف الشيخ صالح بن  
محمد المقوشي أمد الله في عمره بتدريس مادة السيرة النبوية، ومن خلال تدريسي-  
لهذه المادة الشيقة، بدالي العمل على صياغة المؤلف في المعهد بهذه الصورة مع  
إضافة يسيرة لبعض الأمور المهمة التي لم يذكرها المصنف رَحِمَهُ اللهُ أو ذكرت  
بشكل مختصر جدًا.

وقد قمت بتقسيم المقرر إلى ثلاثة أقسام:

**القسم الأول:** وفيه إشارة إلى أن ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كانوا على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ثم بدأ الشرك بعد ذلك، ثم بعث الله تبارك وتعالى رسوله، نوحًا وإبراهيم، وإسماعيل، وغيرهم؛ حتى يردوا الناس إلى عبادة الله تبارك وتعالى، ثم يستمر الكلام في هذا القسم إلى ميلاد المصطفى ﷺ، وما سُمع من إرهابات النبوة، ثم بعثته ومعاناته مع قومه، وما لقيه في سبيل الدعوة إلى الله، إلى أن أذن الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ بالهجرة عندما تهيأت له الأرضية المباركة لنشر دعوته ﷺ.

**القسم الثاني:** من الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة، ومنها بداية التاريخ الهجري، وإن أحداث السيرة بعد ذلك عرفت بالتاريخ الذي جعل العام الذي وصل فيه الرسول ﷺ هو السنة الأولى من الهجرة، ثم تسلسلت الأحداث بعد ذلك إلى فتح مكة.

**القسم الثالث:** من أحداث فتح مكة، وكيف هيأ الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ هذا الفتح، ثم استمر الرسول ﷺ في دعوته وتطهير المعتقد بتكسير الأصنام وتوحيد العبادة لله الواحد القهار، ودعوته للناس إلى دين الإسلام حتى وفاته ﷺ، مع وقفة يسيرة مع بعض شوائله عليه أفضل الصلاة والسلام، وما هذا إلا مقتطفات من سيرته ﷺ سميتها «الدر الثمين في سيرة الرسول الأمين ﷺ» أقدمها لك أخي طالب العلم رجاء الانتفاع بها، ومن ثم تنفع بها غيرك، وإن من أفضل العلوم وأجلها أن نتعلم سيرة نبينا ﷺ، كيف لا، وهي سيرة من هدى الله به البشرية، وأخرجها من ظلمات الجهل والشرك والوثنية إلى نور الإسلام وسماحته وشريعته، وعدله، وفضائله، لذا كان لزامًا علينا الوقوف على كثير من جوانب سيرته ﷺ للقدوة والأسوة، واتباع ما جاء به وحض عليه،

والابتعاد عمّا نهى عنه، وحذّر منه؛ ليتحقق فينا بعد ذلك قول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران]، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى الآل والصحب الكرام، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

معيض بن عبد الله الزهراني

مكة المكرمة: ١/ ٨/ ١٤٢٢ هـ





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده نبينا محمد، وعلى آله وصحبه. وبعد:

فلما كانت سيرة المصطفى ﷺ والصحابة الكرام من أهم العلوم نفعًا، وأعظمها تأثيرًا، فقد امتلأت المكتبة الإسلامية بهذا العلم الجليل.

ومن توفيقه تعالى لي أن شاركت في هذا المضمار بهذا الكتاب الموسوم بـ

«الدر الثمين في سيرة الرسول الأمين ﷺ» وكان من فضله تعالى أن

نفدت الطبعة الأولى في وقت وجيز من صدور هذا الكتاب، وقد أكد لي هذا

الأمر على أن المكتبة الإسلامية لا تزال بخير، رغم ما يثار عن مزاحمة وسائل

الإعلام الحديثة للكتاب، مما دفعني إلى مزيد اهتمام بالطبعة الثانية، فأضفت إليها

زيادات لا يستغني عنها القارئ الكريم.

كما قمت بتصحيح ما غفلت عنه العين، أو نبا عنه القلم من أخطاء إملائية،

أو سقطات مطبعية في الطبعة الأولى، مع ما أضفته من أسئلة وإجابات كان

لا بد منها؛ تميماً للفائدة.

وبهذا أصبح الكتاب وبحمد الله في ثوبه الجديد في طبعته الثانية قد امتاز

عن طبعته الأولى بالزيادة، والتصحيح، والتنقيح.

وإني لأمل ممن اطّلع على هذا الكتاب فوجد فيه خللاً أو نقصاً أن يسعفني

بها وجد من تعقيب أو تصحيح، وله الشكر سلفاً، فالكمال لله تعالى وحده.

والحمد لله أولاً وآخراً، وله الفضل والمنة، وصلى الله على نبينا محمد وعلى

آله وصحبه، ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين.

معيض بن عبد الله الزهراني

مكة المكرمة في ١ / ٣ / ١٤٢٤ هـ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،  
نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن الله تعالى أوجب علينا طاعته، وطاعة رسوله محمد ﷺ، وجعل له  
حقوقاً على عباده، لا يشاركه فيها أحد، وجعل لنبيه حقوقاً على أمته، لا يساويه  
فيها أحد من الخلق.

ومن أعظم حقوقه ﷺ علينا محبته وطاعته، وتوقيره، واحترامه، من غير غلو،  
ولا تفريط، كما قال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد  
الله ورسوله» وقد نهانا ﷺ عن الابتداع في الدين، فقال: «وإياكم ومحدثات  
الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»، وما أكثر من أطرى النبي ﷺ  
ورفعه فوق منزلته التي أنزله الله تعالى، وكم من جفاه وخالفه في كثير من الأمور، ولم  
يقتد به في قليل ولا كثير، وهناك صنف آخر، أخذ في تنقصه ﷺ، وسبه، والتهكم  
عليه، ذلك هو عدو لله تعالى، وعدو لرسوله، وعدو لصالح المؤمنين، ولكن عزاؤنا  
في قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ  
يَجْحَدُونَ ﴿٣٢﴾ [الأعام]. وفي قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعَصْمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي  
الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ [المائدة]. نعم عصمه الله حياً فلم يستطع حاقد عليه وعلى دعوته  
النيل منه، وعصمه بعد موته، فإن أي متنقص للرسول ﷺ، فإنه لا يضره، لأنه في  
مكانة عند الله تعالى لا يصل إليها غيره من البشر، وفي مكانة عند أمته ﷺ لا ينال  
منها الحاقدون، والمبغضون، والханقون، من أعداء الله، وأعداء رسوله، وأعداء  
دينه، وأعداء أمته، وكيف لا تكون له هذه المكانة وقد زكاه الله تعالى في شأنه  
كله، فقال ﷺ: «أدبني ربي، فأحسن تأديبي»، ولما سئلت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

عن خلقه ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»، فقد زكى الله تعالى لسانه فقال: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ (٢) ﴾، وزكى الله تعالى بصره فقال: ﴿ مَا رَأَىٰ أَلْبَصَرُ وَمَا طَعَىٰ ﴾، وزكى فؤاده فقال: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾، وزكى شعوره فقال: ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ ﴾، وزكى سلوكه فقال: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾. وزكى طريقته فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ وأيده فقال: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصَرِهِ ﴾ وبالمؤمنين ﴿ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾. وشرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، ويسر له أمره، لهذا كله كانت منزلته عند الله تعالى، فكانت النتيجة أن أظهره الله على بقية خلقه، فها هو بين قدر أصحابه ومكانتهم عنده، فيقول عن أبي بكر: «لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»، ويقول عن عمر: «لو سلك عمر شعباً، لسلك الشيطان شعباً آخر»، وقال ﷺ في حديث الأسياء: «ورأيت قصرًا أبيض بفنائه جارية فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك».

وقال ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، فأعطاها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال ﷺ: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة» - يعني: عثمان بن عفان - وقال ﷺ عن ساق عبد الله بن مسعود عندما ضحك منها آخرون: «هو أثقل عند الله يوم القيامة ميزاناً من أحد». وقال ﷺ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مثل عائشة في النساء مثل الثريد واللحم في الطعام» وقال كذلك في سعد وعمر وخالد، فقال عن سعد: «هذا خالي فليرني امرؤ خاله، ارم سعد فذاك أبي وأمي».

وهكذا كان يمدح ﷺ أصحابه وزوجاته، فينشر فيهم الروح الإسلامية،

والمحبة والحنان، والإخاء والاحترام.

ذلك عزيزي القارئ الكريم هو رسول الله ﷺ الذي محبته من أسس ديننا القويم، ولن تتأتى تلك المحبة إلا بمعرفته، ولن نعرفه إلا بالاطلاع الوثيق على سيرته ﷺ، والتي دونت فيها المعاجم والكتب، ولم يبق لنا إلا الاطلاع، والتأمل والاتباع.

ولعل هذا الكتاب «الدر الثمين في سيرة الرسول الأمين ﷺ» في طبعته الثالثة قد أضاف إلى مكتبة السيرة شيئاً مأمولاً، يرجو كاتبه الأجر والثواب من الله تعالى، وحب نبيه ﷺ حباً صادقاً، ينال به شفاعته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

كما ذيلت هذا الكتاب بجملته من معجزات النبي ﷺ الدالة على صدقه داعمة لدعوته مما يجعل الكافر المعاند يزداد غمّاً وحسرةً أو يذعن قلبه إيماناً وتسليماً، ويزداد المسلم تصديقاً و يقيناً وثباتاً على الحق والعدل والدين.  
وأسأل الله جلت قدرته أن يجعل ما كتبه مما ينفع الناس، ومما خلصت فيه النية لله تعالى، وأن ينفع به كاتبه، وقارئه، وأن يجمعنا في دار كرامته ومستقر رحمته، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً اللهم آمين. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

وكتبه / معيض بن عبد الله الزهراني

مكة المكرمة: ١٤٣٦/٩/١

abusami919@hotmail.coma



## تعريف السيرة

س: ما معنى السيرة في اللغة والاصطلاح؟.

ج: معنى السيرة في اللغة: السنة والطريقة والهيئة.

وفي الاصطلاح العام: تعني ترجمة حياة شخص ما، أو تاريخ حياته.

وإذا أطلق لفظ السيرة فإنما يراد به: ترجمة حياة النبي ﷺ، بحيث أصبحت

هذه اللفظة علمًا بالغلبة على علم قائم بذاته هو علم السيرة.

وكان يطلق عليه المؤرخون المسلمون في الفترة السابقة «علم المغازي

والسير»<sup>(١)</sup>.

## أشهر من ألف في المغازي

س: اذكر أشهر من ألف في المغازي والسير من المتقدمين؟.

ج: ألفت في علم المغازي والسير كتبٌ لا تحصى وكان أول من ألف فيها:

١ - أبو عبد الله: عروة بن الزبير بن العوام، أحد الفقهاء السبعة من أئمة

التابعين في المدينة ت - ٩٣ هـ.

٢ - تلميذه: أبو محمد موسى بن عقبة بن أبي عياش ت - ١٤١ هـ بالمدينة،

قال فيه إمام دار الهجرة مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ: مغازي موسى بن عقبة أصح

المغازي وأجمعها، وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: ليس في المغازي أصح من كتابه

بالرغم من صغرِه، وخلوه من أكثر ما ذكر في كتب غيره.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه

ثقة.

(١) حياة سيد العرب، د. حسين باسلامة: (ج ٢ ص ٢٠).



- ٣ - محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ت - ١٢٤ هـ.
- ٤ - أبو بكر: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي مولا هم المدني ت - ١٥١ هـ ببغداد.
- قال عنه الإمام الشافعي: من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق، وقد اعتمد عليه في المغازي أئمة لا يحصون ورواها عنه جمع من العلماء.
- ٥ - أبو محمد: عبد الملك بن هشام المعافري الحميري. ت - بمصر - ٢١٣ هـ رَحِمَهُ اللهُ رَوَاهَا عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الطَّفِيلِ الْعَامِرِيِّ الْبَكَائِيِّ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ وَقَدْ رَوَاهَا ابْنُ هِشَامٍ وَهَذَبَهَا وَنَقَحَهَا وَزَادَ فِيهَا زِيَادَاتٍ كَثِيرَةً وَاعْتَرَضَ أَشْيَاءَ سُلِّمَ لَهُ كَثِيرٌ مِنْهَا بِحَيْثُ نَسَبَتِ السِّيْرَةَ إِلَيْهِ، فَقِيلَ: سِيْرَةُ ابْنِ هِشَامٍ.
- ومن المتأخرين:
- ١ - الحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي الحميري ت ٦٣٤ هـ وكتابه: «الاكتفاء في المغازي وسيرة الثلاثة الخلفاء».
- ٢ - الحافظ أبو الفتح: محمد بن محمد اليعمرى الأندلسي. الشهير بابن سيد الناس ت ٧٣٤ هـ وكتابه: «عيون الأثر في فنون المغازي والسير».
- ٣ - الحافظ العلامة أبو عبد الله: محمد بن أبي بكر الدمشقي الشهير بابن القيم الجوزية ت بدمشق - ٧٥١ هـ وكتابه: «زاد المعاد في هدي خير العباد» حقق في السيرة وأجاد.
- ٤ - الحافظ زين الدين: عبد الرحيم بن الحسين العراقي ت بمصر - ٨٠٦ هـ نظم فيها ألفية حافلة في البعوث، والمغازي، والسير، والشمال.
- ٥ - الحافظ: عماد الدين يحيى بن أبي بكر بن محمد العامري توفي باليمن -

٨٩٣، واسم كتابه: (بهجة المحافل وبغية الأمثال) لخص فيها المعجزات والمغازي والبعوث والشمائل.

٦ - الشهاب القسطلاني: ت بمصر سنة ٩٢٣ هـ وكتابه يسمى: «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية»، وهو سفر جامع، خدمه الناس بالقراءة والشرح.

٧ - الحافظ: محمد بن يوسف بن علي شمس الدين الشامي توفي بمصر ٩٤٢ هـ سمي كتابه: «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد»، وهي أجمع السير وأوسعها مادة.

٨ - علي بن إبراهيم الحلبي، المتوفى سنة ١٠٤٤ هـ بمصر. ألّف كتاباً سماه: «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون»، ويعرف بالسيرة الحلبية.

### منهج أهل السير في الأخذ بالأخبار

س: ما هو منهج أهل السير في الأخذ بالأخبار؟

ج: إن أهل السير لا يتقيدون بالصحيح من الأخبار بل يذكرون الصحيح والسقيم والبلاغ والمرسل والمنقطع - دون الموضوع - ولذلك قال العلامة العراقي في ألفيته:

وليعلم الطالب أن السيراً  
تجمع ما صح وما قد أنكرا  
لذلك قال الإمام أحمد بن حنبل كغيره من الأئمة: إذا روينا في الحلال  
والحرام شددنا، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

(١) إنارة الدجى: الشيخ حسن مشاط: (ج ١/٧٠).



# القسم الأول

من: التوحيد في ذرية آدم.  
إلى: وصول النبي ﷺ إلى المدينة مهاجراً.



### التوحيد في ذرية آدم عليه السلام

س: ما مناسبة ذكر التوحيد في ذرية آدم عليه السلام مع أننا بصدد دراسة السيرة النبوية؟

ج: لما كان التوحيد هو أعظم وأفضل ما جاءت به الرسل ودعت إليه؛ ناسب ذكر نبذة تاريخية عن التوحيد عند البشرية، منذ آدم عليه السلام وذريته، حتى حدث الشرك لأول مرة في الأرض، ثم أرسل الله تعالى الرسل لإزالة الشرك كلما حدث في الأرض، وإعادة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وكانت رسالة محمد ﷺ في جانبها العقدي امتداداً للرسالات السماوية السابقة؛ قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ... ﴾ [النحل]، لهذا ناسب ذكر هذا الجانب قبل الخلوص إلى سيرته ﷺ.

س: كم بقيت ذرية آدم على دين أبيهم آدم عليه السلام؟

ج: آدم عليه السلام أول الأنبياء - عليهم السلام - عاش ألف سنة، وخلال هذا الوقت وأبناؤه على التوحيد، فلما مات بقي أولاده بعده عشرة قرون على دين الإسلام.

س: ما سبب الكفر في ذرية آدم عليه السلام بعد هذا الزمن، مع ذكر الدليل الوارد في ذلك؟

ج: سبب كفرهم هو الغلو في حب الصالحين، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك في قوله: ﴿ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ الْهَتَكُ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح].

س: وكيف أشركت ذرية آدم عليه السلام؟

ج: روى البخاري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ الْهَتَكُ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح]. قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت.

قال ابن عباس: وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب فيما بعد، قال ابن جرير في «تفسيره»، عن محمد بن قيس قال: كانوا قومًا صالحين بين آدم ونوح، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم<sup>(١)</sup>.

س: ماذا حدث بعد انتشار الشرك وخلق الأرض من العلماء؟.

ج: لما انتشر الشرك وخلت الأرض من العلماء أرسل الله تبارك وتعالى نبيه ورسوله نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ليرد الناس إلى عبادة الله تعالى، وإلى دين أبيهم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَجْنَحْنَاهُ وَاصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت].

وهكذا كلما حدث الشرك في الأرض، وفي أي أمة من الأمم بعث الله تبارك وتعالى فيها رسولاً، يأمرهم بالتوحيد، وينهاهم عن الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل].

س: ماذا نستفيد من قصص الأمم السابقة؟.

ج: نستفيد من قصص الأمم السابقة: معرفة أحوالها، وما كانت عليه من التوحيد، أو الكفر، ثم ما آلت إليه تلك الأمم، وبالتالي نأخذ العظة والعبرة من تلك الأمم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [يوسف].

(١) ابن كثير، قصص الأنبياء (٥٨).

س: هل ذكر الله تعالى كل رسله، وقص علينا خبر كل الأمر السابقة؟.

ج: من المعلوم أن الله تعالى لم يذكر لنا كثيرًا من أنبيائه ورسله وكثيرًا من الأمم السابقة، حيث أشارت بعض كتب التاريخ والسير إلى أن عدد أنبياء الله يقدر بـ ١٢٤ ألف، وأن الرسل ٣٠٠ رسول، ولم يذكر لنا القرآن ولا قص علينا سوى ٢٥ رسولاً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ...﴾ [غافر].

### أنبياء الله الذين ذكرهم القرآن

س: اذكر أسماء أنبياء الله الذين قصهم علينا القرآن الكريم؟.

ج: سبق وأن ذكرنا أن عدد أنبياء الله تعالى مائة وأربعة وعشرين ألفاً، أما الرسل فوردت الروايات بأن عددهم ثلاثمائة رسول، ولم يقص علينا القرآن الكريم سوى خمسة وعشرين رسولاً نذكرهم فيما يلي:

١ - آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: عاش «١٠٠٠» سنة، والمشهور أنه دفن عند الجبل الذي أهبط فيه بالهند، وقيل: بجبل أبى قبيس في مكة المكرمة بعد أن نقله نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عند حدوث الطوفان هو وزوجه حواء.

٢ - إدريس: «اخنوخ» عَلَيْهِ السَّلَامُ: عاش على الأرض «٨٦٥» سنة، ثم رفعه الله إليه، أدرك من عمر «آدم» ٢٠٨ سنة.

٣ - نوح «شيخ المرسلين» عَلَيْهِ السَّلَامُ: لبث في قومه «٩٥٠» سنة، ثم بعد الطوفان لبث ما قدر له.. قيل: إنه دفن بمسجد الكوفة وقيل: بالجبل الأحمر، وذكر أن قبره الشريف بالمسجد الحرام.

٤ - هود «عابر» عَلَيْهِ السَّلَامُ: عاش «٤٦٤» سنة، ودفن شرقي حضرموت على بعد مرحلتين من تريم.



- ٥ - صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ: لم تذكر المدة التي عاشها، وإنما ذكر أنه مات في حضر موت وأن قبره هناك والله أعلم.
- ٦ - لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ: لم تذكر الكتب المدة التي عاشها، ويذكر أن قبره في قرية «صوعر» التي لجأ إليها بعد هلاك قومه، والله أعلم.
- ٧ - إبراهيم الخليل «أبو الأنبياء» عَلَيْهِ السَّلَامُ: عاش ٢٠٠ سنة، وقد ولد بعد الطوفان بـ (١٢٦٣) سنة، ودفن في المزرعة التي اشتراها في «حبرون» بفلسطين وفيها قبر زوجته الأولى سارة.
- ٨ - إسماعيل «الذبيح» عَلَيْهِ السَّلَامُ: عاش ١٣٧ سنة، ويذكر أنه دفن بجوار والدته بالمسجد الحرام بمكة المكرمة.
- ٩ - إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ: عاش ١٨٠ سنة ودفن مع أبيه إبراهيم في مزرعة «حبرون» بفلسطين.
- ١٠ - يعقوب «إسرائيل» عَلَيْهِ السَّلَامُ: عاش ١٤٧ سنة توفي بأرض مصر- وتنفيذاً لوصيته نقله ابنه يوسف إلى مزرعة «حبرون» في فلسطين.
- ١١ - يوسف «الصديق»: عاش ١١٠ سنين، مات بمصر، ونقله إخوته تنفيذاً لوصيته ودفن بنابلس بأرض الشام، وذلك في زمن كليم الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- ١٢ - شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: لم تُذكر المدة التي عاشها، إنما ذكر أنه بعد هلاك قومه عاش مدة من الزمن إلى أن توفاه الله في الفترة بين وفاة يوسف ونشأة موسى عليهما السلام.
- ١٣ - أيوب «الصابر» عَلَيْهِ السَّلَامُ: عاش ٩٣ سنة وذكر أنه دفن بجوار زوجته بقرية الشيخ سعد بأرض الشام قريباً من دمشق. والله أعلم.
- ١٤ - ذو الكفل «بشر» عَلَيْهِ السَّلَامُ: لم تُذكر المدة التي عاشها، إنما ذكر أنه ولد

بأرض مصر، وتوفي في أرض سيناء أيام التيه، وقيل: إنه دفن بجوار والده بأرض الشام، والله أعلم.

١٥ - يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ: لم تذكر المدة التي عاشها، كما أنه لم يرد أي خبر عن مكان قبره أو المكان الذي ذهب إليه عن قومه، والله أعلم.

١٦ - موسى بن عمران «كليم الله» عَلَيْهِ السَّلَامُ: عاش ١٢٠ سنة، وتوفي بأرض التيه بسيناء بعد وفاة أخيه هارون بأحد عشر شهرًا، ودفن هناك.

١٧ - هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ: عاش ١٢٢ سنة توفي بأرض التيه بسيناء قبل أخيه موسى ودفن هناك.

١٨ - إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ: لم تذكر المدة التي عاشها، وإنما ذكر أنه ولد بعد دخول بني إسرائيل فلسطين، ويذكر أن قبره ببعلبك لبنان.

١٩ - اليسع عَلَيْهِ السَّلَامُ: لم تذكر المدة التي عاشها، ولم يذكر المكان الذي اتجه إليه بعد عصيان قومه، وذكر أنه مات بمدينة «بانياس» من أرض الشام.

٢٠ - داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: عاش ١٠٠ سنة، وذكر أن ملكه دام ٤٠ سنة.

٢١ - سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: عاش ٥٢ سنة، وذكر أنه ورث ملك أبيه وعمره

١٢ سنة ودام ملكه ٤٠ سنة.

٢٢ - زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ: عاش ١٥٠ سنة، وذكر أنه نشر بالمنشار على يد من

ذبحوا ابنه يحيى عليهما السلام.

٢٣ - يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم تذكر المدة التي عاشها، وإنما ذكر أنه ولد في السنة

التي ولد فيها المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد ذبح عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو قائم في المحراب ظلما وعدوانًا؛ تنفيذًا لرغبة امرأة فاجرة من قبل ملك ظالم، كما ذكر أن رأسه الشريف

مدفون في الجامع الأموي بدمشق.

٢٤ - عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: عاش على الأرض ٣٣ سنة، ثم رفعه الله

تبارك وتعالى إليه بعد بعثته بثلاث سنين، وذكر أن والدته البتول الطاهرة مريم عاشت بعده ٦ سنين ثم توفيت ولها من العمر ٥٣ سنة.

٢٥ - محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام: ولد بمكة المكرمة سنة ٥٧٠ م، وانتقل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى جوار ربه وهو في الثالثة والستين من عمره، ودفن في بيت «عائشة» بالمسجد النبوي بعد أن أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح وجاهد في الله حق جهاده.

### إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبو الأنبياء

س: متى بعث الله تعالى نبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ ومن أول من آمن به؟ وهل عدم التوحيد في ذريته؟.

ج: بعث الله تعالى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما انعدم التوحيد، ولم يبق على الأرض يومئذ مسلم، وأول من آمن به زوجته سارة، ونبي الله لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومنذ ظهور إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، لم يعد التوحيد في ذريته، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [٢٨] [الزخرف].

س: بماذا أكرم الله تبارك وتعالى نبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وما دليل تلك الكرامة؟

ج: أكرم الله تبارك وتعالى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه لم يرسل بعده نبياً إلا من ذريته، قال تعالى: ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ [العنكبوت]، فكل الأنبياء والرسل من ذرية إسحاق، وأما إسماعيل فلم يبعث الله من ذريته إلا نبينا محمداً ﷺ.

س: من أين قدم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مكة، ومن قدم معه؟.

ج: قدم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من الشام وكان في أرض العراق، وبعد ما جرى عليه من قومه ما جرى هاجر إلى الشام واستوطنها، ولما دخل على هاجر وحملت بابنها إسماعيل غارت سارة من هاجر، وكانت سارة عقيماً لا تنجب، فأمره الله

تعالى أن يبعد هاجر وابنها إسماعيل، فذهب بهما إلى مكة فأسكنهما فيها.  
**س: ما هي الدعوات التي دعا بها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما ترك هاجر وابنه وانطلق راجعاً إلى الشام؟.**

**ج:** عندما ترك إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هاجر وابنها إسماعيل عند البيت، وقفل راجعاً، استقبل بوجهه البيت، وكان عند الثنية، حيث لا يرونه، رفع يديه وقال:  
﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ [إبراهيم].

**س: ماذا عملت هاجر- عليها السلام - عندما نفذ ما عندها من الماء وما هي السنة التي تركتها للناس حتى اليوم وما دليلها؟.**

**ج:** عندما نفذ الماء الذي كان مع هاجر في سقائها عطشت وعطش ابنها، فذهبت تبحث عن الماء، وكان الصفا أقرب جبل إليها، فصعدت إليه، ثم استقبلت الوادي، لعلها ترى أحداً، أو تجد الماء، فلم تجد شيئاً، ثم هبطت إلى الوادي ورفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهد، حتى جاوزت الوادي، ثم أتت إلى المروة فقامت عليها، فنظرت هل ترى من أحد، فلم تجد أحداً ففعلت ذلك سبع مرات، وهذه هي السنة التي تركتها في الناس حتى اليوم؛ وهي السعي بين الصفا والمروة، والدليل على ذلك قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال النبي ﷺ: «فذلك سعي الناس بينها»<sup>(١)</sup> حيث أصبح السعي ركناً من أركان الحج والعمرة إلى يومنا هذا.

**س: كيف ظهر ماء زمزم؟ وماذا قال ﷺ فيما فعلت هاجر؟.**

**ج:** بعد أن أتمت هاجر السعي بين الصفا والمروة؛ بحثاً عن أحد وطفلها

(١) البخاري (٦ / ٣٩٦) ح (٣٣٦٤).

ينازع الموت، ذهبت إلى طفلها بعد تمام السابعة لتنظر حاله، فإذا هي تسمع صوتاً، فقالت: «أغث إن كان عندك خيراً» فإذا بجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد ضرب بعقبه الأرض، فإذا بهاء زمزم يظهر من تحت عقبه، فذهبت وجعلت تغرف من ماء زمزم، وتملاً سقاءها، وهو يفور بعدما تغرف، فشربت وأرضعت ولدها.

قال ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم - أو قال: لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عيناً معيناً»<sup>(١)</sup>.

**س: بماذا بشر جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ هاجر بعد ذلك؟**

**ج:** قال لها: لا تخافوا الضيعة - الهلاك - فإن ها هنا بيتاً لله بينه هذا الغلام وأبوه، إن الله لا يضيع أهله. رواه البخاري.

**س: كيف كان البيت الذي بشر به الملك هاجر؟ وهل بني قبل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام؟**

**ج:** كان البيت مرتفعاً من الأرض كالراية تأتيه السيول تذهب عن يمينه وشماله، ولم يكن هناك خبر من معصوم أنه بني قبل إبراهيم.

**س: ما اسم القبيلة التي جاءت إلى هاجر ومن أين أتت؟**

**ج:** مرت بهاجر قبيلة جرهم آتية من اليمن، من قبائل قحطان، وجاءوا إلى هاجر، واستأذنها في النزول، فأذنت لهم، بشرط ألا يكون لهم حق في الماء، حتى كان بها أهل أبيات منهم، فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم، قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس».

**س: كيف أصبحت الصلة بين إسماعيل وقبيلة جرهم؟**

**ج:** لما نزلت قبيلة جرهم، شب إسماعيل بينهم، وتعلم اللغة العربية منهم، وأعجبهم حين شب، فلما كبر زوجته امرأة منهم.

(١) المصدر السابق.

س: ماذا أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عندما شب ابنه إسماعيل، وماذا قال إسماعيل في

ذلك، وماذا فعل إبراهيم عليه السلام؟.

ج: عندما شب إسماعيل عليه السلام رأى إبراهيم عليه السلام في المنام أن يذبح إسماعيل قرباناً لله تعالى، فاستشار إبراهيم ابنه إسماعيل في ذلك قائلاً: ﴿ قَالَ يَبْنَىٰ إِلَيَّ أَرَأَيْتَ فِي الْمَنَامِ أَيْدِيَّ أَذْبَحُكَ فَأَنْظُرُ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ [الصافات]، فأجابه إسماعيل قائلاً: ﴿ قَالَ يَا بَنِيَّ أَفَعَلَ مَا تُوَمَّرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٠٥) [الصافات]، ورؤيا الأنبياء حق، فخرج به إلى منى لتنفيذ أمر ربه، ولما تله للجين والسكين بيده، ناداه ربه: ﴿ وَتَدَيَّنُهُ أَنْ يُتَابِعَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ (١٠٤) قَدْ صَدَقَتِ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات]، وفداه الله بكبش أملح كبير، فترك الولد، وذبح الكبش، وفاز الوالد والولد برضا الله تعالى: ﴿ وَتَدَيَّنُهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٠٧) [الصافات].

### بناء البيت

س: من بنى البيت، وفيمن كانت ولايته؟ وما دليل ذلك؟.

ج: بنى إبراهيم عليه السلام البيت، وكان إسماعيل يأتيه بالحجارة حتى ارتفع البناء، بناه على الربوة المرتفعة التي قرب زمزم. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٢٧) [البقرة]. وبعد بناء البيت أصبحت ولايته في إسماعيل عليه السلام وفي ذريته بعده.

س: بماذا أمر الله تعالى نبيه إبراهيم بعد أن فرغ من بناء البيت؟.

ج: بعد فراغ إبراهيم وإسماعيل عليها السلام من بناء البيت، أمر الله إبراهيم بأن يؤذن في الناس بالحج، قال تعالى: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٢٧) [الحج]، فقيل: إن إبراهيم عليه السلام صعد جبل أبي قبيس أو الحجر، أو الصفا، وقيل: جبل عرفات، ونادى باسم الله تعالى قائلاً: «أيها الناس، إن ربكم بنى لكم بيتاً فحجوه»، فأسمع الله نداه كل مخلوق، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة، فلبى قائلاً: «لبيك اللهم لبيك».

## جرهم وخزاعة وولاية البيت

س: فيمن كانت ولاية البيت بعد إسماعيل وذريته؟.

ج: تولى إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ زعامة مكة وولاية البيت طوال حياته، وتوفي وله من العمر ١٣٧ سنة، ثم تولى بعد وفاته اثنان من أولاده، هما: نابت ثم قيدار، ثم ولي أمر مكة بعدهما جدّهما: «مضاض بن عمرو الجرهمي» فانتقلت بذلك زعامة مكة إلى جرهم، وظلت في أيديهم، وكان لأولاد إسماعيل مكاناً محترماً، لما لأبيهم من بناء البيت، ولم يكن لهم من الحكم شيء؛ لأن جرهم أخوالهم، فلم ينازعوهم لقرباتهم وإعظامهم لحرمة مكة والبيت، وألاً يكون قتال، ثم ضعف أمر جرهم، وذلك أنهم بغوا في مكة، وظلموا الوافدين إليها، واستحلوا أموال الكعبة، التي كانت تهدي لها، فلما رأى ذلك بنو بكر بن عبد مناف بن كنانة وخزاعة اجتمعوا على جرهم فاقتلوا ونفوههم عن مكة، واستولت خزاعة على حكمها في وسط القرن الثاني الميلادي، وبذلك استبدت خزاعة بأمر مكة دون بني بكر، وأخذوا يتوارثون ذلك حتى كان آخرهم حليل بن حبشية الذي تزوج قصي بن كلاب ابنته.

س: من الذي غير دين إبراهيم، ودعا أهل مكة إلى الشرك؟ وكيف ذلك؟.

ج: قال ﷺ: «رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار»<sup>(١)</sup> فقيل: إن عمرو بن لحي نشأ على أمر عظيم من المعروف والصدقة، والحرص على أمور الدين، فأحبه الناس حباً عظيماً، ودانوا له حتى ملكوه عليهم، وصار ملك مكة وولاية البيت بيده، وظنوا أنه من أكابر العلماء، ثم إنه سافر إلى الشام في بعض أموره، فلما قدم مآب من أرض البلقاء، وبها يومئذ العماليق رأهم يعبدون الأصنام،

(١) البخاري في التفسير: (٤٢٥٧)، صحيح مسلم: (٥٠٩٧)، مسند الإمام أحمد: (٣٦٦/٢) ومعنى قُصِبَ: أَمَعَاؤَهُ.

فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: أفلا تعطوني منها صنماً فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه، فأعطوه صنماً يقال له: هبل، فقدم به إلى مكة، فنصبه في جوف الكعبة، ودعا أهل مكة إلى الشرك بالله، فأجابوه؛ ظناً منهم أنه الحق، فلم يزالوا على ذلك حتى بعث الله محمداً ﷺ بدين إبراهيم عليه السلام وإبطال ما أحدثه عمرو بن لحي.

س: ما هي أهم خصائص مكة في الجاهلية؟

ج: أهم خصائص مكة في الجاهلية:

١ - لا يقر فيها الظلم. ٢ - لا يبغى فيها أحد إلا أُخْرِج.

٣ - لا يريد لها ملك يستحل حرمتها إلا هلك.

س: اذكر لنا شيئاً من أمر نهاية جرهم الذين آل إليهم أمر مكة والبيت ردحاً من الزمن بعد

أن غصبوا من ذرية إسماعيل عليه السلام؟

ج: عندما هزمت جرهم خرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي بغزالي الكعبة وبحجر الركن، فدفنوها في زمزم، ثم انطلق هو ومن معه من جرهم متجهين إلى اليمن وقد حزنوا على أمر مكة وملكها حزناً شديداً، وقد قال عمرو بن الحارث بن مضاض في ذلك:

وقائلة والدمع سكب مبادر وقد شرقت بالدمع منها المحاجر

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فقلت لها والقلب مني كأنما يلجلجه بين الجناحين طائر

بلى نحن كنا أهلها فأزالنا صروف الليالي والجدود العواثر

ويذكر أن جرهم عمدوا في الليل إلى الحجر فحملوه على بعير فلم يستطع



السير به، ثم ثاني، وثالث، عند ذلك عمدوا إلى دفنه في البير ثم ذهبوا. فلما أصبح أهل مكة ولم يروا الحجر أصابهم كرب عظيم، وكانت امرأة من خزاعة قد أبصرته حين دفن، فأعلمت قومها، عند ذلك أخذت خزاعة على بني بكر، وهم ولاة البيت لأنهم من ولد إسماعيل أخذت عليهم أن تتخلى بنو بكر عن ولاية البيت لهم، ويدلوهم على الحجر، ففعلوا ذلك.

**س: بعد أن استبدت خزاعة بأمر مكة دون بني بكر ماذا بقي بأيدي مضر من أمر مكة؟.**

**ج:** آلت ولاية البيت وأمر مكة إلى خزاعة بعد جلاء جرهم ودفنهم بئر زمزم، ودفن الحجر الأسود، إلا أن هناك بعض الوظائف بقيت في قبائل مضرأبقتها خزاعة في أيديهم وهي:

١ - الدفع بالناس من عرفة إلى مزدلفة، والإجازة بهم يوم النفرة من منى، وكان ذلك في «الغوثة بن مرة» من بطون مضر، وكان أبناؤه بعده في ذلك ويسمون «صوفة»، ومعنى الإجازة بالناس أنهم لا يرمون يوم النفرة حتى يرمي رجل من صوفة «أولاد الغوثة بن مرة».

٢ - الإفاضة من مزدلفة غداة النحر إلى منى في بني عدوان يتوارثونها حتى كان آخرهم كرب بن صفوان الذي قام عليه الإسلام.

٣ - إنساء الأشهر الحرم<sup>(١)</sup> وكانت في بني تميم بن عدي من بني كنانة.

(١) النساء: الذين كانوا ينسؤون الشهور على العرب في الجاهلية، فيحلون الشهر من الأشهر الحرم ويحرمون مكانة الشهر من أشهر الحل، ويؤخرون ذلك الشهر، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَحُكْرُمُونَهُ، عَامًا لِيُؤْطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُزِيلُوا عَنْهُمُ سُوءَ أَعْيُنِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٧].

## قصي بن كلاب وولاية البيت

س: كيف آلت ولاية مكة والبيت إلى قصي بن كلاب الذي هو من صريح ولد إسماعيل بعد أن

رق أمر خزاعة؟.

ج: ذكرنا تخلي بني بكر عن ولاية البيت لخزاعة، ومن ذلك الوقت أصبحت ولاية البيت لهم دون بني بكر يتوارثونها حتى كان آخرهم حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي والذي تزوج قصي- بن كلاب ابنته حُبَي. وعندما عظم شرف قصي- بن كلاب وكثر بنوه وماله، وهلك حليل بن حبشية رأى قصي- بن كلاب أنه أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة، وبني بكر؛ لأن قريش رؤؤس آل إسماعيل وصريح نسبهم، عند ذلك كَلَّم قصي- رجالا من كنانة وقريش في إخراج بني بكر وخزاعة من مكة، فأجابوه.

بعد أن تزوج قصي بن كلاب ابنة حليل بن حبشيه ولدت له:

١ - عبد الدار. ٢ - عبد مناف ٣ - عبد العزى. ٤ - عبدا أو عبد قصي.

فلما انتشر- ولد قصي- وكثر ماله وعظم شرفه، هلك حليل، ثم أنه عندما هلك، أوصى بولاية البيت إلى ابنته حُبَي، وكان قبل ذلك عندما مرض وضعف كان يعطي ابنته مفاتيح الكعبة، وكان قصي- يأخذ المفاتيح في بعض الأحيان فيفتح البيت للناس ويغلقه.

وقيل: إن حليل أوصى بولاية البيت إلى قصي-، فلما هلك أبت خزاعة أن تمضي تلك الوصية لقصي، عند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خزاعة، واستعان بأخيه رزاح بن ربيعة بن حرام، ذلك أن أم قصي- هي فاطمة بنت سعد بن سبل تزوجها ربيعة بن حرام عندما قدم مكة، بعدما هلك كلاب فاحتملت ابنها قصي معها إلى بلاده قضاة.

ولما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه، كتب إلى أخيه رزاح بن ربيعة ومعه

أخوته فيمن تبعهم من قضاة في حج العرب، وهم مجمعون لنصرة قصي، أتى قصي بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاة آخر أيام التشريق عند العقبة فقال لخزاعة: نحن أولى بذلك منكم، فقاتلهم فاقتتل الناس قتالاً شديداً حتى كثر القتلى في الفريقين جميعاً، ثم أنهم تداعوا إلى الصلح، عندها حكّموا: يعمر بن عوف بن عامر بن كعب بن بكر بن مناف بن كنانة، فقضى بينهم بأن قصياً أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة، وأن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبني بكر موضوع يشدخه تحت قدميه، وأن ما أصابت خزاعة وبني بكر من قريش وكنانة وقضاة ففيه الدية مؤداة، وأن يخلى بين قصي بن كلاب وبين مكة.

**س: كم بقيت خزاعة تلي أمر مكة وولاية البيت، وكيف انتهت ولايتهم ومن تولى أمر مكة**

**والبيت بعدهم؟.**

**ج:** ظلت خزاعة تلي أمر مكة والبيت الحرام نحو ثلاثمائة سنة، وقيل: خمسمائة سنة، وكانت قريش في ذلك الوقت متفرقة في بني كنانة حتى تزعمها قصي بن كلاب، ووحد بطونها، وخاض حرباً ضد خزاعة حول ولاية البيت، وأعانته قضاة في حربه، وتدخلت قبائل العرب، وانتهت الحرب بالتحكيم الذي نتج عنه أحقية قصي بن كلاب بولاية الكعبة، ومنذ ذلك الوقت ارتفعت مكانة قريش بين العرب.

**س: كيف صار قصي بن كلاب في قريش بعد أن تولى أمر مكة وولاية البيت؟.**

**ج:** تولى قصي بن كلاب أمر مكة وولاية البيت في أواسط القرن الخامس الميلادي سنة «٤٤٠» م وجمع قومه من منازلهم إلى مكة، وتملك عليهم وعلى أهل مكة وملكوه، فكانت إليه من مظاهر الرئاسة والتشريف:

١- الحجابة. ٢- السقاية. ٣- الرفادة. ٤- الندوة. ٥- اللواء.

وبهذا كان أول بني كعب بن لؤي أصاب ملكًا، أطاع له قومه به، فحاز شرف مكة كله، وقطع مكة رباعًا بين قومه، فأنزل كل قوم منازلهم التي أصبحوا عليها. أقر قصي بن كلاب للعرب ما كانوا عليه، وذلك أنه كان يراه دينًا في نفسه لا ينبغي تغييره، فأقر آل صفوان وعدوان والنساء ومرة بن عوف على ما كانوا عليه، حتى جاء الإسلام فهدم ذلك كله، وبذلك صار لقصي السيادة التامة على قومه ومكة، وصار الرئيس الديني للبيت الذي كانت تفد إليه العرب من جميع أنحاء الجزيرة.

**س: ماذا عمل قصي بن كلاب بعد أن صار إليه أمر مكة والبيت؟.**

**ج:** قام قصي بن كلاب بن لؤي بتقطيع مكة رباعًا بين قومه، وأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة، وسمّته قريش مجمعًا، لما جمع من أمرهم.

**س: ما أهم مآثر قصي بن كلاب، واذكر أهم مظاهر الرئاسة التي كانت له؟.**

**ج:** من مآثر قصي بن كلاب أنه أسس دار الندوة بالجانب الشمالي من المسجد، وكانت محل اجتماع قريش، وفيها تفصل مهام الأمور، وكان من أهم مظاهر الرئاسة والتشريف لقصي بن كلاب:

أولاً: رئاسة دار الندوة، وفيها كانوا يتشاورون في أمورهم.

ثانياً: اللواء: وهو راية الحرب ولا تعقد إلا بيد قصي.

ثالثاً: الحجابة: وهي حجابة الكعبة، لا يفتح بابها إلا هو، وهو الذي يلي

أمر خدمتها وسدانتها.

رابعاً: السقاية، وهي: أنهم كانوا يملأون للحجاج حياضًا من الماء يجلونها

بشيء من التمر والزبيب فيشرب الناس منها إذا وصلوا مكة.

خامساً: الرفادة: وهي خرج تخرجه قريش في الموسم من أموالها لقصي،

ليصنع به طعامًا للحجاج، يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد.

**س : عندما كبر قصي إلى من فوّض أمر هذه الأعمال من أولاده؟.**

**ج:** كان لقصي- بن كلاب أربعة من الولد: عبد الدار، عبد مناف، عبد العزى، عبد قصي.

ففوّض ابنه عبد الدار الذي هو أكبر أولاده، وأوصى له بما كان يلي من مصالح قريش من الندوة، والحجابه، والسقاية، واللواء، والرفادة.

**س : إلى من آلت الوظائف التي ورثها عبد الدار من أبيه بعد وفاته؟.**

**ج:** عندما مات عبد الدار وإخوانه عبد مناف وعبد العزى وعبد قصي، اختصم أبناءؤهم على هذه الأمور وانقسموا إلى فريقين: فرقة انضمت إلى بني عبد مناف وفرقة انضمت إلى بني عبد الدار، وأخيراً اتفق الفريقان على أن تكون الحجابه واللواء والندوة في بني عبد الدار، والسقاية والرفادة في بني عبد مناف، وكانت في هاشم بن عبد مناف بن قصي- بن كلاب، ثم بعد وفاة هاشم ولي السقاية والرفادة أخوه المطلب بن عبد مناف، ثم عندما مات المطلب ولي ذلك ابن أخيه عبد المطلب بن هاشم، ثم عندما مات عبد المطلب خلفه ابنه العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد أبقاهما الرسول ﷺ في يده بعد فتح مكة، أما بنو عبد الدار فقد توارثوا الحجابه واللواء ورتاسة دار الندوة، وقد أبقى الرسول ﷺ الحجابه بأيديهم عندما فتح مكة، ودفع بمفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة، وهي فيهم إلى اليوم، وهم بنو شيبه.

## حفر زمزم (١)

س: من حفر بئر زمزم بعد دفنها من قبل جرهم عند خروجهم من مكة؟ وما سبب حفرها؟

مع ذكر أسمائها والخلاف بين قريش وعبد المطلب في شأنها، وكيف انتهى ذلك الخلاف؟.

ج: كانت زمزم كما تقدم سُقياً إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فجرها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بعقبه، وتفجيرها بعقبه دون أن يفجرها باليد إشارة إلى أنها لعقبه بعد وفاته، ومنهم النبي ﷺ وأمته، فلما آن ظهوره ﷺ أذن الله تعالى لسقيا أبيه زمزم أن تظهر وهذه بركته قبل أن يولد.

ثم إن جرهم لما أحدثت في الحرم، واستخفت بالمناسك والحرم، وبغى بعضهم على بعض، أخرجهم الله من الحرم لتلك الأسباب، فعمد الحارث بن مضاض الأصغر إلى ما كان عنده من مال ودفنه، ومنه غزالان من ذهب وأسياف كان قد أهداها ملوك الفرس إلى الكعبة، وقد كان ملوك فارس تحج إليها، كما عمدوا إلى ماء زمزم فغوره وذلك بدفن البئر.

روي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها قال: قال عبد المطلب: إنني نائم في الحجر إذ أتاني آت فقال: احفر طيبة، قال: قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عني. فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعي فتمت فيه، فجاءني فقال: احفر برة، قال: قلت: وما برة؟ قال: ثم ذهب عني، ثم لما كان من الغد رجعت إلى مضجعي فتمت فيه، فجاءني فقال: احفر المذنونة قال: قلت: وما المذنونة؟ ثم ذهب عني، فلما كان من الغد جاءني فقال: احفر زمزم، قال: قلت: وما زمزم؟ قال: لا تنزف أبداً ولا تدم تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل.

(١) انظر الروض الأنف (ج ١ / ٢٥٧).

## ومن أسماء زمزم:

- ١ - طيبة: للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل.
  - ٢ - برة: لأنها فاضت للأبرار وغازت عن الفجار.
  - ٣ - المذنونة: قيل لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين، فلا يتصلع منها منافق<sup>(١)</sup>.
- لما عرف عبد المطلب أنه قد صدق، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب وليس له ولد غيره يومئذ، وحينما أراد حفر بئر زمزم، عارضه ابن عمه عدي بن نوفل بن عبد مناف، وعيره بقلّة عياله، وحاولت قريش منعه في بداية الأمر خوفاً على أصنامها، وعندما بدا له طرف البئر كبر، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه، فقالوا: يا عبد المطلب: إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً، فأشركنا معك فيها، فقال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم، وأعطيته من بينكم، فقالت قريش: فأنصفنا فإننا غير تاركيك، حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه، قالوا: كاهنة بني سعد بن هذيم، قال: نعم، قال: وكانت بأشرف الشام، فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف.
- ركب من كل قبيلة من قريش نفر، والأرض إذ ذاك مفاوز، قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام، فني ماء عبد المطلب وأصحابه، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش، فأبوا عليهم، وقالوا: إنا بمفازة، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم، وما يتخوف على نفسه وأصحابه، قال: ماذا ترون؟ قالوا: ما رأينا إلا تبعاً لرأيك فمرنا بما شئت، قال: فإني أرى أن يحفر كل

(١) المصدر السابق (ص: ٢٥٨).

رجل منكم حفرت له لنفسه بما بكم الآن من القوة، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرتهم ثم واروه، حتى يكون آخركم رجلاً واحداً؛ فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركبٍ جميعاً، قالوا: نعم ما أمرت به، فقام كل واحد منهم فحفر حفرتهم، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت، لا نضرب في الأرض، ولا نبتغي لأنفسنا لعجز، فعسى الله أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد، ارتحلوا، فارتحلوا حتى إذا فرغوا، ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون، تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها. فلما انبعثت به، انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب، فكبر عبد المطلب، وكبر أصحابه، ثم نزل فشرب، وشرب أصحابه، واستقوا حتى ملؤوا أسقيتهم، ثم دعا القبائل من قريش، فقال: هلم إلى الماء، فقد سقانا الله، فجاءوا فشربوا واستقوا. ثم قالوا: قد - والله - قضى لك علينا يا عبد المطلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزماً، فارجع إلى سقايتك راشداً. فرجع، ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلوا بينه وبينها<sup>(١)</sup>.

### أولاد عبد المطلب

س: اذكر أولاد عبد المطلب من الذكور والإناث، مع ذكر ما تيسر عن بعضهم؟

ج: ولد لعبد المطلب عشرة من الولد ذكوراً، وست إناث هم أعمام النبي ﷺ

وعماته وهم:

١- أبو طالب: واسمه: عبد مناف.

٢- الزبير.

(١) الروض: (١/١٦٧).



- ٣- عبد الكعبة، وأم حكيمة، وبرة، وأروى، وأميمة، وأمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم.
- ٤- عبد الله والد رسول الله ﷺ وهو شقيق هو لاء.
- ٥- حمزة.
- ٦- المقوم.
- ٧- حجل - واسمه المغيرة، وصفية، وزاد بعضهم العوام. وأمهم هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة بنت عم أمينة بنت وهب أم رسول الله ﷺ.
- ٨- العباس وضرار، وأمهما نثلة، وقيل: نثيلة بنت جناب بن كلب.
- ٩- الحارث، وهو أكبر ولد عبد المطلب وبه كان يكنى وشقيقه.
- ١٠- وقثم، وهلك صغيراً.
- ١١- أبو لهب واسمه: عبد العزى؛ وأمها لبني بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حبشية ابن سلول من خزاعة.
- ١٢- الغيداق: واسمه مصعب، وقيل: نوفل، ولقب الغيداق لجوده؛ وأمها ممنعة بنت عمرو بن مالك من خزاعة.
- فعليه يكون أعمامه ﷺ اثنا عشر، ومن الناس من يعدهم عشرة، فيسقط عبد الكعبة، ويقول: هو المقوم، ويجعل الغيداق وحجلاً واحداً، ومن الناس من يعدهم تسعة، فيسقط قثم.
- وأما عماته فست لا خلاف في ذلك، وكلهن بنات فاطمة المخزومية، إلا صفية، فهي من هالة الزهرية، هذا هو المشهور عند أهل النسب.
- ولم يسلم من أعمامه ﷺ إلا حمزة والعباس على الصحيح.
- وأما العمات: فإسلام صفية معروف محقق، وفي أروى خلاف ذكرت في الصحابة، وذكر الواقدي في خبر أنها أسلمت، وكذلك اختلف في إسلام عاتكة،

والمشهور عندهم أن عاتكة لم تسلم، وهي صاحبة الرؤيا يوم بدر.  
فأما أبو طالب: فولده: طالب وعقيل، وجعفر، وعلي، وكان كلُّ من هؤلاء  
أكبر من الذي يليه بعشر سنين، وأختهم أم هانئ فاخته، ويقال لها هند وقيل: وجمانة  
بنت أبي طالب، أخت ثانية لهم، قسم لها رسول الله ﷺ ثلاثين وسقاً من خيبر،  
وهي أم عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، أسلموا كلهم إلا طالباً.  
وأما الزبير: فولده عبد الله، شهد يوم حنين مع النبي ﷺ وثبت معه،  
وكان فارساً مشهوراً، كان النبي ﷺ يقول له: «ابن عمي وحيي». ومنهم من  
يروى أنه يقول له: «ابن أمي وحيي».

قال أبو عمر: لا أحفظ له رواية عن النبي ﷺ، وقد روت أخته ضباعة  
وأم الحكم، وكانت سنة يوم توفي النبي ﷺ نحواً من ثلاثين سنة، وقتل شهيداً  
بأجنادين في خلافة أبي بكر سنة ثلاث عشرة بعد أن أبلى بها بلاء حسناً.  
وضباعة وصفية وأم الحكم وأم الزبير بنات الزبير، لهن صحبة، ولا عقب  
لعبد الله بن الزبير هذا.

وأما حمزة فأسلم قديماً، وعزَّبه الإسلام، وكفَّت قريش عن النبي ﷺ عن  
بعض ما كانوا ينالون منه؛ خوفاً من حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَلِمًا مِنْهُمْ أَنَّهُ سَيَمْنَعُهُ، وكان عمُّ  
رسول الله ﷺ وأخاه من الرضاعة، أرضعتها ثوية الأسلمية، وكان أسنُّ منه  
بيسير، وأمُّ كلِّ منهما ابنة عمِّ لأم الآخر، شهد بدرًا وأُحُدًا مع النبي ﷺ، وبها مات  
شهيداً، قتله وحشيُّ بن حرب، قيل: كان يقاتل بين يدي النبي ﷺ بسيفين،  
ويقول: أنا أسد الله، ذكره الحاكم، وروى بسنده أن رسول الله ﷺ قال: «أتاني  
جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السماوات أسد الله ورسوله»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الحاكم في المستدرک: (٣/١٩٤) وصححه، ووافقه الذهبي.

وكان له من الولد: يعلى وعمارة. وقال مصعب: وُلد لحمزة خمسة رجال لصلبه، وماتوا ولم يُعقبوا. وقال الزبير: لم يُعقب أحدٌ من بني حمزة إلا يعلى وحده فإنه ولد له خمسة رجال لصلبه، وماتوا ولم يُعقبوا، ومن أولاد حمزة أمانة، ويقال: أمة الله، وكان الواقدي يقول فيها: عمارة. قال أبو بكر الخطيب: انفرد الواقدي بهذا القول، وإنما عمارة ابنه لا ابنته، وقد تقدم ذكره. وله أيضًا ابنة تسمى أم الفضل، وابنة تسمى فاطمة، ومن الناس من يعدُّهما واحدة، وفاطمة إحدى هذه الفواطم التي قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعَلِيٍّ، وقد بعث له حُلَّةً: «تَشَقُّهَا خَمْرًا بَيْنَ الْفَوَاطِمِ»، وهن: فاطمة بنت أسد؛ أم عليٍّ، وفاطمة بنت محمد، وزوجته، وفاطمة بنت حمزة هذه، وفاطمة ابنة عتبة.

وأما العباس فيكنى أبا الفضل بابنه، وكان أسن من رسول الله ﷺ بستين أو ثلاث، وكان رئيسًا في قريش، وإليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية، شهد العقبة مع رسول الله ﷺ ليشترط له على الأنصار، وشهد بدرًا مع المشركين مكرهًا، وفدى يومئذ نفسه، وعقيلًا ونوفلاً ابني أبي طالب والحارث، وأسلم قبل فتح خيبر، وكان يكتم إسلامه إلى يوم فتح مكة، فأظهره، وقيل أسلم قبل يوم بدر، وكان يكتم ذلك، وشهد يوم حنين وثبت، وهو القائل:

ألا هل أتى عرسي مكرِّي ومقدمي      بوادي حنين والأسنة تُشرعُ  
وكيف رددت الخيل وهي مغيرةٌ      بزوراء تعطي في اليدين وتمنعُ  
نصرنا رسول الله في الحرب سبعة      وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا  
وثامننا لاقى الحمام بسيفه      بما مسه في الله لا يتوجع

وكان النبي ﷺ يقول فيه: العباسُ أجودُ قريش كفاً وأوصلها، وروي أن العباس لم يمر بعمر ولا بعثمان وهما راكبان إلا نزلا حتى يجوز إجلالاً له، وكان

النبى ﷺ يُجَلِّه، استسقى به عمر عام الرمادة سنة سبع عشرة، فسُقوا ففي ذلك يقول الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

بعمي سقى الله الحجازَ وأهلَه      عشية يستسقى بشيئته عمر  
توجه بالعباس في الجذب راغباً      فما كَرَّ حتى جاء بالديمة المطر  
وكان من دعاء العباس وهو يستسقى: اللهم أنت الراعي لا تُهمَل الضَّالة،  
ولا تدع الكسير بدار مضيعة، فقد ضرع الصغير، ورقَّ الكبير، وأرتفعت  
الشكوى، فأنت تعلم السر- وأخفى، اللهم فأغثهم بغياثك من قبل أن يقنطوا  
فيهلكوا، فإنه لا ييأس من روحك إلا القوم الكافرون.  
وفضائل العباس كثيرة، ومناقبة مشهورة، توفي سنة اثنتين وثلاثين، وصلى  
عليه عثمان، وقيل في وفاته غير ذلك.

وولد العباس سبعة لأم الفضل لبابة بنت الحارث، وهم: الفضل، وعبد الله،  
وعبيد الله، وقثم، وعبد الرحمن، وعون، والحارث، وأمُّه من هذيل، وكان  
الفضل أكبرهم، وتَمَّام أصغرهم، وقد روى تَمَّام عن النبي ﷺ: «لا تدخُلوا عليَّ  
قُلْحًا، استاكوا»<sup>(١)</sup>. وكان الفضل جميلًا، وعبد الله عالمًا، وعبيد الله سخيًّا  
جوادًا، وكان تمام من أشد الناس بطشًا، وكان العباس يحمل تمامًا، ويقول:  
تَمَّوا بتَمَّام فصاروا عَشْرَه      ياربِّ فاجعلهم كرامًا برره  
واجعل لهم ذكْرًا وأنم الثمره

استشهد الفضل بأجنادين، ومات عبد الرحمن بإفريقية، وعبد الله  
بالطائف، وعبيد الله باليمن، وقثم بسمرقند.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند: (٤٤٢/٤) عن تمام، عن أبيه قثم. معنى قُلْحًا: جمع أفلح، وهو الذي تعلق  
أسنانه قلحة، أي صفرة ووسخ، واستاكوا: استعملوا ما ينظفها كالسواك ونحوه.

وأما الحارث، وهو أكبر ولد عبد المطلب، وبه كان يُكنَّى، فقد قال عنه الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ اللهُ: لم يدرك الإسلام، وأسلم من أولاده أربعة: نوفل، ربيعة، وأبو سفيان، وعبد الله، فكان نوفل أسنَّ إخوته، وأسنَّ من أسلم من بني هاشم، ولم يُذكر المغيرة فيهم<sup>(١)</sup>.

أما أبو لهب: فأبوه كناه بذلك لحسن وجهه. قال السهيلي: كُنِّي بأبي لهب مقدمة لما يصير إليه من اللهب، وكان بعد نزول السورة فيه لا يشك مؤمن أنه من أهل النار، بخلاف غيره من الكفار يعني: الموجودين، فإن الأطماع لم تنقطع من إسلامهم<sup>(٢)</sup>. وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية، اسمها العوراء، فولد أبو لهب عتبة ومُعْتَبًا، شهدا حينًا وثبتا فيه، وأختها درة، لها صحبة، وأخوهم عتيبة قتله الأسد بالزرقاء من أرض الشام بدعوة النبي ﷺ عليه، وبعضهم يجعل عتبة المُكَبَّرَ عقير الأسد، وعتيبة الصحابي، والمشهور الأول.

وأما ضرار: فإنه مات أيام نزول الوحي إلى النبي ﷺ ولم يسلم، وكان من أبهى فتيان قريش جمالاً وأكثرهم سخاء. وأما الغيداق: فكان أكثر قريش مالاً، وكان جَوَادًا. وأما المُقَوِّمُ وجَحَل: فولد لهما، وانقطع العقب منهما، وأما عبد الكعبة: فلم يدرك الإسلام ولم يُعقب. وأما قثم فهلك صغيراً كما تقدم.

١. وأما أم حكيم - وهي البيضاء -: فكانت عند كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، فولدت له عامراً، وبنات منهن: أروى أم عثمان بن عفان، وهي توأمة عبد الله، والد رسول الله ﷺ، على خلاف في ذلك، وهي التي وضعت جفنة الطيب للمطَّيِّبين في حلفهم، وكانت تقول: إني لِحَصَانِ فما أُكَلِّمُ، وصنَّاعُ فما أُعَلِّمُ.

(١) الاستيعاب: (٣/٣٨٦).

(٢) الروض الأنف: (١/١٣٢).

٢. وأما عاتكة: فكانت عند أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ولدت له عبد الله، له صحبة، وزهيراً وقريبة، مختلف في صحبتها، وهم إخوة أم سلمة لأبيها، وهي صاحبة الرؤيا بمكة يوم بدر، وقد تقدمت.
٣. وأما برة فكانت عند أبي رهم بن عبد العزى.
٤. وأما أميمة: فكانت عند جحش بن رثاب، فولدت له عبد الله المُجَدِّع في الله بدعائه، المقتول يوم أحد شهيداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأبا أحمد الشاعر الأعمى، وعبيد الله، أسلماً أيضاً، وهاجرا إلى أرض الحبشة، ثم تنصّر. هنالك عُيِدَ اللهُ، وزينب أم المؤمنين، وحمئة، وكانت عند مصعب بن عمير.
٥. وأما أروى فمختلف في إسلامها. وكانت تحت عمير بن وهب بن عبد الدار بن قصي، فولدت له طليب بن عمير، كان بدرياً من فضلاء الصحابة، وقُتِلَ بأجنادين شهيداً، ثم خلف عليها كلدة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي.
٦. وأما صفية: فأسلمت وهاجرت، وكانت عند الحارث بن حرب، أخي أبي سفيان، ثم تزوجها العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، فولدت له الزبير والسائب صحابين مشهورين، وعبد الكعبة. تُوفيت صفية سنة عشرين، ودُفنت بالبقيع، ولها ثلاث وسبعون سنة.

### نذر عبد المطلب

س: ماذا نذر عبد المطلب، وما سبب هذا النذر، وهل أوفى بنذره، وكيف انتهى أمر نذره؟

ج: عندما لقي عبد المطلب من ابن عمه وقومه ما لقي عند حفر زمزم، نذر لئن آتاه الله عشرة من الولد ذكوراً، ثم بلغوا معه حتى يمنعوناه، لينحرن أحدهم لله تقريباً عند الكعبة، فلما آتاه الله عشرة من الولد ذكوراً، أخبرهم بنذره، فقالوا: كيف نعمل؟ قال: كل واحد منكم يأخذ قدحاً ويكتب عليه اسمه، ثم ذهبوا إلى

قيّم هبل، فأخبره عبد المطلب بنذره، وكان عبد الله أصغر ولده، وهو والزبير وأبو طالب أشقاء، أمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ من بني مخزوم، فأصابته القرعة عبد الله، وكان أصغر ولده، وأحبهم إليه، فكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى، فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها، قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله، ثم ضرب صاحب القداح، فخرج القدح على عبد الله فأخذه عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى إيساف وناثلة ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها، فقالوا: ماذا تريد يا عبد المطلب؟ فقال: أذبحه، فقالت له قريش وبنيه: والله لا تذبحه أبداً حتى تعذر فيه.

ولئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه، فما بقاء الناس على هذا؟! والله لا تذبحه أبداً حتى تعذر فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه، وقالوا: لا تفعل وانطلق به إلى الحجاز؛ فإن بها عرافة لها تابع فسلها، ثم أنت على رأس أمرك، إن أمرك بذبحه ذبحته، وإن أمرك بأمر لك وله فيه فرج قبلته.

فركبوا حتى جاؤوها، فسألوها وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه، وما أراد به ونذره به، فقالت لهم: ارجعوا عني حتى يأتيني تابعي فأسأله، ثم غدوا عليها فقالت لهم: قد جاءني الخبر، كم الدية فيكم؟ قالوا: عشر. من الإبل، وكانت كذلك، قالت: ارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرًا من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى بكم، وإن خرجت عن الإبل فانحروها عنه، فقد رضي بكم ونجا صاحبكم.

فخرجوا حتى قدموا مكة، عند ذلك قام عبد المطلب يدعو الله، ثم قربوا عبد الله وعشرًا من الإبل، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبل عشرين، فقام عبد المطلب يدعو الله ﷻ، ثم ضرب

فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرًا من الإبل، فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرًا من الإبل، فخرج القدح على عبد الله، فما زالوا يزيدون عشرًا عشرًا، حتى بلغت الإبل تسعين، ثم ضربوا، فخر القدح على عبد الله، فزادوا عشرًا فبلغت الإبل مئة، فقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل، فقالت قريش ومن حضر: قد رضى ربك يا عبد المطلب، فزعموا أن عبد المطلب قال: حتى أضرب عليها ثلاث مرات، فضربوا على عبد الله وعلى الإبل، وقام عبد المطلب يدعو الله فخرج القدح على الإبل، ثم عادوا الثانية، وعبد المطلب قائم يدعو الله، فخرج القدح على الإبل، ثم عادوا الثالثة وعبد المطلب قائم يدعو الله، فضربوا، فخرج القدح على الإبل: فنجرت، فتركت لا يصد عنها إنسان ولا سبع، وكان عبد الله أنهد فتى في قريش، وأصبحهم خلقًا وأحسنهم خلقًا<sup>(١)</sup>.

### بيان أمر الحمس

س: ما معنى الحمس، ومن ابتدعه، وما أهم أمور الحمس؟

ج: الحمس جمع أحمس ويعني: المشتدد في الدين، وسميت قريش حمسًا لزعمتهم أنهم اشتدوا في الدين، وقد ابتدعته قريش، حيث رأوا أنهم أهل الحرم، وولاية البيت، وليس لأحد من العرب مثل ما لهم، فرأوا ألا يعظموا شيئًا من الحل كتعظيم الحرم، حتى لا تستخف العرب بحرماتهم، فتركوا من أجل ذلك الوقوف بعرفة، والإفاضة منها، مع معرفتهم أنها من المشاعر، ومن دين إبراهيم، ويرون لسائر العرب الوقوف بها، والإفاضة منها، وحرّموا ذلك على أنفسهم لأنهم أهل الحرم.

(١) الروض الأنف: (١/١٧٦-١٧٨).



س: ماذا سن الحمس لمن دخل مكة؟.

ج: سن الحمس أموراً لمن دخل مكة، وأهمها:

١. لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من الطعام الذي جاؤوا به من الحل إلى الحرم، إذا جاؤوا حُجَّاجًا أو عُمَرًا.

٢. ولا يطوف من قدم من الحل إذا قدموا - أي في طواف القدوم - إلا في ثياب أهل الحمس، فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عراة، فمن لم يجد ثياب أهل الحمس طاف في ثيابه، وإذا فرغ من طوافه ألقاها، ولا يتنفع بها هو، ولا غيره، وتسمى اللُّقى، ودانت بذلك العرب، فالرجال يطوفون عراة، أما النساء فيظفن في درع مفرج بعد أن تلقي المرأة ثيابها، وفي ذلك قالت إحداهن وهي تطوف:

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

### حادثة الفيل

س: ما سبب قصة أصحاب الفيل؟.

ج: سببها أن أبرهة بن الصباح كان عاملاً للنجاشي على اليمن، وقد بنى أبرهة كنيسة القليس للنجاشي بصنعاء، وذلك عندما رأى الناس يتجهون أيام الموسم إلى مكة، وكتب إلى النجاشي: أني بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها، ولست منتهياً حتى أصرف إليها حج العرب.

س: لماذا عزم أبرهة على الخروج إلى مكة لهدم الكعبة؟.

ج: عندما سمع رجل من كنانة ببناء كنيسة القليس في اليمن، ورغبة أبرهة أن يصرف إليها حج العرب، ذهب إلى الكنيسة ودخلها ليلاً، وأحدث فيها ولطخ جدرانها بالعدرة - النجاسة -، فعندما علم أبرهة بذلك، وأن رجلاً من

العرب من أهل البيت المحرم فعل هذا، عزم على أن يذهب بجيشه إلى مكة ويهدم الكعبة.

**س: هل اعترضه أحد من قبائل العرب، ولماذا؟.**

**ج:** نعم اعترضه بعض القبائل عندما خرج من اليمن متجهًا إلى مكة بقصد هدم الكعبة، وذلك عندما سمعوا بخبر عزمه على هدم الكعبة، وصرف الناس إلى الحج إلى كنيسة القليس باليمن، ورأوا أن قتاله واجب ديني عليهم لصدده عن هدم بيت الله الذي بناه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فخرج إليه رجل من أشرف اليمن وملوكهم يقال له: ذو نفر، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، فأجابه من أجابه، ثم عرض له ذو نفر في أصحابه ومن أجابه، فَهَزِمَ ذو نفر وأصحابه، وأسر ذو نفر، فلما أراد أبرهة قتله، قال له ذو نفر: أيها الملك لا تقتلني، فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيرًا لك من قتلي، فتركه من القتل، وحبسه عنده في وثاقٍ وكان أبرهة رجلًا حليماً.

ثم سار أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم: شهران وناهس، ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأخذ نفيل أسيرًا، فلما هم بقتله قال له نفيل: أيها الملك لا تقتلني، فإنني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم: شهران وناهس، بالسمع والطاعة، فخلّى سبيله.

ولما وصل أبرهة الطائف خرج إليه مسعود بن معتب الثقفي في رجال من ثقيف، فقالوا له: أيها الملك نحن عبيدك، وما هذا البيت الذي تريد، ونحن نبعث معك من يدلك على الطريق إلى مكة، وكان خروجهم له واستسلامهم له خشية أن يهدم صنمهم اللات، وقد أرسلوا معه أبا رغال ليدله الطريق، ومات أبو رغال بالمغمس، ودفن هناك، وأصبحت العرب ترحم قبره لخيانته وغدره.

**س : ما اسم الفيل الذي جاء به أبرهة؟ ولما هذا الفيل؟ وما اسم سائسه؟ .**

**ج : اسم الفيل : محمود، وهو فيل النجاشي، وسائسه هو أنيس .**

**س : من هو الأسود بن مقصود، وممن هو، ومن أرسله، ولماذا أرسله؟ .**

**ج : الأسود بن مقصود رجل من الحبشة بعثه أبرهة على مقدمة خيله، وأمره بالغارة على نعم الناس، وجمع الأسود أموال الحرم، وأصاب لعبد المطلب مائتين من الإبل .**

**س : من الذي أرسله أبرهة إلى عبد المطلب وماذا قال له ذلك الرسول؟ .**

**ج : أرسل أبرهة إلى سيد مكة عبد المطلب رجلاً من حمير اسمه حناطة الحميري يخبره أن أبرهة لم يأت لقتاله، بل جاء لهدم البيت، وانطلق إلى عبد المطلب وأخبره بذلك، وقال عبد المطلب: ما لنا بد من أن نخلي بينه وبين ما جاء من أجله، فإن هذا بيت الله وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه فهو بيته وحرمة، وإن يخل بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوة .**

**س : هل قابل عبد المطلب أبرهة وكيف ذلك؟ .**

**ج : استأذن عبد المطلب بالدخول على أبرهة، فأذن له، وكان عبد المطلب رجلاً جسيماً، وسيماً، فلما رآه أبرهة، عظّمه، وأكرمه، وكره أن يجلس معه على سريره، أو أن يجلس تحته، فنزل إلى البساط فدعاه، فأجلسه معه، فطلب عبد المطلب أن يرد عليه المائتي بعير التي أصابها من ماله، وعند ذلك قال أبرهة لترجمانه: قل له: إنك أعجبتني حين رأيتك، ولقد زهدت فيك، قال له: ولم؟ قال: جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك، وشرفكم، وعصمتكم لأهدمه، فلم تكلمني فيه، وتكلمني في مائتين من الإبل؟ قال عبد المطلب: أنا رب الإبل، وللبيت رب يمنعه منك، فقال أبرهة: ما كان ليمنعه مني، قال له: فأنت وذاك. فرد أبرهة إبل عبد المطلب، فعاد عبد المطلب إلى قريش فأمرهم بالخروج من مكة، والتحصن في رؤوس الجبال؛ تخوفاً عليهم من معرفة الجيش، ثم قام عبد المطلب وأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام**

معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، وقال عبد المطلب وهو آخذٌ بحلقة باب الكعبة:

لا همَّ إن المرء يمنع      رحله فامنع رحالك  
لا يغلبنَّ صليبهم      ومحالمهم غدواً محالك  
وانصر على آل الصليب      وعابديه اليوم آلك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب، ثم خرجوا إلى رؤوس الجبال، فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها.

س: ماذا حدث لأبرهة بعد أن بات بالمغمس وتهيأ في الصباح لدخول مكة؟.

ج: بعد أن عبأ أبرهة جيشه، وتهيأ للدخول إلى مكة، أقبل نفيل الخثعمي إلى الفيل، وأخذ بأذنه، وقال: ابرك محمود أو ارجع راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام، فبرك الفيل، وحاولوا إرساله فأبى، ووجهوه إلى اليمن فقام يهرول، وإلى الشام وإلى الشرق ففعل، ثم وجهوه إلى الحرم فبرك، وصعد نفيل الجبل، وفي هذه الأثناء أرسل الله تبارك وتعالى طيوراً من قبل البحر مثل الخطاطيف، أو طيور البيلسان، مع كل طائر ثلاثة أحجار، حجر في منقاره، وحجرين في رجليه، فلما غشيت قوم أبرهة أرسلت هذه الحجارة إليهم، فما أصابت هذه الحجارة أحداً إلا هلك، ولم تصبهم كلهم، ومن لم تصبه خرج هارباً يسأل عن نفيل ليدلهم الطريق إلى اليمن، فأخذوا يتساقطون في كل مكان، وبعث الله إلى أبرهة داء على جسده، فجعلت تتساقط أنامله، حتى انتهى إلى اليمن، وهو مثل الفرخ، ولم يمت حتى انصدع صدره عن قلبه، ثم هلك فيما يزعمون، ويذكر أن قريشاً أصابوا مالاً جزيلاً من أسلابهم، وما كان معهم، وأن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة<sup>(١)</sup>، وفي هذا أنزل الله ممتناً على أهل مكة ما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ

(١) انظر في هذا الموضوع: ابن هشام مع الروض: (١/٦١ - ٧٣).

أَلْفِيلٍ ① أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ② وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ④ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ⑤ [الفيل]. أي لئلا يغير شيئاً من حالهم التي كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه، والأبابيل: الجماعات، وقيل الفرق، والسجيل: هو الشديد الصلب، والعصف: ورق الزرع الذي لم يعصف. وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لقد رأيت قائد الفيل، وسائسه بمكة، أعميين مقعدين، يستطعمان الناس<sup>(١)</sup>.

وإيلاف قريش: الخروج إلى الشام في تجارتهم، والإيلاف أيضاً: أن يكون للرجل ألف من الإبل، أو البقر، أو الغنم، أو غير ذلك.

### النسب النبوي الشريف

س: ما هو النسب النبوي الشريف المتفق عليه بين كتاب السير والأنساب؟

ج: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر - قريش - بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر - بن نزار بن معد بن عدنان. إلى هنا النسب المتفق عليه بين كتاب السير وأهل الأنساب، وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا خلاف أن عدنان من ولد إسماعيل، وإسماعيل وعبد الله بن عبد المطلب هما الذبيحان، والرسول ﷺ يقول: «أنا ابن الذبيحين»<sup>(٢)</sup>.

س: من هي أمه ﷺ، ومن هي قبيلته، واذكر أسرته ﷺ؟

ج: أما أمه ﷺ فهي آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وكلاب هو الجد الخامس للنبي ﷺ من جهة أبيه وأمه، فأبوه وأمه من أصل واحد، يجتمعان في كلاب، واسمه: حكيم وقيل: عروة، لكنه كان كثير الصيد بالكلاب فعرف بها.

(١) أخرجه البزار ورجاله ثقات، والهيتمي في المجمع (٣/٢٨٥).

(٢) الترمذي في المناقب رقم: (١).

أما قبيلته: فهي قريش المشهود لها بالشرف، والرفعة، والمجد الأصيل، وقداسة المكان بين سائر العرب، وهو لقب فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. وأما أسرته ﷺ فتعرف بالأسرة الهاشمية نسبة إلى جده الثاني هاشم، وقد ورث هاشم من مناصب قصي. بن كلاب السقاية والرفادة، ثم ورثها أخوه المطلب، ثم أولاد هاشم إلى أن جاء الإسلام وهم على ذلك، وكان هاشم أعظم أهل زمانه، كان يهشم الخبز، أي يفتنه في اللحم، فيجعله ثريداً، ثم يتركه يأكله الناس، فلقب بهاشم، واسمه: عمرو، وقد قال مطرود بن كعب الخزاعي في قصيدته:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه      ورجال مگة مستتون عجاف

وهو الذي سن الرحلتين: رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام وكان يعرف بسيد البطحاء، وعندما كبر ابنه عبد المطلب تولى السقاية والرفادة.

### قصة حملة ﷺ

س: كم مدة حملة ﷺ، اذكر بعض أمور هذا الحمل، ما موقف جده من ولادته ﷺ؟

ج: حملت به أمه تسعة أشهر على القول الصحيح، وحدثت أنها لم تجد في حملة مشقة الحمل، ولم تجد آلاماً ولا مرضاً؛ لأنه مبارك أينما كان، مبارك في بطن أمه، ومبارك في الأرض، ومبارك في السماء، ومبارك في الدنيا، ومبارك في الآخرة. مات أبوه وهو حمل في بطن أمه لسبعة أشهر، لحكمة أرادها الله تبارك وتعالى لينشأ يتيماً من أبيه، ثم يتيماً من أمه، ليتعلم ﷺ مصارعة الأحداث ويتعلم الشجاعة.

لما ولدته أمه كانت تلك الساعة وضع الهدى في الأرض، وميلاد العدل، وفي ذلك يبدأ ميلاد الأمة المحمدية، وميلاد الهدى، وميلاد النور، فجزاه الله عنّا أفضل ما جرى نبياً عن أمته.

كيف وقع على الأرض؟: لم يقع عَلَيْهِ السَّلَامُ كما يقع الأطفال، قال أهل السير: وقع معتمداً على يديه، ناصباً يده إلى السماء ماداً سبابته كالمسبح. ذكر أنه ﷺ ولد مسروراً مختوناً. كما ذكر أنه عندما ولد وضعت عليه أمه جفنة: أنية الطعام، وقيل: التنور؛ لثلا يراه أحد قبل جده عبدالمطلب، لماذا؟ لأن عبد المطلب سيد مكة، وسيد قريش، فأرادت أن تبشره بهذا المولود. وقد رأت أمه حين حملت به أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، قال أهل العلم من أهل الحديث: لأنه سيفتح بنوره وهدايته حتى يصل إلى العراق وفارس، فلما وضعت هذه الآنية على هذا الطفل، وبعثت من يستدعي جده عبد المطلب، وجدت أن هذه الجفنة منكسرة، ومنصدعة إلى نصفين.

أخذه جده عبد المطلب، وكان عنده أخبار كثيرة أن ابنه هذا سوف يكون له شأن عظيم، أخبره بعض أهل التواراة، وأخبره بعض اليهود، وأخبره بعض النصارى، وأخبره ملك اليمن سيف بن ذي يزن، عندما ذهب عبد المطلب إليه ليهنيه بالملك وبالنصر على الحبشة، وذهب معه أمية بن أبي الصلت، فلما رآه سيف بن ذي يزن سأل من هذا؟ قالوا: عبد المطلب فأخذه وكان عنده علم من الكتب، فقال لعبد المطلب: «والشهب والبيت ذي الحسب إن لابن ابنتك سبب من السبب». وأخبره بعض الكهنة.

أخذ عبد المطلب يترقب مولد هذا الابن، فلما جاء لعبد المطلب هذا الطفل أخذ ينشد:

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردان  
قد ساد في المهدي على الغلمان أعينه بالبيت ذي الأركان

وحينما ولد ﷺ كان لميلاده بناءً عظيم في العالم:

١ - سقوط الأصنام على وجوهها كما ذكر إلى الأرض.

٢- اهتز إيوان كسرى حتى سقطت منه أربعة عشر شرفة.

٣- غارت بحيرة ساوة.

٤- خمدت نار فارس، لماذا هذا؟ لأنه ﷺ سوف يأتي ويجتاح الأصنام ويدمر إيوان كسرى، ويظهر العدل في العالم، ويطفى نار المجوس التي تعبد، والتي لم تجبو لأكثر من ألف عام، وسوف يهتز العالم لهذا الحدث، هذه أهم الأحداث التي وقعت في ميلاده ﷺ.

**س: متى كان مولده ﷺ؟**

**ج:** ولد رسول الله ﷺ صبيحة يوم الإثنين التاسع، وقيل الثاني عشر- من شهر ربيع الأول عام الفيل، الموافق الثاني عشر- من شهر إبريل سنة ٥٧١م وكانت قابله الشفاء بنت عمرو أم عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

**س: ماذا فعلت أمه عندما ولدته ﷺ، ومن هي حاضنته ﷺ؟**

**ج:** ذكر أنه لما ولدته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشيره بحفيده، فجاء مستبشراً مسروراً ودخل به الكعبة ودعا الله وشكره، واختار له اسم محمد، رجاء أن يحمد، وَعَقَّ عَنْهُ، وذكر أنه ختنه يوم سابعه، وأطعم الناس كما كان العرب يفعلون، وهذا الاسم لم يكن معروفاً في العرب، وكانت حاضنته أم أيمن: بركة الحبشية مولاة والده عبد الله، وقد بقيت حتى أسلمت، وهاجرت وتوفيت بعد النبي ﷺ بخمسة أشهر أو بستة أشهر، ويذكر أن وفاتها في شعبان من السنة ١١ هـ.

**س: كان ﷺ أظهر الناس نسباً وأشرفهم في قومه. اذكر قول النبي ﷺ؟**

**ج:** قال ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»<sup>(١)</sup>.

(١) مسلم (٣٦/١٥)، مسند الإمام أحمد (١٠٧/٤).



**س: متى مات والده ﷺ، وفيمن كانت رعايته وكفالته من بعد مولده؟.**

**ج:** في أصح الأقوال أن والد الرسول ﷺ عبد الله توفى قبل ولادته ﷺ وهو حمل في بطن أمه مات بالمدينة عند أخواله بني النجار، وعند ولادته ﷺ كان في رعاية أمه آمنة بنت وهب، وكفالة جده عبد المطلب.

**س: من أرضع الرسول ﷺ، وأين رضع، ولماذا كانت العرب تسترضع أولادها في البادية؟.**

**ج:** مرضعة النبي ﷺ هي حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية، وزوجها الحارث بن عبد العزى، والذي يكنى بأبي كبشة، وهما من بني سعد بن بكر، وكانت من عادة الحضرمين العرب أن يسترضعوا لأولادهم، وذلك ليعدهم عن أمراض الحواضر، لتقوى أجسامهم، وتشتد أعصابهم، ويتقنوا اللسان العربي وهم في مهدهم. ولكن أول من أرضعه ﷺ بعد أمه هي: ثوية مولاة لأبي لهب، بلبن ابن لها يقال له مسروح، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب وبعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، فهم إخوته من الرضاعة، وقد أعتق أبو لهب أمته هذه فرحاً بولادة الرسول ﷺ، لكنه صار من ألد أعدائه حينما قام بالدعوة إلى الإسلام.

**س: كم مدة رضاع الرسول ﷺ في بادية بني سعد، وماذا تقول حليلة السعدية في أخذها**

**للسول ﷺ، وماذا قال زوجها في ذلك؟.**

**ج:** تقول حليلة السعدية: أخذت محمداً بعد أن رفضه كل المرضعات وذلك ليتمه، وما حملني على أخذه إلا أنني لم أجد غيره، فلما أخذته ووضعتة في حجري، أقبل عليه اللبن من ثديي، فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما وما كنا ننام منه قبل ذلك، ثم قالت: يقول صاحبي - زوجي - حين أصبحنا: تعلمين والله يا حليلة، لقد أخذت نسمةً مباركةً، فقلت: والله إني لأرجو ذلك، ومكث في بادية بني سعد في رضاعة حليلة السعدية ستين ثم عادت به إلى أمه.

### حادثة شق الصدر

س: أعادت حليلة السعدية رسول الله ﷺ بعد أن رضع سنتين إلى أمه، ولكنها رغبت في بقاءه معها مدة أخرى فوافقت أمه، لكن لم تلبث حليلة إلا قظيلاً بظد عودتها إلى بطني بطعد حقتى أعادته إلى أمه مرة أخرى، لماذا أعادته للمرة الثانية؟.

ج: بعد أن مضت ستتا الرضاعة فصلته مررضته حليلة السعدية، وعادت به ﷺ إلى أمه، وكانت وزوجها حريصين على بقاءه معها، وذلك لما كانا يريانه من بركته، فكلمًا أمه أن يبقى معها فوافقت ورددته معها، وبعد عودتها إلى بادية بني سعد بأشهر خرج الرسول ﷺ وأخوه من الرضاعة خلف البيوت، ثم عاد أخوه يشتد، فقال لأمه وأبيه: ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليها ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه، فهما يسوطانه -يحركانه-، فتقول حليلة: فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه متغيرًا وجهه فالتزمته و التزمه أبوه، فقلنا: مالك يا بني قال: «جاءني رجلان عليها ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني، فالتمسا فيه شيئًا لا أدري ما هو»، فقال لي زوجي: أخشى أن يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقه بأهله قبل أن يظهر ذلك به، فاحتملناه وعدنا به إلى أمه.

س: ماذا قال ﷺ عن حادثة شق صدره؟.

ج: قال ﷺ: «بينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا؛ إذ أتاني رجلان عيهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجًا، أخذاني فشقا بطني واستخرجا قلبي فشقا فاستخرجا منه علقة سوداء فطر حاها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى نقياه»<sup>(١)</sup>.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: (١/١٥٠).

## وفاة أمه ﷺ وكفالة جده عبد المطلب

س : متى كفله جده عبد المطلب وإلى من أوصى بكفالاته بعده؟ .

ج: كان رسول الله ﷺ في رعاية أمه وكفالة جده عبد المطلب بعد عودته من بني سعد في رعاية الله وحفظه، فلما بلغ ست سنوات توفيت أمه بالأبواء بين مكة والمدينة، وكانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزورهم به، فماتت وهي راجعة به إلى مكة، فكان مع جده عبد المطلب، فرق عليه رقة لم يرقها على أحد من أولاده، وكان يوضع لعبد المطلب فراشاً في ظل الكعبة، وكان بنوه يجلسون حول فراشه، ولا يجلس عليه أحد من أبنائه إجلالاً له، فكان الرسول ﷺ يأتي ثم يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني هذا، فوالله إن له شأنًا<sup>(١)</sup>، ثم يجلس معه على فراشه ويمسح على ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع، وبعد مضي ثمانين سنة من وفاته وشهرين من عمره ﷺ توفي جده بمكة، وعهد بكفالاته إلى عمه أبي طالب شقيق أبيه.

س : ما هي صلة أبي طالب بالرسول ﷺ، وهل أدرك البعثة، وما موقفه من دعوته ﷺ؟ .

ج: أبو طالب بن عبد المطلب هو عم الرسول ﷺ، شقيق أبيه، وهو الذي تولى تربيته ﷺ من بعد جده - كما تقدم - ورق عليه رقة شديدة، وكان يقدمه على أولاده، وقد قام أبو طالب بدور الرعاية والحماية لرسول الله ﷺ وحتى السنة العاشرة من النبوة، أربعين سنة وهو يحوطه، ويقوم بأمره، ويحميه من أعدائه، ويلطف به، وكان يقر بنبوة الرسول ﷺ، ولكنه أبى أن يدين بالإسلام خشية العار، وكان الرسول ﷺ يقول له عندما حضرته الوفاة: «يا عم قل: لا

(١) ابن هشام مع الروض: (١/١٩٥).

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كلمة أحاج لك بها عند الله»، فأبى، وكانت آخر كلمة يرددها: هو على ملة عبد المطلب، فقال ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»<sup>(١)</sup> فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهَا مَنَاجِرٌ أَبْصَحَبُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ [التوبة]. فلم يستغفر له بعد ذلك.

### خروج النبي ﷺ إلى الشام

س: متى خرج الرسول ﷺ إلى الشام، وماذا حصل له في ذلك السفر؟.

ج: لما بلغ رسول الله ﷺ اثنتي عشرة سنة خرج أبو طالب في ركب تاجرًا إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل تعلق به محمد ﷺ، فرق له أبو طالب، وقال: والله لأخرجن به معي، ولا يفارقني ولا أفارقه أبدًا، وارتحل أبو طالب تاجرًا إلى الشام، حتى وصل إلى بصرى، وكان في هذا البلد راهب عرف ببحيرا واسمه جرجس، فلما نزل الركب خرج إليهم، وأكرمهم بالضيافة، وكان لا يخرج إليهم قبل ذلك، وعرف رسول الله ﷺ بصفته، فقال - وهو أخذ بيده: هذا سيد العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال أبو طالب: وما أعلمك بذلك؟ قال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجدًا، ولا تسجد إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة وأنا نجده في كتبنا. وسأل أبا طالب أن يرده ولا يقدم به إلى الشام خوفًا عليه من اليهود، فبعثه عمه مع بعض غلماناه إلى مكة.

(١) البخاري: (١٢٧٢)، مسلم: (٣٥)، مسند الإمام أحمد: (٢٢٥٦٢).

## حرب الفجار

س: ما معنى الفجار ومتى حدثت، وما سببها، وبَيْنَ طَنْ كَاظت، وطاق دور الرطول ﷺ في

هذه الحرب، وكم كان عمره آنذاك؟.

ج: الفجار بكسر الفاء بمعنى المفاجرة، كالقتال والمقاتلة، وذلك أنه كان قتالاً في الشهر الحرام، ففجروا فيه فسمي الفجار، وقد حدثت حرب الفجار بين قريش ومن معهم، من كنانة، وبين قيس عيلان، وكان سببها تافهاً، لم يعد قتل رجلٍ من قريش تداعى بعده الأحلاف للقتال، وقد ذكر بعض أهل السير أن هذه الحرب حدثت وللرسول ﷺ خمس عشرة سنة من العمر، وأن رسول الله ﷺ شهد بعض أيامها، وكان ينبى على عمومته، وقال: «كنت أنبل على أعمامي» أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها، وذكرنا أنها سميت حرب الفجار لانتهاك حرمة الحرم والأشهر الحرم فيها، وكان قائد قريش وكنانة كلها حرب بن أمية لمكانته فيهم سنًا وشرفاً<sup>(١)</sup>. وروى أيضاً: أن النبي ﷺ شهدها، وله من العمر عشرون سنة، وقال: «قد حضرته مع عمومتي، ورميت فيه بأسهم، وما أحبُّ أني لم أكن فعلتُ»<sup>(٢)</sup>.

## حلف الفضول

س: متى كان حلف الفضول، وما سببه، وبَيْنَ من أتم هذا الحلف، وأين عقد؟.

ج: عقد هذا الحلف في شهر ذي القعدة وهو من الأشهر الحرم، وذلك على إثر حرب الفجار، وتم حلف الفضول بين خمسة بطون من قبيلة قريش، وهم: بنو هاشم، وبنو المطلب، وبنو أسد، وبنو زهرة، وبنو تيم.

(١) الروض الأنف: (٢٠٩/١)، وقال السهيلي: وإنما لم يقاتل لأنها كانت حرب فجار، وكانوا أيضاً كلهم كفار، ولم يأذن الله لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هي العليا.

(٢) طبقات ابن سعد: (١٢٨/١)، وتتمته: وكنت أنبل على أعمامي. وهو مرسل رواه ابن سعد عن الواقدي.

وكان سببه أن رجلاً من زبيد جاء بسلعة إلى مكة، فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي، وحبس عنه حقه، فاستعدى عليه بني عبد الدار، وبني مخزوم، وبني جمح، وبني سهم، فلم يكثر ثوا له، فعلا جبل أبي قبيس، وذكر ظلامته وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فصاح بأعلى صوته:

يآل فھر لمظلوم بضاعته      ببطن مكة نائي الدار والنفر  
ومحرم أشعث لم يقض عمرته      يالرجال وبين الحجر والحجر  
إن الحرام لمن تمت كرامته      ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

عند ذلك قام الزبير بن عبد المطلب وقال: إن مثل هذا لا يترك، ونادى من يعينه على أخذ حقه.

فكان أول من دعا إليه الزبير بن عبد المطلب، فاجتمع إليه بنو هاشم، وبنو زهرة، وتيم بن مرة، في دار عبد الله بن جدعان رئيس بني تيم، وتحالفوا وتعاهدوا في شهر ذي القعدة على ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها، أو من غيرها، إلا قاموا معه حتى ترد إليه مظلمته، ثم قاموا إلى العاص بن وائل السهمي، فانتزعوا منه حق الزبيدي، ودفعوه إليه.

وقد حضر رسول الله ﷺ هذا الحلف مع أعمامه، وقال بعد أن شرفه الله تبارك وتعالى بالرسالة: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت»<sup>(١)</sup> وقد قال الزبير في ذلك:

إن الفضول تحالفوا وتعاهدوا      ألا يقيم ببطن مكة ظالم  
أمراً عليه تحالفوا وتعاهدوا      فالجار والمعتز فيهم سالم

(١) السنن الكبرى للبيهقي. ط المعارف بالهند - (٣٦٧/٦) ح (١٣٤٦١).

## عبد الله بن جدعان

س: من هو عبد الله بن جدعان وكيف كان في صغره وكيف أصبح في كبره، اذكر شيئاً من أمره؟.

ج: هو عبد الله بن جدعان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم، يكنى أبا زهير، ابن عم عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ولذلك قالت لرسول الله ﷺ: إن ابن جدعان كان يطعم الطعام، ويقري الضيف، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟. فقال ﷺ: «لا، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»<sup>(١)</sup>.

كان عبد الله بن جدعان في بداية أمره صعلوكاً ترب اليبدين - فقيراً - وكان مع ذلك شريراً فاتكاً، ولا يزال يجني الجنيات، فيعقل أبوه وقومه عنه، وعندما ضاق به قومه ذرعاً نفاه أبوه، وحلف ألا يؤيه أبداً لما أثقله به من الغرم والديات، فخرج في شعاب مكة حائراً يتمنى أن ينزل به الموت، فرأى شقاً في جبل فظن أن فيه حية، فتعرض للشق بأمل أن يجد فيه ما يقتله، فيستريح من الحياة، ثم دخل المغارة فإذا بها ثعبان ويسمع صلصلة، فإذا فيه بيت وفيه بعض الجواهر من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والزبرجد من بقايا أحد الجرهميين، فأرسل إلى أبيه بعض الجواهر يسترضيه بها ويستعطفه، ووصل عشيرته كلهم، عند ذلك سادهم، وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس، ويفعل المعروف، ويذكر أن عبد الله بن جدعان ممن حرم الخمر في الجاهلية بعد أن كان مغرمًا بها، وذلك أنه سكر ذات ليلة فتناول القمر ليأخذه، فأخبر بذلك حين صحا، فحلف: لا يشربها أبداً.

(١) صحيح مسلم: (ح/٢١٤).

## حياة العمل

س: متى بدأت حياته ﷺ العملية، وما أهم عمل عمله ﷺ؟

ج: من المعلوم أن الرسول ﷺ ولد يتيمًا، ونشأ في كفالة جده عبد المطلب، ثم عمه أبي طالب، ولم يرث عن أبيه شيئًا يغنيه، وقد ترك له خمسًا من الإبل، وقطعة من الغنم، وجارية هي حاضنته أم أيمن بركة الحبشية، وكان لله حكمة في ذلك لا يدرك غورها، فلما بلغ سنًا يمكن العمل فيه عادة رعى الغنم مع إخوانه من الرضاعة في بني سعد، ولما رجع إلى مكة رعاها لأهلها على قراريط، والقرراط جزء يسير من الدينار: نصف العشر. أو ثلث الثمن منه، قيمته في هذا الزمان عشرة ريالات تقريبًا، ورعى الغنم من سنن الأنبياء في أوائل حياتهم. فقد قال ﷺ مرة بعد أن أكرمه الله بالنبوة: «ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم»، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة»<sup>(١)</sup>.

ولما شب النبي ﷺ وبلغ سن الفتوة فكأنه كان يتجر، فقد ورد أنه كان يتجر مع السائب بن أبي السائب فكان خير شريك له. وعرف ﷺ في معاملاته بالأمانة والصدق والعفاف، وكان هذا هديه ﷺ في جميع مجالات الحياة حتى لقب بالأمين.

## أبرز الحكم والعبر من رعى الغنم

س: طن المظوم أن رطول الله ﷺ رعى الظنم في صطباه كطرا رعاها أنبياء الله قبظه،

فبالإضافة إلى الكسب ما هي أبرز الحكم من رعى الغنم؟

ج: يذكر أن من الحكم في إلهام الأنبياء من رعى الغنم:

١- أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفون به من القيام بأمر أمهم؛ ولأنه بمخالطة الغنم يحصل لهم الحلم والشفقة، لأنهم إذا صبروا على رعيها،

(١) صحيح البخاري: في (باب رعى الغنم على قراريط) (٥/٥٣٠) ح (٢٢٦٢).



وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مكان إلى مكان، ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق ألقوا من ذلك الصبر على الأمة.

٢- أن في ذكر النبي ﷺ لرعيه للغنم كونه أكرم خلق الله تبارك وتعالى على الله يدل ذلك على ما كان عليه ﷺ من عظيم التواضع لربه، والتصريح بمنته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء.

٣- يتجلى لنا في رعيه للغنم الذوق الرفيع، والإحساس بالمسئولية؛ إذ أن النبي ﷺ لما أنس في نفسه القدرة على الكسب ذهب يتكسب لرفع بعض مؤنة الحياة، وتوفير وسائل العيش الكريم.

٤- في رعي الغنم يمكن القول أن الله لا يعجزه أن يهيئ لنيه كل وسائل العيش والرفاهية، ويغنيه عن الكدح سعياً وراء الرزق، ولكن الحكمة اقتضت أن خير مال الإنسان ما اكتسبه بجهد، وأن قيمته فيما يقدمه لمجتمعه.

٥- لا تكون لأهل الدعوة قيمة معتبرة عند الناس إذا كان كسبهم من عطاء الناس وصدقاتهم.

### زواج النبي ﷺ بخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

س: من هي خديجة بنت خويلد، وماذا كان يعمل الرطول ﷺ قبل زواجه منها، وطا هي قصة

زواجه بالسيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؟.

ج: كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب امرأة حازمة شريفة لبيبة، من أوسط قريش نسباً<sup>(١)</sup>، وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً، وكان رجال قومها يحرصون على الزواج منها، وكانت تستأجر الرجال في

(١) الوسط من أوصاف المدح والتفضيل، ويذكر في النسب لأن وسط القبيلة أعرقها وأبعدها عن الأطراف؛ لأن الآباء والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب، فكان من أجل هذا مدحاً في النسب لهذا السبب.

مالها وتضاربهم بشيء تجعله لهم، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظيم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مالها تاجرًا إلى الشام وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، فوافق، وخرج مع غلام لها يدعى ميسرة، ومن خلال معايشة ميسرة للرسول ﷺ رأى من الآيات والمعجزات ما حكاها لسيدته خديجة، فرغبت في الزواج منه ﷺ، ولم يكن للرسول ﷺ قبل ذلك عمل معين إلا أن الروايات تواترت أنه كان يرعى الغنم، رعاها في بني سعد، ورعاها في مكة لأهلها على قراريط.

وفي الخامسة والعشرين من عمره خرج ﷺ تاجرًا إلى الشام في مال خديجة رَحِمَ اللهُ عَنْهَا وعندما وصل بصرى من أرض الشام نزل ﷺ في ظل شجرة، فرآه نسطورا الراهب فقال: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي<sup>(١)</sup>، ثم قال لميسرة: أفي عينه حمرة؟ فقال: نعم، لا تفارقه، قال: هو نبي وهو آخر الأنبياء.

ولما رجع إلى مكة، ورأت خديجة في مالها من الأمانة والبركة ما لم تر قبل، وأخبرها غلامها ميسرة بما رأى فيه ﷺ من خلال عذبة، وشمائل كريمة، وفكر راجح، ومنطق صادق، ونهج أمين، وجدت ضالتها المنشودة، فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منبه، وذهبت إلى الرسول ﷺ فتأخذه في الزواج من خديجة، فرضي بذلك، وكانت خديجة أرملة، توفي عنها زوجها أبو هالة، وكانت إذ ذاك في الأربعين من عمرها ورسول الله ﷺ في الخامسة والعشرين، وأصدقها ﷺ عشرين بكرة حيث خطبها له أعمامه، قيل من أبيها، وقيل من عمها، ورزقه الله منها الأولاد، وكل أولاده ﷺ منها سوى إبراهيم، ولدت له: القاسم، وكان يكنى به، ثم زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وعبد الله، وكان

(١) ابن سعد في الطبقات: (١/١٢٩)، ابو نعيم: الدلائل: (١٣١).

يلقب بالطيب والطاهر، ومات بنوه كلهم في صغرهم، أما البنات فكلهن أدركن الإسلام، فأسلمن وهاجرن إلا أنهن أدركتهن الوفاة في حياته ﷺ سوى فاطمة ماتت بعده ﷺ بستة أشهر.

### بناء الكعبة وقصة التحكيم

س: لماذا عزمتم قريش على بناء الكعبة، وكم كان عمر الرسول ﷺ آنذاك؟.

ج: يذكر بعض أهل السير أنه لما بلغ رسول الله ﷺ خمسًا وثلاثين سنة، جمعت قريش لبنان الكعبة، وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها، وإنما كانت رضمًا فوق القامة، فأرادوا رفعها وتسقيفها، وذلك أن قومًا سرقوا كنز الكعبة، وكان في بئر في جوف الكعبة، وكان سيل جرف مكة وانحدر إلى البيت الحرام، فأوشكت الكعبة منه على الانهيار، فاضطرت قريش إلى تجديد بنائها؛ حرصًا على مكانتها، واتفقوا على ألا يدخل في نفقة بنائها إلا طيب، فلا يدخل في ذلك مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة لأحد.

س: اذكر قصة بنیان الكعبة، ومن اشترك في بنائها، وما هي الأمور التي أعاققت قريشًا في عملية

الهدم والبناء، وما هو الخلاف الذي نشأ بين قريش أثناء البناء، وكيف انتهى ذلك الخلاف؟.

ج: يذكر بعض أهل السير أن قريشًا لما أرادت هدم الكعبة، فإذا هي بحية تخرج من بئر الكعبة - التي كان يطرح فيها ما يهدى لها - كل يوم فتشرق على جدار الكعبة، وكانت مما يهابون، وكان لا يستطيع أن يدنو منها أحد، فبينما هي ذات يوم تشرق على جدار الكعبة بعث الله إليها طائرًا، فاختطفها، فذهب بها، فقالت قريش: إنا لندرجو أن يكون الله قد رضي.

وقبل ذلك كانوا يبحثون عن بناء ماهر يجيد بناء الحجر، حيث لا يوجد بمكة من يجيد البناء بالحجر، فبيوت مكة في معظمها مبنية من اللبن، فيسر الله أن يبع عامل قبطي في مكة، فوجد ممن يجيد البناء بالأحجار، ثم واجهتهم مشكلة عدم وجود الخشب الصالح لتسقيف الكعبة، وبينما هم يبحثون عن الأخشاب إذ غرقت سفينة

قرب جدة لتاجر رومي، فتحطمت فرمى البحر بخشبها إلى الساحل، وقيل: إنها كانت محملة بالأخشاب، فأخذوا خشبها، وأعدوه لسقف الكعبة، وبهذا توفر لهم ما أرادوا من الأموال وعامل البناء، وخشب السقف، ثم أخذت قريش في تجزئة الكعبة، وجعلوا لكل قبيلة جزءاً منها يهدم ثم يبنى، فجمعت كل قبيلة ما تحتاج من الحجارة على حدة، فكان شق الباب لبني عبد مناف، وزهرة، وما بين الركن الأسود والبياني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضمت إليهم، وكان ظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم، وكان شق الحجر لبني عبد الدار وبني أسد بن عبد العزى ولبني عدي، وهو المعروف بالحطيم.

ثم هاب الناس هدمها، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدوكم في هدمها، فأخذ المعول ثم قام عليها، وهو يقول: اللهم لم نزغ، اللهم إنا لا نريد إلا خيراً، ثم هدم من ناحية الركنين، ثم تربص الناس تلك الليلة، وقالوا: إن أصيب لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت، وإلا فقد رضي الله ما صنعنا، فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله، فهدم وهدم الناس.

حتى إذا انتهى بهم الهدم إلى أساس إبراهيم عليه السلام أفضوا إلى حجارة خضر- كالأسنة - أطراف الرماح الحادة - أخذ بعضها بعضاً، فأدخل بعضهم عتلة بين حجرين منها ليقلع أحدهما، فلما تحرك الحجر انتفضت مكة بأسرها، فانتهوا عند ذلك الأساس.

فاستمر بعد ذلك البناء حتى بلغ البنيان موضع الحجر الأسود، فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه، ووصل بهم الأمر إلى القتال، وأعدوا له، وبقيت قريش على ذلك الحال أربع ليالٍ أو خمساً، ثم انتهى بهم الأمر إلى التحكيم فيما بينهم، وذلك أن أبا أمية بن المغيرة، وكان يومئذ أسن قريش، قال: اجعلوا بينكم أول من يدخل من باب المسجد ففعلوا، فكان أول من دخل من باب المسجد رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا به، هذا محمد،

فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر، وذكر أنه طلب ثوباً، وقيل: إنه بسط رداءه فوضع الحجر فيه، وطلب من كل قبيلة أن تأخذ بناحية من الثوب، ورفعوه حتى حاذى موضعه، فوضعه بيده الشريفة، ثم بنا عليه، وبهذا انتهى الخلاف الذي كاد أن يصل بهم إلى القتال، ولكن نفقة قريش الطيبة قصرت، فأخرجوا من الجهة الشمالية نحواً من ستة أذرع وهي التي تعرف الآن بالحجر أو الحطيم، فرفعوا باب الكعبة لئلا يدخلها إلا من أرادوا، ولما بلغ البناء خمسة عشر ذراعاً سقفوه على ستة أعمدة، ولكن قريش تركتها.

ثم لما تولى عبد الله بن الزبير الخلافة، أراد أن يبينها على قواعد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد كانت قريش تركت منها شيئاً لعجزها عن النفقة من المال الحلال، قال ابن الزبير: فليس بنا اليوم عجز عن النفقة، فبناها على مقتضى حديث عائشة الذي حدثته به رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألم تري قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم، حين عجزت بهم النفقة؟». ثم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لولا أن قومك حديثي عهد بالجاهلية لهدمتها، وجعلت لها خلفاً، وألصقتُ بابها بالأرض، ولأدخلت الحجر فيها»<sup>(١)</sup>.

فلما قام أبو جعفر المنصور أراد أن يبينها على ما بناها ابن الزبير، وشاور في ذلك، قال له مالك بن أنس: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبةً للملوك بعدك، لا يشاء أحدٌ منهم أن يُغيّره إلا غيِّره، فتذهب هيبته من قلوب الناس، فصرفه عن رأيه فيه<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري في الحج: باب فضل مكة وبنائها رقم (١٥٨٥)، ومسلم في الحج باب نقض الكعبة وبنائها، رقم: (١٣٣٣)، والموطأ في الحج باب ما جاء في بناء الكعبة: (٣٦٣/١)، والنسائي في الحج: باب بناء الكعبة: (٢١٤/٥ - ٢١٦)، وأحمد في المسند: (١١٣/٦ - ١٧٧).

(٢) الروض الأنف، للسهيلى: (٢٢١/١ - ٢٢٢).

وقد قيل: إن البيت بُني في أيام جُرهم مرتين؛ لأن السيل كان قد صدعَ حائطه ولم يكن ذلك بنيانًا، وإنما كان إصلاحًا لما وهى منه، وجدارًا بينى بينه وبين السيل بناه عامر الجادر، ويذكر أن الكعبة قبل أن تبنى كانت خيمةً من ياقوتة حمراء، يطوفُ بها آدم ويأنس بها؛ لأنها أنزلت إليه من الجنة، وكان قد حجَّ إلى موضعها من الهند، وقد قيل أيضًا: إن آدم هو أوَّل من بناها، ذكره ابن إسحاق في غير رواية البكائي.

وصارت الكعبة بعد انتهائها ذات شكل مربع تقريبًا ويمكن معرفة أبعادها الحالية حيث يبلغ ارتفاعها: ١٥ مترًا، والحجر موضوع على ارتفاع ١,٥٠ مترًا من أرضية المطاف، والضلع الذي فيه الباب والمقابل له ١٢ مترًا، والضلع الذي فيه الحجر الأسود والمقابل له ١٠ أمتار، وبابها على ارتفاع مترين، ويحيط بالكعبة من الخارج من أسفلها قسبة من البناء متوسط ارتفاعها ٢٥ سم ومتوسط عرضها ٣٠ سم وتسمى بالشاذروان، وهي من أصل البيت.

وفي الخبر أن موضعها كان غُشاءً على الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض، فلما بدأ الله خلق الأشياء خلق التربة قبل السماء، فلما خلق السماء وقضاهن سبع سماواتٍ دَحَى الأرض، أي: بسطها، وذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]، وإنما دَحَاهَا من تحت مكة، ولذلك سُميت أم القرى، وفي التفسير: إن الله سبحانه حين قال للسموات والأرض: ﴿أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، إن أول من أجابه بهذه المقالة أرض الحرم. وفي الحديث: «إن الله حرَّم مكة يوم خلق السموات والأرض»<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح البخاري: (ح/ ١٨٣٣، ٢٠٩٠، ٤٣١٤).

## حالة مكة والحجاز وبعض من أنحاء الجزيرة قبل البعثة

س: اذكر الحالة الدينية عند العرب في الجزيرة العربية؟.

ج: نذكر هنا بعضاً من أمور الجاهلية، وما كانت عليه من معتقد قبل بعثة الرسول ﷺ: كان معظم قبائل العرب قد اتبعوا دعوة إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ حين دعاهم إلى دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكانت تعبد الله وتوحده وتدين بدينه، حتى طال عليهم الأمد، ونسوا حظاً مما ذكروا به، إلا أنه بقي فيهم التوحيد وعدة شعائر من دين إبراهيم، حتى جاء عمرو بن لحي رئيس خزاعة كما تقدم، وكان قد نشأ على أمر عظيم من المعروف، والصدقة، والحرص على أمور الدين، فأحبه الناس، ودانوا له ظناً منهم أنه من أكابر العلماء، وأفاضل الأولياء، ثم أنه سافر إلى الشام، فرآهم يعبدون الأوثان، فاستحسن ذلك وظنه حقاً؛ لأن الشام محل الرسل والكتب، فقدم معه بهبل وجعله في جوف الكعبة، ودعا أهل مكة إلى الشرك بالله، فأجابوه، ثم لم يلبث أهل الحجاز أن تبعوا أهل مكة، لأنهم ولاية البيت وأهل الحرم، ويذكر أن عمرو بن لحي له رأي<sup>(١)</sup> من الجن فأخبره: بأن أصنام قوم نوح التي عبدوها - ودًا وسواعًا ويعوق ونسراً - وهي أصلاً أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم أنصاباً وسموها بأسمائهم حتى تتذكروهم، ففعلوا حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عُبدت، فلما كان الطوفان دفنها الطين والتراب والماء، فلم تزل مدفونة بجدة على شاطئ البحر حتى أخرجها إلى مشركي العرب، فأتاها عمرو بن لحي فاستثارها ثم أوردتها إلى تهامة، فلما جاء الحج دفعها إلى القبائل فذهبت بها إلى أوطانها، حتى صار لكل قبيلة صنم، فكانت كما يلي:

(١) الرُّؤْيُ: التابع.

## أصنام القبائل العربية

س: اذكر أهم الأصنام التي كانت في الجزيرة عدا أصنام قوم نوح؟.

ج: اتخذت العرب طواغيت مع الكعبة، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، ولها سدنة وحجاب، ويهدى لها، ويطاف بها، وينحر عندها، فكان أهم تلك الأصنام الموجودة إلى بعثة النبي ﷺ:

١ - ود: لبني كلب بن مرة، بدومة الجندل، ومنه سموا عبد ود.

٢ - سواع: لهذيل بمكان يسمى رهاط، على ثلاث ليال من مكة.

٣ - يغوث: لبني أنعم من طيء، ثم لأهل جرش من مذحج اليمانية.

٤ - يعوق: لهمدان.

٥ - نسر: لقبيلة ذي الكلاع الحميرية.

٦ - صنم مناة: وكان أقدم الأصنام، وكان منصوباً على ساحل البحر بالمشلل

بقديد، بين مكة والمدينة، وكانت العرب تعظمه قاطبة، ولم يكن أحدٌ أشد تعظيماً له من الأوس والخزرج، وبسبب ذلك أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ [البقرة].

٧ - صنم اللات: وقد اتخذها أهل الطائف، ويعرف عندهم أيضاً بالرَّبة،

قيل: إن أصل ذلك رجل كان يلت السويق للحجاج، فمات فعكفوا على قبره، وكانت صخرة مربعة، وكان سدنتها ثقيف، وكانوا قد بنوا عليها بيتاً، فكان جميع العرب يعظمونها، وكانت العرب تسمي زيد اللات، وتيم اللات، ويذكر أنها في موضع منارة مسجد الطائف.

٨ - صنم العزى: وكانت بوادي نخلة، فوق ذات عرق، وبنوا عليها بيتاً،

وكانوا يسمعون منها الصوت، وكانت قريش تعظمها، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة، بعث خالد بن الوليد فعضدها، وكانت ثلاث سمرات، فلما عضد الثالثة،



فإذا هو بحبشية نافشة شعرها، واضعة يدها على عاتقها، تضرب بأنيابها وخلفها سادنها، ثم ضربها ففلق رأسها، ثم قتل السادن.

٩ - صنم هبل: كان لقريش أصنام داخل الكعبة وحولها، وكان أعظمها هبل، وكان من عقيق أحمر على صورة إنسان، وكانوا إذا اختصموا أو أرادوا سفرًا أتوه فاستقسموا بالقداح عنده، وهو الذي قال فيه أبو سفيان يوم أحد: «أعل هبل» فقال الرسول ﷺ: «قولوا: الله أعلى وأجل»<sup>(١)</sup>.

١٠ - إساف ونائلة: قيل: إن أصلهما أن إساف رجل من جرهم، ونائلة امرأة منهم، فدخلوا البيت ففجرا فيه، فمسخهما الله فيه حجرتين، فأخرجوهما فوضعوهما، قيل: أحدهما على الصفا، والآخر على المروة ليتعظ الناس بهما فلما طال الأمد وعبدت الأصنام، عبدا.

١١ - ذو الخلصة: يقال: إنه كان لخنعم، وبجيلة، فقال الرسول ﷺ لجرير بن عبد الله البجلي: «ألا ترييني من ذي الخلصة»<sup>(٢)</sup>، فسار إليه بأحمس، فقاتله همدان فظفر بهم وهدمه، وكان لقضاعة، ولحم، وجذام، وعاملة، وغطقان صنم في مشارف الشام.

١٢ - صنم عم أنس: وكان لخلوان، وفيهم أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام] <sup>(٣)</sup>.

١٣ - سعد: لبني ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر،

(١) صحيح البخاري: (٧ / ٦٠٠).

(٢) البخاري: (٤ / ٧٦)، مسند أحمد: (٤ / ٣٦٥).

(٣) ومعنى ذراً: أي خلق.

وهو صخرة بفلاة، فقد أقبل رجل من بني ملكان بإبلٍ له ليقفها عليه التماسًا لبركته، فيما زعم، فلما رأته الإبل نفرت منه، وكانت مرعية لا تتركب، وكان يهراق عنده دماء القرابين والندور، فلما رأت تلك الدماء ذهبت في كل وجه، وغضب صاحبها الملكاني، فأخذ حجرًا فرمى به الصنم، ثم قال: لا بارك الله فيك نفرت عليّ إبلي، ثم خرج في طلبها، فلما اجتمعت له قال:

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد  
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا تدعو لغبي ولا رشد  
والتنوفة: الأرض القفر.

١٤ - صنم الفليس: لطيب ومن يليها بجبلي: أجا وسلمى.

١٥ - واتخذ كل أهل دار صنمًا يعبدونه، فإذا أراد رجل منهم سفرًا تمسح به حين يركب، وإذا قدم كان أول ما يفعل يتمسح به.

ولما فتح رسول الله ﷺ مكة، وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنمًا، فجعل يطعنهما حتى تساقطت، ثم أمر بها، وأخرجت من المسجد الحرام، وحرقت، ولهذا أنكرت قريش على النبي ﷺ عندما دعاهم إلى عبادة الله وحده وقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص]، وهكذا صار الشرك، وعبادة الأصنام أهم مظاهر الجاهلية الذين كانوا يزعمون أنهم على دين إبراهيم.

وكان لهم تقاليد ومراسم في عبادة الأصنام، ابتدع أكثرها عمرو بن لحي، وكانوا يظنون: أن ما أحدثه عمرو بن لحي بدعة حسنة، وليس تغييرًا لدين إبراهيم فكان من مراسم عبادتهم للأصنام:

١ - كانوا يعكفون عليها، ويلجأون إليها، ويهتفون بها، ويستغيثون بها في الشدائد ويدعونها لحاجتهم، معتقدين أنها تشفع لهم عند الله، وتحقق لهم ما يريدون.

٢ - كانوا يحجون إليها، ويطوفون حولها، ويتذللون عندها ويسجدون لها.

٣ - كانوا يتقربون إليها بأنواع من القرابين، فكانوا يذبحون وينحرون لها بأسمائها، وهذان النوعان من الذبح جاء في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّيَّتُكُمْ وَأَلْدَمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُرْدِيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْنَقُوا بِالْأَرْزَلِ ذَلِكَ مِمَّا فُسِّقَ الْيَوْمَ بِبَيْسِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠٠﴾

[المائدة]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفُسُقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام].

س: ما هي العبادات التي ظهرت في جزيرة العرب بجانب عبادة الأصنام؟

ج: ظهرت في جزيرة العرب إلى جانب عبادة الأصنام عبادة الكواكب والنجوم، خاصة في نجران، والبحرين، والبادية، ويذكر أن رجلاً يدعى أبو كبشة عبد نجمًا اسمه الشعري ودعى قريشًا إلى عبادته، وانتشرت هذه العبادة بين بعض قبائل العرب من لحم وخزاعة وقريش، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَرُبُ الشَّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [النجم]. ثم عبادت الشمس في بلاد اليمن، وفي ذلك قال تعالى في قصة ملكة سبأ: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل]، ثم تسرب بعض فرق المجوسية الفارسية إلى بلاد العرب، ووجد فيها من دان بها، وتسربت إلى هجر بالبحرين، وكانوا يقولون: إن قتلهم عدوهم على أرضهم ينجسها عليهم.

ودخلت اليهودية في بلاد العرب بصفة عامة، والمدينة، وخيبر، ووادي القرى، وفدك، وتيها بصفة خاصة، عندما نزع إليها اليهود، ووصلت إلى

اليمن، ودان بها ذو نواس ملك اليمن، وحاول حمل النصارى على اعتناقها، وما حل بنصارى نجران عندما رفضوا الدخول في اليهودية، وخذ لهم الأخدود وأوقد فيه النار، وقذفهم فيها، هو بسبب ذلك، وهم الذين قص الله خبرهم في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُلْ أَتُحِبُّونَ الْأَخْدُودَ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ۝٥﴾ [البروج]، وتسربت المسيحية إلى الغساسنة والمناذرة، ومنها إلى جنوب الجزيرة العربية، وقصة أهل نجران دليل على ذلك.

ولم تنتشر اليهودية والنصرانية انتشاراً واسعاً في بلاد العرب، كما هو واضح من تاريخها، وسيرتها وسط القبائل والأفراد، ولم تندثر تماماً ديانة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل تمسك بها نفر قليل، وسط دياجير ظلام الجاهلية وعبادة الأوثان، وعرف هؤلاء النفر بالحنفيين أو الحنفاء، فكانوا يؤمنون بالله ويوحّدونه توحيد ألوهية، وتوحيد ربوبية، ويتظرون النبوة، وكان من هؤلاء الحنفاء:

- ١ - قس بن ساعدة الأيادي.
- ٢ - زيد بن عمرو بن نفيل.
- ٣ - أمية بن أبي الصلت.
- ٤ - أبو قيس بن أبي أنس.
- ٥ - خالد بن سنان.
- ٦ - النابغة الذبياني.
- ٧ - زهير بن أبي سلمى، والد كعب بن زهير.
- ٨ - ورقة بن نوفل.
- ٩ - كعب بن لؤي بن غالب، أحد أجداد النبي ﷺ.
- ١٠ - ليبد بن ربيعة العامري.

كانت هذه الديانات هي ديانات العرب حين جاء الإسلام، وقد أصاب هذه الديانات الانحلال والبوار.

فكانوا يدعون أنهم على دين إبراهيم، وكانوا بعيدين عن أوامر ونواهي شريعة إبراهيم، مهملين ما أتت به من مكارم الأخلاق، فكثرت معاصيهم، ونشأ فيهم على توالي الزمان ما ينشأ من عادات وتقاليد تجري مجرى الخرافات الدينية، وأثرت في الحياة الاجتماعية، والسياسية، والدينية تأثيراً بالغاً.

## سيرة النبي ﷺ قبل مبعثه

س: اذكر شيئاً من سيرته ﷺ قبل البعثة؟.

ج: نشأ ﷺ منذ صباه سليم العقل، وافر القوى، نزيه الجانب، فترعرع، وشب، ونضج، وهو جامع للصفات الحميدة، والشيم النبيلة، فكان طرازاً رفيعاً من الفكر الصائب والنظر السديد، ومثلاً في مكارم الأخلاق ومحاسن الخصال، امتاز بالصدق، والأمانة، والمروءة، والشجاعة، والعدل، والحكمة، والعفة، والزهد، والقناعة، والحلم، والصبر، والشكر، والحياء، والوفاء، والتواضع، والتناصح، وكان على أعلى قمة من البر والإحسان، كما قال عمه أبو طالب:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وكان وصولاً للرحم، حمولاً لما يثقل كواهل الناس، يساعد من أعدم العيش حتى يصيب الكسب، وكان يقري الضيف، ويعين من نزلت به النوازل. وقد أحاطه الله بالحفظ والرعاية، وبغض إليه ما كان في قومه من الخرافة والسوء، فلم يشهد أعياد الأوثان، واحتفالات الشرك، ولم يأكل مما ذبح على النصب، أو أهل به لغير الله، وكان لا يصبر على سماع الحلف باللات والعزى، فضلاً عن مس الأصنام، أو التقرب إليها، وكان أبعد الناس من شرب الخمر، وشهود الملاحم، حتى لم يحضر مجالس اللهو، والسمر ونوادبها التي كانت متنزه الشباب، وملتقى الأحبة في مكة<sup>(١)</sup>.

(١) روضة الأنوار في سيرة النبي المختار، صفى الرحمن المباركفوري، دار السلام، الرياض، ط ٢٠١٥ هـ.

## بدء الوحي

س: متى كانت بداية النبوة ونزول الوحي؟.

ج: فلما كان في رمضان من السنة الأربعين لميلاده ﷺ وهو معتكف بغار حراء، يذكر الله ويعبده، فاجأه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنبوة والوحي، ولنستمع إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي تروي ذلك:

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: إن أول ما بدئ برسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث - يتعبد - فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فاجأه الحق وهو في غار حراء<sup>(١)</sup>. فجاءه الملك، فقال: اقرأ. قال: «ما أنا بقارئ».

س: متى وجبت له ﷺ النبوة؟.

ج: وجبت النبوة له ﷺ عندما جاء أمين الوحي إلى الرسول ﷺ لأول مرة في رمضان في يوم الإثنين من العام الأربعين لميلاده ﷺ في يقظته، بينما كان يتحنث في غار حراء، فقال له: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ»، قال ﷺ: «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق].<sup>(٢)</sup>، وكان ذلك أول يوم من أيام النبوة، وأول وحي من القرآن.

(١) مسلم، كتاب الإيمان: (٢٣١).

(٢) المصدر السابق.

س: ماذا فعل ﷺ بعدما نزل عليه جبريل لأول مرة؟ .

ج: عاد ﷺ وفؤاده يرجف وقد خاف على نفسه، وقال لزوجته خديجة: «زملوني زملوني، لقد خشيت على نفسي»، وسألت خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن السبب، فقَصَّ عليها القصة، وكانت عاقلة فاضلة، قد سمعت بالنبوة والأنبياء والملائكة.

س: ما هو موقف خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مما قصه الرسول ﷺ عليها؟

ج: ذكرنا أن خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كانت امرأة عاقلة، خاصة وقد سمعت بالنبوة والأنبياء والملائكة، وذلك من خلال زيارتها لابن عمها ورقة بن نوفل الذي كان قد تنصّر، وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل، وكانت تنكر من أهل مكة ما ينكره أهل الفطرة السليمة، وكانت من أعرف الناس بأخلاق رسول الله ﷺ لمكانتها منه، وعشرتها له، وقد رأت من أخلاق رسول الله ﷺ ما يؤكد أنه الرجل المؤيد من الله والمصطفى من خلقه، وأن من كانت هذه أخلاقه وسيرته، فإنه لا يخشى عليه من الشيطان، أو يكون به مس من الجن، فقالت له ﷺ في ثقة وإيمان: كلا والله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

ثم إنها انطلقت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وكان شيخاً كبيراً، قد ذهب بصره، فقالت له: يا بن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حيّاً إذ يخرجك قومك؟ قال: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ولم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي.

## فُتُور الوحي

**س : كم كان فتور الوحي ، وما موقف الرسول ﷺ من فتور الوحي ؟ .**

**ج :** أما مدة فتور الوحي ، فروي عن ابن عباس أنها كانت أربعين يوماً، وقيل: ستة أشهر، وقيل: إنها كانت أياماً، وهذا الذي يترجح، وأما ما اشتهر من أنها دامت طيلة ثلاث سنين، أو سنتين ونصف، فلا يصح، ولهذا بقي الرسول ﷺ في مدة فتور الوحي كئيباً حزيناً، تعتريه الحيرة والدهشة، فقد روى البخاري ما نصه: «وَفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهد الجبال، فكلما وفي بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل، فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غداً لمثل ذلك، فإذا وفي بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك»<sup>(١)</sup>.

**س : كيف تتابع الوحي وما الحكمة من فتور الوحي ؟ .**

**ج :** بعد الفتور أو الانقطاع المذكور نزل الوحي على النبي ﷺ مرة أخرى، ويذكر أن الرسول ﷺ عندما فتر الوحي، ذهب إلى حراء ليواصل جواره في غاره، ويكمل ما تبقى من شهر رمضان، فلما انتهى شهر رمضان، وتم جواره، نزل من حراء صبيحة غرة شوال ليعود إلى مكة، حسب عادته ﷺ، فلما استبطن الوادي عاد إليه الوحي مرة أخرى. وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه فرجعت إلى أهلي فقلت: دثروني»،

(١) البخاري: (الفتح) (٢٦ / ٢٠٥ - ٣٠٤) ح (٦٩٨٢). وهذه الرواية أقل ما يقال فيها أنها ضعيفة فهي من بلاغات الزهري فلا تصح.



فأنزل الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيَهَا الْمَدِينُ ۝١ قُورَانِدْر ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَيُنَابِكْ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر]. فحمي الوحي وتتابع (١).

أما الحكمة من هذا الانقطاع:

- ١ - ليذهب ما كان وجده ﷺ من الروح ليحصل له التشوق إلى عودة الوحي بعد أن ثبتت لديه الحقيقة أنه أصبح نبياً، وتبياً لمثل ما سبق من الوحي.
- ٢ - إن انقطاع الوحي ثم استمراره تأكيداً للحقيقة وهي أن الوحي ظاهرة منفصلة عن ذات الرسول ﷺ.

### مراتب الوحي

س: اذكر مراتب الوحي إجمالاً؟

ج: قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: إن الله قد أكمل لنبيه من مراتب الوحي مراتب عديدة أهمها:

- ١ - الرؤيا الصادقة وكانت مبدأ وحي الله تعالى إليه، كما جاء ذلك في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح...» (٢).
- ٢ - ما كان يلقى الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه كما قال ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي: أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، خذوا ما حلّ ودعوا ما حرم...» الحديث (٣).
- ٣ - أنه كان يتمثل له الملك رجلاً، فيخاطبه، حتى يعي عنه ما يقول له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً.

(١) صحيح البخاري: (١ / ٤) في باب (كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ...).

(٢) صحيح مسلم: (ح / ٣٣١).

(٣) سنن ابن ماجه: (ح / ٢١٣٥).

٤ - أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشد عليه فيتلبس به الملك، حتى إن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد، وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض.

٥ - أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها، فيوحى إليه ما شاء الله أن يوحىه إليه، وهذا وقع مرتين كما ورد ذلك في سورة النجم.

٦ - ما أوحاه الله وهو فوق السموات من فرض الصلاة وغيرها.

٧ - كلام الله إليه مباشرة بلا واسطة ملك، كما كلم الله موسى بن عمران وهذه المرتبة ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن وثبوتها لنبينا ﷺ هو في حديث الإسراء والمعراج<sup>(١)</sup>.

**س: بماذا نبئ الرسول ﷺ وبماذا أرسل، وما معنى نبئ وأرسل؟**

**ج:** قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: أول ما أوحى إليه ربه: أن يقرأ باسم ربه الذي خلق، وذلك أول نبوته، فأمره أن يقرأ في نفسه، ولم يأمره بالتبليغ. ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه: ﴿يَتَأْتِيَهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢﴾، ومعنى نبأه بـ«اقرأ» أن الله تعالى أخبره عند نزول «اقرأ» أنه نبيٌّ، ومعنى أرسله: أنه لما أنزل عليه تبارك وتعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ أصبح رسولاً.

**س: اذكر مراتب الدعوة ومراحلها؟**

**ج: أ -** مراتب الدعوة، ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ خمس مراتب للدعوة:

١ - مرحلة النبوة. ٢ - إنذار عشيرته الأقربين. ٣ - إنذار قومه.

٤ - إنذار العرب قاطبة. ٥ - إنذار جميع من بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدهر.

**ب -** مراحل الدعوة خلال حياته ﷺ:

(١) قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْوِيماً﴾ [النساء].

المرحلة الأولى: الدعوة سرًّا، واستمرت ثلاث سنوات.  
 المرحلة الثانية: الدعوة جهراً، والكف عن القتال، واستمرت إلى الهجرة.  
 المرحلة الثالثة: الدعوة جهراً، مع قتال من ابتدأه بالقتال، واستمرت إلى صلح الحديبية.

المرحلة الرابعة: الدعوة جهراً، مع قتال كل من يقف في سبيل سير الدعوة.

**س: كم استمرت دعوته ﷺ وإنذاره لقومه بدون قتال؟.**

**ج:** استمرت دعوته وإنذاره لقومه ﷺ من بداية رسالته وحتى الهجرة، وهذه الفترة استمرت ثلاث عشرة سنة، لم يؤمر فيها بالقتال، بل أمر فيها بالدعوة والصبر على أذى المشركين، وذلك لحساسية هذه المرحلة، وكون المسلمين أقلية لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم.

**س: كم استمرت دعوته السرية ﷺ، ولماذا السرية في الدعوة؟.**

**ج:** من المعلوم أن مكة كانت مركز دين العرب، وكان بها سدنة الكعبة، والقائمون على الأوثان والأصنام المقدسة عند سائر العرب، فالجهر بالدعوة والوصول إلى المقصود منها يزداد عسراً وشدة عما لو كان بعيداً عنها، لذا كان من الحكمة إزاء ذلك أن تكون الدعوة في بدء أمرها سرية؛ لئلا يفاجأ أهل مكة بما يهيجهم، وقد استمرت ثلاث سنوات كما أسلفت.

**س: من أول من آمن بالرسول ﷺ؟.**

**ج:** أول ما عرض النبي ﷺ الإسلام على ألصق الناس به، وآل بيته، وأصدقائه، فدعاهم إلى الإسلام، ودعا إليه كل من يتوسم فيه الخير، ممن يعرفهم ويعرفونه، فأجابه من هؤلاء جمع، عرف في التاريخ الإسلامي بالسابقين الأولين، ويظهر بعد التتبع والاستقراء أن عددهم يصل إلى مائة وثلاثين صحابياً تقريباً، وكان في مقدمتهم زوجته خديجة بنت خويلد، وكانت قد

علمت البشارات، وسمعت الإرهاصات، وأبصرت ملامح النبوة، وشاهدت تباشير الرسالة، وتوقعت أن يكون رسول الله ﷺ هو نبي هذه الأمة، ثم تأكد لها من حديث ورقة بن نوفل أن الذي نزل عليه بحراء هو جبريل عليه السلام، وأن الذي جاء به هو وحي النبوة، ثم شاهدت بنفسها ما مر به ﷺ عندما نزل عليه أول المدثر.

وكذلك من هؤلاء السابقين مولاه زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبى، وابن عمه علي بن أبي طالب، وكان صبيًّا يعيش في كفالة الرسول ﷺ، وأبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أسلم هؤلاء في أول يوم من أيام الدعوة، ثم نشط أبو بكر في الدعوة إلى الإسلام، كان رجلاً مألوفًا محبوبًا سهلًا، فأسلم بدعوته عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس هم الرعيل الأول، وطلیعة الإسلام.

#### س : اذكر قصة زيد بن حارثة؟.

ج: هي أن أم زيد بن حارثة خرجت ومعها زيدٌ لزيارة بني معن، قومها، فأغارت عليهم فرسان في الطريق، ووقع زيدٌ في قبضتهم وهو غلامٌ، فباعوه بسوق عكاظ لحكيم بن حزام، الذي اشتراه بأربعمائة درهم لعمته خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وقد وهبته لرسول الله ﷺ وهو في الثامنة من عمره، وجزع أبو زيد على ولده جزعًا شديدًا، وأخذ يتقصى أخباره، وخرج قوم من بني كلب لأداء الحج فرأوا زيدًا وعرفوه وعرفهم، فذهبوا إلى أبيه فأخبروه بذلك، فذهب إلى مكة ومعهم عمه وقالوا للنبي ﷺ يا بن سيد قومنا، أنتم أهل حرم الله تفكون العاني وتطمعون الأسير، جئناك في ولدنا عبدك، فأحسن لنا في فدائه، فقال النبي ﷺ: «وما ذاك؟» قال: زيد بن حارثة، فدعاه الرسول ﷺ وخيرَه بين أبيه

وعمه، وبين رسول الله ﷺ، فاختر رسول الله ﷺ، فقالوا: ويحك يا زيد، تختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك، قال: لقد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً، فأخرجه الرسول ﷺ إلى الحجر فقال: «اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه» فرضي أبوه بذلك وانصرف، فكان من ذلك اليوم يدعى زيد بن محمد حتى بعث ﷺ ونزل عليه قول الله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب]. فأصبحوا يدعونهم زيد بن حارثة.

### تعذيب المسلمين

س: هل أنكرت قريش على الداخلين في الإسلام؟ اذكر بعضاً ممن عذب من المسلمين؟.

ج: دخل الناس في دين الله واحداً تلو الآخر، وقريش لا تنكر ذلك، وممرت ثلاث سنوات والدعوة سرية وفردية، وخلال هذه الفترة تكونت جماعة من المؤمنين، تقوم على الأخوة والتعاون، وتبليغ الرسالة، ثم نزل الوحي يكلف رسوله بالجهر بالدعوة، ومجاهبة باطلهم، ومهاجمة أصنامهم، وعند ذلك بدأهم بعيب دينهم، وسب آلهتهم، وأنها لا تضر - ولا تنفع، فحيث شمر واله ولأصحابه عن ساق العداوة، فحمى الله رسوله بعمه أبي طالب؛ لأنه كان شريفاً معظماً في قومه، وأما أصحابه، فمن كان له عشيرة تحميه امتنع بها، ومن لم يكن له أحد يحميه أخذ وعذب، منهم:

بلال بن رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان مملوكاً لأمية بن خلف الجمحي، فكان أمية يجعل في عنقه حبلاً، ويدفعه إلى الصبيان يلعبون به، وكان يخرج به في وقت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في الرمضاء، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول: لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، أو تعبد اللات والعزى، فيقول:

أحد، أحد. ومر به أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوماً وهو يعذب فاشتراه وأعتقه.  
وكان عامر بن فهيرة يعذب حتى يفقد وعيه، وعذب أبو فكيهة - واسمه  
أفلق - قيل: كان من الأزد وكان مولى لبني عبد الدار، فلم يزل يعذب حتى  
هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، فمر به أبو بكر وهو يعذب فاشتراه وأعتقه،  
وكان خباب بن الأرت ممن سبى في الجاهلية، فاشترته أم أنمار بنت سباع  
الخرزاعية، وكان حداًداً، فلما أسلم عذبت مولاته بالنار.

وكانت زينة أمة رومية، أسلمت وعذبت في الله وأصيبت في بصرها حتى  
عميت، فقيل لها: أصابتك اللات والعزى، فقالت: لا والله ما أصابتنى، وهذا  
من الله، وإن شاء كشفه، فأصبحت من الغد وقد رد الله بصرها، فقالت قريش:  
هذا بعض سحر محمد.

وكان ممن عذب ممن أسلم من الجوارى: النهديّة، وابتنها، وكانتا لامرأة من  
بني عبد الدار.

ومن ضمن من عذب عمار بن ياسر، وأمه سمية، وأبوه ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ عذبوا في  
الله، وكانوا حلفاء بني مخزوم، فكان بنو مخزوم وعلى رأسهم أبو جهل يخرجونهم إلى  
الأبطح إذا حميت الرمضاء، فيعذبونهم بحرّها. وكان رسول الله ﷺ إذا مر بهم -  
وهم يعذبون - يقول: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»<sup>(١)</sup>. أما ياسر - والد  
عمار - وهو ياسر بن عامر بن مالك العنسي، فقد مات تحت العذاب، وأما - أم  
عمار - وهي سمية بنت خياط مولاة لأبي حذيفة المخزومي، وكانت عجوزاً  
كبيرة ضعيفة، فطعنها أبو جهل في قبلها بحربة، فماتت وهي أول شهيدة في  
الإسلام. وأما عمار فثقل عليه العذاب، فإن المشركين كانوا يلبسونه تارة درعاً

(١) المستدرک: (٣ / ٣٨٣).

من حديد في يوم صائف، وتارة يضعون على صدره صخرة، وتارة يغطونه في الماء، حتى قال بلسانه ما يوافقهم، وقلبه مليء بالإيمان.

وعذب في الله مصعب بن عمير، وكان من أنعم الناس عيشًا، فلما دخل في الإسلام منعتة أمه الطعام والشراب، وأخرجته من البيت، حتى تخشف جلده تخشف الحية.

وعذب صهيب بن سنان الرومي، حتى فقد وعيه، ولا يدري ما يقول. وعذب عثمان بن عفان، كان عمه يلفه في حصير من ورق النخيل، ثم يدخن من تحته.

وكانت هذه الاعتداءات ضد ضعفاء المسلمين، وعامتهم، أما من أسلم من الكبار والأشراف، فإنهم كانوا يحسبون له حسابًا، ولم يكن أحد يجترئ عليهم إلا أمثالهم من رؤوس القبائل وأشرافها، وذلك مع قدر كبير من الحيطة والحذر.

**س: ما موقف أبي بكر الصديق من تعذيب المشركين للموالي، اذكر بعضاً ممن عذب؟.**

**ج:** كان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا مَرَّ بِأَحَدٍ يَعَذِّبُ اشْتَرَاهُ وَأَعْتَقَهُ، مِنْهُمْ بلال بن رباح، ومنهم عامر بن فهيرة، وجارية لبني عدي، كان عمر يعذبها على الإسلام، فقال أبو قحافة - عثمان بن عامر - لابنه أبي بكر: يا بني أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أعتقت أقواماً جلاذاً - أقوياء - يمنعونك، فقال: إني أريد وجه الله، فأنزل الله تعالى قرآناً مدحه فيه وذم أعداءه، فقال: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝١٤ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝١٦﴾ وهو أمية بن خلف ومن كان على شاكلته: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْرَى ۝١٩ إِلَّا ابْنَاءَ وَجْهِهِ الْأَعْلَى ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ۝٢١﴾ [الليل]، وهو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س: ما موقف المشركين من الرسول ﷺ بعدما استطاعوا أن يناولوا من أصحابه؟.

ج: أما رسول الله ﷺ فكان له من الشهامة والشرف والوقار ما وقاه الله به كثيراً من اعتداءات الناس، وقد كان يحوطه ويمنعه أبو طالب، وكان سيداً مطاعاً معظماً في قريش، لا يستهان بدمته ولا تخفر، وكان من ذروة بني عبد مناف، ولم تعرف قريش بل العرب قاطبة لهذه الأسرة إلا الإجلال والتكريم، فاضطر المشركون بالنسبة للنبي ﷺ إلى اتخاذ خطوات سلمية، واختاروا سبيل المفاوضات مع عمه أبي طالب، ولكن مع نوع من أسلوب القسوة والتحدي.

### ابتداء الدعوة

س: متى أمر النبي ﷺ بالجهر بالدعوة، وماذا عمل بعد أن أمر بالجهر؟.

ج: وبعد أن استمر النبي ﷺ في دعوته السرية مستخفياً ثلاث سنوات، ووجد لها آذاناً صاغية، ورجالاً صالحين من قريش وغيرها، وتمهدت له السبل، وتهيأ لظهورها الجوا أنزل الله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٢١٤) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ [الشعراء]، فجمع النبي ﷺ عشيرته الأقربين، وهم بنو هاشم، ومعهم نفر من بني عبد المطلب، فقال بعد حمد الله: «إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبتهم كلهم ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً، وبالسوء سوءاً، وإنما الجنة أبداً أو النار أبداً» وفي غضون ذلك نزل أيضاً: ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢١٤) [الحجر]، حينها صعد ﷺ الصفا ونادى: «واصباحاه»<sup>(١)</sup>، وكانت كلمة

(١) سنن البيهقي (٧/٩).



إنذار تخبر قريش عن هجوم جيش أو وقوع أمر عظيم، فلما اجتمع إليه بعض من بطون قريش قال: «لو أخبرتكم أن خيلاً تريد أن تخرج إليكم من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذباً، قال: فيني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك، ما جمعنا إلا لهذا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المسد].

### أول دم أريق في الإسلام

س: اذكر أول دم أريق في الإسلام، وما سببه؟.

ج: كان أصحاب الرسول ﷺ إذا أرادوا الصلاة ذهبوا إلى الشعاب، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينما هم كذلك إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون، فنكروا منهم صلاتهم، وعابوا عليهم ما كانوا يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلحي بعير فشجه، فسال دمه، فكان أول دم أريق في الإسلام.

س: اذكر موقف المشركين من الرسول ﷺ وممن معه من المسلمين بعد الجهر بالدعوة؟.

ج: بعد أن جهر الرسول ﷺ بدعوته انفجرت مشاعر الغضب والاستنكار حين سمع المشركون الجهر بالدعوة، وتضليل المشركين، وعبادة الأصنام، فكان الرسول ﷺ إذا جلس وحوله المستضعفين من الصحابة مثل: عمار بن ياسر، وخباب بن الأرت، وصهيب الرومي وبلال بن رباح، وأشباههم، فإذا مر بهم المشركون استهزأوا بهم، ثم يقولون: أهؤلاء جلساؤه قد من الله عليهم من بيننا؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ۝٥٣﴾ [الأنعام]، وفيهم نزل: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَاهَرُوا لِنَبِيِّنَاهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ [النحل].

## س: اذكر موقف أبي جهل من النبي ﷺ؟.

ج: كان أبو جهل أشد الناس إيذاءً للرسول ﷺ، وكان كثيرًا ما ينهى الرسول ﷺ عن الصلاة عند البيت، وقال له مرة بعد أن رآه يصلي: ألم أنك عن هذا؟ فأغلظ عليه الرسول ﷺ القول وهدده، فقال: أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديًا، فأنزل الله تبارك وتعالى تهديدًا له: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَدَّعُ الزَّيْبَانَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٩﴾﴾ [العلق]، ومن أذيته للرسول ﷺ ما حكاه عبد الله بن مسعود من رواية البخاري<sup>(١)</sup> قال: كنا مع الرسول ﷺ في المسجد وهو يصلي، فقال أبو جهل: ألا رجل يقوم إلى فرث جزور بني فلان، فيلقيه على محمد وهو ساجد، فقام عقبه بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، وجاء بذلك الفرث، فألقاه على النبي ﷺ وهو ساجد، فلم يقدر أحدٌ من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على إلقائه عنه لضعفهم عن مقاومة عدوهم، ولم يزل عليه الصلاة والسلام ساجدًا حتى جاءت فاطمة بنته، فأخذت القذر ورمته عنه، فلما قام دعا على من صنع هذا الصنع القبيح فقال: «اللهم عليك بالملأ من قريش» وسمّى أقوامًا، قال ابن مسعود: فرأيتهم قتلوا يوم بدر.

وأخرج مسلم<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللوات والعزى لئن رأيته لأطأن على رقبتة، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، وزعم ليطأن رقبتة، فما فاجأهم إلا وهو ينكص على عقبه، ويتقي بيديه، وقال: بيني وبينه خندق من نار وهول وأجنحة، فقال

(١) الفتح: (١٢ / ٦٦) ح (٢٩٣٤).

(٢) مسلم: (٤ / ٢١٤٥ - ٢١٥٥) ح (٢٧٩٧).

رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» فأنزل الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْجَلَنِي ﴿٧﴾﴾ [العلق].

### حماية أبي طالب للرسول ﷺ

س: ما موقف أبي طالب عم الرسول ﷺ من الإسلام؟.

ج: استمرت الدعوة السرية والتكتم على أمور الإسلام كما أسلفت حوالي ثلاث سنوات، فكان المسلمون إذا أرادوا الصلاة خرجوا إلى شعاب مكة، وصلوا فيها، وفي خلال هذه الفترة ازداد الإسلام انتشاراً بين أهل مكة، ونزل على رسول الله ﷺ ما زاد المسلمين إيماناً بعقيدتهم، وفي أحد الأيام وعندما حضر وقت الصلاة خرج النبي ﷺ وخرج علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه وأعمامه وسائر قومه، ثم إن أبا طالب عثر عليهم وهما يصليان، فقال للرسول ﷺ: يا بن أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: أي عم، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله، ودين إبراهيم، بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت يا عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه، وأعانني عليه، فقال أبو طالب: أي ابن أخي إنني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت.

س: ما الحكمة من حماية أبي طالب للرسول ﷺ وهو على غير دين الإسلام؟.

ج: يذكر ابن كثير<sup>(١)</sup> رحمه الله أنه لا يوجد تفسير لحماية أبي طالب للرسول ﷺ وهو على غير دين الإسلام سوى قوله: إن الله قد امتحن قلب أبي طالب بحب محمد ﷺ حباً طبيعياً لا شرعياً، وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى، ومما صنعه لرسول ﷺ من الحماية؛ إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له

(١) البداية والنهاية: (٣ / ٤٥ - ٤٦).

عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه، ولتجرؤوا عليه، ومدوا أيديهم وألستهم بالسوء إليه، وربك يخلق ما يشاء ويختار. وظل أبو طالب طوال حياته ينهى الناس عن رسول الله ﷺ ويحمله وينأى عن الدخول في الإسلام، وقد روي أن الآية: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [٣٦] [الأنعام]، قد نزلت فيه.

### س: كيف حمى أبو طالب رسول الله ﷺ؟

ج: لما مضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه، غضبت منه قريش، وحقنوا عليه من فراقه لهم وعيب آلهتهم، ورأوا أن عمه أبو طالب قد ناصره وحماه فلم يسلمه لهم، عند ذلك مشى أشرفهم إلى أبي طالب، منهم: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، والعاص بن هشام، وعمرو بن هشام - أبو جهل - والوليد بن المغيرة، فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردهم ردّاً جميلاً، فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله، ويدعو إليه، فعادت قريش مرة أخرى إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهييناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا عنه<sup>(١)</sup>.

(١) ابن هشام: (١ / ٣٢٨).

س: ما هو موقف أبي طالب بعد هذا التهديد وكيف أجابه الرسول ﷺ؟

ج: عظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفسًا بتسليم رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه، فبعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا بن أخي، إن قومك قد جاءوني، فقالوا كذا وكذا، فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك، وبهذا القول ظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه رأي أنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه. فقال: «يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته». فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: أقبل ابن أخي، فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال أبو طالب: اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدًا، وأنشد قائلاً:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم      حتى أوسد في التراب دفينًا  
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة      وأبشر وقربذاك منك عيونًا  
ودعوتني وعرفت أنك ناصحي      ولقد صدقت وكنت ثم أمينًا  
وعرضت دينا قد عرفت بأنه      من خير أديان البرية دينًا  
لولا الملامة أو حذار مسبةٍ      لوجدتني سمحًا بذاك ميينًا

فعاد أبو طالب إلى قريش بقول ابن أخيه، فلم يزدهم ذلك إلا عنادًا واستكبارًا، فعمدوا إلى إيذائه في أصحابه، وفي الرقيق الضعفاء منهم؛ لعلهم يصدوهم عن الإقبال على رسول الله ﷺ، ويردوهم بعد إيمانهم كفارًا، ولعل رسول الله ﷺ حين يرى ذلك أن يتأثر بما يشقى به أصحابه فيؤثر لهم ولنفسه العافية، فجعلوا يعذبونهم بالضرب حينًا، وبالنار حينًا، وبالموت حينًا آخر، حتى

إنهم ليقولون لأحدهم: اللات إلهك من دون الله؟ فيقول من شدة العذاب: نعم، حتى إن الجُعَل - الخنفساء - ليمر بهم، فيقولون: هذا إلهك؟، فيقول: نعم، وروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]، أنها نزلت في عمار بن ياسر، حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد ﷺ، فوافقهم على ذلك مكرهاً، وجاء معتذراً إلى النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية، وروى البيهقي أيضاً: أنه سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير، وأنه قال: يا رسول الله، ما تركت حتى سببتك، قال: «كيف تجرد قلبك؟» قال: مطمئناً، قال: «إن عادوا فعد»، ولكنهم لم يبلغوا بذلك منه ولا من أصحابه شيئاً.

**س: ماذا فعلت قريش عندما علموا إصرار أبي طالب على نصرته رسول ﷺ؟**

**ج:** لما عرفت قريش أن أبا طالب أبا خذلان الرسول ﷺ وترك نصرته، اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه، فأغروا برسول الله سفاءهم، فكذبوه، وأذوه، ورموه بالشعر، والسحر، والكهانة والجنون، ورسول الله ﷺ مظهر لأمر الله لا يستخفي به مبد لهم ما يكرهون من عيب دينهم، ومقت أوثانهم وفراقه إياهم على كفرهم.

**س: ماذا فعل الرسول ﷺ إزاء معاناة المسلمين من قريش بعد إعلان الدعوة، والجهربها؟**

**ج:** بعد إعلان الدعوة والجهربها أُوذِيَ رسول الله ﷺ في نفسه وعُذِبَ أصحابه، ولاسيما الضعفاء منهم كما مر بنا، لكن الرسول ﷺ اتخذ إزاء هذا الموقف المتأزم خطوتين: الأولى: أنه جعل دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي مركز الدعوة والعبادة، وكان يجتمع فيها مع صحابته سرّاً، فيتلو عليهم آيات الله، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة.

أما هو فكان يعبد الله، ويدعو الله جهراً بين ظهراني المشركين لا يصرفه عن ذلك ظلم، ولا عدوان، ولا سخرية، ولا استهزاء، وكان ذلك من حكمة الله حتى تبلغ دعوته إلى من يؤمن، ومن لا يؤمن، فلا تكون للناس على الله حجة بعد البلاغ.

### الهجرة إلى الحبشة

س: لماذا أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة، ومتى، وكم عدد الذين هاجروا؟  
 ج: كانت الخطوة الثانية إزاء ما يعانیه أصحابه ﷺ من أذى قريش أنه أشار عليهم أن يهاجروا إلى الحبشة بعد أن تأكد أن النجاشي ملك عادل لا يظلم عنده أحد، وذلك لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء والفتنة في دينهم، قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه»، وذلك لما يعرفه الرسول ﷺ في ملكها من العدل والتسامح.  
 فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، منتهين إلى الشعيبة - ميناء مكة - حيث ركبوا سفينتين لبعض التجار حملتهم إلى أرض الحبشة مقابل نصف دينار عن كل شخص، فكانت هذه أول هجرة في الإسلام، وذلك في رجب من السنة الخامسة لبدء الدعوة الإسلامية، وكانوا اثنا عشر رجلاً، وأربع نسوة<sup>(١)</sup>، فيهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأبو حذيفة بن عتبة، معه امرأته سهيلة بنت سهيل، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد وامراته أم سلمة بنت أبي أمية، وعثمان بن مظعون،

(١) ابن سعد في الطبقات (١ / ٢٠٤)، ابن القيم (٣ / ٢٣).

وعامر بن ربيعة وامرأته ليل بنت أبي حثمة، وأبو سبرة بن أبي رهم، وسهيل بن بيضاء، فكان هؤلاء الاثنا عشر- أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة، وقد أمروا عليهم عثمان بن مظعون، وعبد الله بن مسعود، وحاطب بن عمرو.

**س: لما هاجر الاثنا عشر رجلاً والأربع نسوة - الهجرة الأولى - لم يمكنوا سوى شهرين في**

**الحبشة ثم عادوا. اذكر سبب عودتهم وما صحة ما سمعوا من خير إسلام أهل مكة؟.**

**ج:** لم يمكن هؤلاء المهاجرون طويلاً، حيث كان خروجهم في رجب من السنة الخامسة من بدء الدعوة الإسلامية، فأقاموا بالحبشة شعبان ورمضان ثم عادوا إلى مكة، وذلك عندما بلغتهم الأخبار بأن أهل مكة قد أسلموا، فلذلك قرروا العودة إلى وطنهم مكة في شوال من نفس السنة.

وعندما اقتربوا من مكة، علموا بأن الذي بلغهم كان مجرد إشاعة، وعرفوا أن نار العداوة ما زالت مشتعلة، عندها توقفوا عن الدخول، فرجع من رجع إلى الحبشة، ومن دخل منهم مكة دخلها مستخفياً، أو في جوار رجل من قريش، ثم اشتد بهم الأذى والعذاب من قريش.

### قصة الغرانيق

**س: يذكر بعض كتاب السير والمفسرون أن قصة الغرانيق كانت السبب في عودة مهاجري**

**الحبشة.. فما هي قصة الغرانيق وهل هي صحيحة؟.**

**ج:** يزعم بعض الناس أن سبب رجوع مهاجري الحبشة كان لوقوع هدنة بين محمد ﷺ والمشركين، سببها أن محمداً مدح أصنام المشركين، وأن ذلك بمثابة الاعتراف بمنزلتها؛ إذ زعموا أنه قرأ على المشركين سورة النجم حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الْآخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النجم]، عند ذلك ألقى الشيطان في آذان المشركين قوله: (تلك الغرانيق العلاء وإن شفاعتهن لترتجى) فسجد الرسول ﷺ في نهاية هذه السورة، وسجد كفار مكة،



فلما بلغ المسلمين ذلك في الحبشة ظنوا أن القوم قد أسلموا لهذه القصة المزعومة، لذا عادوا.

وهذه القصة باطلة من حيث متنها وسندها، ولم يوردها أحد من أصحاب الكتب الستة، ولا الإمام أحمد ولا غيرهم من أصحاب الكتب المعتمدة.

#### س: إذا ما سبب سجود المشركين؟

ج: ثبت في الصحيح<sup>(١)</sup> أن الرسول ﷺ حين قرأ سورة النجم في جماعة من المسلمين والمشركين، وفي خواتيم هذه السورة قوارع تطيرها القلوب، فلما أخذ الرسول ﷺ في القراءة إلى قوله: ﴿فَعَشَاهَا مَاعَشَى ﴿٥٤﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَ نَتَمَارَى ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَى ﴿٥٦﴾ أَزَفَتِ الْأَزْفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾﴾ [النجم]، فما تمالكوا أن يخروا لله ساجدين مع غيرهم من المسلمين، حتى أن الوليد بن المغيرة - وكان كبيراً في السن - أخذ كفاً من البطحاء وسجد عليه، فلما نكسوا على رءوسهم وأحسوا أن جلال الإيمان قد لوى زمامهم، ندموا على ما كان منهم، وأحبوا أن يعتذروا عنه، بأنهم ما سجدوا مع محمد ﷺ إلا أنه ﷺ عطف على أصنامهم بكلمة تقدير<sup>(٢)</sup>.

س: كم أقام المسلمون بأرض الحبشة وهل لحق بهم أحد من المسلمين بعد ذلك ولماذا عادوا

إلى مكة وما موقف قريش منهم؟

ج: لم يمكث المسلمون الذين هاجروا إلى الحبشة سوى شهرين، ثم عادوا كما تقدم، ولما استمر ﷺ في سب آلهة المشركين، عادوا إلى أشرك ما كانوا عليه، وازدادوا شدة على من أسلم، لذا فقد خرج بعد الاثني عشر-الأول والأربع

(١) البخاري: الفتح: (١٨/٢٤٧-٢٤٨) ح (٤٨٦٢، ٤٨٦٣).

(٢) فقه السيرة للغزالي ص: (١١٧-١١٨).

النسوة: جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وامرأته أسماء بنت عميس، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، فكانوا بها منهم من خرج بأهله، ومنهم من خرج بنفسه، لا أهل معه، وعرفت هذه بالهجرة الثانية، فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً، أو ولدوا بها، ثلاثة وثمانون رجلاً، ومن النساء تسع عشرة امرأة، أقاموا بأرض الحبشة حتى سمعوا بهجرة رسول الله ﷺ، فلما سمعوا بهجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلثون رجلاً، شهد بدرًا منهم أربعة وعشرون رجلاً ومات منهم بمكة رجلاً وحبس منهم سبعة.

#### س: ماذا فعلت قريش عندما هاجر المسلمون إلى الحبشة؟

ج: عندما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمّنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، ائتمروا فيما بينهم على أن يعيشوا منهم رجلين جليدين إلى النجاشي ليخرج هؤلاء المهاجرين من بلاده، فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة وقيل عمارة بن الوليد - والأول أرجح - ليردهم إلى مكة وقالوا: إن لنا في الذين عند النجاشي ثأراً وجمعوا معها هدايا للنجاشي وبطارقته ثم بعثوهما إليه.

#### س: ماذا دار بين النجاشي ورسولي قريش والمسلمين، وعلى ماذا انتهى الأمر؟

ج: ذكرنا أن قريشاً قد أرسلت إلى النجاشي عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي، وبطارقته مما يستظرف من متاع مكة، وقدما عليه، وقد استمالا قبل الدخول عليه بطارقته وأرضياهم بهداياهم، وعندما دخلا تكلمتا في مجلس الملك، فقالا: أيها الملك إنه قد لجأ إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد اتبعوا رجلاً كذاباً خرج فينا يزعم أنه رسول الله، ولم

يتبعه إلا السفهاء، فضيقنا عليهم وألجأناهم إلى شعب من أرضنا، لا يخرج منهم أحد ولا يدخل عليهم أحد، فقتلهم الجوع والعطش، فلما اشتد الأمر بعث إليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك فاحذرهم وادفعهم إلينا لنكفيكهم، وآية ذلك إذا دخلوا عليك لا يسجدون ولا يميّون بالتحية التي تحيي بها، رغبة عن دينك، قال بطارفته: صدقا أيها الملك، فغضب النجاشي وأبى أن يقبل كلامهم، ويسلم من لجأ إلى بلاده وحلف بالله ألا يرد أحداً.

وأرسل إلى المسلمين، فدعاهم ودعا أساقفته، وقال للمسلمين: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم؟ ولم تدخلوا في ديني أو دين أحد من هذه الملل؟ وكانوا عندما دخلوا عليه لم يسجدوا له، فقال لهم: ما منعكم أن تسجدوا لي؟ قالوا: إنا نسجد لله الذي خلقك وملكك، وإنما كانت تلك التحية عندما كنا نعبد الأوثان، فبعث الله فينا نبياً صادقاً وأمرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام تحية أهل الجنة، فعرف النجاشي أن ذلك حق، وأنه في التوراة والإنجيل، وقد كان المتكلم جعفر بن أبي طالب، فقال عمرو بن العاص لجعفر بن أبي طالب: تكلم، فقال جعفر للنجاشي: سله أعبيد نحن أم أحرار؟ فإن كنا عبداً أبقنا من أربابنا فارددنا إليهم، فقال عمرو: بل أحرار كرام، فقال جعفر: فهل أهرقنا دمًا بغير حق فيقتص منا؟ قال عمرو: ولا قطرة، فقال: هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها؟ فقال عمرو: ولا قيراط؟.

فقال النجاشي: فما تطلبون منهم؟ قالوا: كنا وهم على أمر واحد، على دين آبائنا، فتركوا ذلك واتبعوا غيره.

فقال النجاشي: ما هذا الذي كنتم عليه، وما الذي اتبعتموه؟ قل أصدقني؟ فقال جعفر: أما الذي كنا عليه فتركناه وهو دين الشيطان، كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة، وأما الذي تحولنا إليه، فدين الله الإسلام، جاءنا به من عند الله

رسول الله ﷺ، وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقاً له. فقال النجاشي: تكلمت بأمر عظيم على رسلك.

ثم أمر النجاشي بضرب الناقوس فاجتمع إليه كل قسيس وراهب، فقال لهم: أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبياً؟ قالوا: اللهم نعم، قد بشرنا به عيسى، وقال: من آمن به فقد آمن بي، ومن كفر به فقد كفر بي.

فقال النجاشي لجعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ماذا يقول لكم هذا الرجل؟ وما يأمركم به؟ وما ينهاكم عنه؟.

فقال: يقرأ علينا كتاب الله، ويأمرنا بالمعروف، وينهانا عن المنكر، ويأمرنا بحسن الجوار، وصلة الرحم، وبر اليتيم، ويأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له، فقال: اقرأ مما يقرأ عليكم، فقرأ سورتي العنكبوت والروم، ففاضت عينا النجاشي من الدمع، وقال: زدنا من هذا الحديث الطيب، فقرأ عليه سورة الكهف، فأراد عمرو أن يغضب النجاشي، فقال: إنهم يشتمون عيسى وأمه، فقال النجاشي: ما تقولون في عيسى وأمه؟ فقرأ عليهم سورة مريم، فلما أتى ذكر عيسى وأمه بكى النجاشي وأسأفته حتى اخضلت لحاهم، فقال النجاشي: والله ما زاد المسيح على ما تقولون نقيراً، ونزل فيه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [المائدة]، فأقبل النجاشي على جعفر، ثم قال: اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي - والشيوم: الآمنون - من سبكم غرم، فلا هوادة اليوم على حزب إبراهيم، ثم أمر برد هداياهما عليهما، وقال: لا حاجة لي بها، فخرجا مقبوحين، مردود عليهما ما جاء به.

## كتاب رسول الله ﷺ إلى النجاشي

س: متى كان كتاب رسول ﷺ إلى النجاشي وما يتضمن هذا الكتاب؟ وهل أسلم النجاشي؟.

ج: في شهر ربيع من السنة السابعة من الهجرة كتب الرسول ﷺ كتاباً إلى النجاشي واسمه: أصحمة بن الأبجر الحبشي، يدعو إلى الإسلام، وكتب إليه أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت مهاجرة مع زوجها عبيد الله بن جحش، فتنصر. هناك مات نصرانياً، وكتب إليه أيضاً أن يبعث إليه من بقي من أصحابه، فلما قرأ الكتاب أسلم، وقال: لو قدرت أن آتية لأتية<sup>(١)</sup> وزوجه أم حبيبة، وأصدقها عنه أربعمئة دينار، وكان الذي ولي تزويجها خالد بن سعيد بن العاص<sup>(٢)</sup> وحمل بقية أصحابه في سفيتين فقدموا على رسول الله ﷺ بخير وقد فتحها، وكتب كتاباً يشهد فيه بإسلامه، وبلغ ذلك النبي ﷺ، فلما مات قال الرسول ﷺ: «إِنْ أَخَا لَكُمْ قَد مَاتَ فَقوموا فصلوا عليه»<sup>(٣)</sup> وهذا الحديث صريح في أن النجاشي مات على الإسلام، وصلى الرسول ﷺ وأصحابه عليه صلاة الغائب، وكان موته في رجب من سنة ٩ هـ، وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران].

## إسلام حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

س: متى أسلم حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما سبب إسلامه، وما أهميته؟.

ج: لم يوقف اضطهاد المشركين للمسلمين وتعذيبهم دخول صناديد قريش في الإسلام، ففي هذا الجو المشحون بالأحقاد على المسلمين عامة والرسول ﷺ

(١) ابن سعد في الطبقات: (٩٨/٨، ٩٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) مسلم: (٦٥٧/٦، ٦٥٨) ح (٩٥٣).

خاصة، شاء الله تعالى أن يكون حقد أبي جهل على الرسول ﷺ سبباً في إسلام حمزة عم رسول الله ﷺ وأحد أشداء قريش، فقد روى ابن إسحاق<sup>(١)</sup> وابن سعد<sup>(٢)</sup> أن أمة لعبد الله بن جدعان أخبرت حمزة أن أبا جهل قد أساء إلى ابن أخيه محمد ﷺ إساءةً بذيئة، فلم يتردد في المجيء إلى أبي جهل، وهو في مجلس مع قومه، فقال حمزة لأبي جهل: أتشتتم ابن أخي وأنا على دينه؟ ثم ضربه بالقوس فشججه شجة منكورة، فكانت تلك بداية انشراح صدر حمزة للإسلام، وعندما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع وأن حمزة سيمنع عنه الأذى، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه، وكان إسلام حمزة بعد دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم في السنة السادسة من النبوة، وكان أعز فتىً في قريش، وأقواهم شكيمة حتى سمي أسد الله.

### إسلام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

س: متى أسلم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكيف أسلم وما أهمية إسلامه؟.

ج: أسلم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بثلاثة أيام وأيد الله الإسلام والمسلمين بإسلامه وكان رجلاً مهيباً، وكان رجلاً ذا قوة وشكيمة، وكان رسول الله ﷺ حريصاً على إسلامه، يدعو الله بذلك. عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب»<sup>(٣)</sup>.

فكان أحبهما إلى الله عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال لعمر: لما سُميتَ الفاروق؟، فقال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام، ثم شرح الله

(١) ابن هشام: (٣٦٠/١-٣٦١).

(٢) الطبقات الكبرى: (٩/٣).

(٣) الترمذي: (٣٦٨٣)، مسند أحمد (٩٥/٢).

صدري للإسلام، وكان أول شيء سمعته من القرآن ووقرني صدري: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [٨ طه]. فما في الأرض نسمة أحب إلي من نسمة رسول الله ﷺ، فسألت عنه، قيل لي: هو في دار الأرقم، فأتيت الدار، وحمزة وأصحابه جلوساً في الدار، ورسول الله ﷺ فيها، فضربت الباب، فاستجمع القوم، وقال لهم حمزة: ما بكم؟ فقالوا: عمر بالباب، فخرج رسول الله ﷺ فأخذ بشيبي، ثم نترني نتره لم أتمالك أن وقعت على ركبتي، فقال: «ما أنت بمتته يا عمر؟» فقلت: أشهد ألا إله إلا الله وأنت رسول الله، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد، فقلت: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا؟، قال: «بلى»، فقلت: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن، فخرجنا في صفين، حمزة في صف، وأنا في صف، حتى دخلنا المسجد، فلما نظرت إلينا قريش، أصابتهم كآبة، لم يصبهم مثلها قط، فسماني رسول الله ﷺ الفاروق. وروى البخاري<sup>(١)</sup> عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَا زَلْنَا أَعَزَّةَ مِنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ.

### المقاطعة العامة

**س: متى كانت المقاطعة، ولماذا عمدت قريش إلى مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب؟.**

**ج:** لما رأت قريش أن عدد الداخلين في الإسلام ازداد، وأن جميع وسائلها وأساليبها السابقة في محاربة المسلمين، وقمعهم لم تعد تجدي شيئاً، خاصة بعد إسلام حمزة وعمر، فقد أعادت النظر في تلك الوسائل والأساليب، ثم اتخذت أسلوباً آخر أقسى، وهو أسلوب المقاطعة. وعلى هذا الأساس فإنه لما رأت قريش أن الصحابة قد نزلوا أرضاً أصابوا

(١) الفتح: (١٤ / ١٨٦) ح (٣٦٨٤).

بها أمنًا، وأن عمر وحمزة أسلما، وأن الإسلام فشا في القبائل، أجمعوا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بني هاشم وبني المطلب مؤمنهم وكافرهم، فأدخلوا رسول الله ﷺ وشعبهم ومنعوه ممن أراد قتله، فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية، فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا، واثمروا بينهم أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم، وبني عبد المطلب، على أن لا يعاملوهم، ولا يجالسوهم ولا يدخلوا بيوتهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا بينهم صحيفة فيها عهد وموآثيق، وعلقوها في جوف الكعبة، واختلف في كاتبها ويذكر أن رسول الله ﷺ دعا عليه فشلت يده وقيل بعض أصابعه.

**س: كم استمرت هذه المقاطعة وما أثرها على المسلمين؟**

**ج:** يذكر معظم كتاب السير أن هذه المقاطعة استمرت ثلاث سنين، وقيل كان ابتداء حصارهم في المحرم سنة سبع من البعثة، وخلال هذه الفترة اشتد البلاء على المسلمين، حتى جهدوا ولم يكن يأتيهم شيء من الأقوات إلا خفية، وقطعوا عنهم الأسواق، فلا يتركون طعامًا يدخل مكة ولا بيعًا إلا بادروا واشتروه، ومنعوه أن يصل إلى بني هاشم، حتى كان يسمع أصوات نسائهم وصبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع<sup>(١)</sup>، وفي الصحيح أنهم جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق السمرحتى أن أحدهم ليصنع كما تصنع الشاة<sup>(٢)</sup>. واشتدوا على من أسلم منهم، ممن لم يدخل الشعب فأوثقوهم، وعظمت الفتنة، وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ

(١) الروض الأنف: (١٦١/٢).

(٢) البخاري: الفتح: (١٤ / ٢٣١) ح (٣٧٢٨).



أن يضطجع على فراشه، حتى يرى ذلك من أراد اغتياله، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بني عمه، فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ، وأمره أن يأتي فراش أحدهم.

**س: كيف تم نقض الصحيفة، ومتى انتهت المقاطعة؟**

**ج:** وهكذا ظل بنو هاشم مهجورون في الشعب لثلاث سنوات كاملة، وفي المحرم من السنة العاشرة من النبوة حدث نقض الصحيفة، وفك الميثاق، وذلك أن قريباً كانوا بين راضٍ بهذا الميثاق، وكاره له، فسعى في نقض الصحيفة من كان كارهاً لها، وكان القائم بذلك: هشام بن عمرو ومن بني عامر بن لؤي - وكان يصل بني هاشم في الشعب مستخفياً بالليل بالطعام - فإنه ذهب إلى زهير بن أبي أمية المخزومي - وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب - وقال: يا زهير أَرْضَيْتَ أَنْ تَأْكُلَ الطعامَ وتشربَ الشرابَ، وأخوالك بحيث تعلم؟ فقال: ويحك فما أصنع وأنا رجل واحد؟ أما والله لو كان معي رجل آخر لقمتم في نقضها، قال: أنا، قال: ابغنا ثالثاً، قال: أبو البخترى بن هشام. قال: ابغنا رابعاً، قال: زمعة بن الأسود، قال: ابغنا خامساً، قال: المطعم بن عدي، قال: فاجتمعوا عند الحجون وتعاهدوا على القيام بنقض الصحيفة. وأقبل زهير بن أبي أمية وقال: يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكت، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة، فقال أبو جهل: كذبت والله لا تشق، فقال زمعة: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حين تكتب، وقال أبو البخترى: صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر عليه، فقال المطعم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها، ومما كتب فيها، وقال هشام بن عمرو نحو ذلك، فقال أبو جهل: هذا أمر قد قضي بليل، تشور فيه بغير هذا المكان، وقد قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: «يا عم إن الله قد سلط

الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسمًا هو الله إلا أثبتته فيها ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان»، فقال أبو طالب: أربك أخبرك بهذا؟ قال: «نعم»، قال: فوالله ما يدخل عليك أحد.

ثم خرج إلى قريش فقال: يا معشر قريش إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا، فهلّم إلى صحيفتكم فإن كانت كما قال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها، وإن كان كاذبًا دفعت إليكم ابن أخي. فقال القوم: رضينا، فتعاقد القوم على ذلك، ثم نظروا إلى الصحيفة، فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ فلم يزدادوا إلا شراً حتى قام هشام بنقضها، فلما مزق القوم الصحيفة، بطل ما فيها. وقال أبو طالب: يمدح أولئك النفر الذين قاموا بنقضها:

ألا هل أتى بحرّينا صنع ربنا على نايهم والله بالناس أروء  
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت وأن كل ما لم يرضه الله مفسد  
جزى الله رهطاً بالحجون تابعوا على ملأ يهدي لحزم ويرشد  
وكنّا قديماً لا نقر ظلامه ونذكر ما شئنا ولا نتشدد

فكان نقض الصحيفة سنة عشر من البعثة، وعادت بنو هاشم وبنو المطلب إلى منازلهم، وصاروا في تجارتهم ومعاشهم كما كانوا قبل كتابة الصحيفة، وبعد أن دار الكلام بين القوم، وبين أبي جهل، قام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها، فوجد الأرضة قد أكلتها إلا «باسمك اللهم» وما كان فيها من اسم الله فإنها لم تأكله، بذلك تم نقض الصحيفة، وخرج رسول الله ﷺ، ومن معه من الشعب<sup>(١)</sup> وقد رأى المشركون آية عظيمة من آيات نبوته، ولكنهم كما أخبر الله

(١) ابن هشام: (١ / ٣٥٠)، ابن كثير: (٢ / ٤٣).

عنهم: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر]، أعرضوا عن هذه الآية وازدادوا كفرًا إلى كفرهم، وكان خروج الرسول ﷺ وبني هاشم في السنة العاشرة من النبوة، ومات أبو طالب بعد ذلك بستة أشهر، وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام.

### عام الحزن

س: متى كان عام الحزن ولماذا سمي بعام الحزن؟.

ج: كانت السنة العاشرة من البعثة النبوية تعرف بعام الحزن، وسبب التسمية هي: أنه في هذه السنة مات أبو طالب عم رسول الله ﷺ، وماتت زوجته خديجة بنت خويلد، ولهذا عرف هذا العام بعام الحزن.

### وفاة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأبي طالب

س: متى توفي أبو طالب وماذا قال له الرسول ﷺ حين حضرته الوفاة؟.

ج: توفي أبو طالب في السنة العاشرة من البعثة النبوية بعد الخروج من الشعب بزمن يسير، وقيل: توفي في رمضان قبل خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بثلاثة أيام، وقبل الهجرة بثلاث سنين، وقد ثبت في «الصحيحين»<sup>(١)</sup> عن سعيد بن المسيب، قال: إن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية فقال: «أي عم، قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: «هو على ملة عبد المطلب»، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال الرسول ﷺ: «أما والله لأستغفرنَّ

(١) البخاري: (١٥ / ٤١) ح (٣٨٨٤)، مسلم: (١ / ٥٤) ح (٢٤).

لك ما لم أنه عنك» فنزل: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِمَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة]، ونزل عليه ﷺ:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص]، وروي عنه ﷺ أنه قال: «هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»<sup>(١)</sup>.

**س: متى كانت وفاة خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؟**

**ج:** بعد وفاة أبي طالب بفترة يسيرة توفيت خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ويذكر أن وفاتها في رمضان من السنة العاشرة من البعثة النبوية، ولها من العمر خمس وستون سنة ورسول الله ﷺ إذ ذاك في الخمسين من عمره. وقد روي في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، وبشرها بيت في الجنة من قصب<sup>(٢)</sup>، لا صخب فيه ولا نصب».

**س: ما أثر وفاة أبي طالب وخديجة بنت خويلد على الرسول ﷺ؟**

**ج:** بموت أبي طالب عم رسول الله ﷺ، وزوجته خديجة بنت خويلد اشتد البلاء على الرسول ﷺ من قومه، وتجراًوا عليه وكاشفوه بالأذى، ثم لم تزل تتوالى عليه المصائب، فقد كان أبو طالب درعاً حصيناً للنبي ﷺ، وكانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام، يسكن إليها عند الشدائد، أزرتة على إبلاغ الرسالة، وآسته بنفسها ومالها، وقاسمته الأذى والهموم، قال ﷺ: «أمنت بي

(١) البخاري: (٥٤٨/١).

(٢) البخاري: الفتح: (١٣٣/٧) ح (٣٨١٩)، مسند أحمد: (٢٠٥/١). والقصب: اللؤلؤ المجوف.

حين كفر بي الناس، وصدقني حين كذبني الناس، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد إذ لم يرزقني من غيرها»<sup>(١)</sup>.  
ولا يخفى فضلها ومكانتها عند رسول الله ﷺ، ومما يروى في ذلك أنه لما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياته، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً، ودخل بيته وعلى رأسه التراب، فغسلته إحدى بناته وهي تبكي، والرسول ﷺ يقول لها: «لا تبك يا بنية، فإن الله مانع أباك»، ويقول بين ذلك: «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب»<sup>(٢)</sup>.

### الأذى والعناد بعد وفاة خديجة وأبي طالب

س: اذكر بعض الأذى الذي لحق بالرسول ﷺ بعد وفاة خديجة وأبي طالب؟

ج: لما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تناله في حياة عمه أبي طالب، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل صبرنا عليه، سَفَهَ أَحْلَامَنَا، وَشَتَمَ آبَاءَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ، فَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ فِي الثَّانِيَةِ: «لَقَدْ جِئْتُمْ بِالذَّبْحِ»، وَأَنْهُمْ قَالُوا لَهُ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، مَا كُنْتَ جَهُولًا، فَانصرف راشداً<sup>(٣)</sup>.

فلما كانوا من الغد اجتمعوا فقالوا: ذكرتم ما بلغ منكم، حتى إذا أتاكم ما تكرهون تركتموه، فبينما هم كذلك، إذ طلع عليهم فقالوا: قوموا إليه وثبة رجل واحد، فلقد رأيت عقبة بن أبي معيط آخذ بمجامع رداءه، وقام أبو بكر دونه

(١) الطبراني: (١٣/٢٣)، رقم (٢١)، الهيثمي (٢٢٤/٩).

(٢) ابن هشام: (١/٤١٦)، البخاري: (١/٥٥٣).

(٣) مسند الإمام أحمد: (الفتح الرباني) (٢٠/٢١٩ - ٢٢٠).

وهو يبكي يقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟، وفي حديث أسماء: فأتى الصريخ إلى أبي بكر، فقالوا: أدرك صاحبك، فخرج من عندنا وله غدائر أربع، فخرج وهو يقول: ويلكم، أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ فلهوا عنه وأقبلوا على أبي بكر، فرجع إلينا لا يمس شيئاً من غدائره إلا رجع معه. والغدائر: جمع غديرة، وهي الخصلة من الشعر المصفور. وكان مرة يصلي عند البيت، ورهط من أشرافهم يرونه، فأتى أحدهم بسلا جزور فرماه على ظهره.

**س: ما موقف قريش من صدقه وأمانته التي كان اشتهر بها ﷺ بينهم؟.**

**ج:** كان المشركون وعلى رأسهم أبو جهل وأبو لهب يعلمون صدق الرسول ﷺ وأمانته، وأن ما جاء به هو الحق، ولكنهم كما قال الله تعالى فيهم: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَعَاثَتِ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فِي الْأَنْعَامِ﴾، وذكر الزهري أن أبا جهل وجماعة معه وفيهم الأحنس بن شريق، استمعوا رسول الله في الليل فقال الأحنس لأبي جهل: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: تنازعنا نحن وبنوا عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء! فمتى ندرك هذا؟، والله لا نسمع له أبداً، ولا نصدقه أبداً، وفي رواية: إني أعلم أن ما يقول حق، ولكن بني قصي. قالوا: فينا الندوة، فقلنا: نعم، قالوا: وفينا الحجابة، فقلنا: نعم، قالوا: فينا السقاية، فقلنا: نعم... وذكر نحوه. وعن ابن عباس قال: إن الوليد بن المغيرة جاء إلى الرسول ﷺ فقال: اقرأ عليّ، فقرأ عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل]، فكانه رق له، فقال: أعد، فأعاد، فقال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، ومغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته،

وما يقول هذا بشر.

### زواج النبي ﷺ من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

س: من هي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ومتى خطبها الرسول ﷺ، وكم كان عمرها آنذاك ومتى

دخل بها ﷺ؟

ج: عائشة بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية، ولدت بعد البعثة بأربع سنين، ولما توفيت خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. قالت خولة بنت حكيم، امرأة عثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وذلك بمكة لرسول الله ﷺ: «ألا تتزوج؟ قال: «من؟» قالت: إن شئت بكراً. وإن شئت ثيباً. قال: «فمن البكر؟» قالت: بنت أحب خلق الله إليك، عائشة بنت أبي بكر. قال ﷺ: «ومن الثيب؟» قالت: سودة بنت زمعة، قال: «فاذهبي فاذكريهما علي». فجاءت بيت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فوجدت أم رومان والدة عائشة، فقالت لها: ما أدخل عليكم من الخير والبركة، قالت أم رومان: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة، قالت: وددت، انتظري أبا بكر، فجاء أبو بكر، فذكرت له ذلك، فقال: وهل تصلح له وهي بنت أخيه؟ فرجعت خولة للنبي ﷺ فذكرت له ذلك. قال: «قولي له أنت أخي في الإسلام، وابتك تحل لي»، فجاءته فأخبرته، فأنكحه، وهي يومئذ بنت ست سنين، ودخل بها في المدينة وهي ابنة تسع سنين، في شوال من السنة الأولى من الهجرة كما سيأتي.

### زواج النبي ﷺ بسودة بنت زمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

س: متى تزوج النبي ﷺ بسودة؟

ج: في شوال من السنة العاشرة من النبوة تزوج الرسول ﷺ بسودة بنت زمعة، وكانت ممن أسلم قديماً، وهاجرت إلى الحبشة، وكان زوجها السكران بن عمرو قد أسلم وهاجر، فمات بأرض الحبشة، أو بعد الرجوع إلى مكة، فلما حلت خطبها

رسول الله ﷺ وتزوجها، وكانت أول امرأة تزوجها بعد وفاة خديجة، وبعد عدة أعوام عندما كبرت وهبت يومها لعائشة لكونها أحب نسائه ﷺ إليه، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

### خروج النبي ﷺ إلى الطائف

س: متى خرج النبي ﷺ إلى الطائف، ولماذا وكم أقام بها، وما موقف ثقيف من دعوته؟

ج: في شوال من السنة العاشرة من النبوة خرج النبي ﷺ إلى الطائف، وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلاً شرقاً، سارها ماشياً على قدميه ذهاباً وإياباً، ومعه مولاه زيد بن حارثة، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام، فلم يجبه أحد، وكان خروجه ﷺ لِمَا ناله من أذى قريش بعد وفاة عمه أبي طالب إلى الطائف يلتمس النصر من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه الإسلام<sup>(١)</sup>.

ويروى أن النبي ﷺ عندما وصل الطائف التقى بسادة ثقيف وهم أبناء عمرو بن عمير الثقفي الثلاثة: عبد ياليل، ومسعود، وحبیب، فجلس إليهم ودعاهم إلى الإسلام فلم يقبلوه منه، وسخروا منه، وعندما يئس من استجابة ثقيف طلب منهم أن يكتموا عنه ما دار بينهم حتى لا يثيروا عليه الناس<sup>(٢)</sup>.

وأقام عندهم عشرة أيام لا يدع أحداً من أشرفهم إلا جاءه وكلمه، حتى أنهم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم، فأخذوا في سبه، والصياح به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، وهما فيه، ورجع عنه من كان يتبعه من سفهاء ثقيف، بعد أن أدموا قدميه بالحجارة، وأصابه شجاج في رأسه فانصرف إلى مكة محزوناً.

س: بعد التجاء رسول الله ﷺ إلى حائط ابني ربيعة في طريق رجوعه إلى مكة بماذا دعا،

(١) ابن هشام: (٢ / ٦٩)، أحمد: الفتح الرباني: (٢٠ / ٢٤٣).

(٢) ابن هشام: (٢ / ٧٠ - ٧٢).



وما موقف عتبة وشيبة ابني ربيعة مما حصل لرسول الله ﷺ من سفهاء ثقيف؟ .

ج: بعد أن رجع عنه سفهاء ثقيف جلس في ظل شجرة في حائط ابني ربيعة وهما ينظران إليه، وقد رأيا ما لقيه من سفهاء الطائف، ثم أخذ يدعو بدعائه المشهور قال: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أو إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحل علي غضبك، أو ينزل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»<sup>(١)</sup>. فلما رآه ابني ربيعة على هذا الحال تحركت فيهما عاطفة الرحم، فأمرًا غلامًا لهما نصرانيًا يدعى «عداس»، فقالا له: خذ قطعًا من هذا العنب واذهب به إلى هذا الرجل، فلما وضعه بين يدي الرسول ﷺ مد يده إليه قائلاً: «بسم الله» ثم أكل، فقال عداس: إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: «من أي البلاد أنت؟ وما دينك؟» قال: نصراني من «نينوى» فقال رسول الله ﷺ: «من قرية الرجل الصالح يونس بن مَتَّى؟»، قال له: وما يدريك ما يونس بن مَتَّى؟ قال ﷺ: «ذاك أخي، كان نبياً، وأنا نبي»، فأخذ عداس يقبل رأس النبي ﷺ ويديه ورجليه.

س: كيف عاد النبي ﷺ إلى مكة وماذا حصل له في طريقه إلى مكة؟ .

ج: عاد النبي ﷺ إلى مكة مهمومًا بعد ما لاقى من الابتلاء والشدة في الطائف، وعندما بلغ قرن المنازل بعث الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال، وجعله رهن، إذا أراد أن يطبق الأخشيين على أهل مكة - والأخشبان جبل أبي قبيس

(١) ابن هشام: (١ / ٢٦٠ - ٢٦٢)، مجمع الزوائد للهيثمي: (٦ / ٣٥).

وجبل قعيقعان - قال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»<sup>(١)</sup>. فلما نزل بنخلة في طريقه إلى مكة أقام بها أياماً، وفي هذه الفترة صرف الله تبارك وتعالى إليه نفرًا من الجن عندما قام يصلي من الليل، فاستمعوا إلى القرآن فآمنوا به، وقد ذكر الله ذلك في موضعين الأول في سورة الأحقاف، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف]. والثاني في سورة الجن قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن]. وكانت هاتان الحادستان دعمًا معنويًا كبيرًا للنبي ﷺ، فقد شدَّ الله تبارك وتعالى أزره، ونشط في الدعوة إلى الله غير مبالي بما يواجهه من أساليب خصومه.

وعند عودته إلى مكة قال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم يا رسول الله، وهم أخرجوك، فقال: «يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجًا ومخرجًا، وأن الله ناصر دينه ومظهر نبيه»<sup>(٢)</sup>، وأرسل في جوار المطعم بن عدي، فاستجاب لذلك، وتهياً هو وبنوه لحماية رسول الله ﷺ، فانتهى رسول الله ﷺ إلى الركن فاستلمه وصلى ركعتين فانصرف إلى بيته، والمطعم بن عدي وولده محدقون به بالسلاح، حتى دخل بيته. وقد حفظ رسول الله ﷺ للمطعم هذا الصنيع، فقال ﷺ في أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حيًّا ثم كلمني في هؤلاء

(١) البخاري: (١ / ٤٥٨)، مسلم: (٢ / ١٠٩)، مجمع الزوائد للهيتمي: (٧ / ٥٠).

(٢) طبقات ابن سعد: (١ / ١٤٢).

التنى لتركهم له»<sup>(١)</sup>.

---

(١) صحيح البخاري: (٢ / ٥٧٣).

## الإسراء والمعراج

س: متى أُسري برسول الله ﷺ وما حقيقة الإسراء والمعراج وما دليله وما الحكمة من ذلك؟.

ج: اختلف في تحديد زمن الإسراء والمعراج فقليل: قبل الهجرة بسنة، وقيل: قبل الهجرة بسنة وشهرين، وقيل: قبل الهجرة بسنة وأربعة أشهر. أما حقيقة الإسراء والمعراج فهي أنه أُسري برسول الله ﷺ بجسده على القول الصحيح من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، راكبًا على البراق، بصحبة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فنزل هناك وصلى بالأنبياء إمامًا<sup>(١)</sup>، وربط البراق في حلقة باب المسجد.

ثم عرج به تلك الليلة من بيت المقدس إلى السماء الدنيا، فاستفتح له، فرأى آدم أبو البشر، فسلم عليه فرحب به، ورد عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأقر بنبوته، ورأى أرواح السعداء عن يمينه وأرواح الأشقياء عن شماله، ثم عرج به إلى السماء الثانية، فرأى فيها ابني الخالة يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم فلقيهما وسلم عليهما فردا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فرحبا به وأقرًا بنبوته.

ثم عرج به إلى السماء الثالثة، فرأى فيها يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ فسلم عليه، فرد عليه ورَّحَّب به، وأقر بنبوته، يقول عنه الرسول ﷺ: «وقد أوتي شطر الجمال» ثم عرج به إلى السماء الرابعة، فرأى فيها إدريس فسلم عليه، فرد عليه ورَّحَّب به، وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فرأى فيها هارون، فسلم عليه فرد عليه ورَّحَّب به، وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء السادسة، فرأى فيها موسى، فسلم عليه فرد عليه ورَّحَّب به، وأقر بنبوته، فلما جاوزه بكى موسى فقليل: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي.

(١) صحيح مسلم: (١٦٢).

ثم عرج به إلى السماء السابعة، فلقى فيها إبراهيم عليه السلام فسلم عليه، فرد عليه ورحب به، وأقر بنبوته، ثم رفع إلى سدرة المنتهى ثم رفع إلى البيت المعمور، فرأى هناك جبريل على صورته الحقيقية، وله ستائة جناح، وهي التي وردت في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النجم].  
 والدليل على الإسراء قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْأَيْمَانِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء].  
 والدليل على المعراج وثمرته قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَ هَاجَتِ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [النجم].

أما حكمة الإسراء والمعراج فقد أشارت إليها الآيتان الكريمتان، ليرى آيات ربه تبارك وتعالى. وقد جاء الإسراء والمعراج لتأكيد الثقة في نصر الله عند رسول الله ﷺ وطمأنة قلبه، وإعطائه قوة كبيرة لمواجهة الصعاب المتألبة عليه، بعد أن عانى منها ما عانى.

**س: ماذا فرض على الرسول ﷺ في السماء السابعة، وهل رأى ربه، وهل كلمه؟**

**ج:** عندما صعد الرسول ﷺ إلى السماء السابعة وجد فيها رجلاً كهلاً مستنداً إلى البيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يرجعون إلى يوم القيامة، وكان هذا الرجل أشد شبهًا برسول الله ﷺ، وعندما سأل رسول الله ﷺ جبريل عنه قال له: هذا أبوك إبراهيم.

وهناك كلمه ربه تبارك وتعالى، وأعطاه ما أعطاه، وفرضت عليه وعلى أمته الصلاة، وكانت خمسين صلاة في اليوم واللييلة، فطلب من ربه تبارك وتعالى أن يخففها فلا يزال يطلبه التخفيف حتى خففها الله، فأصبحت خمس صلوات في اليوم واللييلة، وكان موسى عليه السلام كلما مر به رسول الله ﷺ يطلب منه

الرجوع إلى ربه وسؤاله التخفيف، وعندما خفت إلى خمس صلوات طلب منه موسى الرجوع وسؤال التخفيف، قال: «قد سألت ربي حتى استحييت، فما أنا بفاعل، فمن أداهن منكم إيماناً بهن واحتساباً لهن كان له أجر خمسين صلاة مكتوبة»، فنادى منادٍ: قد أمضيت فريضتي وخفت عن عبادي<sup>(١)</sup>.

أما رؤية النبي ﷺ لربه فقد ذكر فيها خلافٌ كثير، والحاصل أن الرؤية بالعين لم تثبت أصلاً وهو قول لم يقله أحد من الصحابة، وكانت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تمنع رؤية رسول الله ﷺ ربه وتقول: من قال أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله<sup>(٢)</sup>. وروى مسلم عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال: «رأيت نوراً»، وفي رواية أخرى عند مسلم قال: «نور أتى أراه».

#### س: ما موقف قريش من حادثة الإسراء والمعراج؟

ج: بعد عودة الرسول ﷺ من رحلة الإسراء والمعراج، خشي ﷺ أن يكذبه قومه إن أخبرهم، فأصبح ذلك اليوم مهموماً، وعندما أخبرهم بذلك اشتد تكذيبهم له ﷺ وطلبوا منه أن يصف لهم بيت المقدس، فجلاه الله له حتى عاينه، فأخذ يصفه لهم وهو ينظر إليه، فقالوا: أما النعت والله فقد أصاب<sup>(٣)</sup>.

وقد استنكروا أن يذهب رسول الله ﷺ إلى الشام ثم يعود في ليلة واحدة، وهم يضرِبون أكباد الإبل إلى بيت المقدس شهراً، ويعودون إلى مكة شهراً، ومحمد يزعم أنه أتى بيت المقدس في ليلة واحدة، ولقد ارتدَّ أناس ممن أسلم. أما أبو بكر فعندما أخبر الخبر صدَّقه دون تردد قائلاً: والله لئن كان قاله

(١) البخاري: الفتح: (١٣ / ٢٤ / ح / ٣٢٠٧)، مسلم: (١ / ١٤٩ / ح / ١٦٣)، أحمد: (٢٠ / ٢٤٧ - ٢٤٨).

(٢) انظر: البخاري: (٨ / ٤٦٩ - ٤٧٠)، مسلم (١٧٤).

(٣) البخاري: (٨ / ٢٩٧)، مسلم: (١٧٠)، أحمد (١ / ٣٠٩).

لقد صدق، ما يعجبكم من ذلك! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار، فهذا أبعد مما تعجبون منه، ثم أقبل على الرسول ﷺ يسأله عن وصفه، وكلما ذكر شيئاً قال له: صدقت، أشهد أنك رسول الله. فقال النبي ﷺ: «أنت يا أبا بكر الصديق» فيومئذ سماه الصديق. وقد أخبر قريشاً عن غيرهم رأها أنها بمكان كذا وكذا، وقد أضلوا بغيراً لهم، وعن وقت قدومها، وعن البعير الذي يقدمها، فكان ذلك كما قال. فلم يزداهم ذلك إلا ثبوراً، وأبى الظالمون إلا كفوراً<sup>(١)</sup>.

**س: هل كان الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ في حال يقظته أم كان ذلك مناماً؟**

**ج:** الحق في هذا والذي كان عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين أنه أسري بجسده ﷺ في حالة اليقظة، وقال ابن حجر<sup>(٢)</sup>: إن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد البعث، وأن قدرة الله لا يتعاضمها شيء، ثم إن كلمة «عبد» في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا...﴾ [الإسراء]، لا تطلق في لغة العرب وفهمهم إلا على الروح والجسد معاً، وأن جملة: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم]، تفيد كذلك الروح والجسد. ولذلك لو كان الإسراء والمعراج مناماً لما استنكرته قريش ولما ارتد بعض المسلمين، ولم يكن فيه شيء من الإعجاز، ثم كونه مناماً يخالف صريح الآيات الكريمة: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء].

(١) صحيح البخاري: (٦٨٤/٢)، مسلم: (٩٦/١).

(٢) الفتح: (٤٤/١٥).

### من مشاهداته ﷺ ليلة الإسراء

س: الإسراء والمعراج من المعجزات التي اختص الله تبارك وتعالى بها نبيه محمد وتقدم

ذكر الإسراء والمعراج، ولكن ما هي أبرز المشاهد لرسول الله ﷺ في تلك الليلة؟.

ج: قال ابن شهاب: وأخبرني ابن حزم<sup>(١)</sup> أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري يقولان: قال ﷺ: «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقدام». وفيه: «ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا تراها المسك»<sup>(٢)</sup>. وفي حديث مالك بن صعصعة: «فلما جاوزته - يعني: موسى - بكى، فنودي ما يبكيك؟ قال: رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخل من أمتي». وفيه: «ثم رفع لي البيت المعمور. فقلت: يا جبريل. ما هذا؟ قال هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه آخر ما عليهم»<sup>(٣)</sup>. وفي حديث أبي هريرة: «وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فحانت الصلاة فأمتهم، فقال قائل: يا محمد: هذا مالك خازن النار فسلم عليه، فالتفت، فبدأني بالسلام»<sup>(٤)</sup>.

وذكر ابن إسحاق في حديث أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ رؤيته آدم في سماء الدنيا تعرض عليه أرواح بنيه فيسر بمؤمنيها، ويعبس بوجهه عند رؤية كافرينها، ثم قال: «رأيت رجالاً لهم مشافر كمشافر الإبل، في أيديهم قطع من نار

(١) ابن حزم: هو أبو بكر محمد بن حزم بن عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان... قاضي المدينة زمان الوليد، وأميرها زمان ابن عمه عمر بن عبد العزيز....

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب الإسراء برسول الله ﷺ...) رقم / ١٦٣ / و(جنابذ): هي القباب، واحدها جنبذة.

(٣) البخاري: (ح/ ٣٢٠٧)، مسلم: (ح/ ١٦٤)، الترمذي (رقم / ٣٣٤٣)، النسائي: (١/ ٢١٧ - ٢١٨).

(٤) رواه مسلم: ح / ١٦٨ / المسند ٥٢٨ / ٢.



كالأفهار<sup>(١)</sup>، يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلماً».

قال: «ثم رأيت رجالاً لهم بطون لم أر مثلها قط، بسبيل آل فرعون، يمرون عليهم كالإبل المهيومة<sup>(٢)</sup>، حين يعرضون على النار يطؤونهم، لا يقدرّون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك». قال: «قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا». قال: «ثم رأيت رجالاً بين أيديهم لحم سمين طيب إلى جنبه لحم غث منتن يأكلون من الغث المنتن، ويتركون السمين الطيب». قال: «قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن». قال: «ثم رأيت نساء معلقات بثديهن. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال ما ليس من أولادهم»<sup>(٣)</sup>.

### فرض الصلاة

س: ما أول ما فرض على النبي ﷺ من التكاليف الشرعية، وما أهمية ذلك وكيف فرض؟.

ج: كان أول ما فرض الله تعالى على نبيه من التكاليف الشرعية الصلاة. روى عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: افترضت الصلاة على رسول الله ﷺ ركعتين ركعتين كل صلاة، ثم إن الله تعالى أتمها في الحضر - أربعاً وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين - رواه البخاري ومسلم.

ومما يذكر أنها قبل الإسراء كانت صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل

(١) (كالأفهار): جمع فهر، وهو الحجر ملء الكف.

(٢) (المهيومة): الإبل المصابة بالهيام، وهو داء يكسبها العطش، فتمص الماء مصاً ولا تروى.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٠٥/١ - ٤٠٦.

غروبها، ويشهد لهذا قول الله تعالى: ﴿ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَسَيِّحُ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [غافر].

وقد فرضت خمساً في الإسراء، وذلك قبل الهجرة بعام، وعليه فإن قول عائشة يحمل على أن الزيادة بعدما فرضت خمساً.

ولما فرضت الصلاة على رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فتوضأ والرسول ﷺ ينظر إليه ليريه كيفية الطهور للصلاة، ثم توضأ للصلاة لما رأى جبريل يتوضأ، عند ذلك صلى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ برسول الله ﷺ صلاة الظهر حين مالت الشمس، ثم صلى العصر- حين كان ظل كل شيء مثله، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس، ثم صلى العشاء حين ذهب الشفق الأحمر، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر. ثم جاءه غداً حين كان ظل كل شيء مثله فصلّى به الظهر، ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثليه، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس، ثم صلى به العشاء حين ذهب ثلث الليل ثم صلى به الفجر مسفراً غير مشرق، ثم قال: يا محمد الصلاة بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس.

### عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل

س: متى عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل، وما الهدف من ذلك العرض؟.

ج: في ذي القعدة من السنة العاشرة من النبوة عاد رسول الله ﷺ من الطائف إلى مكة، ليستأنف عرض الإسلام على القبائل والأفراد لاقتراب موسم الحج. وبدأ الرسول ﷺ يعرض نفسه في المواسم على القبائل العربية، يدعوهم إلى الإسلام، وإلى أن يمنعوه من الأعداء حتى يبلغ رسالة ربه، ويقول: يا بني فلان إني رسول الله إليكم، إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني

حتى أبين عن الله ما بعثني به، وكان أبو لهب يمشي وراءه ويقول: يا بني فلان إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلكوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفاءكم من بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه<sup>(١)</sup>.

س: أذكر قبائل العرب التي كان يعرض الرسول ﷺ عليها الإسلام، وهل استجابت للإسلام؟

ج: دعا رسول الله ﷺ إلى الإسلام عشر سنين يوازي المواسم كل عام يتبع الحجاج في منازلهم بمنى والموقف، يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة، ويسأل عن منازلهم ويأتي إليهم في أسواق المواسم، وهي عكاظ - وهي قرية بين مكة والطائف - كانوا يقيمون بها السوق من أول شهر ذي القعدة إلى عشرين منه، ثم ينتقلون إلى مجنة، فيقيمون بها السوق إلى نهاية شهر ذي القعدة، وهي موضع في وادي مر الظهران - وادي فاطمة - أسفل مكة، أما ذو المجاز فهو خلف جبل الرحمة - ناحية المغمس - وكانوا يقيمون هناك السوق من أول ذي الحجة إلى الثامن منه، ثم يتفرغون لأداء مناسك الحج، وهذه القبائل لم يكن عرض الإسلام عليها في سنة واحدة، ولا في موسم واحد، بل كان ذلك بين السنة الرابعة من النبوة إلى آخر موسم قبل الهجرة، وأهم تلك القبائل التي عرض عليها الرسول ﷺ نفسه ودعاهم إلى الإسلام هي:

١ - بنو كلب: فقد أتى ﷺ إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، حتى أنه ليقول: «يا بني عبد الله إن الله قد أحسن اسم أبيكم»، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم.

٢ - بنو حنيفة: أتاهم ﷺ في منازلهم فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه ردًا منهم.

(١) ابن هشام: (٧٤/٢)، أحمد: المسند (٤٩٢/٣، ٤٩١/٤).

٣ - بنو عامر بن صعصعة: أتاهم ﷺ فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فقال بحيرة بن فراس (رجلٌ منهم): والله لو أتي أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال: رأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر بعدك؟ قال: «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء»، فقال له: أنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه.

ومن القبائل التي دعاها الرسول ﷺ إلى الله وعرض عليها نفسه، محارب بن حفصة، وفزارة، وغسان، ومرة، وسليم، وعبس، وبنو النضر، وبنو البكاء، وعذرة، والحضارمة، وربيعة، وبنو شيبان الذين كان فيهم وعلى رأسهم: مفروق ابن عامر، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، فلم يستجب منهم أحد<sup>(١)</sup>، وقد تعللت هذه القبائل بحجج واهية، منها التريث ومشاورة من ورائهم.

### بدء إسلام الأنصار

س: كيف بدأ إسلام الأنصار ومتى كان ذلك؟.

ج: لما أراد الله تعالى إظهار دينه، وإعزاز نبيه، وإنجاز مواعده، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه نفرًا من الأنصار كلهم من الخزرج، جاء هؤلاء للحج في جملة من جاء سنة ١١ من النبوة وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبد الله بن رثاب<sup>(٢)</sup>، عند العقبة، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن، وكان مما مهد أفئدتهم لقبول الإسلام؛ أن اليهود

(١) ابن سعد في الطبقات: (١ / ٢١٦، ٢١٧)، أحمد: (٤ / ٣٤١)، ابن حبان: (١٦٨٣).

(٢) انظر: ابن هشام: (١ / ٤٢٧ - ٤٢٨).

كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب، وكانوا هم أهل شرك وأوثان، وكانوا قد غزوه في بلادهم، وكان إذا وقع بينهم وبين اليهود نفرة أو قتال، قال لهم اليهود: إن نبيًا مبعوث الآن، قد أظل زمانه، ستتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم<sup>(١)</sup>.

وهناك سبب آخر أدى إلى تمهيد أفئدة أهل المدينة لقبول الإسلام، وهو يوم بعث، فقد روى البخاري<sup>(٢)</sup> عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: «كان يوم بعث يومًا قدمه الله لرسوله ﷺ وقد افترق ملؤهم وقتلت سرايمهم وجرحوا فقدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم في الإسلام».

فلما دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام نظر بعضهم إلى بعض وقالوا: تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقونكم إليه، فأجابوه إلى ما دعاهم إليه من الإسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم إليهم وندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدّقوا، وهم فيما يذكر ستة نفر من الخزرج وكان ذلك في موسم الحج للسنة الحادية عشرة من النبوة، منهم: أسعد بن زرارة، وجابر بن عبد الله بن رثاب السلمي.

ولما رجع هؤلاء إلى المدينة حملوا إليهم رسالة الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

(١) زاد المعاد: (٣ / ٤٠)، ابن هشام: (١ / ٤٢٩، ٥٤١).

(٢) انظر: صحيح البخاري: (١ / ٥٥١).

(٣) الفتح: (١٤ / ٢٦٢) ح (٣٧٧٧).

## بيعة العقبة الأولى

س: متى كانت بيعة العقبة الأولى، وعلى ماذا كانت المبايعة، وبماذا عرفت هذه البيعة عند

أهل السير؟.

ج: ذكرنا أن ستة نفر من أهل يثرب أسلموا في موسم حج ١١ من البعثة، وأوعدوا رسول الله ﷺ بإبلاغ رسالته في قومهم، حتى إذا كان العام المقبل سنة ١٢ من البعثة، وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، خمسة من الستة الذين كانوا قد اتصلوا برسول الله ﷺ في العام السابق، معهم عبادة بن الصامت، وأبو الهيثم بن التيهان وغيرهم، فعن عبادة بن الصامت قال: كنت فيمن حضر بيعة العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء<sup>(١)</sup>، وذلك قبل أن تُفرض الحرب، بايعنا على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي بهتان نفتره بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فمن وفى فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه، فأمره إلى الله، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه<sup>(٢)</sup>. فلما انصرفوا بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقرئ بالمدينة، وكان يصلي بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض، وكان مصعب بن عمير - أول سفير في الإسلام - ويذكر أن العداوة التي

(١) سميت كذلك لأنها كانت على غرار الأمور التي ورد ذكرها في سورة الممتحنة خاصة ببيعة النساء،

وهي: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَّكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ۗ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة]، فأراد ببيعة النساء أنهم لم يبايعوه على القتال.

(٢) انظر: البخاري: (١ / ٧٠١ / ٥٥٠ / ٥٥١).

بينهم بسبب قتيل، فلبثت الحرب بينهم مائة وعشرين سنة، إلى أن أطفأها الله بالإسلام، وألّف بينهم برسول الله ﷺ، وذلك قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَءَاتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَءَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ؕ وَءَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ ءَعْدَاءَ ءَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَءَصَبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ ؕ ءِءْخَوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّءَارِ فَءَأْتَقَدْتُمْ مِّنْهَا كَذَءَلِكِ ؕ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ ءِءْيَتِهِ ؕ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران].

### إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وانتشار الإسلام في المدينة

س: كيف أسلم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير؟.

ج: لما بعث الرسول ﷺ مصعب بن عمير إلى يثرب ليعلم المسلمين شرائع الإسلام ويفقههم في الدين، نزل مصعب على أسعد بن زرارة، وأخذوا ييثان الإسلام في أهل يثرب بجدة وحماس، وكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدا قومهما من بني عبد الأشهل، وكانا على الشرك، وفي أحد الأيام خرج أسعد بن زرارة، ومعه مصعب بن عمير يريدان دار بني عبد الأشهل، فدخلوا حائطًا من حوائط بني ظفر، وجلسا على بئر يقال لها بئر مرق، واجتمع إليهما رجال من المسلمين، فلما سمع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير بذلك، قال سعد لأسيد: اذهب إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما، وانهما عن أن يأتيا دارينا، فإن أسعد بن زرارة ابن خالتي، ولولا ذلك لكفيتك هذا، فأخذ أسيد حربته وأقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يكلمني أكلمه، فوقف عليها فقال: ما جاء بكما إلينا؟ تسفهان ضعفاءنا اعتزلا إن كان لكما في أنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس وتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره، فقال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس، فكلمه مصعب

بالإسلام، وتلا عليه القرآن، وقال: فوالله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتهلله.

ثم قال: ما أحسن هذا وما أجمله، كيف تصنعون إن أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالوا: تغتسل وتطهر ثوبك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، ثم قام وعمل كل ذلك، وقال: إن ورائي رجلاً إن تبعكم لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرشده إليكما الآن - يقصد سعد بن معاذ - ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد، فلما رآه سعد قال: أحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وصل سأله سعد: ماذا عملت مع الرجلين، فقال: كلمتهما فوالله ما رأيت بهما بأساً، وقد نهيتهما، فقالوا: نفعل ما أحببت، ثم ذكر له أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك عندما عرفوا أنه ابن خالته، فقام سعد مغضباً وأخذ حربته ثم ذهب إلى أسعد ومصعب، وعندما رآهما مطمئنين عرف أن أسيد إنما يريد أن يسمع منهما، وعندما وقف عليهما قال لأسعد بن زرارة: والله يا أبا أمامة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، تغشاننا في دارنا بما نكره؟.

فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال: قد أنصفت، ثم ركز حربته فجلس، فعرض عليه مصعب الإسلام، وقرأ له القرآن، قال: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقته وتهلله، ثم قال: كيف تصنعون إذا أسلمتم، فذكر له نحواً مما قالوا لأسيد، ثم أخذ حربته فأقبل إلى نادي قومه، فلما رآوه قالوا: نحلف بالله لقد رجع بغير الوجه الذي ذهب به، فقال: يا بني عبد الأشهل، كيف أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا، وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيّة، قال: فإنّ كلام رجالكم ونساءكم عليّ حرامٌ حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فما أمسى فيهم رجلٌ ولا امرأة



إلا أسلموا، إلا الأصيرم فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد فأسلم وقاتل وقتل، ولم يسجد لله سجدة، فقال النبي ﷺ: «عملٌ قليلاً وأجرٌ كثيراً»<sup>(١)</sup>.  
 فأقام مصعب في منزل أسعد بن زرارة يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، وقبل حلول موسم الحج التالي - السنة الثالثة عشرة - عاد مصعب بن عمير إلى مكة يحمل إلى رسول الله ﷺ بشائر الفوز، ويقص عليه خبر قبائل يثرب وما فيها من مواهب الخير، وما لها من قوة ومنعة<sup>(٢)</sup>.

### البراء بن معرور وصلاته إلى الكعبة

س: من هو البراء بن معرور وإلى أين كان يصلي، ولماذا؟.

ج: قال كعب بن مالك: خرجنا في حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور<sup>(٣)</sup> سيدنا وكبيرنا، فلما وجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة، قال البراء لنا: يا هؤلاء، إني قد رأيت رأياً فوالله ما أدري أتوافقونني عليه أم لا؟ قلنا: وما ذلك؟ قال: رأيت ألا أدع هذه البنية مني بظهر - يعني الكعبة - وأن أصلي إليها، فقلنا: والله ما بلغنا أن نبينا ﷺ يصلي إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه، فقال: إني لمصل إليها، فقلنا له: لكننا لا نفعل، فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلنا إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة، وقد كنا عبنا عليه ما صنع وأبى إلا الإقامة على ذلك. فلما قدمنا مكة قال لي: يا بن أخي،

(١) صحيح البخاري: (٤ / ٢ / ١٨٩٩)، مسند أحمد: (٤ / ٣٥٧).

(٢) ابن هشام: (١ / ٤٣٥ - ٤٣٨، ٢ / ٩٠)، زاد المعاد: (٢ / ٥١).

(٣) ويكنى أبا بشر بابنه بشر بن البراء، وهو الذي أكل مع الرسول ﷺ من الشاة المسمومة في غزوة خيبر فمات من السم، والبراء هذا ممن صلى الرسول ﷺ على قبره وكبرَّ أربعاً.

انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ حتى نسأله عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله قد وقع في نفسي. منه شيءٌ لما رأيت من خلافتكم إياي فيه، قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ، وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك، فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ﷺ، فقال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا، فقال: هل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمّه؟ قلنا: نعم - وقد كان يقدم علينا تاجرًا - قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس. قال: فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله ﷺ جالس معه، فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله ﷺ للعباس: «هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟» قال: نعم، هذا البراء بن معرور، سيد قومه، وهذا كعب بن مالك، قال: فوالله ما أنسى قول الرسول ﷺ: «الشاعر؟»<sup>(١)</sup>. قال: نعم، قال البراء بن معرور: يا نبي الله، إني خرجت في سفري هذا، وقد هداني الله للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر، فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي. من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: «لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها»، قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ، وصلى معنا إلى الشام، قال: وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا؛ نحن أعلم به منهم<sup>(٢)</sup>.

(١) وهذا يدل على أهمية الشعراء في ذلك الوقت، وأن الشعر يعتبر أكبر وسيلة إعلامية لنشر الإسلام.

(٢) الروض الأنف (٢/٢٦٢).

## بيعة العقبة الثانية

س: متى كانت بيعة العقبة الثانية وكيف تمت البيعة، وما أهم بنود هذه البيعة؟

ج: لما كان العام المقبل - السنة ١٣ من النبوة - جاء موسم الحج من قد أسلم من الأنصار مع مشركي المدينة، وكان زعيمهم جميعاً البراء بن معرور، فقال المسلمون: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف؟، وجرت بينهم وبينه اتصالات سرية، وواعدوه العقبة من أوسط أيام التشريق للبيعة بعد انقضاء حجهم، ولما مضى - ثلث الليل اجتمعوا في الشعب عند العقبة، وهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان<sup>(١)</sup>، وجاء رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه، وقد أحب أن يحضر. أمر ابن أخيه ويتوثق له، وتكلم العباس وقال: يا معشر الخزرج - وكانت العرب يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجهما وأوسها - إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن رأيهم مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم وللحقوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون بما وعدتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد خروجه إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عزة ومنعة، قالوا: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت، وتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ولكم الجنة. فبايعوه، واستوثقوا منه ألا يدعهم ويرجع إلى قومه، فوعد بذلك رسول الله ﷺ فقال: «أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتهم، وأسالم من سالمتم» واختار رسول الله ﷺ منهم اثني

(١) والمرأتان هما: أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو، وهي التي قتل مسيلمة ابنها حبيب بن زيد، وأسماء

بنت عمرو بن عدي.

عشر نقيباً: تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، فكان أول من بايعه البراء بن معرور، فقال: والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرننا، فبايعنا يا رسول الله فنحن أهل الحرب والحلقة ورثناها صاغراً عن كابر. ثم قال ﷺ: «أخرجوا إليّ اثني عشر نقيباً كفلاء على قومهم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومي»<sup>(١)</sup> يعني المسلمين، قالوا: نعم.

قال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟ قال: «على السمع والطاعة، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقوموا في الله ولا تأخذكم في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة».

### النقباء

س: اذكر النقباء في بيعة العقبة الثانية وناذا طلب الرسول ﷺ من أهل يثرب أن يخرجوا

له اثني عشر نقيباً؟

ج: وبعد البيعة - بيعة العقبة الثانية - طلب الرسول ﷺ منهم أن يخرجوا اثني عشر نقيباً، يكونون عليهم، ويحملون المسئولية عنهم، فأخرجوا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس.

■ من الخزرج:

- |                               |                                 |
|-------------------------------|---------------------------------|
| ١ - سعد بن عبادة بن دليم.     | ٢ - أسعد بن زرارة بن عدس.       |
| ٣ - سعد بن الربيع بن عمرو.    | ٤ - عبد الله بن رواحة بن ثعلبة. |
| ٥ - رافع بن مالك بن العجل.    | ٦ - البراء بن معرور بن صخر.     |
| ٧ - عبد الله بن عمرو بن حرام. | ٨ - عبادة بن الصامت بن قيس.     |

(١) مسند أحمد (٣ / ٤٦١، ٤٦٢).

٩ - المنذر بن عمرو بن خنيس.

▪ ومن الأوس:

١٠ - أسيد بن حضير بن سماك. ١١ - سعد بن خيشمة بن الحارث.

١٢ - رفاعة بن عبد المنذر بن زبير. وقيل: أبو الهيثم بن التيهان.

فلما تم اختيارهم قال رسول الله ﷺ: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء

ككفالة الخواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومي»، قالوا: نعم.

س: كيف عرفت قريش ببيعة العقبة الثانية، وما موقفها من هذه البيعة؟

ج: بعد أن تمت بيعة العقبة وكان القوم على وشك مغادرة المكان، صرخ الشيطان بأنفذ صوت سمع قط: يا أهل الجباب هل لكم في مذمم والصباة معه، قد اجتمعوا على حربكم، فقال رسول الله ﷺ: «هذا أذب العقبة، والله يا عدو الله لأفرغن لك»<sup>(١)</sup> ثم قال رسول الله ﷺ: «ارفضوا إلى رحاكم»، فقال له العباس بن عباد بن نائلة: والذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل مكة غدًا بأسيافنا، فقال رسول الله ﷺ: «لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم»، فرجعوا وناموا حتى أصبحوا. قال كعب بن مالك: فلما أصبحنا غدت علينا جلة من قريش حتى جاءونا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا البارحة، تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم، ولما كان مشركو الخزرج لا يعرفون شيئاً عن هذه البيعة؛ لأنها تمت في سرية تامة، وفي ظلام الليل، انبعث هؤلاء المشركون يملفون بالله: ما كان من

(١) ابن هشام: (٤٤٠، ٤٤٧)، مسند أحمد: (٤٦٠/٣، ٤٦٢)، وسنده صحيح. والجباب: منازل منى، والمذمم: المذموم وهو قلب لاسمه ﷺ منهم بعد نبوته تنفيساً لحقدهم وعداوتهم، والصباة: جمع صابئ وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي ﷺ، أطلقته قريش على كل من يفارق دينها، ويدخل في الإسلام، وأذب العقبة: اسم شيطان.

شيء وما علمنا، حتى أتوا عبد الله بن أبي ابن سلول، جعل يقول: هذا باطل، وما كان هذا، وما كان قومي ليفتاتوا - ليكذبوا - عليّ مثل هذا، لو كنت يشرب ما صنع قومي هذا حتى يأمروني - يشاوروني - فخرجت قريش من عندهم<sup>(١)</sup>.

أما المسلمون فنظر بعضهم إلى بعض ثم لاذوا بالصمت، فلم يحدث منهم أحد بنفي أو إثبات، ومال زعماء قريش إلى تصديق المشركين فرجعوا خائبين، فلما انفصلت الأنصار عن مكة أصبح الخبر عند قريش فخرجوا في طلب القوم، فأدركوا سعد بن عبادة والمندر بن عمرو، فأفلت المنذر منهم وقبضوا على سعد وعادوا به إلى مكة، مغلولة يدها إلى عنقه، يجذبونه من شعره، ويلكزونه حتى أنقذه الله منهم بجبير بن مطعم والحارث بن حرب، إذ كان سعد يجير لهما قوافلها المارة بالمدينة المنورة في طريقها من وإلى الشام، فخلصاه من أيديهم.

### إسلام عبد الله بن عمرو بن حرام<sup>(٢)</sup>

س: من هو عبد الله بن حرام وكيف أسلم، ومتى، وما أهمية إسلامه؟

ج: يذكر عبد الله بن كعب بن مالك أن أباه حدثه، قال: خرجنا إلى الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا وشريف من أشرفنا، أخذناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرفنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا، ثم دعونا إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة، قال: فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا.

(١) زاد المعاد: (٣ / ٤٤).

(٢) الروض الأنف: (٢ / ٢٧٨).

### إسلام عمرو بن الجموح وقصة صنمه (١)

س: من هو عمرو بن الجموح، اذكر قصة صنمه وكيف أسلم؟.

ج: عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب، وكان ابنه معاذ من شهد العقبة، وبايع رسول الله ﷺ، وكان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بني سلمة، وشريفاً من أشرفهم، وكان قد اتخذ صنماً في داره من خشب، يقال له: مناة، كما كانت الأشراف تفعل، فلما أسلم فتيان بني سلمة: معاذ بن جبل، وابنه معاذ بن عمرو بن الجموح، في فتیان منهم ممن أسلم وشهد العقبة، كانوا يدجون بالليل على صنم عمرو ذلك، فيحملونه ويطرحونه في بعض حفر بني سلمة، وفيها عذرة الناس، منكساً على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدى على آلهتنا هذه الليلة؟ قال: ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجدته غسله وطهره وطيبه، ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزينه، فإذا أمسى ونام عمرو عدوا عليه، ففعل به مثل ذلك، فيغدوا فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى، فيغسله ويطهره ويطيبه، ثم يغدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك، فلما أكثروا عليه، استخرجه من حيث ألقوه يوماً، فغسله وطهره وطيبه، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال: إني والله ما أعلم من يفعل بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع، فهذا السيف معك، فلما أمسى ونام عمرو غدوا عليه، فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتاً، فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة، فيها عذرة من عذرة الناس، ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يجده في المكان الذي كان فيه، فخرج يتبعه حتى وجدته في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت، فلما رآه وأبصر شأنه، وكلمه من أسلم من قومه، فأسلم يرحمه الله،

(١) المرجع السابق: (٢ / ٢٦٤).

وحسن إسلامه، فقال حين أسلم، وعرف من الله ما عرف، وهو يذكر صنمه ذلك، وما أبصر من أمره ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة:

والله لو كنت إلهًا لم تكن أنت وكلب وسط بئر في قرن  
أفّ لملكك إلهًا مستدن الآن فتشناك عن سوء غبن  
الحمد لله العلي ذي المنن الواهب الرزاق ديان الدين  
هو الذي أنقذني من قبل أن أكون في ظلمة قبر مرتين  
بأحمد المهدي النبي المرتين

وعمر وبن الجموح هذا شهد غزوة أحد، وهو شيخ كبير وبه عرج شديد لا يستطيع القتال، وبالرغم من ذلك قاتل حتى قتل، كما سيأتي.

### الهجرة إلى المدينة

س: اذكر أسباب الهجرة إلى المدينة، ومن أول من هاجر إلى المدينة؟.

ج: أهم أسباب الهجرة:

١ - الابتلاء والاضطهاد: من المعلوم أن الرسول ﷺ منذ أعلن دعوته وهو يتعرض لشتى أنواع المضايقات هو ومن أسلم معه، ولذا كان يفكر رسول الله في طلب الحماية خارج مكة، عندما استعصت عليه، ومما يؤكد أن الابتلاء والاضطهاد كانا سبباً من أسباب الهجرة إلى المدينة قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في سبب هجرة أبيها إلى المدينة: استأذن أبو بكر النبي ﷺ في الخروج حين اشتد عليه الأذى...<sup>(١)</sup>.

(١) البخاري: الفتح: (١٥ / ٢٧١) ح (٢٠٩٣).



- ٢ - وجود حماية للدعوة تمكنها من السير في طريقها: يفهم ذلك من نصوص بيعة العقبة الثانية، كما رواها الإمام أحمد وغيره.
- ٣ - تكذيب زعماء قريش، ومعظم العامة للرسول ﷺ فأجبروه أن يفكر في قوم آخرين يصدقونه، وقد عبّر سعد بن معاذ عن هذا المعنى في قوله: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحدٌ أحب إليَّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك ﷺ وأخرجوه، وفي رواية: من قوم كذبوا نبيك وأخرجوه من قريش<sup>(١)</sup>. وذكر ابن إسحاق أن تكذيب قريش الرسول ﷺ كان من أسباب الهجرة.
- ٤ - مخافة الفتنة في الدين: وذلك واضح من قول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عندما سئلت عن الهجرة: «كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى، وإلى رسوله مخافة أن يفتن عليه»<sup>(٢)</sup>.
- وقد أذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى المدينة، واللحوق بإخوانهم من الأنصار، وقال: «إن الله ﷻ قد جعل لكم إخواناً وداراً يأمنون بها، فبادروا إليها». وكان أول من خرج: أبو سلمة بن عبد الأسد، وزوجته أم سلمة، ولكنها حبست عنه سنة، وحيل بينها وبين ولدها، ثم خرجت بعد هي وولدها إلى المدينة، ثم خرج المسلمون أرسالاً يتبع بعضهم بعضاً<sup>(٣)</sup>.
- وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر الإذن من الله في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة.

(١) البخاري: الفتح (١٥ / ٨٢ - ٨٣ / ح ٣٩٠١).

(٢) المصدر السابق: (ح / ٣٩٠٠).

(٣) ابن هشام: (١ / ٤٦٩).

س: ما موقف قريش من هجرة أصحاب الرسول ﷺ إلى المدينة، اذكر تأمرهم بدار الندوة؟.

ج: لما رأى المشركون أصحاب رسول الله ﷺ قد تجهزوا وخرجوا بأهلهم إلى المدينة وإنها دار منعة، وأن القوم أهل حَلَقَةٍ وشوكة وبأس، فخافوا خروج رسول الله ﷺ إليهم وحقوقه بهم، فيشتد أمره عليهم، فاجتمعوا في دار الندوة.

### في دار الندوة

عندما علم المشركون بما تم بين الرسول ﷺ والأنصار في العقبة الثانية، وعندما رأوا المسلمين يهاجرون إلى المدينة زرافات ووحداناً، خشوا من تجمع المسلمين بالمدينة، وخروج الرسول ﷺ ليقودهم نحو تحقيق ما يريدون، لذا قرروا التخلص من رأس هذا الكيان الجديد.

ففي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة الموافق (٦٢٢م) عقد زعماء قريش اجتماعاً خطيراً في دار الندوة، وهي دار قصي. ابن كلاب التي كانت قريش لا تقضي -أمراً إلا فيها، ليتشاوروا في أفضل الوسائل للتخلص من الرسول ﷺ وحضرهم إبليس في صورة شيخ من أهل نجد<sup>(١)</sup> فتذكروا أمر رسول الله ﷺ وقد ذكر مضمون الآراء التي طرحت في ذلك الاجتماع فقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينِ﴾ (٣٠) [الأنفال].

وعندما دارت المناقشة واقترح أحد المؤتمرين أن يجسوا الرسول ﷺ، قال الشيخ النجدي: لا والله، ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون؛

(١) الروض الأنف: (٢ / ٢٢٩)، وقال: وإنما قال لهم: إني من أهل نجد - فيما ذكر بعض أهل السير - لأنهم قالوا: لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة؛ لأن هواهم مع محمد، لذلك تمثل لهم في صورة شيخ نجد.

(٢) ليثبوتك: أي ليسجنوك.

ليخرجن أمره من وراء الباب هذا الذي أغلقتموه دونه إلى أصحابه، فلا وشكوا أن يثبوا عليكم فيتنزعوه من أيديكم، ثم يكاثرونكم به حتى يغلبوكم على أمركم. ثم اقترح أحدهم أن ينفوه من مكة، فدحض النجدي الاقتراح مبيناً أن حسن حديث الرسول ﷺ ومنطقه وأسره القلوب سيجذب الناس إليه، ويغلب بهم قريشاً، وأخيراً اقترح أبو جهل أن يأخذوا من كل قبيلة شاباً نسيباً وسيطاً فيهم، ويعطى كل واحد منهم سيفاً صارماً، فيضربونه جميعاً بأسيا فيهم ضربة رجل واحد، ليتفرق دمه في القبائل، ولا يقدر بنوا عبد مناف على حرب قومهم جميعاً فيرضوا بالدية، فقال الشيخ: لله در هذا الفتى، هذا والله الرأي، فتفرقوا على ذلك.

فجاء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فأخبر الرسول ﷺ بذلك، وأمره ألا ينام في مضجعه تلك الليلة<sup>(١)</sup>.

#### س: كيف أذن لرسول الله ﷺ بالهجرة؟

ج: بعد أن اتخذ سادات قريش قرارهم الحاسم بقتل الرسول ﷺ أتى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول الله ﷺ وأخبره بمؤامرة قريش، وأن الله قد أذن له في الخروج وحدد له وقت الهجرة قائلاً: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت فيه.

وذهب النبي ﷺ في الهجرة إلى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وقت لم يعتد أن يزوره فيه، وهو أشد ما يكون في حرارة النهار، وكان ﷺ متقنعاً، وعندما أخبر أبو بكر بقدومه علم أن قدومه في تلك الساعة وبتلك الكيفية، إنما هو لأمر خطير، وعندما أذن له أبو بكر بالدخول طلب النبي ﷺ منه أن يخرج من عنده حتى لا يعرف ما

(١) ابن هشام: (١ / ٤٨٠ - ٤٨٣).

يقول له، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد أذن لي في الخروج»، فقال: الصحبة يا رسول الله، قال: نعم. فقال أبو بكر: فخذ بأبي أنت وأمي إحدى راحلتي هاتين، فقال ﷺ: «بالثمن»<sup>(١)</sup>.

### س: كيف خطط النبي ﷺ وأبو بكر للهجرة؟.

ج: أخذ الرسول ﷺ وأبو بكر في وضع خطة للهجرة وإبطال كيد الكافرين، وكانت الخطة كما ذكرها البخاري<sup>(٢)</sup> وابن إسحاق كالآتي:

١ - أن يخرجوا ليلاً إلى غار ثور في الجهة الجنوبية الغربية من مكة، وفي هذا تمويه على الكفار؛ لأن أنظارهم ستتجه للبحث عن رسول الله ﷺ إلى الجهة الشمالية، جهة المدينة.

٢ - أن يمكثوا في الغار ثلاثة أيام حتى يخف الطلب عليهما.

٣ - استأجروا دليلاً ماهراً عارفاً بطرق الصحراء ليقودهما إلى المدينة وهو عبد الله بن أريقط الديلي، وقد استكتماه الخبر، وكان مشرّكاً، وطلبوا أن يلحق بهما في غار ثور بعد ثلاثة أيام، ودفعا إليه بالراحتين اللتين اشتراهما أبو بكر، وكان يعلفهما لهذا اليوم.

٤ - وضعت لهما أسماء بنت أبي بكر زاداً ووضعته في جراب وقطعت من نطاقها فربطت به فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين<sup>(٣)</sup>.

٥ - أمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقوله الناس عنهما في النهار، فبأتيهما به في الليل في غار ثور، ثم يرجع إلى مكة في السحر ليصبح في قريش.

٦ - أمر مولاه عامر بن فهيرة أن يرعى غنمه نهاراً ثم يريجها عليهما في الغار

(١) البخاري: (٧ / ١٨٣).

(٢) البخاري: الفتوح: (١٥ / ٨٨) ح (٣٩٠٥)، ابن هشام (٢ / ١٤٠)، مسند (٥ / ٢٥).

(٣) ابن سعد: (١ / ٢٢٩)، البخاري: (٧ / ١٨٣ - ١٨٤).

إذا أمسى ليطعمهما من ألبانها، ويزيل بها آثار أقدام عبد الله بن أبي بكر.

٧- أمر أسماء أن تأتيهما بالطعام كل مساء.

٨- انطلق الرسول ﷺ إلى علي بن أبي طالب فأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، وأمره أن ينام في فراشه، ويتسجى ببرده الحضرمي الأخضر- الذي ينام فيه، وطمأنه بأنه لن يصل إليه منهم شيء يكرهه وذلك للتمويه<sup>(١)</sup>.

٩- أمر أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عامر بن فهيرة أن يصحبهما في هجرتهما ليخدمهما ويعينهما في الطريق.

**س: ماذا عملت قريش لتنفيذ ما خططته من قتل الرسول ﷺ وكيف خرج الرسول ﷺ**

**من بيته تلك الليلة؟**

**ج:** كان أكابر مجرمي قريش قد قضوا جزءاً من نهارهم في الإعداد لتنفيذ الخطة التي رسموها، وقد اختاروا لذلك أحد عشر- رئيساً، من هؤلاء الأكابر على رأسهم أبو جهل بن هشام، والحكم بن أبي العاص، وعقبة بن أبي معيط، والنضر- بن الحارث، فلما كانت عتمة الليل اجتمعوا على بابه ﷺ يرصدونه حتى ينام، فيثبون عليه<sup>(٢)</sup>، وكانوا على ثقة ويقين جازم من نجاح هذه المؤامرة الدنيئة، حتى وقف أبو جهل وقفة الزهو والخيلاء قائلاً لأصحابه: إن محمداً يزعم أنكم إن تبعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم ناراً تحرقوا بها.

(١) ابن هشام: (٤٨٢/١).

(٢) ابن هشام: (٤٨٢/١ - ٤٨٣).

وكان ميعاد تنفيذ المؤامرة بعد منتصف الليل، ومع غاية استعداد قريش لتنفيذ خطتهم فقد فشلوا فشلاً فاحشاً، فخرج رسول الله ﷺ واخترق صفوفهم وأخذ حفنة من البطحاء فذرها على رؤوسهم وهو يتلو: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس:١]، ولم يبق منهم رجلٌ إلا وضع على رأسه تراباً، ومضى إلى بيت أبي بكر فخرجوا من خوذة في دار أبي بكر ليلاً، حتى لحقا بغار ثور، والمحاصرون ينتظرون ساعة الصفر، فبينما هم ينتظرون جاءهم رجل ممن لم يكن معهم ورآهم على بابه ﷺ، فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: نتظر محمداً، قال: خبتم وخسرتم، قد والله مر بكم وذر على رؤوسكم التراب، وانطلق لحاجته، قالوا: والله ما أبصرناه، وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم وكان ذلك ليلة ٢٧ صفر سنة ١٤ من النبوة، فلما أصبحوا قام علي رضي الله عنه عن فراشه، فسأله عن محمد فقال: لا علم لي به<sup>(١)</sup>.

#### س: ماذا عملت قريش بعد فشل خطتها؟

ج: في طريق الرسول ﷺ وأبي بكر - وقبل أن تختفي مكة عن الأنظار - التفت الرسول ﷺ وأخذ ينظر إليها وهو يقول: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك لما خرجت»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية أخرى: «ما أطيبك وأحبك إليّ ولولا أن قومي أخرجوني منك لما سكنت غيرك» أما المشركون فعندما باءت خطتهم بالفشل أخذوا في وضع خطط أخرى للعثور على الرسول ﷺ، ومن ذلك:

١ - إلقاء القبض فوراً على عليّ والتحقيق معه، وحبسه عند الكعبة حتى

يصلوا إلى معلومات تساعد في العثور على الرسول ﷺ.

(١) ابن سعد: (١ / ٢٢٧، ٢٢٨)، ابن هشام: (١ / ٤٨٣).

(٢) الترمذي في التحفة: (١٠ / ٤٢٦)، المستدرک: (٣ / ٧).

- ٢ - جاء نفر منهم إلى منزل أبي بكر، ومنهم أبو جهل لعلمهم يجدونه هناك، ويفعلون به مثلما فعلوا بعلي، فخرجت إليهم أسماء، فسألوها عن والدها فقالت: لا أدري، فغضب أبو جهل لهذا الجواب فلطمها لكمة أطاح منها قرطها.
- ٣ - وضعوا جميع الطرق النافذة من مكة تحت المراقبة.
- ٤ - قرروا منح جائزة مقدارها دية كل من رسول الله ﷺ وأبي بكر لمن يعثر عليهما حين أو ميتين مائتين من الإبل<sup>(١)</sup>.
- ٥ - استأجروا قصاص الأثر؛ ليتبعوا آثارهما حيثما حلّا.
- س: ماذا عملت قريش بعد فشل خطتها في قتل الرسول ﷺ؟**

ج: ذكرنا أن قريشاً قد جعلت الطرق والمنافذ من مكة تحت المراقبة، ووضعت جائزة كبيرة لمن يعثر على الرسول ﷺ وأبي بكر ثم إنها استأجرت قصاص الأثر ليتبعوا آثارهما، وعلى هذا الأساس جددت قريش في طلبها، وأخذوا معهم القافة -قصاص الأثر- حتى انتهوا إلى باب الغار، فوقفوا عليه، ويذكر أن العنكبوت قد نسجت على بابه، فقال أبو بكر: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا، فقال ﷺ: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إن الله معنا»<sup>(٢)</sup> وكانا يسمعان كلامهم، إلا أن الله عمى عليهم أمرهما، وكانت معجزة أكرم الله بها نبيه ﷺ، فقد رجع المطاردون حين لم يبق بينه وبينهم إلا خطوات معدودة، ومكثا في الغار ثلاثاً حتى خمدت نار الطلب، فجاءهما ابن أريقط بالراحتين فارتحلا، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة.

(١) البخاري: الفتح: (١٥ / ٩٣) ح (٣٩٠٦)، ابن هشام: (٢ / ١٥٢).

(٢) البخاري: الفتح: (١٧ / ٢٠٥) ح (٤٦٦٣)، مسلم: (٤ / ١٨٤٣) ح (٢٣٨١).

### خبر سراقاة بن مالك

س: ماذا فعل الرسول ﷺ وصاحبه بعد أن خف الطلب عليهما وهما بالغار؟.

ج: ذكرنا أن الرسول ﷺ وصاحبه مكثا في الغار ثلاثة أيام حتى نخذت نار الطلب، وجاءهما عبد الله بن أريقط بالراحلتين، فارتحلا متجهين إلى المدينة، وسار عبد الله بن أريقط الديلي أمامهما على راحلته، فلما مروا بحي من بني مدلج<sup>(١)</sup>، رأهم رجلٌ فوقف على الحي وقال: لقد رأيت أنفاً بالساحل أسودة<sup>(٢)</sup> ما أراها إلا محمداً وأصحابه، وقد شاع في ذلك خبر الجائزة التي وضعتها قريش لمن يأتي بمحمد، فأخذ كل واحد يبعث ويتحرى لعله يفوز بهذه الجائزة، وهي مائة بعير لكل واحد من محمد وأبي بكر، ففطن سراقاة بن مالك لذلك الأمر، وأراد أن يكون الظفر له، فقال لذلك الرجل: بل هما فلان وفلان، خرجا في طلب حاجة لهما، ومكث قليلاً ثم خرج وركب فرسه، فلما قرب منهما، وسمع قراءة النبي ﷺ، وأبو بكر يكثرا الالتفات، والرسول ﷺ لا يلتفت، قال أبو بكر: يا رسول الله هذا سراقاة بن مالك قد رهقنا -دنا مِنّا- فدعا عليه رسول الله فساخت يدا فرسه في الأرض، فقال: قد علمت أن الذي أصابني بدعائكم، فادعوا الله لي ولكما عليّ أن أرد الناس عنكم، فدعا له ﷺ، فأطلق، وسأل رسول الله ﷺ أن يكتب له كتاباً، فكتب له أبو بكر كتاباً في أديم، فكان ذلك الكتاب إلى يوم فتح مكة، فرجع فوجد الناس في الطلب، فجعل يقول: قد كفيتم ماها هنا<sup>(٣)</sup>، فكان أول النهار جاهداً عليهما، وكان

(١) البخاري: الفتح: (١٥ / ٩٣ - ٩٦) ح (٣٩٠٦)، مسلم: (٤ / ٣٠٩) ح (٢٠٠٩).

(٢) أسودة: جمع أسود وهو الشخص يرى عن بعد ولا يعرف من هو.

(٣) البخاري: الفتح: (١٥ / ٩٧ - ٩٨) ح (٢٩٠٦) ح (٣٩٢٥)، ابن هشام (٢ / ١٥٦، ١٥٧)، الحاكم في

المستدرک (١١/٣).



آخره حارسياً لهما<sup>(١)</sup>، وقد جاء مسلماً عام الفتح، ودفع إلى رسول الله ﷺ الكتاب الذي كتبه له، فوفى له رسول الله بها وعده، وقال: «يوم وفاء وبر»، ويومها أسلم سراقه، واتخذ رسول الله ﷺ طريقه إلى المدينة بصحبة أبي بكر، ودليلهما عبد الله بن أريقط طريق الساحل، ثم سلك على أسفل أمج، ثم قديد، ثم الخرار، ثم ثنية مرة، ثم استمر في مسيره حتى قدم قباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الإثنين حين اشتد الضحى، وكادت الشمس تعادل<sup>(٢)</sup>.

### قصة أمر معبد

س: من هي أم معبد، واذكري بإيجاز قصتها مع رسول الله ﷺ؟.

ج: أم معبد واسمها: عاتكة بنت خالد الخزاعية، امرأة من بني كعب. نزل رسول الله ﷺ، وأبو بكر وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن أريقط، وهم في طريقهم إلى المدينة بخيمتها، وهي جالسة بفنائها، وقد كانت تطعم من مر بها، فسألها إن كان عندها من طعام، فقالت: والله لو كان عندنا ما أعوزناكم، فأبصر- رسول الله ﷺ في الدار شاة تخلفت عن الغنم من شدة ما بها من جهد وهزال، فقال ﷺ: «هل بها من لبن؟»، قالت: هي أجهد من ذلك، قال: «أتأذنين لي في حلبها»، قالت: نعم - بأبي أنت وأمي - إن رأيت بها حليباً فاحلبها، فمسح رسول الله ﷺ ضرعها بيده وسمى الله ودعا، فدر لبنها ودعا بإناء، فحلب فيه حتى علت الرغوة، فسقاها فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا ثم شرب هو، ثم حلب فيه ثانية فملاً الإناء ثم تركه عندها ثم ارتحل هو وصاحبه، فلم

(١) البخاري: (الفتح) (١٤ / ١٢٠) ح (٣٦١٥).

(٢) المصدر السابق: (١٥ / ١٠٧ - ١٠٨) ح (٣٩١١).

تلبث أن جاء زوجها، فلما رأى اللبن، قال: من أين هذا؟ والشاة عازب ولا حلوبة في البيت، قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك، ومن حديثه كيت وكيت، ومن حاله كذا وكذا، قال: والله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلبه، صفيه لي.

### وصف أم معبد لرسول الله ﷺ

س: بماذا وصفت أم معبد رسول الله ﷺ؟

ج: قالت أم معبد في وصف الرسول ﷺ وقد ذكر بعض كتاب السير أن وصف أم معبد لرسول الله ﷺ أفضل وصف وأشمله ولم يصفه أحد بهذا الوصف قبل أم معبد. قالت: ظاهره الوضاعة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تبعه ثجلة، ولم تزر به صعلة، وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثائة، أحور أكحل، أزج أقرن، شديد سواد الشعر، إذا صمت علاه الوقار، وإذا تكلم علاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنهم وأحلاهم من قريب، حلوا المنطق فصل، لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربعة لا تقتحمه عين من قصر، ولا تشنؤه من طول، غصن بين غصنين فهو أنضر. الثلاثة منظرًا، وأحسن قدرًا، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفند<sup>(١)</sup>، فقال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذي تطلبه ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن، إن وجدت إلى ذلك سبيلاً.

(١) حديث حسن أخرجه الحاكم (٣ / ٩ - ١٠)، والهيتمي في المجمع (٦ / ٥٨)، والحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣ / ١٩٢ - ١٩٤).

وكسر الخيمة: جانبها، أبلج الوجه: مشرقه ومسفره. والثجلة: ضخامة البطن، والصعلة: صغر الرأس، الوسيم والقسيم: الحسن، والدعج: سواد العين، وقولها في أشفاره وطف: أي في شعر أجفانه طول، والمحفود: الذي يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون في طاعته، والمحشود، هو الذي يجتمع إليه الناس، وقولها: لا عابس ولا مفند: المفند الذي يكتر لومه.

### س: كيف عرفت مكة خبر هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة؟.

ج: قالت أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مكثنا ثلاث ليالٍ لا ندري أين توجه رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل من الجن من أسفل مكة، وهو ينشد بأبيات، والناس يتبعونه، ويسمعون صوته، ولا يرونه، حتى خرج من أعلاها، قالت: فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه رسول الله ﷺ وأن وجهته إلى المدينة، وهذه بعض الأبيات التي سمعت:

جزى الله رب العرش خير جزائه رقيقين حلا خيمتي أم معبد  
 هما نزلًا بالبر وارتحلا به وأفلح من أمسى رفيق محمد  
 فيا لقصبي ما زوى الله عنكم به من فخار لا يحاذي وسؤدد  
 سلوا أختكم عن شاتها وإنائها فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد  
 ليهنى بني كعب مكان فتاتهم ومقعدهما للمؤمنين بمرصد<sup>(١)</sup>

### وصول النبي ﷺ إلى المدينة مهاجرًا

س: متى وصل الرسول ﷺ إلى المدينة مهاجرًا، وأين نزل أول وصوله لها، وعلى من نزل بها، وكم مكث، وأين استقر به المقام بعد ذلك؟.

ج: لما بلغ الأنصار خروج رسول الله ﷺ من مكة مهاجرًا إلى المدينة كانوا يخرجون كل يوم ينتظرونه، فإذا اشتد الحر عادوا إلى بيوتهم، فلما كان يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول على رأس ثلاث عشرة سنة من النبوة، وافاهم رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى، وكان قد خرج الأنصار يومئذ، فلما طال عليهم الانتظار رجعوا إلى بيوتهم، وكان أول من أبصره رجلٌ من اليهود، وكان على

(١) زاد المعاد (٣ / ٥٢).

سطح أطمه - بناء مرتفع كالحصن - فنادى بأعلى صوته: يا بني قيلة هذا جدكم - حظكم - الذي تنتظرون! (١) فخرج الأنصار في سلاحهم، وحيوه بتحية النبوة، ونزل رسول الله ﷺ أول ما نزل بقاء في بني عمرو بن عوف، ونزل على كلثوم بن الهدم، وقيل: على سعد بن خيثمة، والأول أثبت، وجاء المسلمون يسلمون على رسول الله ﷺ وأكثرهم لم يره بعد، وكان بعضهم أو أكثرهم يظنه أبا بكر، لكثرة شبيهه، فلما اشتد الحر قام أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بثوب يظلل على رسول الله ﷺ فتحقق الناس حينئذ رسول الله ﷺ، فأقام بقاء أربعة عشر يوماً على أكثر الأقوال، وأسس مسجد قباء، وهو أول مسجد بني في الإسلام (٢)، وفي أهله نزلت: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا [التوبة] ﴾، ثم ركب بأمر الله تعالى فأدرته الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاًها في المسجد الذي في بطن وادي رانونا، ورغب إليه أهل تلك الدار أن ينزل عليهم فقال ﷺ: «دعوها فإنها مأمورة» فلم تزل ناقتة سائرة لا تمر بدار من دور الأنصار إلا رغبوا إليه في النزول عليهم، فيقول: «دعوها فإنها مأمورة» فلما جاء موضع مسجده - اليوم - بركت ناقتة ﷺ حتى نهضت وسارت قليلاً ثم التفتت ورجعت وبركت في موضعها الأول، فنزل عنها رسول الله ﷺ، وذلك في بني النجار، فحمل أبو أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رحل الرسول ﷺ إلى منزله (٣).

**س: ماذا عمل رسول الله ﷺ بعد قدومه المدينة؟**

**ج: بعد أن أقام رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب الأنصاري، وبني حُجره**

(١) البخاري: (١ / ٥٥٥).

(٢) ابن سعد في الطبقات: (١ / ٢٣٣)، البخاري: (٧ / ١٨٩ - ١٩٠).

(٣) البخاري: (٧ - ١٩٦ - ١٩٧) مسلم: (٣ - ١٦٢٣) ح (١٧١) ابن سعد: (١ - ٢٣٧) ابن هشام:

(١ - ٤٩٥ - ٤٩٦) ابن سعد في الطبقات: (٧ / ٢٠٣ - ٢٠٤).

ومسجده، بعث ﷺ زيد بن حارثة، وأبا رافع إلى مكة، وأعطاهما بعيرين وخمسة درهم، فقدمما عليه بفاطمة، وأم كلثوم ابنتيه، وسودة بنت زمعة زوجته، وأسامة بن زيد وأمه أم أيمن، أما زينب فلم يكنها زوجها أبو العاص بن الربيع من الخرج، وخرج عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر، وفيهم عائشة رضي الله عنها، ونزلوا في بيت حارثة بن النعمان، وبهذه الهجرة تمت للرسول ﷺ سنة إخوته الأنبياء قبله، فما من نبيٍّ منهم إلا نبت به بلاد نشأته فهاجر عنها، من إبراهيم خليل الله إلى عيسى كلمة الله وروحه ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب].

نهاية القسم الأول

وبالله التوفيق

# القسم الثاني

من: بناء المسجد.

إلى: غزوة مؤتة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### بناء المسجد

س: ما هو أول عمل قام به الرسول ﷺ بعد وصوله المدينة؟.

ج: بعد وصول النبي ﷺ المدينة، ونزوله في بني النجار في ١٢ ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة، نزل في أرض أمام دار أبي أيوب الأنصاري، وقال: «ها هنا المنزل إن شاء الله»، ثم انتقل إلى منزل أبي أيوب الأنصاري، وكان أول عمل قام به بناء المسجد النبوي، حيث أمر ببنائه في المكان الذي بركت فيه ناقته ﷺ، وقد اشتراه من غلامين يتيمن بعشرة دنانير، وساهم في بنائه بنفسه، فكان ينقل اللبن والحجارة ويقول:

اللَّهُم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأَنْصار والمهاجرة  
ويقول:

هذا الحمال لاهمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر

س: صف المسجد النبوي الشريف ونوع البناء وجهة القبلة وكم استغرق بناؤه؟.

ج: ورد في «الصحيحين» أن مكان المسجد كانت فيه قبور المشركين وكانت فيه خرب وكان فيه نخل وشجر غرقد، فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت، وبالخرب فسويت، وبالنخل والشجر فقطعت، وصفت في قبلة المسجد وكانت القبلة إلى بيت المقدس<sup>(١)</sup>، وجعلت عضاداته من حجارة، وأقيمت حيطانه من اللبن والطين، وجعل سقفه من جريد النخل، وعمده الجذوع، وفرشت أرضه من الرمال، وجعلت له ثلاثة أبواب، وطوله مما يلي

(١) البخاري: (ح/ ٣٧١٧)، مسلم: (ح/ ٥١٤).



القبلة إلى مؤخرته مائة ذراع والجانبان مثل ذلك أو دونه، وكان أساسه قريب من ثلاثة أذرع واستغرق البناء اثني عشر يوماً.

وكان ﷺ يقدم في العمل من يجيده، وروى البخاري<sup>(١)</sup> قوله ﷺ: «قربوا اليامي من الطين فإنه أحسنكم له مسًا وأشدكم سبًا». وكان عمار بن ياسر من العاملين المجيدين في بناء المسجد النبوي، ففي حين كان كل واحد من الصحابة يحمل لبنة واحدة في كل مرة، كان عمار يحمل لبنتين واحدة عنه وأخرى عن الرسول ﷺ، فأكرمه الرسول ﷺ ومسح على ظهره مباركًا وقال له: «للناس أجر ولك أجران، وتقتلك الفئة الباغية»، وقتل عمار في صفين خلال الفتنة التي جرت بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهنا بعض دلائل نبوته ﷺ، وكان يقول للرسول ﷺ: يحملون علي ما لا يحملون، وتقول أم سلمة في هذا: فرأيت رسول الله ﷺ ينفض وفرته بيده، وكان رجلاً جعداً وهو يقول: «ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك، إنما تقتلك الفئة الباغية»<sup>(٢)</sup>.

ولم يزد فيه أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في خلافته شيئاً، ولما استخلف عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وسعه وزاد فيه، ثم لما استخلف عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بناه بالحجارة. وجعل الأعمدة من الحجارة وسقفه بخشب الساج وزاد فيه، ونقل إليه الحصباء من وادي العقيق، ثم جدد بناءه مروان بن الحكم وبناه بحجارة منقوشة ثم في عهد الوليد بن عبد الملك هدم المسجد وجدد بناءه وزاد فيه وذلك سنة ٨٧هـ.

لم يكن في المسجد النبوي حين بنى منبر يخطب عليه وكان ﷺ يخطب وهو مستند إلى جذع عند مصلاه، ثم اتخذ له كرسيًا بدرجتين.

(١) الفتح: (ح/٤٣٧).

(٢) البخاري: (١/١٢٢، ٤/٢٥)، أحمد: (٣/٩١)، البيهقي: الدلائل (٢/٥٤٦).

س: ما هي أهم وظائف المسجد في الإسلام؟.

ج: بالإضافة إلى أن المسجد موضع لأداء العبادة، إلا أن له وظائف أخرى من أهمها:

- ١ - مأوى لضعفاء وفقراء المهاجرين الذين ليس لهم مأوى ولا مال والذين عرفوا بـ«أهل الصفة»<sup>(١)</sup>.
- ٢ - مكان لتعليم المسلمين أمور دينهم.
- ٣ - مكان لاعتقال أسير الحرب المشرك، حيث في ذلك عظة له عندما يرى الصلاة، ويسمع القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ، كما في قصة ثمامة بن أثال.
- ٤ - مكان لعلاج جرحى المسلمين في الحرب، كما في قصة خيمة ربيعة، التي نصبت في المسجد أيام غزوة الأحزاب.
- ٥ - مكان لاستقبال الرسل والسفراء الذين يفدون على رسول الله ﷺ.
- ٦ - مكان لاجتماع المسلمين بقائدهم.
- ٧ - مكان لعقد ألوية جيوش وسرايا المجاهدين.
- ٨ - مكان للقضاء بين المتخاصمين وفض المنازعات.

س: ماذا نستفيد من شراء الرسول ﷺ أرض المسجد ونبش القبور التي كانت فيها؟.

ج: نستفيد من ذلك:

- ١ - جواز نبش القبور القديمة، واتخاذ موضعها مسجداً إذا نظفت وطابت أرضها.
- ٢ - يجوز بيع الأرض التي دفن فيها الموتى ودرست، وأنها باقية على ملك صاحبها وورثته من بعده إذا لم توقف.
- ٣ - عدم التكلف المظهري في بناء المساجد أسوة ببناء مسجد الرسول ﷺ.

(١) البخاري: الفتح (٣ / ١٠٢).

### حجرات زوجات النبي ﷺ

س: ماذا بنى النبي ﷺ على جانبي المسجد، وما صفة هذا البناء؟.

ج: بنى النبي ﷺ بعد فراغه من بناء المسجد حجرات أزواجه بالحجر واللبن وسقفها بالجريد والجدوع، وبعد اكتمالها انتقل إليها من بيت أبي أيوب الأنصاري، فكان لسودة بيت، ولعائشة بيت، وهما أول بيتين بنيا ثم تتابع بناء حجرات نسائه الأخريات، كلما تزوج بواحدة منهن، وكانت قصيرة البناء قريبة الفناء، حتى كانت تسعة بيوت بعضها من جريد مطين بالطين، وسقفها جريد، وبعضها من حجارة مرضومة بعضها فوق بعض مسقفة بالجريد أيضًا، ولما توفي ﷺ خلطت البيوت والحجر بالمسجد، وذلك في زمن عبد الملك بن مروان<sup>(١)</sup>.

س: ما هو أول عمل عمله الرسول ﷺ بعد الفراغ من بناء المسجد وحجرات زوجاته؟.

ج: لما فرغ النبي من بناء حجرات أزواجه وانتقاله إليها من بيت أبي أيوب الأنصاري بنى بعائشة في البيت الذي بناه لها شرقي المسجد، وكان رسول الله ﷺ قد عقد عليها في شوال من السنة العاشرة للبعثة، ولم يدخل بها إلا في شوال من السنة الأولى من الهجرة.

### بناء النبي ﷺ بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

نظرًا لمكانة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الرسول ﷺ أراد ﷺ أن يكرم صاحبه، ويقوي عرى المحبة بينه وبينه، لذا خطب ابنته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في السنة العاشرة من البعثة، ودخل بها ﷺ في شوال من السنة الأولى من الهجرة، وعمرها

(١) الروض الأنف: (٢ / ٣٤٠).

تسع سنوات. وقد رأى ﷺ في المنام رؤيا - ورؤيا الأنبياء حق - رأى رجلاً يحملها إليه في قطعة من جيد الحرير، فيقول للرسول ﷺ: هذه امرأتك، فيكشف عنها فيراها، فيقول: «إن كان هذا من عند الله يمضه»<sup>(١)</sup>. ولم يتزوج ﷺ بكرة سواها، ومن يقف على سيرتها تأخذ الدهشة! لذكائها، وفطنتها، وغزارة علمها، وسمو أخلاقها، وسيعلم حينها لماذا كانت لها هذه المكانة الكبيرة عند الرسول ﷺ.

### المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

س: كيف آخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وعلى ماذا يدل موقف الأنصار من

المؤاخاة؟.

ج: لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة لم يكن بأيدي معظمهم شيء؛ لأنهم تركوا أموالهم خلفهم، لهذا آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار حين نزلوا المدينة ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشد أزر بعضهم ببعض، فلما عزَّ الله الإسلام، واجتمع الشمل، وذهبت الوحشة، أنزل الله تعالى: ﴿ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ... ﴾ [الأنفال]، وكانوا تسعين رجلاً، نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار، وقد آخى بينهم على المواساة، وعلى أن يتوارثوا بعد الموت، دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله ﷻ: ﴿ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ... ﴾ رد التوارث بالمؤاخاة، وبقي عقد الأخوة بالإيمان<sup>(٢)</sup>، فجعل المؤمنين كلهم أخوة فقال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات]، ويدل موقف الأنصار من أمر المؤاخاة على مدى حبهم، وإيثارهم للمهاجرين، وقد شهد الله تعالى لهم بذلك في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ

(١) صحيح البخاري: (٥ / ١٩٦٩)، صحيح مسلم: (٤ / ١٨٨٩).

(٢) البخاري: (٨ / ١٨٦).

تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴿١٤٥﴾ [الحشر]، وعلى الرغم من أن المهاجرين لم يكونوا أهل زراعة، والأنصار أهل زراعة، فقد أعطتهم الأنصار النخل والأرض ليعملوا فيها بنصف ثمارها، حتى استغنوا عنها عندما فتح الله عليهم خير<sup>(١)</sup>.

### جو المدينة عندما هاجر إليها الرسول ﷺ

س: كيف كانت المدينة عند قدوم الرسول ﷺ وأصحابه، وبماذا دعا لهم رسول الله ﷺ

في ذلك، وماذا قال مشركو مكة في ذلك، وكيف أصبحت المدينة بعد ذلك؟.

ج: واجه المسلمون المهاجرون من مكة كثيرًا من المصاعب الصحية الناجمة عن اختلاف المناخ، وذلك لأنهم لم يكونوا قد اعتادوا على البرودة القاسية، والرطوبة العالية، وقد تفشت بينهم الحمى، وينقل البخاري مرويات بعض كبار الصحابة من المهاجرين الذين أصابهم المرض، وكان أبو بكر الصديق ممن أصيب بالحمى، وعامر بن فهيرة، وبلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويظهر من وصف المصادر لحالة المرض، والدورات التي تتتابه في الحمى أنها على الأرجح حمى الملاريا.

وكانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تدخل عليهم قبل أن يفرض الحجاب، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك، فدنت من أبيها أبي بكر وقالت له: كيف تجدك يا أبت؟ فقال:

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله  
فقال عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: والله ما يدري أبي ما يقول، قالت: ثم دنوت من

(١) البخاري: الفتوح: (٢٦١/١٤).

عامر بن فهيرة، فقلت: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه      إن الجبان حتفه من فوقه  
كل امرئ مجاهد بطوقه      كالثور يحمي جلده بروقه

قالت: قلت: والله ما يدري عامر ما يقول.

وكان بعض الصحابة يظهرون السأم من الإقامة في المدينة وبسبب ذلك يشتاقون إلى العودة إلى مكة، ومن ذلك ما كان يشعر به بلال الحبشي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وكان بلال إذا تركته الحمى، اضطجع بفناء البيت، ثم رفع عقيرته فقال:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة      بوادٍ وحولي إذخر وجليل  
وهل أردن يوماً مياه مجنة      وهل يبدون لي شامة وطفيل

في الصحيح عن عائشة قالت: قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة وهي بيئة، فمرض بعض أصحابه، منهم أبو بكر وبلال، فأخبرت رسول الله ﷺ لما أصاب أصحابه من الوباء، فقال: «اللهم حبب إلينا المدينة كما حبيت لنا مكة، أو أشد، اللهم صححها وبارك لنا في صاعها ومدها وانقل حماها إلى الجحفة»<sup>(١)</sup>. وقال: «اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم». قالت: فكان المولود يولد في الجحفة، ولا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى.

وكانت المدينة مشهورة بالحمى كما أسلفت، حتى قال مشركو مكة عن مسلمي المدينة في عمرة القضاء: إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب، فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا في الأشواط الثلاثة الأولى، وأن يمشوا بين الركنين

(١) البخاري: الفتح: (١٥/١٢١ - ١٢٢) ح (٣٩٢٦).

ليروا المشركين قوتهم، وأن الحمى لم تنهكهم كما يزعم الكفار، واستجاب الله دعاء نبيه، فجعلها من أطيب البلاد بعد ذلك<sup>(١)</sup>.

لقد صارت الهجرة فرضاً واجباً على كل مسلم في تلك المرحلة من أجل نصرته النبي ﷺ ودعوته ومواساته بالنفس وتعزيز وتقوية معسكر الإيمان والابتعاد عن الفتنة من الكافرين، ولقد استمر الحث على الهجرة وبيان فضل المهاجرين بنزول الآيات القرآنية، واستمر معها تدفق المهاجرين من كل مكان.

### حوادث السنة الأولى

س: اذكر أهم حوادث السنة الأولى من الهجرة؟.

ج: من أهم حوادث السنة الأولى من الهجرة:

- ١ - زيد في صلاة الحضر- ركعتين فصارت أربع ركعات، وبقيت صلاة الفجر ركعتين، قيل: إن ذلك لطول القراءة فيها، وصلاة المغرب ثلاثة ركعات لأنها وتر النهار.
- ٢ - نزول أهل الصفة المسجد.
- ٣ - ومن هذه السنة اعتمد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التاريخ الهجري.
- ٤ - وفاة أسعد بن زرارة.
- ٥ - وفاة البراء بن معرور وهو أول من مات من النقباء.
- ٦ - وفاة ضمرة بن جندب، وكان قد مرض بمكة، وخرج به أبناؤه منها يريد الهجرة، فمات في الطريق، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء].

(١) البخاري: الفتح: (١٦ / ٩٦) ح (٤٢٥٦ - ٤٢٥٧).

- ٧ - وفاة كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه الرسول ﷺ أول قدومه المدينة.  
 ٨ - مواعده ﷺ من المدينة من اليهود، وكتب بينه وبينهم كتاباً.  
 ٩ - إسلام عبد الله بن سلام.  
 س: من هم أهل الصفة؟.

ج: هم فقراء المهاجرين الذين لا أهل لهم ولا مال، وكان يفرقهم ﷺ إذا جاء الليل بين أصحابه، ويتعشى طائفة منهم معه حتى جاء الله بالغنى.

### إسلام عبد الله بن سلام

س: من هو عبد الله بن سلام وما أهمية إسلامه؟.

ج: هو عبد الله بن سلام من بني قينقاع من ذرية يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتتلخص أهمية إسلامه في أنه كان حبراً عالمًا من علماء اليهود، وسيداً من ساداتهم، وكان أول من أسلم من اليهود عندما قدم الرسول ﷺ المدينة، وأسلم أهل بيته معه، ونزل فيه قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءَ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَنَامَ وَاسْتَكَرَّ بِطُحْتِهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأحقاف].

س: اذكر قصة إسلام عبد الله بن سلام؟.

ج: كان فيمن خرج لينظر إلى رسول الله ﷺ قوم من اليهود، فيهم عبد الله ابن سلام. قال عبد الله بن سلام: لما قدم ﷺ المدينة، قيل: قدم رسول الله ﷺ المدينة، فانجفل الناس إليه، فكنت فيمن انجفل، فلما رأيت وجهه ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فأول ما سمعته يقول: «أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة: باب رقم (٤٣ / ح / ٢٤٨٧)، وابن ماجه في كتاب الأئمة باب إطعام الطعام رقم (٣٢٥١) وإسناده صحيح. ومعنى (انجفل الناس إليه): ذهبوا إليه مسرعين.



عبد الله بن سلام: كان اسمه الحصين بن سلام، هو من بني إسرائيل من ذرية يوسف بن يعقوب عليهما السلام، وكان من أمر إسلامه أنه لما دخل الرسول ﷺ، وأخذ الناس يستشرفونه، وينظرون إليه، إذ سمع به عبد الله بن سلام، وهو في نخلة يخترف لأهله، وكانت معه عمته خالدة بنت الحارث تحت النخلة، فلما سمع بقدوم رسول الله ﷺ كَبَّرَ، فقالت له عمته حين سمعت تكبيره: خبيك الله، والله لو كان موسى بن عمران قادمًا ما زدت، فقال لها: يا عمة هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، بعث بما بعث به، قالت: يا بن أخي، أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ فقال لها: نعم.

وروى البخاري أنه أتى إلى رسول الله ﷺ، فأخذ يسأله عن أشياء وقال: أني سائلك عن ثلاث لا يعلمها إلا نبي: ما أول أشرط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه وإلى أمه؟ قال ﷺ: «أخبرني جبريل أنفًا»، قال ابن سلام: ذلك عدو اليهود من الملائكة... فلما أخبره قال: أشهد ألا إله إلا الله وأنك رسول الله عندها أنزل الله تعالى:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَانَ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأحقاف]، يعني: الكتاب والرسول،

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ﴾ يعني ابن سلام ﴿ فَأَمَانَ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ ﴾.

ثم خرج من عند رسول الله ﷺ، وعاد إلى أهل بيته فأمرهم فأسلموا.

### موقف اليهود من إسلامه

س: ما مكانة عبد الله بن سلام عند اليهود؟ وما موقفهم منه بعد الإسلام؟.

ج: ذكر أنه بعد قدوم الرسول ﷺ إلى المدينة كان فيمن أتى إليه وسمع منه، ثم انصرف إلى أهله. فلما خلا الرسول ﷺ جاء إليه عبد الله بن سلام فقال:

أشهد أنك رسول الله حقاً، وأنتك جئت بحق، ولقد علمت اليهود أني سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم يا رسول الله، فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا في ما ليس فيّ.

فأرسل ﷺ إليهم فدخلوا عليه، فقال لهم: «يا معشر اليهود ويلكم، اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو، إنكم لتعلمون إنني رسول الله حقاً، وأنني قد جئتكم بحق أسلموا». فقالوا: ما نعلمه، فأعادها عليهم ثلاثاً وهم يجيبونه كذلك. عندها قال: «فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟»، قالوا: سيدنا، وابن سيدنا، وأعلمنا، وابن أعلمنا، قال: «أرأيتم إن أسلم؟»، قالوا: حاشى لله ما كان ليسلم، فقال: «يا بن سلام أخرج عليهم»، فخرج إليهم فقال: يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله والله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله حقاً وأنه جاء بالحق، فقالوا: كذبت، فأخرجهم رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

### رؤيا عبد الله بن سلام

س: ما هي رؤيا عبد الله بن سلام، وماذا استفاد منها؟.

ج: روى الإمام أحمد عن قيس بن عباد قال: كنت في المسجد، فجاء رجل وفي وجهه أثر من خشوع، فدخل فصلى ركعتين أو جز فيهما، فقال القوم: هذا رجل من أهل الجنة، فلما خرج اتبعته حتى دخل منزله، فدخلت معه فحدثته، فلما استأنس، قلت له: إن القوم لما دخلت قبلاً المسجد، قالوا كذا وكذا، قال: سبحان الله، ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، وسأحدثك لم؟: إنني رأيت رؤيا على عهد رسول الله ﷺ فقصبتها عليه، رأيت كأنني في روضة خضراء.

(١) البخاري: الصحيح (٣٩١١).

قال فذكر من خضرتها وسعتها في وسطها عمود حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، وفي أعلاه عروة، فقبل لي: اصعد عليه، فقلت: لا أستطيع فجاءني وصيفٌ فرفع ثيابي من خلفي فقال: استمسك بالعروة فاستيقظت وإنها لفي يدي، فأتيت رسول الله ﷺ فقصصتها عليه، فقال: «أما الروضة، فروضة الإسلام، وأما العمود، فعمود الإسلام، وأما العروة، فالعروة الوثقى، أنت على الإسلام حتى تموت»<sup>(١)</sup>.

### شهادة صفية بنت حيي بن أخطب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

س: اذكر شهادة صفية بنت حيي بن أخطب على أبيها وعمها؟

ج: قالت: كنت أحب ولد أبي إليه، وإلى عمي ياسر، لم ألقهما قط مع ولدٍ لهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء في بني عمرو ابن عوف، غدا إليه أبي وعمي مغلسين - أي بغلس الصبح - فلم يرجعا إلا غروب الشمس، فوالله ما التفتنا إليّ، قالت: سمعت عمي ياسر يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه أو عنه؟ قال: عداوته والله ما بقيت.

### حوادث السنة الثانية

س: اذكر أهم حوادث السنة الثانية من الهجرة؟

ج: أهم حوادث السنة الثانية من الهجرة:

١ - فرض صوم شهر رمضان، بعدما صرفت القبلة إلى الكعبة بشهر، وذلك في شعبان على رأس ثمانية عشر - شهراً من مهاجر: رسول الله ﷺ،

(١) ابن كثير في المصباح: (١٨٦).

وفرضت زكاة الفطر، وذلك قبل أن تفرض الزكاة في الأموال، ونسخ وجوب صوم عاشوراء، وبقي صومه مستحباً، وقد ثبت في الصحيحين<sup>(١)</sup> أن رسول الله ﷺ عندما قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فصامه وأمر بصيامه، فلما نزل الأمر بصيام شهر رمضان خير الناس في صيام عاشوراء. وسُنَّت في هذه السنة الأضحية، فقد صلى رسول الله ﷺ صلاة عيد الفطر، وأمر بذبح الأضحية، فكان ﷺ إذا جاء العيد اشترى كبشين سمينين أقرنين، فإذا صلى وخطب أتى بأحدهما فذبحه بيده، ثم يقول: «هذا عن أمتي جميعاً، ممن شهد بالتوحيد، وشهد لي بالبلاغ»، ثم يؤتى بالآخر فيذبحه عن نفسه، ويقول: «هذا عن محمد وآل محمد».

٢ - زوج الرسول ﷺ علياً فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٣ - صرف الله ﷻ القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة.

٤ - غزوة بدر الكبرى.

### مشروعية الأذان

س: كيف شرع الأذان بالكيفية التي هو عليها الآن؟

ج: كان الناس يجتمعون إلى الصلاة لِتَحْيُنَ مواقيتها دون دعوة.

لهذا هم الرسول ﷺ أن يجعل بوقاً كبوق اليهود، ثم كرهه، ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين عندما تحين الصلاة، فبينما هم على ذلك إذ رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه رؤياً، وذلك بعد انصرافه مهموماً بهم الرسول ﷺ في موضوع الأذان.

(١) البخاري: الفتح: (٣١/١٧) ح/ ٤٥٠٣ - ٤٥٠٤، مسلم: (٧٩٢/٢ - ٧٩٥) ح/ ١١٢٥ - ١١٢٩.

رأى في منامه الأذان فأتى إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله إني لبين النائم واليقظان إذ أتاني آتٍ، وعليه ثوبان أخضران، ومعه ناقوس فقلت له: يا عبد الله أتبيع الناقوس، فقال لي: ماذا تريد به؟ فقلت: نريد أن نستعمله إذا حان وقت الصلاة، فقال: وهل أدلك على خير من ذلك؟، قلت نعم، قال: إذا حان وقت الصلاة فقل: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد ألا إله إلا الله، أشهد ألا إله إلا الله..... إلخ.

عندها قال له رسول الله ﷺ: «فألقها على بلال، فإنه أندى منك صوتًا»، ثم أمر بلال أن يقوم، وينظر ماذا يأمره به عبد الله بن زيد فيفعله. عند ذلك صعد بلال بن رباح على سطح دار امرأة من الأنصار مجاورة للمسجد فأذن، وسمعه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فأتى يشتمه، ثم دخل على رسول الله ﷺ، وقال له: يا رسول الله لقد رأيت مثل هذا، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد رأى مثل هذه الرؤيا في منامه، قبل عبد الله بن زيد بعشرين يومًا، فكتمها.

### تحويل القبلة

س: إلى أين كانت القبلة قبل الهجرة، ومتى تحولت، وإلى أين تحولت؟ وما موقف اليهود والمشركين والمنافقين والمسلمين من ذلك، مع ذكر الدليل؟.

ج: كانت القبلة قبل الهجرة إلى بيت المقدس، فتحولت في السنة الثانية من الهجرة إلى الكعبة، وكان الرسول ﷺ يصلي نحو بيت المقدس، وكان يجب أن يصر-فه الله إلى الكعبة، فكان يقلب وجهه في الساء ويدعو الله في ذلك حتى نزل عليه: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة]، وذلك بعد ستة

عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً من مقدمه للمدينة، وقبل بدر بشهرين<sup>(١)</sup>. وكان في جعل القبلة إلى بيت المقدس، ثم تحويلها إلى الكعبة حكمة عظيمة، ومحنة للمسلمين والمشركون واليهود والمنافقين: فأما المسلمون فقالوا: سمعنا وأطعنا، وقالوا: ﴿ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلُّ مَن عِنْدَ رَبِّنَا﴾ [آل عمران]، ولم يكن ذلك الأمر بكبير عليهم، وأما المشركون فقالوا: ﴿مَا وَلَّهُمَّ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا...﴾ [البقرة]، وقالوا: كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا، وما رجع إليها إلا لأنه الحق، وأما المنافقون فقالوا: ما يدري محمد أين يتوجه إن كانت القبلة الأولى حقاً فقد تركوها، وإن كانت الثانية حقاً فقد كانوا على باطل، أما اليهود فقالوا: ترك قبلة الأنبياء قبله.

وقد انكشف بذلك بعض المخادعين من المنافقين واليهود الذين دخلوا في الإسلام زوراً، فارتدوا، وتطهرت صفوف المسلمين منهم. أما الدليل فقد سبق ذكره في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة].

### زواج علي بفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

س: بماذا كانت تكنى فاطمة، ولماذا هذه الكنية، وكيف تزوجها علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟

ج: كانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تكنى بأم أبيها. وذلك لأنه لما ماتت أمها خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخذت تهتم بشئون البيت، وترعى والدها واحتياجاته، وتعامل معه معاملة الأم لابنها.

كان علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحبها حباً شديداً، ولكنه كان ينتظر الفرصة المناسبة لخطبتها. طال انتظار علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذلك أنه لا يدري كيف يخطبها ولم يكن يملك شيئاً من مهرها.

(١) البخاري: (١ / ٤٢١)، ابن سعد في الطبقات: (١ / ٢٤١)، الترمذي: (٢٩٦٦).

خطبها أبو بكر وعمر، وردهما الرسول ﷺ في رفق بالغ، مما زاد علي في إحجامه عن خطبتها، كيف أخطبها وقد رد النبي ﷺ أبا بكر وعمر عنها؟ شعر أصحاب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين بالهم الذي أصاب علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولهذا أخذوا يشجعونه على خطبة الزهراء، وذكروا قرابته منها ومكانته من أبيها، ومكانة أبيه عند رسول الله ﷺ، ومكانة أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أول هاشمية ولدت لها شمي، عندما شجعه أصحابه على خطبتها قال يائساً: بعد أبي بكر وعمر؟! فأجابوه: ليس لهما مثل قرابتك وكفله أبوك، ورعته أمك، ذهب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى النبي ﷺ، ثم حياه، ثم جلس قريباً منه استحياءً لا يذكر حاجته، عندها أدرك النبي ﷺ أن أخاه وابن عمه، وصاحبه، جاء لحاجة لا يقوى على الإفصاح عنها، فسأله في لطف عن حاجته، ثم انصرف مستحيماً حائراً، لا يدري ما يجب.

شجعه بعض أصحابه فعاد إلى النبي ﷺ في اليوم التالي، فجلس غير بعيد من الرسول ﷺ حتى يسمعه، فقال: أردت أخطب إليك فاطمة، ثم ذكر عائده، وصلته برسول الله ﷺ، فما راعه إلا التفاتة رسول الله ﷺ إليه، وسأله مترفقاً به: «وهل عندك شيء؟» فأجابه علي: لا، فقال ﷺ: «فأين درعك التي أعطيتك إياها يوم بدر؟» فأجابه: هي عندي، فطلبها ﷺ منه.

باع علي هذا الدرع على عثمان بن عفان بأربع مائة وسبعين درهم، حملها علي بن أبي طالب، ووضعها أمام الرسول ﷺ، وتناولها ﷺ ودفعها إلى بلال ليشتري ببعضها طيباً وعطراً، ثم يدفع الباقي إلى أم سلمة لتشتري به جهاز العروس.

دعا النبي ﷺ عددًا من الصحابة، وأشهدهم أنه زوج ابنته فاطمة من علي ابن أبي طالب، على أربعمائة مثقال من فضة، وكان ذلك في شهر رجب بعد سنة

من مقدمه إلى المدينة، كانت سنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما تزوجت ١٨ عامًا، وكان مولدها قبل البعثة بخمس سنوات، دخلت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بيت الزوجية بخميلة، ووسادة محشوة ليفاً، ورحائين، وسقائين، وشيء من العطر والطيب.

### مكائد قريش للمسلمين بعد الهجرة

س: اذكر بعض مكائد قريش بعد فشلهم في التآمر على الرسول ﷺ بعد وصوله إلى المدينة؟.

ج: وصل النبي ﷺ إلى المدينة، وأخذ يرتب أمور المدينة، وينظم جوانب الحياة بها، ويرجو أن يجد هو والمسلمون فيها مكاناً آمناً، يعملون فيه بدينهم، دون معارضة أو استفزاز؛ إذ فوجئوا بمكائد قريش تصل إليهم، تريد القضاء عليهم، فمنها: أنهم كتبوا إلى مشركي يثرب يرضونهم على قتال المسلمين، وإخراجهم عن المدينة، ويهددونهم بقتل مقاتلتهم، واستباحة نسائهم إن لم يفعلوا ذلك، وفعلاً قام مشركو يثرب لينفذوا ذلك، ولكن أتاهم الرسول ﷺ، فوعظهم ونصحهم، فكفوا عما أرادوا من القتال، وتفرقوا.

ومنها: أن سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رئيس الأوس، ذهب إلى مكة معتمراً، فطاف بالبيت، ومعه أمية بن خلف، فلقياها أبو جهل، فلما عرف سعداً هدده وتوعده وقال: تطوف بمكة آمناً وقد أويتم الصباة - يقصد محمداً ﷺ والمسلمين -؟ أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلِكَ سالمًا، وكان هذا إعلاناً عن صد المسلمين عن المسجد الحرام، وعن قتلهم إذا وجدوا في حدود قريش، وكانت لقريش صلة بيهود يثرب، وكانت كما أثر في الإنجيل عن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حيات أولاد الأفاعي»، فكانوا يقومون بنبش الأحقاد والضغائن القديمة بين الأوس والخزرج، ويحرضون بينهم، ويحاولون إثارة القلق والاضطراب فيما بينهم.



وهكذا أحاط الخطر بالمسلمين في المدينة من الداخل والخارج، ووصل الأمر إلى أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لم يكونوا يبيتون إلا ومعهم السلاح، ولم يكونوا يصبحون إلا فيه، وكانوا يجرسون رسول الله ﷺ حتى نزل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة]. فقال ﷺ: «يا أيها الناس انصرفوا عني فقد عصمني الله ﷻ»<sup>(١)</sup>.

### المراحل التي مر بها تشريع الجهاد

س: متى أذن الله تبارك وتعالى للمسلمين بالقتال، ولماذا؟.

ج: أذن الله تبارك وتعالى للمسلمين بالقتال بعد الهجرة، وشرعه لهم؛ لأنهم بمكة كانوا أقل من المشركين، ولذا لم يأمرهم الله بالقتال، وإنما أمرهم بالصبر كما سيأتي، وعندما بغى المشركون وأخرجوا النبي ﷺ من مكة وهُمُوا بقتله وشردوا أصحابه بين الحبشة والمدينة، وعندما استقر المسلمون بالمدينة، وهاجر الرسول ﷺ إليهم وأصبحت المدينة دار الإسلام ومعقلاً يلجأون إليه، شرع الله جهاد الأعداء بنزول هذه الآية: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج]، وهي أول آية نزلت في القتال<sup>(٢)</sup>، قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فعرفت أنه سيكون قتال.

وقد مر تشريع الجهاد بأربع مراحل رئيسية وهي:

١ - مرحلة الصبر دون القتال بمكة، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا وَأُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يُهْلَكُ

(١) الترمذي رقم (٣٠٤٦) (٥/٢٥١).

(٢) المستدرک: (٦٦/٢)، أحمد: (٢١٦/١)، الترمذي: (٣١٧٠).

إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ [الأحزاب].

- ٢ - مرحلة الإذن بالقتال: بعد الهجرة، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الحج].
- ٣ - مرحلة الأمر بقتال من يبدوهم بالقتال، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [البقرة].
- ٤ - مرحلة الأمر بقتال المشركين، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة].

### خصائص الرسول بعد فرض الجهاد ﷺ

س: اذكر أهم خصائص الرسول ﷺ مع أصحابه بعد فرض القتال؟.

ج: من أهم خصائص الرسول ﷺ أنه كان يبائع الصحابة في الحرب على ألا يفروا، وربما بايعهم على الموت، وربما بايعهم على الجهاد، وربما بايعهم على الإسلام، وكان يبعث العيون ليأتوه بخبر عدوه، ويطلع الطلائع، ويث الحرس والعيون حتى لا يخفى عليه من أمره عدوه شيء، وكان كثير المشاورة لأصحابه في الجهاد. وكان يتخلف في ساقنتهم فيزجي الضعيف، ويردف المنقطع، وكان إذا أراد غزوة ورى غيرها - كأن يقول إذا أراد غزوة حنين: كيف طريق نجد ومياهاها ومن بها من العدو ونحو ذلك - وكان يحب خروج الخميس مبكراً، وكان إذا اشتد البأس اتقى به أصحابه، وكان أقربهم إلى العدو، وكان ينهى عن قتل النساء والولدان، وينهى عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو، وكان يقول: «الحرب خدعة»<sup>(١)</sup>.

(١) البخاري: (٦/١١٠)، مسلم: (١٧٣٩).

### وصايا النبي ﷺ للجيش

كان رسول الله ﷺ إذا بعث البعث، وأسرى السرايا أمر عليها الأمراء، وأوصاهم في خاصة أنفسهم وبمن معهم خيراً.

ثم قال: «اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال، فأية ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفية شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله، ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذمكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله، وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا»، وقال: «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا، وتطاوعوا ولا تحتلفوا، ولا تقتلوا النساء والصبيان». (١) هـ.

(١) هذه الوصايا مجموعة من روايتين مأخوذة عن سيرة سبيل الهدى والرشاد وأصلها في صحيح مسلم.

## غزوات النبي ﷺ وسراياه

س: عرف الغزوة والسرية والبعثة، مع الإشارة إلى عدد غزوات النبي ﷺ؟

ج: أولاً: تعريف الغزوة، والبعثة، والسرية:

اصطلاح أصحاب السير والتاريخ على أن الغزوة هي: خروج النبي ﷺ بنفسه إلى الحرب ويكون هو القائد العام للجيش.

والسرية هي: خروج الجيش ليلاً تحت قيادة أحد المسلمين، ويكون خروجه سراً، وكذلك القطعة من الجيش تخرج منه إلى جهة معينة ثم تعود إليه. والبعث هو: أن يبعث رجلاً واحداً أو جماعة إلى شخص معين أو جهة معينة.

ثانياً: أما غزواته ﷺ فكانت سبعاً وعشرين غزوة قاتل بنفسه الشريفة في تسع منها، وهي:

- |                 |            |               |
|-----------------|------------|---------------|
| ١ - بدر الكبرى. | ٢ - أحد.   | ٣ - المريسيع. |
| ٤ - الخندق.     | ٥ - قريظة. | ٦ - خيبر.     |
| ٧ - فتح مكة.    | ٨ - حنين.  | ٩ - الطائف.   |

وكانت بعوثه وسراياه التي بعثها وأرسلها سبعاً وأربعين سرية، وبعثة. وفي

ما يلي أهم غزوات النبي ﷺ وسراياه:

## الغزوات والسرايا قبل بدر

س: ما الهدف من غزوات الرسول ﷺ وسراياه وما الفرق بين الغزوة والسرية؟

ج: كان أهم أهداف غزوات الرسول وسراياه ﷺ: إشعار مشركي المدينة ويهودها، وأعراب البادية ومن حولها بأن المسلمين أقوياء، وأنهم تخلصوا من ضعفهم القديم، وكذلك إنذار قريش بتفاقم الخطر على اقتصادها وأسباب معاشها، فتجرح للسلم، وتمتنع عن إرادة قتال المسلمين في عقر دارهم، وعن الصد عن سبيل الله، وعن تعذيب المستضعفين من المؤمنين في مكة، حتى يصير المؤمنون

أحراراً في تبليغ رسالة الله، وأن المسلمين قادرون على كسر شوكة قريش، وحصارها سياسياً، واقتصادياً، ورد حقوقهم المسلوبة، والغزوة ما خرج فيها النبي ﷺ بنفسه سواء حارب فيها أم لم يحارب، والسرية ما خرج فيها أحد قاداته.

س: ما هي أهم خطوة وضعها النبي ﷺ لبسط المسلمين سيطرتهم على طرق قريش

التجارية؟.

ج: وضع النبي ﷺ لسيطرة المسلمين على طرق قريش التجارية خطوتين:

الأولى: إرسال السرايا والبعوث لمهاجمة قوافل قريش التجارية.

الثانية: السعي إلى عزل قريش عن القبائل المحيطة بالمدينة، وذلك بدخول المسلمين في معاهدات دفاعية، وبموادعته مع تلك القبائل التي تخترق قريش أراضيها، وهي في طريقها إلى الشام، فكسب الرسول ﷺ في ذلك بني ضمرة، وجهينة، وخزاعة، وغفار كما سيأتي.

وقد نجحت هذه السرايا في كل أهدافها وأربكت قريش، وضرب نشاطها التجاري في جميع الاتجاهات.

### أولاً: أول لواء عقده النبي ﷺ

س: ما هو أول لواء عقده الرسول ﷺ؟.

ج: كان أول لواء عقده الرسول ﷺ لواء حمزة بن عبد المطلب في رمضان سنة

١هـ، بعثه في ثلاثين رجلاً من المهاجرين، يعترض عيراً لقريش جاءت من الشام، وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل، فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص، فالتقوا واصطفوا للقتال، وحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، وكان حليفاً للفريقين، فلم يقتلوا، وكان اللواء أبيض وحامله أبو مرثد: كنان بن حصين الغنوي<sup>(١)</sup>.

(١) ابن هشام: (١/٥٩٥)، ابن سعد (٦/٢)، الطبري: (٢/٢٥٩ - ٢٦٠).



## ثانياً: سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب

س: متى كانت سرية عبيدة بن الحارث أو سرية رابغ، وما الهدف منها؟

ج: بعث الرسول ﷺ عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف في الرابع من شوال سنة ١ هـ، في ستين راكباً من المهاجرين، فلقي أبا سفيان في مائتين من أصحابه على بطن رابغ، وقد ترمى الفريقان بالنبل، ولم يقع قتال<sup>(١)</sup>.

س: من الذي انضم من قافلة أبي سفيان إلى المسلمين ولماذا؟

ج: انضم إلى سرية عبيدة بن الحارث كل من:

١ - المقداد بن عمرو البهراني.

٢ - عتبة بن غزوان المازني، وكانا مُسلمين، خرجا مع أبي سفيان ليكون ذلك وسيلة للوصول إلى المسلمين بالمدينة.

س: من أول من رمى بسهم في الإسلام، وما لون لواء عبيدة بن الحارث ومن كان حامله؟

ج: أول من رمى بسهم في الإسلام هو سعد بن أبي وقاص في هذه الغزوة، وكان لواء عبيدة بن الحارث أبيض، وحامله مسطح بن أثاثة بن عبد المطلب بن عبد مناف.

وقال سعد بن أبي وقاص في رميته بالنبل شعراً منه:

ألا هل أتى رسول الله أني      حميت صحابتي بصدور نبلي  
وذلك أن دينك دين صدق      وذو حق أتيت به وعدل  
ينجي المؤمنين به ويجزي      به الكفار عند مقام سهل

(١) انظر: ابن هشام: (١ / ٥٩٥، ٥٩٦)، ابن سعد: (٢ / ٧)، ابن كثير (٢ / ٣٣٨ - ٣٣٩).

### ثالثاً : سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار

س : متى كانت سرية سعد بن أبي وقاص وإلى أين اتجهت وكم عدد رجالها وما مصير العير

التي خرجوا من أجلها؟ .

ج: كانت سرية سعد بن أبي وقاص في ذي القعدة سنة ١هـ بعثه الرسول ﷺ في عشرين راكباً، يعترضون عيراً لقريش، وعهد إليه ألا يتجاوز الخرار، فخرجوا مشاة يكمنون بالنهار ويسرون بالليل، حتى بلغوا الخرار بالقرب من الجحفة، فوجدوا العير قد مرت بالأمس<sup>(١)</sup>.

### رابعاً : غزوة الأبواء، أو «ودان»

س : متى كانت غزوة الأبواء أو ودان وما سببها، وما نتائجها؟ .

ج: خرج النبي ﷺ بنفسه في صفر سنة ٢هـ بعد أن استخلف على المدينة سعد بن عباد في سبعين رجلاً من المهاجرين، يعترض عيراً لقريش حتى بلغ ودان، فلم يلتق كيداً، وفي هذه الغزوة وادع الرسول ﷺ عمرو بن مخشي- الضمري، وكان سيد بني ضمرة على ألا يغزوهم، ولا يعينوا عليه أحداً، وإذا دعاهم النبي ﷺ لنصرته أجابوه، وهذه أول غزوة غزاها النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٧/٢). والخرار موضع قرب الجحفة.

(٢) ابن هشام: (٢٧٥/٢)، الواقدي: (١١/١-١٢)، البخاري: الفتح: (١٤١/١٥). والأبواء: موضع

بين مكة والمدينة من أعمال الفرع بينه وبين الجحفة ٢٣ ميلاً.



### خامساً : غزوة بواط (١)

س : متى كانت غزوة بواط وما أسبابها ، وما نتائجها ومن استخلف النبي ﷺ على المدينة؟

ج : في ربيع الأول سنة ٢ هـ، خرج النبي ﷺ في مائتين من أصحابه لاعتراض عير لقريش، فيها أمية بن خلف، ومائة رجل من قريش، وألفان وخمسمائة بعير، حتى بلغ بواط من جبال جهينة، ناحية رضوى، ولم يلق كيداً، واستخلف النبي ﷺ في هذه الغزوة على المدينة سعد بن معاذ، ولواؤه أبيض، وحامله سعد بن أبي وقاص (٢).

### سادساً : غزوة سفوان أو «بدر الأولى»

س : متى كانت غزوة سفوان وما سببها ، وبماذا تعرف وما نتيجتها؟

ج : في شهر ربيع الأول سنة ٢ هـ أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة -مراعي المدينة-، ونهب بعض المواشي، فخرج رسول الله ﷺ في سبعين رجلاً من أصحابه، لمطاردته حتى بلغ وادياً يقال له: سفوان من ناحية بدر، ولكنه لم يدرك كرزاً، وأصحابه، فرجع من دون قتال، وهذه الغزوة تسمى غزوة بدر الأولى، وقد استخلف على المدينة زيد بن حارثة، وكان لواؤه أبيض، وحامله علي بن أبي طالب (٣).

(١) روى مسلم من حديث جابر الطويل في غزوة بطن بواط عنه: شكنا الناس إلى رسول الله ﷺ الجوع فقال: «عسى الله أن يطعمكم»، قال: فأتينا سيف البحر، فزخر البحر زخرة فألقى دابة، فأورينا على شقها النار فأطبختنا واشتويينا وأكلنا وشبعنا. قال: فدخلت أنا وفلان وفلان - فعدت خمسة - في حجاج عينها ما يرانا أحد حتى خرجنا، قال: وأخذنا ضلع من ضلوعها فقوسناه وأتيا بأكبر بعير في القافلة وأكبر رحل وأطول رجل ثم ركب على الرحل ودخل من تحته لا يطأ طء رأسه. مسلم.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد: (٢ / ٩٠٨)، ابن هشام: (٢ / ٢٨٤)، الواقدي: (١ / ١٢). وبواط: جبل من جبال جهينة، بينه وبين المدينة نحو أربعة فراسخ.

(٣) ابن هشام: (٢ / ٢٨٨)، ابن سعد: (٢ / ٩)، الواقدي: (١ / ١٢).

**سابعاً: غزوة العشيرة**

س: متى كانت غزوة العشيرة، وما سببها، وما نتائجها، وما أهميتها؟.

ج: غزوة العشيرة كانت في جمادى الثانية سنة ٢هـ خرج فيها النبي ﷺ في مائة وخمسين ويقال: مائتين من المهاجرين، ولم يكره أحد على الخروج، وكان معهم ثلاثون بعيراً يتعاقبون عليها، وذلك لاعتراض عير قريش، حتى بلغ ذا العشيرة، وهو موضعٌ ناحية ينبع، وكانت هذه القافلة فيها أموال لقريش ذاهبة إلى الشام، فوجد العير قد فاتته بأيام، وهي العير التي خرج في طلبها حين رجعت من الشام وكانت سبباً لغزوة بدر الكبرى، وقد عقد موادعة وحلفاً مع بني مدلج، وحلفائهم من بني ضمرة<sup>(١)</sup>.

**ثامناً: سرية نخلة أو سرية «عبد الله بن جحش»**

س: متى كانت سرية نخلة أو سرية عبد الله بن جحش، وأين وجهها الرسول ﷺ وما

الغرض منها؟.

ج: في رجب سنة ٢هـ، بعث الرسول ﷺ عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي إلى نخلة، وهو وادٍ بين مكة والطائف في اثني عشر رجلاً من المهاجرين، وقيل: ثمانية، وهو الأولى، كل اثنين يتعاقبان على بعير، وهم: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وعكاشة بن محصن الأسدي، وعتبة بن غزوان، وسعد بن أبي وقاص، وعامر بن ربيعة، وواقد بن عبد الله أحد بني تميم، وخالد ابن البكير، وسهيل بن بيضاء.

وكتب له الرسول ﷺ كتاباً، وأمره ألا ينظر فيه إلا بعد مسيرة يومين،

(١) انظر: البخاري: الفتح: (١٥ / ١٤١، ح / ٣٩٤٩)، ابن هشام: (٢ / ٢٨٤ - ٢٨٥)، ابن سعد:

(١ / ٢٧١). والعشيرة: موضع ناحية ينبع.

وبعد مسيرة يومين فتح الكتاب وإذا فيه: «إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد عير قريش وتعلم لنا أخبارهم». وذلك إمعاناً في السرية، وحتى لا يعلم أحد إلى أين الاتجاه، وعندما نزل نخلة مرت به القافلة تحمل زيباً وأدماً وتجارة لقريش.

**س: من كان في هذه القافلة وماذا حصل بينها وبين السرية وما نتائجها؟**

**ج:** كان في القافلة: عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة، والحكم بن كيسان، فلما رأهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم، فأشرف لهم عكاشة بن محصن، وكان قد حلق رأسه، فلما رأوه أمنوا وقالوا: عمّار، لا بأس عليكم منهم.

وتشاور المسلمون في ذلك، وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب، فإن تركناهم إلى الغد دخلوا الحرم، وإن قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام، فأجمعوا على اللقاء، فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، وأسروا عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان، وأفلت نوفل، ثم أخذوا العير والأسيرين إلى المدينة، وقد عزلوا من ذلك الخمس وهو أول خمس في الإسلام.

**س: ما موقف الرسول ﷺ من العير والأسيرين؟**

**ج:** أنكر الرسول ﷺ ما فعله عبد الله بن جحش وأصحابه، وقال لهم: «ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام»، وأوقف التصرف في العير والأسيرين<sup>(١)</sup>.

**س: ما موقف المشركين من سرية نخلة وماذا قالوا في ذلك؟**

**ج:** استنكر المشركون ما حدث للقافلة، ووجدوا في ذلك فرصة لاتهم المسلمين بأنهم قد أحلوا الأشهر الحرم، وكثر القيل والقال، وأشاعوا بين الناس أن محمداً

(١) انظر: سنن البيهقي: (٩ / ١٢، ٥٨، ٥٩).

وأصحابه استحلوا الأشهر الحرم<sup>(١)</sup>، واشتد هذا الأمر على المسلمين حتى أنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرًا بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقِنُّونَكُمْ حَتَّى يَرْدُوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة]، وبهذا فرّج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الهم، وقبض ﷺ العير والأسيرين، وبعث إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان، فقال رسول الله ﷺ: «لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا» - يعني: سعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان - «فإننا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما نقتل صاحبكم». وكان سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان المازني قد أضلّ بعيرهما الذي كانا يتعاقبان عليه، فتخلفا في طلبه، ولم يدركا أحداث هذه السرية، فقدم بعد ذلك سعد وعتبة، ففداهما رسول الله ﷺ منهم.

فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان بن عبد الله، فلحق بمكة فمات كافراً، وأدى دية المقتول إلى أوليائه، وبذلك صرح الله تعالى بأن هذا الأمر الذي أنكرتموه على المسلمين - وإن كان كبيراً - فما ارتكبتموه من الكفر بالله، والصد عن سبيل الله، والصد عن المسجد الحرام، وإخراج المسلمين، وإيذائهم هو أكبر عند الله.

والأشهر الحرم أربعة، ثلاثة سرد وهي: ذي القعدة، وذو الحجة، ومحرم، وواحد فرد، وهو رجب، أما الثلاثة فليأمن الحجاج واردين إلى مكة، وصادرين

(١) ابن هشام: (١ / ٦٠١، ٦٠٤)، ابن سعد: (٢ / ١٠، ١١).

عنها، شهراً قبل شهر الحج، وشهراً بعده، قدر ما يصل الراكب من أقصى بلاد العرب، ثم يرجع، وفي ذلك حكمة من الله تعالى. وأما رجب فللعمار يأمنون فيه مقبلين وراجعين، نصف الشهر للإقبال، ونصفه للإياب؛ إذ لا تكون العمرة من أقاصي بلاد العرب كما يكون الحج. وهذه الأشهر أكد وأبلغ في الإثم من غيرها، كما أن المعاصي والآثام في الأشهر الحرم تغلظ.

وقد قال في ذلك عبد الله بن جحش:

تعدون قتلا في الحرام عظيمة	وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد	وكفر به والله راء وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهله	لئلا يرى لله في البيت ساجد
فإننا وإن غيرتمونا بقتله	وأرجف بالإسلام باغ وحاسد
سقيننا من ابن الحضرمي رماحنا	بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا	ينازعه غل من القد عاند

س: ما هي الأوليات التي جاءت في سرية عبد الله بن جحش أو سرية نخلة؟

ج: في هذه السرية كانت الأوليات التالية:

- ١ - أول خمس في الإسلام عزله عبد الله بن جحش.
- ٢ - كان عمرو بن الحضرمي أول قتيل يقتله المسلمون في الإسلام.
- ٣ - كان الأسيران أول أسيرين للمسلمين في الإسلام.
- ٤ - كانت القافلة أول غنيمة يغنمها المسلمون في الإسلام.
- ٥ - الحكم بن كيسان أول أسير أسلم.

## غزوة بدر الكبرى - رمضان سنة ٢هـ

س: متى كانت غزوة بدر، وما سببها؟

ج: كانت غزوة بدر الكبرى في رمضان سنة ٢ هـ، وسبق أن ذكرنا في غزوة العشيرة أن عيراً لقريش أفلتت من النبي ﷺ في ذهابها إلى الشام، وفيها أبو سفيان، ولما حان موعد رجوعها إلى مكة بعث الرسول ﷺ كلاً من: ١ - طلحة بن عبيد الله. ٢ - وسعيد بن زيد إلى الشمال لاكتشاف خبرها، فوصلا إلى الحوراء، ومكثا حتى مر بها أبو سفيان والعيير، فأسرعا إلى المدينة، وأخبرا الرسول ﷺ الخبر، وكانت العير فيها ثروات طائلة لتجار أهل مكة تقدر بألف بعير محملة بالتجارة، لا تقل قيمتها عن خمسين ألف دينار، ولم يكن معها من الحرس سوى أربعين رجلاً.

س: ماذا فعل الرسول ﷺ تجاه هذه القافلة؟ وهل ألزم أحداً بالخروج ومتى كان خروجه ﷺ من المدينة؟

ج: حيث أن الحصول على هذه القافلة فرصة قوية للمسلمين، وضربة عسكرية واقتصادية قاصمة لقريش، لذا أعلن الرسول ﷺ في المسلمين قائلاً: «هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها»<sup>(١)</sup>. ولم يلزم ﷺ أحداً بالخروج، بل ترك الأمر للرغبة المطلقة، لأنه لم يتوقع الاضطدام بجيش قريش بدلاً من العير، ولهذا تخلف كثير من الصحابة في المدينة لما توقعوه من أن هذا الأمر لا يعدو ما ألفوه في السرايا والغزوات الماضية، ولم ينكر على أحد تخلفه<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن هشام: (٢ / ٢٩٥)، الطبري: (١٣ / ٢٩٨-٣٩٩)، ورجاله ثقات.

(٢) البخاري: الفتح: (١٦ / ٢٤١ ح / ٤٤١٨).

خرج الرسول ﷺ من المدينة يوم الإثنين لثمان ليالٍ خلون من شهر رمضان، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم على الصلاة، ورد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة.

**س: كم بلغت قوة الجيش الإسلامي، وإلى من دفع اللواء والرايات؟.**

**ج:** استعد الرسول ﷺ للخروج ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً «٣١٣»، ٣١٤، ٣١٧» منهم ٨٦ من المهاجرين، و٦١ من الأوس، و١٧٠ من الخزرج، ولم يكن معهم سوى فرسين، أحدهما للزبير بن العوام، والثاني للمقداد بن الأسود الكندي، وسبعون بعيراً يتعاقب كل ثلاثة على بعير، واستخلف الرسول ﷺ على الصلاة ابن أم مكتوم، وعلى المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر، وكانت القيادة العامة لرسول الله ﷺ واللواء إلى مصعب بن عمير، وكان اللواء أبيض، وراية الأنصار بيد سعد بن معاذ، وراية المهاجرين بيد علي بن أبي طالب.

**س: كيف وصل خبر خروج النبي ﷺ وأصحابه لاعتراض قافلة أبي سفيان؟.**

**ج:** كان أبو سفيان في غاية الحيلة والحذر في طريق عودته من الشام، وكان يسأل من لقي من الركبان لأنه يعلم أن الطريق إلى مكة محفوف بالمخاطر، حتى جاءه الخبر بأن محمداً قد استنفر أصحابه للخروج لاعتراض القافلة، عند ذلك استأجر أبو سفيان رجلاً يدعى: ضمضم بن عمرو الغفاري<sup>(١)</sup>، وذهب إلى مكة سريعاً ليستنفر أهلها للخروج لإنقاذ عيبرهم، وأموالهم ورجالهم.

**س: كم بلغت قوة جيش قريش التي خرجت لإنقاذ القافلة، ومن خرج فيها؟ وما أهم حدث**

**تزامن مع قدوم ضمضم إلى مكة؟.**

**ج:** بعد وصول الخبر إلى قريش استعدوا للخروج، وقد خرج الجميع،

(١) ضمضم بن عمرو الغفاري: أحد أدلاء القوافل التجارية في الجاهلية.

وخرج كل سادات قريش بقيادة أبي جهل بن هشام في ألف وثلاثمائة رجل، ومائة فرس وستمائة درع، وعدد كبير لا يعرف من الإبل.

ولم يتخلف أحد من قريش عن الخروج إلا أبو لهب بن عبد المطلب، حيث بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، مقابل إسقاط دين لأبي لهب عليه قدره أربعة آلاف درهم كانت له عليه.

أما أمية بن خلف فقد أجمع على القعود، وكان شيخاً جسيماً ثقيلاً، وكان سبب ذلك ما ذكره البخاري في الصحيح من حديثه مع سعد بن معاذ، وأبي جهل بمكة، وقول سعد له: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه قاتلك»<sup>(١)</sup>، فأتاه عقبه بن أبي معيط، وهو جالس في المسجد مع قومه، وكان معه مجمر فقال له: يا أبا علي استجمر، فإنما أنت من النساء. قال: قبحك الله، وقبح ما جئت به، ثم تجهز فخرج مع الناس.

أما أهم حدث تزامن مع قدوم ضمضم فكان:

### رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب

س: ما هي رؤيا عاتكة؟ ومن هي عاتكة هذه؟ وما موقف مشرقي قريش من هذه الرؤيا؟.

ج: قبل وصول ضمضم إلى مكة بحوالي ثلاثة أيام رأت عاتكة بنت عبد المطلب رؤيا أفزعته، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب، فقالت له: يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتنني، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة، فاكنم عني ما أحدثك به، فقال لها: وما رأيت؟ قالت: رأيت ركباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل غُدر لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس

(١) صحيح البخاري: (٣٩٥٠).



يتبعونه، فبينما هم حوله مُثَلُّ به بغيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا آل عُذْر لمصارعكم في ثلاث، ثم مُثَلُّ به بغيره على رأس جبل أبي قبيس، فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها، فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت، فما بقي بيت من بيوت مكة، ولا دار إلا وقد دخلها فلقة من هذه الصخرة. قال العباس: والله إن هذه لرؤيا! فاكتميها، ولا تذكرها لأحد<sup>(١)</sup>.

ثم خرج العباس بن عبد المطلب فلقي الوليد بن عتبة، وهو صديق له، فذكر له رؤيا عاتكة، وطلب منه أن يكتمها، ثم ذكرها الوليد بن عتبة لأبيه عتبة ابن ربيعة، ففشا الحدث بمكة حتى تحدثت به قريش في أنديتها.

عندما غدا العباس للطواف بالبيت، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة، رآه أبو جهل فقال: يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأتنا، فلما فرغ أقبل إلى الرهط، وجلس معهم، فقال له أبو جهل: يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبئة. قال: قلت: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأتها عاتكة، قال: قلت: وما رأيت؟ قال: يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم، قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث، فسنتربص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون، وإن تمضي- الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب.

قال العباس: فوالله ما كان مني إليه كبير، إلا أني جحدت ذلك، وأنكرت أن تكون رأيت شيئاً ثم تفرقنا.

(١) ابن هشام: (٢/ ٢٩٦)، الحاكم في المستدرک: (٣/ ١٩-٢٠)، البيهقي في الدلائل: (٣/ ١٠٣-١٠٥) والروايات في مجموعها يقوي بعضها بعضاً.

في المساء تجمعت نساء بني عبد المطلب وقلن للعباس: كيف أقررت لهذا الفاسق أن يقع في رجالكم، ثم قد تناول نساءكم، وأنت تسمع، ثم لم يكن عندك غيرة فلا زلن به إلى أن قال: وايم الله لأ تعرضنَّ له؛ فإن عاد لأكفيكُنَّه.

في اليوم الثالث غدا العباس إلى المسجد وهو مغضب، فرأى أبا جهل فأخذ يمشي- نحوه ليعود لبعض ما قال بالأمس، قال: وكان رجلاً خفيفاً، حديد الوجه، حديد اللسان، حديد النظر، إذ خرج يشتد جهة الباب قال العباس: قلت: ما له لعنه الله، أكل هذا خوفاً مني؟! قال: وإذا هو قد سمع ما لم أسمع، وإذ بضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيه، قد جدع بعيه، وحوّل رحله، وشق قميصه، وهو يقول: يا معشر- قريش: اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه. لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث، قال: فشغلني عنه وشغله عني ما جاءه من الأمر، اللطيمة: أي أدركوا اللطيمة، وهي العير التي تحمل الطيب.

عندما وصل ضمضم تهيأت قريش للخروج سراعاً، وهم يقولون: أیظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي كلا والله، ليعلمن غير ذلك، وتجهزوا في ثلاثة أيام، وأعان قوئهم ضعيفهم، فكانوا بين رجلين، إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً، ولم يتخلف من أشرافها إلا أبو لهب، وأمّية بن خلف كما أسلفت.

لما فرغت قريش من الجهاز، وأجمعوا على السير، ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب، فقالوا: إنّنا نخشى أن يأتوا من خلفنا، وكاد ذلك أن يثنيهم عن الخروج، عندها ظهر لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم الكناني المدلجي، وكان من أشراف بني كنانة فقال: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة بما تكرهون عندها خرجوا سراعاً.

**س: لماذا استشار الرسول ﷺ أصحابه عندما علم بخروج قريش من مكة؟.**

ج: أتى الخبر إلى الرسول ﷺ بخروج قريش ومسيرهم ليمنعوا غيرهم، لهذا استشار أصحابه، وأخبرهم بخروج قريش، وخشي- فريق منهم المواجهة في وقت لم يتوقعوا فيه حرباً كبيرة، ولم يستعدوا لها، وقال ﷺ: «أشيروا عليّ أيها الناس» فقام أبو بكر الصديق، فقال وأحسن، ثم قال: «أشيروا عليّ أيها الناس»، فقام عمر بن الخطاب، فقال: وأحسن، ثم قال: «أشيروا عليّ أيها الناس»، فقام المقداد بن عمرو، فقال: يا رسول الله، أمض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (٢٤)، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه، حتى تبلّغه، فقال له ﷺ خيراً ودعا له به (١).

ثم قال ﷺ: «أشيروا عليّ أيها الناس»، وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم جُلّ جيشه، وأنهم حين بايعوه بالعقبة، بايعوه على الحماية داخل المدينة، فكان يخشى ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن داهمه بالمدينة من عدوه، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل»، قال: لقد آمنّا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعلّ الله أن يريك منا ما تقر به عينك، فسر- بنا على بركة الله، فسُير رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشّطه

(١) انظر قول أبي بكر، وسعد بن معاذ، وعُمر والمقداد في البخاري: (٧ - ٢٢٣)، ومسلم: (١٧٧٩)، وأحمد في مسنده: (١ / ٣٩٠ / ٤٢٨)، والحاكم: (٣ / ٢٤٩)، وانظر الفتح: (٧ / ٢٢٤).

ذلك، ثم قال: «سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم»، وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [الأنفال]. كان ﷺ يريد أن يسمع رأي قادة الأنصار؛ لأنهم غالبية جنده، ولأن نصوص بيعة العقبة لم تكن تلزمهم بحماية الرسول ﷺ خارج المدينة<sup>(١)</sup>.

عسكر ﷺ على ميل من المدينة في موضع يسمى النُقْع، واستعرض المقاتلة وردَّ من استصغره، فردَّ:

- ١ - عبد الله بن عمر.
- ٢ - أسامة بن زيد.
- ٣ - رافع بن خديج.
- ٤ - البراء بن عازب.
- ٥ - أسيد بن ظهير.
- ٦ - زيد بن أرقم.
- ٧ - وزيد بن ثابت. ولم يجزهم.

وعرض له عمير بن أبي وقاص فاستصغره، فقال: ارجع، فبكى عند ذلك أجازته، فقتل في بدر وهو ابن ست عشرة سنة.

**س: أين اتجه أبو سفيان بالناقلة عندما اقترب من بدر وعلم بخروج المسلمين؟**

**ج:** كان أبو سفيان متيقظًا للخطر، ولهذا عندما اقترب من بدر لقي مجدي بن عمرو الجهني، وسأله عن جيش الرسول ﷺ وأصحابه فأفاده أنه رأى راكبين أناخا إلى تل، ثم استقيا من الماء وانطلقا، فأسرع تاركًا الطريق الرئيسي. واتجه إلى طريق الساحل غربًا، ونجا من الخطر، ثم أرسل رسالة إلى جيش قريش، وهم بالجحفة، يخبرهم فيها بنجاته، ويطلب منهم الرجوع إلى مكة<sup>(٢)</sup>.

(١) البخاري: الفتح: (١٥/١٥-١٥٢)، مسلم: (١٤٣/٣ ح/١٧٧٩).

(٢) ابن هشام: (٣٠٩/٢-٣١٠).

## رؤيا جهيم بن أبي الصلت

س: من هو جهيم بن أبي الصلت؟ وما الرؤيا التي رآها؟ وما موقف أبي جهل منها؟.

ج: أقبلت قريش بخيلها وخيلائها حتى نزلوا الجحفة، وفي ذلك المكان رأى جهيم بن أبي الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا، قال: رأيت فيما يرى النائم، وإني لبين النائم واليقظان، إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى إذا دخل المعسكر وقف، ومعه بعير له، ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة، قتل شيبة بن ربيعة، قتل أبو الحكم ابن هشام، قتل أميه بن خلف، وقتل فلان وقتل فلان، فعدد رجالاً ممن قتل يوم بدر من أشرف قريش، ثم رأيت ضرب في لبة بعيره، ثم أرسله في المعسكر، فما بقي خباء من أخبية المعسكر، إلا أصابه نضح من دمه، فبلغت هذه الرؤيا أبا جهل، فقال: وهذا نبي آخر من بني المطلب، سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا.

س: ماذا كان جواب أبي جهل عندما وصلتته رسالة أبي سفيان التي يخبرهم فيها بنجاة

القافلة ويطلب منهم الرجوع إلى مكة؟.

ج: بعد ما وصلت رسالة أبي سفيان التي يخبر فيها قريشاً بنجاة القافلة، والتي قال فيها: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم، ورجالكم، وأموالكم، وقد نجّاهم الله، فارجعوا.

عندها همّ جيش مكة بالرجوع، ولكن أبا جهل رفض ذلك قائلاً: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا، فنقيم بها ثلاثًا، فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدًا، فامضوا<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير الطبري: (١٣ / ٥٧٩).

فأطاعه القوم، ما عدا الأحنس بن شريق، حيث رجع بقومه بني زهرة<sup>(١)</sup>. وأرادت بنو هاشم الرجوع فاشتد عليهم أبو جهل، وقال: لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع، فساروا حتى نزلوا بدرًا في عدوة الوادي القصوى.

**س: ماذا فعلت قريش بعد أن اطمأنوا بنزولهم في بدر قبيل المعركة؟**

**ج:** ولما اطمأنت قريش بنزولهم في بدر أرسلوا عمير بن وهب يتجسس أخبار المسلمين، فجال بفرسه حول معسكر المسلمين، ثم رجع إليهم وقال لهم: القوم ثلاثمائة رجل، يزيدون قليلاً أو ينقصون، ولكن أنظروني أنظر هل للقوم كمين أو مدد، فرجع إليهم فقال: ما رأيت شيئاً، ولكن يا معشر قريش، قد رأيت البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يُقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم عددهم، فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم.

وفي الجانب الآخر فإن جيش المسلمين وصل إلى بدر، وبعد نزول الرسول ﷺ قريباً من بدر أخذ يتعرف على أخبار قريش، حيث ركب هو وأبو بكر حتى وقفا على شيخ من العرب، فسألاه عن قريش، وعن محمد وأصحابه، ما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممّن أنتم؟، فقال الرسول ﷺ: «إذا أخبرتنا أخبرناك»، فقال الشيخ: ذاك بذاك؟ قال: «نعم»، قال الشيخ: بلغني أن محمداً خرج يوم كذا، فإن صدق الذي أخبرني، فهو اليوم بمكان كذا في المكان الذي هو فيه، وبلغني أن قريشاً قد خرجت يوم كذا وكذا، فإن صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا على المكان الذي هم فيه، فلما فرغ من خبره قال: ممّن أنتم؟ قال ﷺ: «نحن من ماء»، ثم انصرف عنه، قال الشيخ: من ماء من؟ أم من ماء العراق؟.

(١) ابن هشام: (٢ / ٣١١ - ٣١٢)، وكان بنو زهرة نحو ثلاثمائة رجل.

س: ماذا دار بين زعماء قريش بعد أن نقل لهم حكيم بن حزام خبر المسلمين وتخوفه منهم؟.

ج: لما سمع حكيم بن حزام كلام عمير بن وهب، مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد، إنك كبير قريش وسيدها المطاع، هل لك في عمل لا تزال تذكر به إلى آخر الدهر؟، قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس وتتحمل دية حليفك عمرو بن الحضرمي، قال: قد فعلت، ثم قال له حكيم: فأت ابن الحنظلية -أبا جهل- فقام عتبة بن ربيعة خطيباً في قومه، فقال لهم: يا معشر- قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه، مثل ابن عمه، أو ابن خاله، أو رجل من عشيرته، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه ذلك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألكم ولم تعرضوا منه ما تريدون.

وعندما سمع ذلك أبو جهل قال: انتفخ سحره - يقصد عتبة بن ربيعة - حين رأى محمداً وأصحابه، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبينه، وما بعتبة ما قال، ولكنه قد رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور، وفيهم ابنه، قد تخوفكم عليه. فلما بلغ عتبة قول أبي جهل: انتفخ والله سحره، قال: سيعلم مُصَفِّرُ إسته من انتفخ سحره، أنا أم هو؟.

ولما كان المساء بعث رسول الله ﷺ على بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر، فوجدوا غلامين، وهما من سقاة قريش، فأتوا بهما، فسألوهما، ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فقالا: نحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما، فلما اشتد الضرب عليهما قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما.

وركع رسول الله ﷺ وسجد سجديته، ثم سلم، وقال: «إذا صدقاكم

ضربتموهما، وإذا كذبا تركتموهما، صدقا والله إنهما لقريش»، ثم قال لهما ﷺ: «أخبراني عن قريش؟» قالا: هم والله وراء هذا الكتيب الذي بالعدوة القصوى، فقال لهما: «كم القوم؟» قالا: كثير، قال: «ما عدتكم؟» قالا: لا ندري، قال: «كم ينحرون كل يوم؟» قالا: يوماً تسعاً، ويوماً عشراً، فقال رسول الله ﷺ «القوم فيما بين التسعمائة والألف».

ثم قال لهما: «فمن فيهم من أشرف قريش؟» قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة ابن ربيعة، وأبو البخثري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث ابن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود بن عمرو، وأبو جهل بن هشام، وأمّية بن خلف، ونيبه ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ودّ، فأقبل رسول الله ﷺ على الناس، فقال: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها»  
بات أبو جهل بشر. مبيت، من السهر والبرد والخوف، وذلك أنه نزل تلك الليلة المطر، فقد أرسل الله تعالى لهم السحاب، فنزل المطر، وتطهر به المسلمون، ولبدت الأرض، وكانت دهساً سهلة لينة، وكان للمشركين، وحل، وطين، أعاقهم ذلك حتى عن المسير.

### رأي الحباب من المنذر

س: لما نزل ﷺ ميدان بدر كان للحباب بن المنذر رأي، فما هو رأيه؟ وما موقف الرسول ﷺ

من رأيه؟.

ج: لما نزل رسول الله ﷺ بدرًا قال له الحباب بن المنذر بن الجموح: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمنزل أنزلك الله أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة»، قال: فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم، فتنزله، ثم نغور ما وراءه من القلوب، ثم



نبي حوضاً فتملاًه، فنشرب ولا يشربون.  
فقال رسول الله ﷺ: «قد أشرت بالرأي».

### مشورة سعد بن معاذ ببناء العريش للنبي ﷺ

س: بماذا أشار سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وما الغرض من هذه المشورة؟  
ج: أشرنا إلى مشورة الحباب بن المنذر بن الجموح، وقول الرسول ﷺ «لقد أشرت بالرأي»، ثم أشار سعد بن معاذ على الرسول ﷺ بأن يبني له عريشاً حيث قال: يا رسول الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، نَعُدُّ عندك ركائبك ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله، وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن أشد حباً لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقي حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحونك، ويجاهدون معك، فأثني عليه خيراً، ودعا له بخير، ثم بُني لرسول الله ﷺ عريش، فكان فيه.  
س: لما طلع المشركون ورأهم رسول الله ﷺ ماذا قال؟

ج: في صباح يوم الجمعة السابع عشر - من رمضان سنة ٥٢هـ، وعندما طلع المشركون وتراءى الجمعان دعا رسول الله ﷺ ربه قائلاً: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أحنهم الغداة»<sup>(١)</sup>. وقام ﷺ، ورفع يديه، واستنصر ربه وقال: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك»، فالتزمه أبو بكر من ورائه، وقال: يا رسول الله! أبشر فوالذي نفسي بيده لينجزن الله لك ما وعدك<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن هشام: (٢ / ٣١٤)، مسند أحمد: (٢١ / ٤٤)، الحاكم: (٢ / ٣٢٨) وصححه.

(٢) مسلم: (١٧٦٣)، وأحمد: (١ / ٣٠ - ٣٢)، والبخاري بنحوه (٧ / ٢٢٤ - ٢٢٦).

### تقبيل سواد بن غزية بطن رسول الله ﷺ

س: ماذا حدث أثناء تعديل الرسول ﷺ صفوف المسلمين استعداداً لبدء المعركة؟

ج: بينما كان الرسول ﷺ يعدل صفوف المسلمين يوم بدر، وفي يده قدح يعدل به الصف، مر بسواد بن غزية، حليف بني عدي بن النجار، وهو متقدم عن الصف، فطعنه بالقدح في بطنه، وقال: «استوي يا سواد»، فقال: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأقديني<sup>(١)</sup>، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، وقال: «استقد»، فاعتنقه سواد فقبل بطنه، فقال ﷺ: «ما حملك على هذا يا سواد؟». قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسه جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير<sup>(٢)</sup>.

س: ماذا فعل إبليس الذي أتى إلى قريش في صورة سراقه بن مالك وقال: أنا أجركم أن

يأتيكم أحد من ورائكم بما تكرهون عندما وصل ميادين المعركة؟

ج: لما عزمت قريش الخروج إلى بدر ذكروا ما بينهم وبين بني كنانة من الحرب، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك المدلجي، وكان من أشرف بني كنانة، فقال لهم: لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني جار لكم من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعاً<sup>(٣)</sup>، وسار معهم إلى بدر، فلما وصل بدرًا، ورأى ما تفعل الملائكة بالمشركين، فرونكص على عقبيه، ثم خرج هاربًا، وقال المشركون إلى أين يا سراقه ألم تقل إنك جار لنا، لا تفارقنا؟ فقال: ﴿ فَلَمَّا تَرَأَتْ الْأُمَمَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٤٨)

[الأنفال]. فكان هذا هو إبليس، لا كما كانت تظن قريش أنه سراقه بن مالك.

(١) أقديني: اقتص لي من نفسك، والقدح السهم بلا ريش.

(٢) ابن هشام: (٢ / ٣٢٠ - ٣٢١)، الطبري: (٢ / ٣٢).

(٣) ابن هشام: (١ / ٦٦٣)، ابن كثير: (٢ / ٤٣٢، ٤٣٣).

**س: خرج بعض من قريش إلى المسلمين قبل بداية المعركة، فلماذا خرجوا ومن خرج إليهم من المسلمين؟.**

**ج:** قبل ابتداء القتال خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وكان رجلاً شرساً سئ الخلق، فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمته، أو لأموتنّ دونه، وتصدى له حمزة، وضربه ضربة أطارت قدمه بنصف ساقه، ثم حبا إلى الحوض مضرّجاً بدمائه ليبر قسمه، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض. ثم خرج ثلاثة من فرسان قريش يطلبون المبارزة، وهم عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه والوليد بن عتبة، فخرج لهم ثلاثة من الأنصار، وهم: عوذ ومعوذ أبناء الحارث - أمهما عفراء - وعبد الله بن رواحة، فقالوا لهم: أكفء كرام، ما لنا بكم حاجة، إنما نريد بني عمنا، فخرج إليهم: حمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وقتل حمزة وعلي صاحبيهما، وأعانا عبيدة على قتل عتبة.

**س: ماذا حصل بين الفريقين بعد المبارزة؟.**

**ج:** بعد المبارزة حمي الوطيس<sup>(١)</sup>، واستدارت رحى الحرب، واشتد القتال، وأخذ رسول الله في الدعاء والابتهاال، ومناشدة ربه ﷻ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فرده عليه أبو بكر الصديق، ثم إن النبي ﷺ أغفى إغفاءً واحدة، وأخذ القوم في النعاس في حال الحرب، ثم رفع رسول الله ﷺ رأسه فقال: «أبشروا، يا أبا بكر! هذا جبريل على ثناياه النقع»<sup>(٢)</sup>. وجاء النصر، وأنزل الله جنده، وأيد رسوله والمؤمنين، ومنحهم أكتاف المشركين أسراً وقتلاً، وأخذ الرسول ﷺ ملء كفه من الحصباء، فرمى بها وجوه العدو، فلم تترك رجلاً منهم إلا ملأت عينيه،

(١) الوطيس: التنور إذا اشتدت حرارته. وهنا كناية عن اشتداد القتال.

(٢) على ثناياه النقع: أي: الغبار.

وشغلوا بالتراب في أعينهم، وشغل المسلمون بقتلهم، فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين<sup>(١)</sup>، فأنزل الله في شأن هذه الرمية على رسوله: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال].

س: ما موقف سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه من أسرا العدو؟ وماذا قال له الرسول ﷺ

في ذلك، وبماذا أجابه؟.

ج: فلما وضع الناس أيديهم يأسرون، ورسول الله ﷺ ومعه سعد بن معاذ قائم على باب العريش متوشحاً سيفه في نفر من الأنصار يجرسون رسول الله ﷺ كره سعد ذلك، ورأى رسول الله ﷺ تلك الكراهية في وجه سعد بن معاذ لما يصنع الناس، فقال له رسول الله ﷺ: «كأنك تكره ما يصنع القوم؟» قال: أجل والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان في القتل أحب إلى من استبقاء الرجال.

### الإمداد بالملائكة في بدر

س: هل شهدت الملائكة بدرًا ولماذا؟.

ج: نزل المسلمون ساحة المعركة بقوة إيمانية كبيرة وشدة على المشركين وأخذوا في اقتطاف رؤوسهم، وأمدهم الله بالملائكة لينصرهم على عدوهم، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران]، وقوله: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴾ [الأنفال]، وقوله: ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال].

(١) زاد المعاد: (٣ / ١٦٣).

### مشاهدات من ميدان بدر

س : اذكر بعض المشاهد من ميدان بدر؟ وماذا نستفيد من تلك المشاهد؟ .

ج: قال عوف بن الحارث: يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده؟ قال: «أن يراه قد غمس يده في العدو حاسراً». فنزع درعاً كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل.

مقتل أمية بن خلف:

قال عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة فمررت به يوم بدر وهو واقف مع ابنه علي، أخذاً بيده، ومعني أدرع لي قد استلبتها، فلما رأني قال لي: هل لك فيّ، فأنا خير لك من هذه الأدرع التي معك؟، قال: قلت: نعم، وطرح الأدرع، وأخذت بيده وبهد ابنه، وهو يقول: ما رأيت كالיום قط، أما لكم حاجة في اللبن<sup>(١)</sup>؟، ثم قال: من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟، قلت: ذاك حمزة بن عبد المطلب، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل.

قال عبد الرحمن بن عوف: فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي، وكان هو الذي يعذبه بمكة على الإسلام، ويطرحه في الرمضاء إذا حميت، فيضع الصخرة العظيمة على صدره، ويقول له: لا تزال هكذا، أو تفارق دين محمد، فلما رآه بلال قال: رأس الكفر أمية بن خلف؟ لا نجوت إن نجا، قال: قلت: أسيري؟ قال: لا نجوت إن نجا، قال: قلت: أسمع يا بن السوداء؟، قال: لا نجوت إن نجا.

ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت

(١) يريد باللبن أن يفتدي نفسه بإبل كثيرة اللبن.

إن نجا، قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة<sup>(١)</sup>، وأنا أذبُّ عنه، قال: فأخلف<sup>(٢)</sup> رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط، قال فقلت: أنج بنفسك، فوالله ما أغني عنك، قال: فهبر وهما بأسيا فهم حتى فرغوا منهما، فقال عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يرحم الله بلالاً، ذهب أدرعي، وفجعني بأسيري.

هذا ما كان من أمر أمية بن خلف، وابنه، وأخذ بلال ثاره منه.

**مصرع أبي جهل:**

كان من أمر أبي جهل ما قاله عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إني لواقف في الصف يوم بدر، فنظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثه أسنانهما، فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما سراً من صاحبه فقال: أي عم، هل تعرف أبا جهل؟ فقلت: نعم، فما حاجتك إليه يا بن أخي؟ قال: أخبرت أنه يسبُّ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيت لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا، قال: وغمزني الآخر سراً من صاحبه فقال مثلها، فعجبت لذلك، قال: فلم ألبث إلى أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس وهو يرتجز:

ما تنقم الحرب العوان مني      بازل عامين حديث سني

**لمثل هذا ولدني أمي**

فقلت: ألا تريان؟، هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه؟، فابتدراه بسيفهما فضرباه حتى برد، وانصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: «أيكما قتله؟» فقال

(١) المسكة: السوار، وجعلونا في مثل المسكة: أي جعلونا حلقة كالسوار وأحدقوا بنا.

(٢) أخلف الرجل السيف: إذا سله من غمده.

كل واحد منهما: أنا قتلته، قال: «مسحتما سيفيكما؟»، قالوا: لا، فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين فقال: «كلاهما قتله»، وقضى رسول الله ﷺ بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء<sup>(١)</sup>. قال النبي ﷺ: «من ينظر ما فعل أبو جهل؟» وقال: «انظروا إن خفي عليكم في القتلى، إلى أثر جرح في ركبته، فإني ازدحمت يوماً أنا وهو على مأدبة لعبد الله بن جدعان، ونحن غلامان، وكنت أشف منه<sup>(٢)</sup> بيسير، فدفعته فوقع على ركبته فجحش في إحداهما جحشاً لم يزل أثره به».

فخرج عبد الله بن مسعود في طلبه، فوجده بأخر رمق، فعرفه، فأخذ بلحيتته، فقال: أنت أبو جهل؟ قال أبو جهل: وهل فوق رجل قتله قومه؟ فوضع عبد الله بن مسعود رجله على عنقه، فقال أبو جهل: لقد ارتقيت مرتقاً صعباً يا رويعي الغنم، قال له عبد الله بن مسعود: هل أخزأك الله يا عدو الله؟ قال: وبماذا أخزاني؟ أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ قال: لله ورسوله، فسلبه عبد الله بن مسعود درعه، وهو لا يتكلم، واختلط سيفه فضرب به عنقه، واحتز رأسه ثم جاء به إلى النبي ﷺ، فقال يا رسول الله: هذا رأس عدو الله أبي جهل، فقال له ﷺ: «آله الذي لا إله غيره؟»، وكانت هذه الكلمة يمين رسول الله ﷺ، قال ابن مسعود: نعم والله الذي لا إله غيره، ثم ألقى رأسه بين يدي رسول الله ﷺ، فحمد الله.

وقتل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خاله العاص بن هشام.

وقاتل عكاشة بن محصن حليف عبد شمس يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جذلاً من حطب، فقال: «قاتل بهذا يا عكاشة»، فلما أخذ من رسول الله ﷺ هذه فعداد سيفاً، قاتل به حتى فتح الله على المسلمين، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قُتل في

(١) وقيل: إن قاتليه معاذ ومعوذ ابنا عفراء.

(٢) فلان أشف من فلان: أي أكبر منه قليلاً.

الردة وهو عنده.

ولما انقضت الحرب، أقبل الرسول ﷺ حتى وقف على القتلى فقال: «بئس عشيرة النبي كنتم، كذبتُموني وصدقني الناس، وخذلتُموني ونصرني الناس، وأخرجتُموني وآواني الناس»، ثم أمر بهم، فسحبوا في القليب، ثم طُرحوا فيه، ثم وقف عليهم فقال: «يا عتبة، يا شيبة، يا فلان، يا فلان، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًا»، فقال عمر: يا رسول الله ما تخاطب من أقوام قد جُيِّفوا؟ فقال: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون الجواب».

بعث رسول الله ﷺ بعد نهاية المعركة عبد الله بن رواحة بشيرًا إلى أهل العالية بما فتح الله ﷻ على رسوله وعلى المسلمين، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، فلما أقبلوا على المدينة جعل عبد الله بن رواحة ينادي على راحلته: يا معشر الأنصار أبشروا بسلامة رسول الله ﷺ وقتل المشركين، وأسرهم بدير، فقام إليه عاصم بن عدي فقال له: أحقًا ما تقول يا بن رواحة؟ قال: إي والله غدًا يقدم رسول الله ﷺ بالأسرى مقرنين، ثم تتبع دور الأنصار بالعالية يشرهم دارًا دارًا، والصبيان يشتدون معه، ويقولون: قتل أبو جهل الفاسق.

قال أسامة بن زيد بن حارثة: أتانا الخبر بالمدينة حين سوينا التراب على رقية ابنة رسول الله ﷺ، زوجة عثمان بن عفان، قال: فجئت وإذا زيد بن حارثة واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة ابن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وزمعة بن الأسود، وأبو البختری العاص بن هشام، وأمّية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج.

قال: قلت: يا أبت، أحق هذا؟ قال: نعم والله يا بني، وكان قد قتل من المشركين سبعون رجلًا، وأسر منهم سبعون.



س: ماذا عمل الرسول ﷺ بعد جمع الغنائم والأسرى؟.

ج: بعد أن منَّ الله على رسوله وعلى المسلمين بالنصر- المؤزر، ارتحل بعد جمع الأسرى والغنائم قرير العين، متجهًا إلى المدينة بعد أن أقام ببدر ثلاثًا بعد إنهاء المعركة.

س: اذكر أهم قتلى المشركين في بدر؟.

ج: ضُربت أعناق أئمة الكفر وصناديد الشرك وعلى رأسهم: أبو جهل، وأمّية بن خلف، والعاص بن هشام بن الحارث، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبو البخترى بن هشام، وعلي بن أمية بن خلف، وحنظلة بن أبي سفيان، ونوفل بن خويلد.

س: ماذا عمل الرسول ﷺ وأصحابه في قتلى المشركين وبماذا خاطبهم الرسول ﷺ؟.

ج: أمر الرسول ﷺ بقتلى المشركين فسُجِّبوا وألقوا في قليب بدر، ثم وقف عليهم فقال: «يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا فلان ويا فلان ويناديهم بأسمائهم: أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟»، وكان عدد الذين أمر بهم الرسول ﷺ يوم بدر أن يلقوا في قليب بدر أربعة وعشرون رجلًا من صناديد قريش.

س: كم استشهد من المسلمين، ومن أول قتيل من المسلمين؟.

ج: جملة من حضر بدرًا من المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر. رجلًا استشهد منهم أربعة عشر رجلًا.

### شهداء بدر

استشهد عدد من المسلمين في بدر من المهاجرين والأنصار منهم: عمير بن الحمام، وعبيد الله بن الحارث بن المطلب، وعمير بن أبي وقاص، وعاقل بن عبد ياليل الليثي، وذو الشمالين: عمير بن عمرو الخزاعي، ومهجع مولى عمر بن

الخطاب، وصفوان ابن بيضاء - أمه - بن وهب بن ربيعة، ومبشر بن عبد المنذر، ويزيد بن الحارث، وعوف ومعاذ أبناء عفراء، وعوف ابن عفراء، هذا هو الذي قال: يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده؟ قال: «أن يراه قد غمس يده في العدو حاسراً»، فنزع درعه، وتقدم وقاتل حتى قُتل.

دُفن منهم ببدر ثلاثة عشر، وأما الرابع عشر وهو عبيدة بن الحارث، كان به رمق، فحُمِل، ومات بالصفراء، على بعد ليلة من بدر ودفن بها. كان أول قتيل من المسلمين هو عمير بن الحمام، وكان من أمره أنه عندما دنا العدو وتواجه القوم في ساحة القتال، قام رسول الله ﷺ في الناس، فوعظهم، وذكرهم بما لهم في الصبر والثبات من النصر، وأخبرهم أن الله قد أوجب الجنة لمن استشهد في سبيله، فقام عمير بن الحمام، فقال: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم»، قال: بخ بخ يا رسول الله، قال: «وما يملكك على قولك بخ بخ؟» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها»، قال: فأخرج تمرات كانت في قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة، فرمى بها كان معه من التمر ثم قاتل حتى قتل<sup>(١)</sup>. فكان أول قتيل.

### الخلافا في الغنائم

س: ماذا حصل بين المسلمين من خلافا في غنائم بدر، وكيف انتهى هذا الخلافا؟.

ج: وقع خلافا بين بعض المسلمين في قسمة الغنائم، فالمقاتلون يقولون: باشرنا القتال فهي لنا خالصة، والذين يجمعون الغنائم قالوا: هي لنا، وقال الذين يجرسون الرسول ﷺ: ما أنتم بأحق بها منا، ولما كان هذا الاختلاف مما

(١) أحمد: (١٣٦/٣، ١٣٧)، مسلم: (١٩٠١)، الحاكم: (٤٢٦/٣).

يدعو إلى التشنت والبغضاء، أنزل الله تبارك وتعالى آياته فحسم هذا الأمر بقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال]، فتألفت القلوب بعد أن كادت تتفرق، وتركوا أمر الغنائم لرسول الله ﷺ يضعها كيف يشاء.

### قضية الأسرى

س: ماذا عمل الرسول ﷺ بأسرى بدر؟.

ج: فرّق الرسول ﷺ الأسرى بين الصحابة وقال: «استوصوا بالأسرى خيراً»، وكان قبل أن يصل إلى المدينة، ولما كان رسول الله ﷺ بالصفراء أمر علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَقْتُلَ النَّضْرَ. بن الحارث، فقتله، ثم لما كان بعرق الظبية أمر بقتل عقبة بن أبي معيط، عند ذلك قال: فمن للصبية يا محمد؟ قال: «النار»، فقتله عاصم، وكان الذي أسر عقبة عبدُ الله بن سلمة البلوي حليف الأنصار، وذلك لعداوتها الشديدة وأذاهما للرسول ﷺ والمسلمين.

فقدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الأربعاء، الثاني والعشرين من شهر رمضان، قبل الأسرى بيوم.

وكان في الأسرى، أبو عزيز، أخو مصعب بن عمير العبدي، فمر به مصعب ورجل من الأنصار يأسره، فقال له: شدّ يديك، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك، قال أبو عزيز: كنت في رهط من الأنصار، فكانوا إذا قدموا غداءهم أو عشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر.

وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر- بن الحارث فقال أبو عزيز لأخيه مصعب: يا أخي هذه وصاتك بي؟ فقال له مصعب: إنه أخي دونك، فسألت أمه عن أعلى ما فدي به قرشي، فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها.

**س: كيف وصل خبر وقعة بدر إلى قريش؟**

**ج:** كان أول من قدم مكة من قريش بعد الهزيمة، والقتل، والأسر الحيسان ابن عبد الله الخزاعي، فقالوا: عند ذلك ما وراءك؟ قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والحكم بن هشام -أبو جهل-، وأمية بن خلف، وزمعة بن الأسود، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البخترى بن هشام، فلما جعل يعدد أشراف قريش، قال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحجر: والله إن يعقل هذا، فاسألوه عني. فقالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: ها هو ذاك جالس في الحجر، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا.

**نهاية أبي لهب**

**س: من المعلوم أن أبا لهب لم يحضر غزوة بدر، فلماذا تخلف؟ وكيف كانت نهايته؟**

**ج:** قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس، وأسلمت أم الفضل، وكان العباس يكتنم إسلامه، يهاب قومه ويكره مخالفتهم، وكان أبو لهب تخلف عن بدر، فلما جاء الخبر عن مصاب قريش كبتة الله وأخزاه، وقد سررنا ما جاء من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر- حتى جلس على طنب الحجر، فكان ظهره إلى ظهري، فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن المطلب قد قدم، فقال له أبو لهب: هلم إلي، فعندك لعمري الخبر، فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا بن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فممنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وإيم الله مع ذلك ما ملت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق، بين السماء والأرض، والله ما تلق شيئاً، ولا يقوم لها شيء، قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجر بيدي ثم قلت:

تلك والله الملائكة، فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة قال: وثاورته، فاحتملني فضرب بي الأرض، فقامت أم الفضل إلى عمود فضربت به ضربة فلعت في رأسه شجة منكرة، وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده، فقام مولياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة - وهي ما يعرف اليوم بالجدري - فقتلته.

وكانت العرب تتشاءم بها، ويرون أنها تعدي أشد العدوى، فلما رُمي بها أبو لهب، تباعد عنه بنوه، فبقي ثلاثاً لا تقرب جنازته، ولا يدفن، فلما خافوا السَّبة دفعوه بعود في حفرتة، ثم قذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وفي «صحيح البخاري»<sup>(١)</sup>: أن بعض أهله رأوه في المنام في شريحة - وهي الحالة - فقال: ما لقيت راحة، غير أني سُقيت في مثل هذه، وأشار إلى النقرة بين السبابة والإبهام، بعثقي ثوية - جاريتة - وفي رواية: ما لقيت بعدكم راحة إلا أن العذاب يخفف عني كل يوم إثنين، وذلك أن رسول الله ﷺ ولد يوم الإثنين، وكانت ثوية بشرته بمولده، فأعتقها، فنفعه ذلك، وقد كان رسول الله ﷺ يصل ثوية من المدينة، ويتحفها لأنها أرضعته، وأرضعت عمه حمزة، ولما فتح مكة سأل عنها، وعن ابن لها اسمه مسروح، فأخبر أنها قد ماتا.

### موقف قريش من مصابها في بدر

س: ما موقف قريش من مصابها في بدر؟

ج: ناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم، لا يارب عليكم محمد وأصحابه في الفداء، وكان الأسود بن عبد المطلب قد أصيب له ثلاثة من الولد:

(١) البخاري: (٣ / ١٣٧)، ومسلم: (١٥٣٧).

زمعة بن الأسود، وعقيل بن الأسود، والحارث بن زمعة، ثم بعثت قريش بعد ذلك في فداء الأسرى.

س: استشار النبي ﷺ بعض الصحابة في أمر الأسرى، فمن استشار، وبماذا أشاروا عليه، ولئن كان يميل رأي الرسول ﷺ من الصحابة؟.

ج: لما وصل رسول الله ﷺ المدينة استشار أصحابه في الأسرى، فقال أبو بكر: يا رسول الله هؤلاء بنوا العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله، فيكونوا لنا عضداً.

فقال الرسول ﷺ: «ما ترى يا بن الخطاب؟» قال: والله يا رسول الله قد كذبوك وقاتلوك وأخرجوك، فأرى أن تمكن كل واحد منا من قريبه فيضرب عنقه، حتى يعلم أعداء الله أنه ليست في قلوبنا رحمة ولا هوادة للمشركين، وهؤلاء صنائدهم، وأئمتهم وقادتهم، وكان رأي الرسول ﷺ رأي أبي بكر. فنزل القرآن موافقاً لرأي عمر، وهو قوله تعالى: ﴿ مَا كَان لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْجَخَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٧) لَوْلَا كُنْتُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ [الأنفال] (١).

س: بماذا شبه الرسول ﷺ أبا بكر وعمر بعدما سمع رأي كل واحد منهما في موضوع الأسرى؟

ج: قال ﷺ: «إن الله ليلين قلوب أقوام حتى تكون ألين من اللين، وإن الله ليشدد قلوب أقوام حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم إذ قال: ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣٦) [إبراهيم]، وإن مثلك يا عمر مثل نوح إذا قال: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (٦٦) [نوح] ثم قال: «أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد من أسراكم إلا بفداء».

(١) مسلم: (٣ / ١٣٨٥ / ح / ١٧٦٣).

س: ماذا عمل رسول الله ﷺ بعد أن قرر فداء الأسرى؟ .

ج: بعد أن قرر الرسول ﷺ فداء الأسرى، أخذ الناس في فداء أسراهم، وقد تباين الفداء، فكان من أربعة آلاف درهم إلى ثلاثة آلاف درهم إلى ألف درهم، وكان أهل مكة يعرفون الكتابة، وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن عنده فداء أعطي عشرة غلمان يعلمهم الكتابة من غلمان المدينة، فإذا حذقوا كان هذا فداء<sup>(١)</sup>.

وقد منَّ ﷺ على عدد من الأسرى، فأطلقهم بغير فداء، منهم: المطلب بن حنطب، وصيفي بن أبي رفاعة، وأبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت الرسول ﷺ بشرط أن يخلي سبيلها، وكانت زينب قد بعثت في فدائه بمال وبعثت فيه بقلادة لها كانت لخديجة بنت خويلد أهدتها إلى ابنتها زينب ليلة زواجها من أبي العاص بن الربيع، فلما رآها الرسول ﷺ رَقَّ لها رقة شديدة، فقال لأصحابه: «إن شئتم أطلقوا لها أسيرها وأعيدوا لها مالها»، ففعلوا ثم إنه خلى سبيلها فهاجرت إلى المدينة<sup>(٢)</sup>.

وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي، وكان محتاجاً ذابنات، فكلم رسول الله ﷺ فأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحداً، فمنَّ عليه وأطلقه، فقال أبو عزة يمدح رسول الله ﷺ، ويذكر فضله في قومه بعد عودته لمكة وهو مشرك.

فمن مبلغ عني الرسول محمد  
وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى  
وأنت امرؤ بوئت فينا مباءة  
فإنك من حاربتك لمحارب  
ولكن إذا ذكرت بدرًا وأهله  
بأنك حق والمليك حميد  
عليك من الله العظيم شهيد  
لها درجات سهلة وصعود  
شقي ومن سالمته لسعيد  
تأوب ما بي حسرة وقعود

(١) أحمد في المسند: (٤ / ٤٧) ح (٢٢١٦).

(٢) المصدر السابق: (١٤ / ١٠٠).

س: ماذا قال أهل العلم في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كُنْتُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وما الكتاب الذي سبق؟.

ج: اختلف المفسرون من أهل العلم في هذا الكتاب الذي سبق ما هو؟ على أقوال:

الأول: ما سبق في علم الله من أنه سيحل لهذه الأمة الغنائم بعد أن كانت محرمة على سائر الأمم، ويشهد لهذا القول ما أخرجاه في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله: «أُعْطِيتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتِ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَةً»<sup>(١)</sup>.

الثاني: أنه مغفرة الله لأهل بدر ما تقدم من ذنبهم وما تأخر، كما في الحديث: «لَعَلَّ اللَّهُ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

الثالث: هو ألا يعذبهم ومحمد ﷺ فيهم، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال].

الرابع: أن الله لا يعذب أحدًا بذنب فعله جاهلاً لكونه ذنبًا.

س: ما حكم أخذ الفداء في أول الإسلام ثم فيما بعد؟.

ج: كان أخذ الفداء حلالاً في أول الإسلام، ثم جعل فيما بعد الخيار للإمام بين القتل أو الفداء، أو المن، ما عدا الأطفال والنساء، إذ لا يجوز قتلهم ما داموا غير محاربين، قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمُ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَأْبُودٌ وَإِمَّا فَدَاءٌ...﴾ [محمد].

(١) صحيح البخاري: (ح / ٣٣٥)، صحيح مسلم: (٥٢).



## فضل أهل بدر

س: اذكر فضل أهل بدر عن سائر المسلمين؟ وماذا تعني المغفرة لهم؟.

ج: روى البخاري أن جبريل عليه السلام أتى إلى النبي ﷺ فقال له: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: «من أفضل المسلمين» أو كلمة نحوها، فقال: كذلك من شهد بدرًا من الملائكة.

المغفرة لأهل بدر:

المغفرة لأهل بدر لا تعني الترخيص لهم في فعل المعاصي، بل المعاصي إذا أتوها فهي في حكم الشرع معاصي لا مباحات، ولكن لا يترتب عليها العقاب في الآخرة بل في الدنيا، يؤيد ذلك كله ما رواه الإمام أحمد رحمه الله من حديث جابر رضي الله عنه عن رسول ﷺ أنه قال «لن يدخل النار رجل شهد بدرًا، والحديبية» ولا دليل على أنه لا يقام عليهم الحد، فقد أقام الرسول ﷺ الحد على مسطح بن أثاثة وهو بدري، وأقامه عمر بن الخطاب على قدامة بن مظعون، لما شرب الخمر.

س: اذكر أثر غزوة بدر على الإسلام والمسلمين؟.

ج: كانت موقعة بدر ذات أثر كبير في إعلاء شأن الإسلام، ولذا سميت في القرآن بيوم الفرقان، وأوضحت الأحاديث فضل البدرين، وعلو مقامهم في الجنة، وكان لبدر الأثر العميق في المدينة، وبقية حواضر وبادي الجزيرة العربية، فقد استعلى المؤمنون في المدينة على اليهود وبقايا المشركين، فانخذل اليهود وجاهروا بالعداوة مما كان سببًا في جلاء بني قينقاع عن المدينة - كما سيأتي -، وأسلم من زالت الغشاوة عن عينيه، وناق من أضله الله، حفاظًا على مصالحه الخاصة، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: البخاري: الفتح: (١٧/٩٤ ح/٤٥٦٦).

## أهم الأحكام والدروس والعبر من غزوة بدر

س: اذكر أهم ما تضمنته غزوة بدر من الأحكام والدروس؟.

ج: لقد تضمنت أحداث غزوة بدر أحكامًا ودروسًا كثيرة كان أهمها:

- ١ - جواز النكاية بالعدو، بقتل رجالهم وأخذ أموالهم وإخافة طرقهم التي يسلكونها لما في ذلك من إضعافهم معنويًا واقتصاديًا.
- ٢ - جواز استخدام العيون لكشف أحوال العدو وإفشال خططه.
- ٣ - جواز فداء الأسرى أو المنّ عليهم.
- ٤ - جواز المبارزة بإذن الأمير، وهذا قول عامة أهل العلم.
- ٥ - لا حرج في قتل الأسير قبل أن يصل إلى الإمام كما فعل بلال ومن معه من الأنصار عندما قتلوا أمية بن خلف، وهو في أسر عبد الرحمن بن عوف.
- ٦ - من قتل قتيلاً فله سلبه، على شرط: أن يكون المقتول من المقاتلة وليس ممن نهى الرسول ﷺ عن قتلهم من النساء والصبيان والشيوخ.
- ٧ - أن أهل بدر مغفور لهم يوم القيامة، أما أحكام الدنيا فإنها تؤخذ منهم ويعاقبون عليها إن أتوها كما وقع لقدامة بن مظعون عندما حُدد في الخمر.
- ٨ - أنه كان من سنة الرسول ﷺ بعد انتهاء المعركة أن يقيم في مكانها ثلاثاً.
- ٩ - السنة في الشهداء أن يدفنوا في مضاجعهم كما حدث لشهداء بدر وأحد، ولا يصلي عليهم كما ثبت بالنسبة لشهداء أحد، ولم يذكر أنه صلى على شهداء بدر.
- ١٠ - المساواة بين الجندي والقائد في السلم والحرب، وقد اتضح ذلك من قصة سواد بن غزوية مع الرسول ﷺ إذ كشف الرسول ﷺ عن بطنه ليقتاد منه سواد، وهو فعل الخلفاء بعده: أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

١١ - لقد تجلت في بدر بطولات إيمانية كثيرة، على سبيل المثال ما روي من أن أبا عبيدة - عامر بن الجراح - قتل والده الجراح يوم بدر، وروي أن أبا عزيز بن عمير قال: مر بي أخي مصعب ورجل من الأنصار يأسرني، فقال: شدّ يدك به فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك، وهو أخوه<sup>(١)</sup>.

### النشاط العسكري والأحداث ما بين بدر وأحد

س: اذكر موقف كل من: المشركين واليهود والمنافقين والبدو الضاربين حول المدينة من نتائج

غزوة بدر الكبرى؟.

ج: كانت غزوة بدر أول لقاء مسلح بين المسلمين والمشركين، وكانت معركة فاصلة، أكسبت المسلمين نصرًا حاسمًا شهد له العرب قاطبة، واستاء المشركون لهذه المعركة أشد الاستياء؛ لأنهم منوا بخسائر فادحة في الأموال والأرواح، أما اليهود فكانوا يرون عزة المسلمين وغلبتهم في هذه المعركة وسواها ضربة قاصمة لكيانهم الإقتصادي والديني، فمنذ انتصر - المسلمون في معركة بدر كان هذان الفريقان يجترقان غيظًا وحنقًا على المسلمين، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة]. وكانت في المدينة بطانة للفريقين - اليهود والمشركون - دخلوا في الإسلام حين لم يبق مجال لاحترامهم، وهم المنافقون برئاسة عبد الله بن أبي وأصحابه، ولم تكن هذه الفرقة أقل غيظًا من الأوليين.

ثم كانت هناك فرقة رابعة، وهم البدو الضاربون حول المدينة، لم يكن يهمهم مسألة الكفر والإيمان، وكانوا أصحاب سلب ونهب، فأخذهم القلق، واضطربوا لهذا الانتصار، وخافوا أن تقوم في المدينة دولة قوية تحول بينهم وبين اكتساب قوتهم عن طريق السلب والنهب، فجعلوا يحقدون على المسلمين،

(١) انظر: السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصيلة، د. مهدي رزق الله (٣٦٥).

وصاروا لهم أعداءً، وهنا يظهر لنا أن الأخطار قد أحاطت بالمسلمين من كل جانب، ولكن هذه الفرق قد تباينت في مواقفها وسلوكها إزاء المسلمين، وأخذ كل فريق طريقة خاصة لمواجهة الوضع الجديد، فكانت المدينة ومن حولها تظاهر بالإسلام، وتأخذ في طريق المؤامرات والدسائس والتحرشات والاستفزازات، وكانت فرقة من اليهود تعلن بأخذ الثأر والانتقام، وتهتم بالتعبئة العامة جهازاً، وترسل إلى المسلمين بلسان حالها تقول:

**ولا بد من يوم أغر محجل يطول استماعي بعده للنوادب**  
 وفعلاً، قد كانت غزوة عظيمة جاءت إلى أسوار المدينة، عرفت في التاريخ بغزوة أحد، والتي كان لها أثر كبير على سمعة المسلمين وهيبتهم.

### أولاً: غزوة بني سليم بالكدر

س: متى كانت غزوة الكدر وما سببها، وما نتائجها؟

ج: كانت غزوة الكدر في شوال ٢ هـ، وسببها: أن الأخبار أتت إلى الرسول ﷺ بعد بدر أن بني سليم من قبائل غطفان تحشد قواتها لغزو المدينة، وذلك عندما قدم الرسول ﷺ إلى المدينة بعد بدر، ولم يبق بالمدينة إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه في مائتي راكب يريد بني سليم، فبلغ ماء من مياههم يقال له: الكدر، فأقام عليه ثلاث ليالٍ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً، حيث فر بنوا سليم، وتركوا في الوادي خمسمائة بعير، استولى عليها الرسول ﷺ وقسمها بين أصحابه، فأصاب كل رجل بعيرين، وأصاب الرسول ﷺ غلاماً يقال له: يسار، فأعتقه وأقام الرسول ﷺ في ديارهم ثلاثة أيام ثم رجع إلى المدينة، وقد استخلف على المدينة سباع بن عرفطة وقيل: ابن أم مكتوم<sup>(١)</sup>.

(١) ابن هشام: (٤٣/٢-٤٤)، ابن سعد: (٣٥-٣٦).

## ثانياً : مؤامرة اغتيال الرسول ﷺ

س : اذكر المؤامرة التي دُبرت لاغتيال رسول الله ﷺ، ومن دبرها، وكيف كشفت؟ .

ج: تذاكر عمير بن وهب وصفوان بن أمية مصابهم في بدر، فأسر عمير بن وهب إلى صفوان بن أمية بأنه لولا دَيْن عليه ؛ وعيال يخشى عليهم الضيعة، لركب إلى محمد حتى يقتله، فاغتنم صفوان الفرصة، فالتزم له بقضاء دينه وضم عياله إلى عياله إن هو قتل محمداً وأصابه شر، وطلب منه عمير أن يكتم الخبر، فشحن سيفه وسّمه، ثم انطلق حتى وصل المدينة، فبينما هو على باب المسجد ينيخ راحلته رآه عمر بن الخطاب، وهو في نفر من المسلمين، فقال: هذا عمير بن وهب! والله ما جاء إلا لشر، ثم دخل على النبي ﷺ وقال: هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه، قال: «أدخله علي»، فأدخله على الرسول ﷺ وقال لرجال من الأنصار: ادخلوا على الرسول ﷺ، فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «ماذا جاء بك يا عمير؟» قال: جئت أفادي هذا الأسير الذي بين يديكم - وكان ابنه وهب ضمن أسرى بدر - قال: «فما بال سيف في عنقك؟» قال: قبحها الله من سيوف! هل أغنت عنا شيئاً؟ قال: «اصدقني؛ ما الذي جئت له؟» قال: ما جئت إلا لذلك، قال ﷺ: «بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش؛ ثم قلت: لولا دين علي، وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل صفوان دينك، وعيالك على أن تقتلني، والله حائل بينك وبين ذلك» .

قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتي به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم تشهد شهادة الحق، فقال رسول الله ﷺ:

«فقهوا أحاكم في دينه وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره».

أما صفوان فكان يقول: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر، وكان يسأل الركبان عن عمير؛ حتى أخبره راكب عن إسلامه! فحلف صفوان ألا يكلمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً، ورجع عمير إلى مكة، أقام بها يدعو إلى الإسلام فأسلم على يديه خلق كثير<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: غزوة السويق

س: متى كانت غزوة السويق، وما سببها، وما نتائجها؟

ج: كان أبو سفيان قد نذر حين رجع إلى مكة من بدر ألا يمسه رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً، فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر بيمينه حتى أتى بني النضير تحت جناح الليل، فاستأذن على سلام بن مشكم سيد بني النضير، فأذن له وقراه، وسقاه، وبطن له من خبر الناس، وبعث رجالاً من أصحابه إلى المدينة فحرقوا بعض النخل، ووجدوا بها رجالاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين، وكان ذلك في ذي الحجة سنة ٢ هـ، فعلم بهم الناس فخرج الرسول ﷺ في طلبهم، ورجع أبو سفيان وأصحابه قبل أن يدركهم المسلمون، وألقوا أزواداً كثيرة عامتها سويق، تخففوا منها حتى لا يدركهم المسلمون، فسميت غزوة السويق، ثم انصرف الرسول ﷺ راجعاً، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ: يا رسول الله أتطمع لنا أن تكون غزوة؟ قال: «نعم»<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن هشام: (٦٦١/١ - ٦٦٣)، الطبري: (٤٤/٢).

(٢) ابن هشام: (٦٥/٣ - ٦٦)، الواقدي: (١٨١/١)، ابن سعد: (٣٠/٢).

### رابعاً: غزوة بني قينقاع

س: متى كانت غزوة بني قينقاع وما سببها وما نتائجها؟.

ج: يذكر أهل المغازي والسير أنها وقعت في شوال من السنة الثانية من الهجرة، وتذكر كتب السيرة أن لهذه الغزوة سببين:

**الأول:** أن يهود بني قينقاع أظهروا الغضب والحسد عندما انتصر المسلمون بيدر، ويظهر ذلك في موقفهم من الرسول ﷺ عندما جمعهم في سوقهم بعد بدر، وقال لهم: «يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً». فقالوا: يا محمد لا يغرّنك من نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش كانوا أعمارًا لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا<sup>(١)</sup>، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ لَوْ كَانُوا يَشْعُرُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَهَادُ ﴿١١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَمَثَلٌ تَقَاتَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَٰلِكَ لَلْعِبْرَةَ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١١٣﴾ [آل عمران].

**والسبب الثاني:** هو أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع، ثم جلست إلى صائغ، فجعلوا يراودونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله - وكان يهوديًا - وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فوق الشر بينهم وبين بني قينقاع<sup>(٢)</sup>.

(١) سنن أبي داود: (٣ / ٤٠٢ / ح / ٣٠٠١)، فتح الباري: (١٥ / ٢٠٤).

(٢) العمري ص: (١٣٨).

فكان يهود بني قينقاع أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ، فحاصروهم رسول الله ﷺ خمسة عشر ليلة حتى نزلوا على حكمه، فشفع فيهم عبد الله بن أبي بن سلول بعد أن كان رسول الله ﷺ يريد قتلهم، وأمر بهم أن يجلوا عن المدينة<sup>(١)</sup>، وتولى أمر ذلك عبادة بن الصامت فلحقوا بأذرعات الشام، فقل أن لبثوا بها حتى هلك أكثرهم وتولى قبض أموالهم محمد بن مسلمة، فقسمت بين الصحابة بعد إخراج الخمس للرسول ﷺ، وكان عددهم سبعمائة قد نزلوا على حكم رسول الله ﷺ على أن لهم أموالهم ولهم النساء والذرية، ثم إن عبادة بن الصامت كان حليفاً لهم، ولكنه تبرأ من حلفهم، عندما حاربوا رسول الله ﷺ، وفيه وفي عبد الله بن أبي بن سلول نزل قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

### خامساً: قتل كعب بن الأشرف

س: من هو كعب بن الأشرف، وما موقفه من نتائج غزوة بدر، وماذا عمل من أجل ذلك، وكيف كانت نهايته؟.

ج: يتنسب كعب بن الأشرف إلى بني نبهان، وهم عشيرة من طيء، وكان أبوه قد أصاب دمًا في الجاهلية، فأتى المدينة فحالف بني النضير، وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق، فولدت له كعب بن الأشرف<sup>(٢)</sup>، وكان كعب غنياً مترفاً معروفاً بجماله في العرب، شاعراً من شعرائها، وكان حصنه في جنوب شرق المدينة.

ولما انتصر المسلمون ببدر ورأى الأسرى مقرنين في الحبال، وسمع البشير بانتصار محمد ﷺ والمسلمين في بدر قال: أحقُّ هذا؟ أترون أن محمداً

(١) البخاري: الفتح (١٥ / ٢٠٣ - ٢٠٤) ح (٤٠٢٨)، مسلم: (٣ / ١٣٨٧ - ١٣٨٨) ح (١٧٦٦).

(٢) فتح الباري (١٥ / ٢٠٩)، ابن هشام: (٣ / ٧٤ - ٧٥).



وأصحابه قتلوا هؤلاء الذين يسمي هذان، هؤلاء أشرف العرب وملوك الناس، والله إن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها، فلما أيقن عدو الله الخبر، خرج حتى قدم مكة، وجعل يحرص على رسول الله، وينشد الأشعار ويبكي على أصحاب القليب.

ثم رجع إلى المدينة وأخذ يشبب في أشعاره بنساء المسلمين بسلاطة لسان حتى آذاهم أشد الإيذاء، فقال رسول الله ﷺ: «من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله»، فقال محمد بن مسلمة الأنصاري: أنا يا رسول الله، وطلب من الرسول ﷺ أن يقول شيئاً يتمكن به منه، فأذن له الرسول ﷺ فوضع لذلك خطة محكمة واستعان بأخ كعب من الرضاعة - أبو نائلة -، فذهب محمد بن مسلمة إلى كعب، وطلب منه أن يقرضه تمرًا ليدفعه للرسول ﷺ مبدئياً تدمره من الرسول ﷺ، لما يكلفهم به، فطلب كعب رهينة من النساء، أو الأبناء، فاعتذر ابن مسلمة، لما يجير عليهم ذلك من عار، واقترح عليه أن يرهن عنده بدل ذلك سلاحًا، فرضي كعب، فجاءه ابن مسلمة ليلاً، ومعه أبو نائلة - سلكان بن سلامة بن وقش -، وعباد بن بشر، والحارث بن أوس، وأبو عبس ابن جبر، وتعرف هذه المجموعة عند أهل السير بسرية محمد بن مسلمة.

فناداه محمد بن مسلمة فنزل عليهم على الرغم من تحذير امرأته له من مغبة ذلك، ومشى معهم فاحتالوا لقتله، متظاهرين بشم عطر شعره، فاستمكنوا منه فقتلوه، وأراحوا المسلمين من شر أعماله، ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه.

وقد أتوا برأسه ورموه بين يدي الرسول ﷺ، فقال: «أفلحت الوجوه» فقالوا: ووجهك يا رسول الله، فحمد الله على قتله، وتفل على جرح الحارث الذي أصابه فبراً<sup>(١)</sup> ولم يؤذ به بعد.

(١) البخاري (الفتح) (١٥ / ٢١٠) ح (٤٠٣٧)، مسلم (٣ / ١٤٢٥ - ١٤٢٦) ح (١٨٠١).

## غزوة أحد شوال - سنة ٣هـ

س: اذكر خصائص جبل أحد؟.

ج: أحد جبل مشهور بالمدينة، سُمي بذلك لتوحده وانقطاعه عن جبال أحر هناك، قال فيه ﷺ كما أخرجه الشيخان: «أحد جبل يحبنا ونحبه»، وهذه المحبة حقيقية، فقد خاطبه ﷺ مخاطبة من يعقل، فقال لما اضطرب: «اسكن أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»، فوضع الله الحب فيه، كما وضع التسبيح في الجبال مع داود، وكما وضع الخشية في الحجارة التي قال فيها: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾، وكما حنَّ الجذع لمفارقتة ﷺ حتى سمع الناس حنينه، فلا ينكر وصف الجماد بحب الأنبياء، وقد سلّم عليه الشجر، والحجر، وسبّحت الحصة في يده الشريفة، وكلمه ذراع الشاة، إلى غير ذلك.

س: متى كانت غزوة أحد، وما أسبابها؟.

ج: اتفق كتاب السير على أنها وقعت في شوال، وأشهر الأقوال على أنها يوم السبت للنصف منه.

أما أسبابها: كان السبب المباشر لها كما أجمع على ذلك أهل السير هو أن قريشاً أرادت أن تنتقم لقتلاها في بدر، وتستعيد مكانتها التي تزعزعت بين العرب بعد هزيمتها في بدر<sup>(١)</sup>.

ومن الأسباب الهامة أيضاً أن قريشاً تريد أن تضع حداً لتهديد المسلمين لطرق تجارتهم إلى الشام، والقضاء على المسلمين قبل أن يصبحوا قوة تهدد وجودهم.

(١) ابن هشام: (٣ / ٨٦ - ٨٨)، الواقدي: (١ / ١٩٩)، ابن سعد: (٢ / ٣٧).

**س: كيف خطت قريش لغزوة أحد؟.**

**ج:** على أثر غزوة بدر ونتائجها اتفقت قريش على أن تقوم بحرب شاملة ضد المسلمين تشفى غيظها، وترأس فيهم أبو سفيان لذهاب أكابرهم في بدر وكان هو وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وعبد الله بن ربيعة، أكثر زعماء قريش نشاطاً وتحمساً لخوض المعركة، وأول ما فعلوه أنهم احتجزوا العير التي كان قد نجا بها أبو سفيان، والتي كانت سبباً لمعركة بدر، وكانت ألف بعير، والمال يقدر بخمسين ألف دينار ذهبي<sup>(١)</sup> وأرباحها لتجهيز جيشهم لغزوة أحد، وفي ذلك أنزل الله وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال].

**س: كم كان قوام جيش قريش؟ ومن قاده ومن اصطحبوا معهم؟ ولماذا؟.**

**ج:** بلغت قوة قريش في غزوة أحد ثلاثة آلاف مقاتل من قريش، ومن كنانة، وأهل تهامة، ومعهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير وسبعائة درع، ورأى قادة قريش أن يصطحبوا معهم النساء، حتى يكون ذلك أبلغ في استماتة الرجال دون أن تصاب حرمتهم وأعراضهم، وكان عدد النسوة خمس عشرة امرأة<sup>(٢)</sup>، وكانت القيادة العامة لأبي سفيان بن حرب، وقيادة الفرسان إلى خالد بن الوليد، ويعاونه عكرمة بن أبي جهل، أما اللواء فكان إلى بني عبد الدار، وسار الجيش حتى نزل قريباً من جبل أحد في مكان يقال له: عينين، فعسكر هناك يوم الجمعة السادس من شوال سنة ٣ هـ.

(١) الواقدي: (١/٦٠٠).

(٢) ابن سعد في الطبقات: (٣٧/٢).

**س: كيف وصل خبر مشركي قريش إلى الرسول ﷺ وأصحابه في المدينة؟.**

**ج:** كان العباس بن عبد المطلب يرقب حركات قريش واستعداداتها العسكرية، فلما تحرك هذا الجيش بعث برسالة إلى النبي ﷺ ذكر له فيها تفاصيل جيش قريش وما عزموا عليه، فوصلت الرسالة إلى النبي ﷺ وهو في مسجد قباء، فقرأها عليه أبي بن كعب فأمره بالكتمان وعاد ﷺ إلى المدينة، وتبادل الرأي والمشورة مع المهاجرين والأنصار.

**س: ما هي نتيجة المشاورة بين النبي ﷺ وأصحابه، وما أهم الآراء في تلك المشاورة؟.**

**ج:** استشار النبي ﷺ أصحابه وأخبرهم برؤيا رآها قال: «إني والله قد رأيت خيراً، رأيت بقرًا يذبح، ورأيت في ذبابة سيفي ثلماً ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة»، وتناول البقر بنفر من أصحابه يقتلون، وتناول الثلثة في سيفه برجل يصاب من أهل بيته، وتناول الدرع الحصينة بالمدينة<sup>(١)</sup>.

وكان رأي النبي ﷺ البقاء داخل المدينة، وأن يتحصنوا بها، فإن دخل المشركون قاتلهم المسلمون على أفواه السكك، والنساء من فوق البيوت، ووافق على هذا الرأي عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، وبادر جماعة من فضلاء الصحابة، ممن فاتته بدر، فأشاروا على رسول الله ﷺ بالخروج، وألحوا عليه رغبة في إظهار الشجاعة أمام الأعداء، والرغبة في المشاركة في الجهاد لما فاتهم من الاشتراك في بدر.

**س: ماذا عمل الرسول ﷺ بعد أن ألح عليه بعض الصحابة بالخروج لملاقاة الأعداء؟.**

**ج:** بعد أن ألح عليه جماعة من فضلاء الصحابة بالخروج نهض ﷺ ودخل بيته ولبس لأمتة، وخرج عليهم، فتلاوم القوم فقالوا: عرض علينا رسول الله ﷺ

(١) الفتح الرباني: (٢١ / ٥٠)، ابن سعد: (٢ / ٢٤٥)، البخاري: الفتح: (١٤ / ١٢٣ - ١٢٤)، مسلم:

(٤ / ١٧٧٨ - ١٧٧٩).

بأمر وعرضتم بغيره، فذهب حمزة فقال: يا نبي الله، إن القوم قد تلاوموا، فقالوا: أمرنا تبعٌ لأمرك، فقال رسول الله ﷺ: «إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه»<sup>(١)</sup>.

**س: كم كانت قوة الجيش الإسلامي الذي خرج إلى أحد ومن قائده ومن حمل ألويته؟**

**ج:** بعدما استقر الرأي على الخروج من المدينة واللقاء في الميدان، وبعد أن حسم الرسول ﷺ أمر الخروج رُفعت راية سوداء، وثلاثة ألوية: لواء للمهاجرين حمله مصعب بن عمير، وحمله بعد استشهاده علي بن أبي طالب، ولواء للأوس حمله أسيد بن حضير، ولواء للخزرج حمله الحباب بن المنذر، وبلغ عدد من سار تحت هذه الألوية ألف من المسلمين ومن ظاهرهم، وكان معهم فرسان ومائة دارع وكان الرسول يرتدي درعين، وكانت القيادة العامة للرسول ﷺ، وقد استعمل الرسول ﷺ على المدينة عبد الله بن أم مكتوم.

**س: كيف كان خروج الجيش الإسلامي إلى أحد وما أهم الأحداث التي حصلت أثناء سيره إلى أحد؟**

**ج:** أذن الرسول ﷺ بالخروج، فتحرك الجيش نحو الشمال، وسأل الرسول ﷺ فقال: «من يخرج بنا على القوم من كذب» - قرب - فخرج به بعض الأنصار حتى سلك حائطاً لمربع بن قبيصة من المنافقين، وكان أعمى، فقام يحشو التراب في وجوه المسلمين ويقول: لا أحل لك أن تدخل في حائطي إن كنت رسول الله، فابتدروه ليقتلوه، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتلوه فهذا أعمى القلب أعمى البصر»، ونفذ حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي الدنيا، وجعل ظهره إلى أحد، ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم، وفي هذا المكان أدركهم المساء، فصلى المغرب ثم صلى العشاء، وبات هناك، وانتخب خمسين رجلاً لحراسة

(١) رواه أحمد والنسائي والحاكم وابن إسحاق. واللائمة: الدرع.

المعسكر يتجولون حوله، ويذكر أن خروج النبي ﷺ كان يوم الجمعة بعد الصلاة، ثم إن الجيش الإسلامي عندما وصل الشوط، انسحب عبد الله بن أبي بن سلول بثلاثمائة من المنافقين، بحجة أنه لن يقع قتال مع المشركين، ومعتزاً على قرار القتال خارج المدينة، قائلاً: أطاع الولدان ومن لا رأي له وعصاني، علام نقتل أنفسنا<sup>(١)</sup>، ورأت فرقة من المسلمين قتال هؤلاء المنافقين، ورأت الفرقة الأخرى عدم القتال، فنزلت الآية الكريمة: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَنَفِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا﴾<sup>(٢)</sup> [النساء].

**س: بعد وصول الجيش الإسلامي ومببته قريباً من أحد كيف تمت تعبته للقتال؟**

**ج:** عندما وصل جيش المسلمين إلى جبل أحد جعل رسول الله ﷺ ظهورهم إلى الجبل، ووجههم إلى المدينة، ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم بذلك.

فلما أصبح يوم السبت تعباً للقتال وهو في سبعمائة، منهم خمسون فارساً، واستعمل على الرماة - وكانوا خمسين - عبد الله بن جبير، وجعلهم على تل عينين المقابل لجبل أحد المعروف (بجبل الرماة)، وأمرهم أن لا يغادروا موقعهم خشية أن يطوق المشركون المسلمين، وقال لهم: «إن رأيتمونا تحطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم»<sup>(٣)</sup> وأمرهم أيضاً أن ينضحوا المشركين بالنبل، لئلا يأتوا للمسلمين من ورائهم.

وأعطى اللواء مصعب بن عمير، وجعل الزبير بن العوام على ميمنة الجيش، والمنذر بن عمرو على الميسرة، واستعرض الشباب، وردّ منهم من

(١) ابن هشام: (٩٢ / ٣)، الواقدي: (٢١٩ / ١). وانظر: البخاري: الفتح: (١٥ / ٢٣٢ / ح / ٤٠٥٠).

(٢) البخاري: الفتح: (١٥ / ٢٣٢) ح (٥٠٥٠)، معنى أركسهم: بددهم.

(٣) البخاري: الفتح: (١٢ / ١٣٢) ح (٣٠٣٩) و (١٥ / ٢٢٤ - ٢٢٥) ح (٣٠٤٣).

استصغره عن القتال أمثال عبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، والبراء بن عازب وغيرهم، كما أجاز من رآه مطبقاً للقتال أمثال: رافع بن خديج الذي كان عمره لا يتجاوز الخامسة عشرة، لمهارته في النبل، وسمره بن جندب لقوته، وكونه أقوى من رافع عندما تصارعا، ودفع سيفه ﷺ إلى أبي دجانة، وذلك عندما عرضه ﷺ على الصحابة وقال: «من يأخذ السيف بحقه»، فقام إليه رجال فأمسكه عنهم؟ حتى جاء أبو دجانة: سَمَكُ بن خرشة، أخو بني ساعدة، فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: «أن تضرب به في وجه العدو حتى ينحني».

قال: أنا أخذه يا رسول الله بحقه، فأعطاه إياه، وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت، وأخذ يتبختر في ميدان المعركة، وحين رآه الرسول يتبختر قال: «إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن»<sup>(١)</sup>.

عند ذلك قال الزبير بن العوام: وجدت في نفسي حين سألت الرسول ﷺ السيف فممنعيه، وأعطاه أبا دجانة، فقلت والله لأنظرنَّ ما يصنع، فاتبعته، فأخذ عصا به حمراء، فعصب بها رأسه، وقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصا به الموت، فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليي ونحن بالسَّفح لدى النخيل  
أن لا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيفِ الله والرسول<sup>(٢)</sup>  
فجعل لا يلقي أحداً إلا قتله، وكان في المشركين رجلاً لا يدع لنا جريماً إلا ذفَّ  
عليه، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا  
فاختلفا بضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة، فاتقاه بدرقته، فضربه أبو دجانة فقتله، ثم

(١) مسلم: (٤ / ١٩١٧) ح (٢٤٧٠)، مسند أحمد: (٣ / ١٢٣).

(٢) الكيول: آخر القوم، أو آخر الصفوف.

رأيته حمل بالسيف على رأس هند بنت عتبة، ثم عدل السيف عنها. قال ابن إسحاق: وقال أبو دجاجة: رأيت إنساناً يَحْمُسُ<sup>(١)</sup> الناس حمسًا شديدًا فصمدت إليه، فلما حملت عليه السيف ولول، فأكبرت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة.

#### س: ماذا حدث قبل نشوب المعركة؟

ج: حاولت قريش قبل نشوب المعركة إيقاع الفرقة والنزاع داخل صفوف المسلمين، حيث أرسل أبو سفيان إلى الأنصار يقول لهم: خلوا بيننا وبين ابن عمنا فننصرف عنكم، فلا حاجة لنا إلى قتالكم، فرد عليه الأنصار ردًا عنيفًا وأسمعوه ما يكره، ثم خرج إلى قريش أبو عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك، وهو رأس الأوس في الجاهلية يؤلبهم على رسول الله ﷺ ويحضهم على قتاله، ووعدهم أن قومه إذا رأوه أطاعوه ومالوا معه، وكان يسمى الراهب، فلما جاء الإسلام كرهه، وجاهر رسول الله ﷺ بالعداوة فسماه الفاسق، فنادى في قومه يا معشر الأوس أنا أبو عامر، فقالوا: لا أنعم الله بك عينًا يا فاسق، فقال: لقد أصاب قومي بعدي شر، فلما بدأ القتال قاتلهم قتالًا شديدًا<sup>(٢)</sup>.

وهكذا فشلت قريش في محاولتها الثانية للتفريق بين صفوف المسلمين، ويدل عملهم هذا على ما كان يسيطر عليهم من خوف من المسلمين، وهيبتهم من كثرتهم وتفوقهم في العدد والعدة.

#### س: كيف بدأ القتال، وماذا قال أبو سفيان لحامل اللواء، ومن حامل لواء المشركين؟

ج: بعد أن تعب الجيشان للقتال كانت البداية، وكما هي في معظم المعارك بالمبارزة، فقد بدأ القتال بمبارزة بين علي بن أبي طالب، وطلحة بن عثمان بن أبي طلحة، وكان حامل لواء المشركين، فقتل عليُّ طلحة بن عثمان، وكان أبو سفيان

(١) تَحْمُسُ: تشجيعهم، من الحماسة.

(٢) أبو داود: (٢٥٩٦) (٢٦٣٨)، أحمد: (٤٦ / ٤)، الواقدي: (١ / ٢٢٣)، ابن سعد: (٤٠ / ٢).



قد أعطى اللواء لبني عبد الدار، وقال لهم: يا بني عبد الدار إنكم وليتم لواءنا يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم، إذا زالت زالوا، فإما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه، فهمموا به وتوعدوه، وقالوا: نحن نسلم إليك لواءنا؟ ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع، وذلك ما أراد أبو سفيان.

فلما التقى الناس قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال، ويجرّضنهم، فقالت هند:

وَيْهَابُ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَيَهَابُ حَمَاهُ الأَدْيَارِ  
ضَرْباً بِكُلِّ بَتَّارِ

وقالت أيضاً:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ نَمَشِي عَلَى النَّهَارِقِ  
وَالْمَسْكُ فِي الْمَفَارِقِ وَاللُّدْرُ فِي الْمَخَانِقِ  
إِنْ تَقْبَلُوا نَعَانِقِ وَنَفْرَشَ النَّهَارِقِ  
أَوْ تَدْبُرُوا نَفَارِقِ فَرَارِقُ غَيْرِ وَامِقِ<sup>(١)</sup>

ثم التحم الجيشان، وبدأ القتال، واستبسل المسلمون حتى تمكنوا من دحر المشركين إلى معسكرهم، وأخذ الرسول ﷺ في رفع روحهم المعنوية، وأبلى يومئذ أبو دجانة، وطلحة، وحمزة، وعلي، وأنس بن النضر، وسعد بن الربيع بلاءً حسناً، وكان ثقل المعركة حول لواء المشركين، فقد تعاقب بنو عبد الدار لحمل اللواء بعد مقتل قائدهم طلحة بن عثمان، فحمله أخوه عثمان، فقتله حمزة، ثم

(١) النهارق: جمع نمرقة وهي الوسادة. والوامق: المحبب.

حملة أبو سعد بن أبي طلحة، فرماه سعد بن أبي وقاص بسهم، فقتله، ثم حمل اللواء مسافع بن أبي طلحة، فرماه عاصم بن ثابت بسهم فقتله، ثم حملة بعده أخوه كلاب بن طلحة، فانقض عليه الزبير بن العوام، وقاتله حتى قتله، ثم حمل اللواء أخوهما الجلاس بن طلحة، فطعنه طلحة بن عبيد الله طعنة قضت على حياته، فهؤلاء ستة نفر من بيت واحد بيت طلحة بن عبد الله بن عثمان بن عبد الدار، قتلوا جميعاً حول لواء المشركين، ثم حملة من بني عبد الدار أرطأة بن شرحبيل، فقتله علي بن أبي طالب، وقيل: حمزة بن عبد المطلب، ثم حملة شريح ابن فارط فقتله قزمان - وكان منافقاً قاتل مع المسلمين حمية لا عن الإسلام -، ثم حملة أبو زيد عمر بن عبد مناف العبدي، فقتله قزمان أيضاً، ثم حملة ولد شرحبيل بن هاشم العبدي فقتله قزمان أيضاً، فهؤلاء عشرة من بني عبد الدار من حملة اللواء أُبيدوا عن آخرهم، ولم يبق منهم أحد يحمل اللواء، فتقدم غلام لهم حبشي - اسمه صواب - فحمل اللواء وأبدي من صنوف الشجاعة والثبات ما فاق به مواليه ممن حملوا اللواء الذي قتلوا قبله، فقد قاتل حتى قطعت يده فبرك على اللواء بصدرة، وعنقه لئلا يسقط حتى قتل وهو يقول: اللهم هل أعذرت، وبعد أن قتل هذا الغلام سقط اللواء على الأرض، ولم يبق أحدٌ يحمله فبقي ساقطاً، فكان النصر. في أول النهار للمسلمين، وفر أعداء الله وولّوا مدبرين حتى انتهوا إلى نسائهم.

### مخالفة الرماة لأمر رسول الله ﷺ

س: بعد أن كان النصر حليف المسلمين في أول النهار وانهمز أعداء الله ماذا حدث بعد ذلك؟.

ج: كانت الأوامر الشديدة التي أصدرها الرسول ﷺ إلى الرماة بلزوم مواقعهم من جبل الرماة في حال النصر. أو الهزيمة، وكانوا قد أبلوا بلاءً حسناً وصدوا ثلاث غارات قام بها فرسان المشركين بقيادة خالد بن الوليد، وحمو

ظهر الجيش الإسلامي، لكن على الرغم من هذا، لما رأى هؤلاء الرماة المسلمين يجمعون غنائم عدوهم غلب عليهم شيء من حب الدنيا، فقال بعضهم لبعض: الغنيمة الغنيمة، ظهر أصحابكم فماذا تنتظرون؟.

أما قائدهم عبد الله بن جبير فقد ذكرهم أوامر الرسول ﷺ وقال: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟، فلم يُجِدْ تذكير قائدهم لبعضهم، ثم غادر أربعون رجلاً من هؤلاء الرماة مواقعهم من الجبل والتحقوا بالجيش ليشاركوا في جمع الغنائم، وهكذا خلت ظهور المسلمين، ولم يبق فيها إلا عبد الله بن جبير وتسعة من أصحابه، التزموا مواقعهم مصممين على البقاء حتى يؤذن لهم.

**س: ماذا نتج عن مخالفة الرماة لأمر رسول الله وعصيانهن لأمر قائدهن؟.**

**ج:** غادر معظم الرماة لمواقعهم الاستراتيجي، وعددهم أربعون رجلاً، انتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة، فقام باستدارة خاطفة من جهة الرماة، وأحاط هو وفرسانه بالمسلمين فلما رآه المشركون عادوا والتفوا على المسلمين، فأسرعت امرأة منهم تدعى عمرة بنت علقمة الحارثية، فرفعت لواء المشركين المطروح على التراب فالتف حوله المشركون ولاذوا به ونادى بعضهم بعضاً حتى اجتمعوا للمسلمين، والسبب يعود إلى مخالفة الرماة لأمر رسول الله ﷺ.

**س: ما هو موقف الرسول ﷺ من تطويق المشركين للمسلمين؟.**

**ج:** كان الرسول ﷺ في أثناء هذا التطويق في نفر من أصحابه عددهم تسعة في مؤخرة المسلمين، وكان يراقب مجالدة المسلمين، ومطاردتهم للمشركين إذ بوغت بفرسان خالد فرفع صوته ينادي أصحابه: «عباد الله» وهو يعرف أن المشركين سيسمعون صوته قبل أن يسمعه المسلمون، ولكن ناداهم، ودعاهم مخاطراً بنفسه في هذا الظرف الدقيق، وفعلاً فقد علم به المشركون، فوصلوا إليه قبل أن يصل إليه المسلمون.

س : ما موقف المسلمين من التطويق ، وماذا أشيع عن رسول الله ﷺ ؟ .

ج: لما التف خالد حول المسلمين، ورآه المشركون وجاءوا إليه، ارتبك المسلمون إلى الحد الذي لم يستطع بعضهم أن يميز المسلم من الكافر حتى إن المسلمين أخذ يقاتل بعضهم بعضاً، وفرت طائفة من المسلمين من ساحة القتال، وهي لا تدري ما وراءها، وانطلق بعضهم إلى فوق الجبل، ورجعت طائفة أخرى فاختلطت بالمشركين، روى البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لما كان يوم أحد هُزم المشركون هزيمة بينة، فصاح إبليس: أي عباد الله أخرجكم أي احترزوا من ورائكم، فرجعت أولاهم، فاجتلدت هي وأخراهم، فبصر حذيفة، فإذا هو بأبيه اليمان، فقال: أي عباد الله أبي أبي، قال: فوالله ما احتجزوا عنه حتى قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم<sup>(١)</sup>، قال عروة: فوالله ما زالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله، وبعد أن أشيع أن رسول الله ﷺ قد مات زاد الارتباك في صفوف هذه الطائفة التي بقيت تقاتل في ساحة القتال، وانهارت معنوياتها إلى أن بعضهم ألقى سلاحه وفر، ثم مر بهؤلاء أنس بن النضر. وقال لهم: ما تنتظرون؟ فقالوا: قُتل رسول الله ﷺ ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين -، ثم تقدم فوجد سعد بن معاذ فقال: أين أبا عمر؟ فقال أنس: واهاً لريح الجنة يا سعد إني أجده دون أحد، ثم مضى. وقاتل القوم حتى قتل وبه بضع وثمانون ما بين طعنة رمح وضربة بسيف ورمية بسهم، ولم يعرفه أحد إلا أخته الربيع، عرفته ببنانه، ونادى ثابت بن الدحداح قومه فقال: يا معشر- الأنصار إن كان محمد قد قتل، فإن الله حي لا يموت، قاتلوا على دينكم، فإن

(١) البخاري: الفتح: (١٥ / ٢٣٩ - ٢٤٠).

الله ناصركم ومظفركم، فنهض إليه نفر من الأنصار، فحمل بهم على كتيبة الفرسان بقيادة خالد فما زال يقاتلهم حتى ختله خالد بالرمح وقتل أصحابه. وكانت هناك طائفة ثالثة لم يكن همهم إلا رسول الله ﷺ، فقد كرت هذه الطائفة على رسول الله وطوقوه، وفي مقدمة هؤلاء: أبو بكر وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا في مقدمة المقاتلين فلما أحسوا بالخطر على رسول الله صاروا في مقدمة المدافعين.

س: ما الذي حصل للنبي ﷺ بعد انكشافه للعدو عندما نادى أصحابه وسبق إليه المشركون؟

ج: لما طوق المشركون المسلمين لم يكن مع الرسول ﷺ سوى تسعة نفر، فلما نادى المسلمين: هلم إليّ، أنا رسول الله، سمع صوته المشركون وعرفوه، فكروا إليه، وهاجموه قبل أن يرجع إليه أحد من المسلمين، فجرى بين المشركين، وبين هؤلاء النفر التسعة من الصحابة عراك عنيف، ظهرت فيه نوادر الحب، والتفاني، والبسالة والبطولة.

روى مسلم عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار، ورجلين من قريش، فلما رهقوه قال: «من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة؟». فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضاً، فلم يزل كذلك حتى قُتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه - أي القرشيين - «ما أنصفنا أصحابنا»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن عقبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ فكسر - رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجّه في جبهته، وأن ابن قمئة جرح وجنته، فدخلت حلقتان من

(١) مسلم: (٣ / ١٤١٥) ح (١٧٨٩).

حلقات المغفر في وجته، ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر الفاسق ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون، فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ، ورفع طلحة ابن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى استوى قائماً، ومص مالك بن سنان - أبو أبي سعيد الخدري - الدم عن وجه رسول الله ﷺ ثم بلعه، فقال رسول الله ﷺ: «من مس دمي دمه لم تصبه النار»<sup>(١)</sup>، وقيل: إن رسول الله ﷺ قال: «من أراد أن ينظر لرجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»، فقتل شهيداً.

**س: من أول من عرف الرسول ﷺ بعد هزيمة المسلمين وقول الناس قتل رسول الله ﷺ؟**

**ج:** كان أول من عرف الرسول ﷺ بعد الهزيمة وقول الناس: قُتل رسول الله كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عرفت عيناه تزهقان من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر- المسلمين أبشروا، هذا رسول الله ﷺ، فأشار إلي رسول الله ﷺ أن أنصت، فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به نحو الشعب، معه أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين رضوان الله عليهم أجمعين.

**مصراع أبي بن خلف**

فلما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف على فرس له كان يعلفه بمكة، ويزعم أنه يقتل عليه رسول الله ﷺ، فلما اقترب منه طعنه رسول الله ﷺ في ترقوته فكر منهزماً، فقال له المشركون: ما بك من بأس، فقال: والله لو كان ما بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون، وإنه كان يقول لي بمكة: «أنا أقتلك» فوالله لو بصق علي لقتلني، فمات بسرف وهم قافلون به إلى مكة<sup>(٢)</sup>.

(١) البخاري: (٢ / ٥٨٢)، مسلم: (٢ / ١٠٨).

(٢) ابن هشام: (٢ / ٨٤)، والبخاري: (٦ / ١٦، ٧ / ٢٧٤)، مسلم: (٣ / ١٩٠٣) من حديث أنس.

وكان ممن قاتل دون رسول الله ﷺ قتالاً عظيماً سجله له التاريخ: طلحة ابن عبيد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حتى سُلت يده التي وقى بها رسول الله ﷺ، وسعد بن أبي وقاص الذي كان الرسول ﷺ يناوله السهام ويقول له: «يا سعد ارم فداك أبي وأمي»<sup>(١)</sup>.

ولم يجمع أبويه لأحد إلا لسعد بن أبي وقاص، وأصيبت يومئذ عين قتادة ابن النعمان حتى وقعت على وجنته، فردها رسول الله ﷺ بيده، فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما بصراً.

كما كان ضمن المدافعين عن رسول الله ﷺ أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية حتى جرحها ابن قمئة جرحاً أجوف على عاتقها.

**س: بعد التفاف أصحاب رسول الله ﷺ حوله وبث روح الحماس فيهم بعد علمهم بأنه لم يقتل، ما هو موقف أبي سفيان والمشركين من ذلك؟.**

**ج:** بعد التفاف المسلمين حول رسول الله ﷺ قام المشركون بآخر هجوم حاولوا به النيل من المسلمين، فقد علا أبو سفيان، وخالد بن الوليد، ومجموعة من قريش الجبل، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَعلُونَا». فقام عمر بن الخطاب ورهط من المهاجرين حتى اهبطوهم من الجبل<sup>(٢)</sup>.

ثم لما أراد أبو سفيان الانصراف أشرف على الجبل ونادى: أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه، فقال: أفيكم ابن أبي قحافة؟ فلم يجيبوا، فقال: أفيكم عمر بن الخطاب؟ فلم يجيبوه، فقال: أما هؤلاء فقد كفيتموهم. وكان يعتقد أنهم قتلوا، فلم يملك عمر نفسه أن قال: يا عدو الله إن الذين ذكرتهم أحياء، وقد أبقى الله لك منهم ما يسوءك، ثم قال: أعل هبل. فقال رسول الله ﷺ: «ألا تجيبوه؟»،

(١) البخاري: الفتح (١٥ / ٢٣٥ / ح / ٣٧٢٥)، وصحيح البخاري: (١ / ٤٠٧)، (٢ / ٥٨٠ - ٥٨١).

(٢) ابن هشام: (٢ / ٨٦).

قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجل». ثم قال: لنا العزى ولا عزى لكم، قال: «ألا تحييه؟» قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم» ثم قال: يومٌ بيوم بدر، والحرب سجال، فقال عمر: لا سواء؛ قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى: إن موعدكم بدر للعام القابل، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: «قل: نعم هو بيننا وبينكم موعد»<sup>(١)</sup>.

**س: ماذا فعل رسول الله ﷺ بعد انصراف أبي سفيان؟**

**ج:** بعد انصراف أبي سفيان بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، وقيل: سعد بن أبي وقاص، فقال: «اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون، وماذا يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم»، قال علي: فخرجت في آثارهم انظر ماذا يصنعون، فجنبوا الخيل، وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة<sup>(٢)</sup>.

**استشهاد حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**

**س: كيف استشهد حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟**

**ج:** قاتل حمزة بن عبد المطلب وقتل عددًا من الأبطال منهم: شرحبيل بن عبد مناف بن عبد الدار - حامل لواء المشركين -، وسباع بن عبد العزى وغيرهم، وكان لا يقف أمامه شيء إلى أن جاءه وحشي: غلام جبير بن مطعم، فضربه بحرته، وذلك أن جبير بن مطعم قد وعد وحشيًا بالعتق إن هو قتل حمزة بن عبد المطلب؛ لأن حمزة قد قتل عم جبير، طعيمة بن عدي، وكانت هند بنت عتبة

(١) ابن هشام: (٢ / ٩٣ - ٩٤)، زاد المعاد: (٢ / ٩٤)، صحيح البخاري: (٢ / ٥٧٩).

(٢) ابن هشام: (٢ / ٩٤)، البخاري: الفتح (٧ / ٣٤٦).



تعرض وحشياً على قتله أيضاً لما فعل بأبيها وأخيها وعمها يوم بدر، وقد دفع بحربته على حمزة حتى خرجت من بين رجليه، فوقع شهيداً، يقول وحشي. الحبشي: ولم يكن لي بغير حمزة حاجة، وإنما قتلته لأعتق، فلما قدمت مكة عتقت<sup>(١)</sup>.  
ثم إن نساء قريش اشتغلن بقتل المسلمين يمثلن بهم، ويقطعن الأذان والأنوف ويقرن البطون، حيث بقرت هند بنت عتبة بطن حمزة، وأخذت قطعة من كبده ولاكتها فلم تستغها فلفظتها، واتخذت من الأذان والأنوف خلاخل وقلائد، قال ابن مسعود: ما رأينا رسول الله ﷺ باكياً أشد من بكائه على حمزة ابن عبد المطلب، ووضعه في القبلة، ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشغ من البكاء<sup>(٢)</sup>.

#### س: كيف استشهد مصعب بن عمير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وماذا أشاع قاتله؟.

ج: قاتل مصعب بن عمير بضراوة بالغة يدافع عن النبي ﷺ هجوم ابن قمئة وأصحابه، وكان اللواء بيده اليمنى حتى قطعت، فأخذ اللواء بيده اليسرى، وصمد في وجوه الكفار حتى قطعت يده اليسرى، ثم برك عليه بصدرة وعنقه حتى قتل، وكان الذي قتله ابن قمئة وهو يظنه رسول الله - لشبهه به - فانصرف ابن قمئة إلى المشركين، وصاح: إن محمداً قد قتل، وكُفن مصعب في بردة، إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «غَطُوا بِهَا رَأْسَهُ وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ الْإِذْخَرَ»<sup>(٣)</sup>.

(١) البخاري: الفتح (١٥/٢٤٥ - ٢٤٩) ح (٤٠٧٢).

(٢) ابن هشام: (٨٢/٢)، صحيح البخاري: (٥٨٣/٢)، ويذكر أن وحشي أسلم بعد غزوة الطائف، وقتل مسيلمة الكذاب بحريته، وشهد معركة اليرموك ضد الروم.

(٣) انظر: البخاري: (الفتح) (١٥/٢٢٥) ح (٣٠٤٣).

س : كم بلغ قتلى الفريقين وماذا عمل الرسول ﷺ في شهداء المسلمين؟ .

ج: اتفقت أكثر الروايات على أن قتلى المسلمين سبعون، وكانت غالبيتهم من الأنصار، وأما قتلى المشركين قد بلغ سبعة وثلاثين، لا اثنان وعشرون كما ذكرت بعض الروايات، وقد أشرف الرسول ﷺ على الشهداء فقال: «أنا شهيد على هؤلاء أنه ما من جريح يجرح في الله إلا يبعثه الله يوم القيامة، يدمي جرحه، اللون لون الدم والريح ريح المسك». وكان بعض القتلى قد نقلهم أهلهم إلى المدينة، فأمر بهم الرسول ﷺ بأن يردوا ويدفنوا في مضاجعهم، وأن لا يغسلوا، وأن يدفنوا في ثيابهم بعد نزع الحديد والجلود، وكان يدفن الاثنان والثلاثة في القبر الواحد<sup>(١)</sup>.

### دور الملائكة في بدر

س : اذكر دور الملائكة في غزوة أحد؟ .

ج: لقد أرسل الله تبارك وتعالى ملكين ليقاتلا دفاعاً عن رسول الله ﷺ، وكان الله تبارك وتعالى قد وعد المؤمنين إن هم صبروا واتقوا وأتوا الأعداء من فورهم فسيمدهم بالملائكة، وقد حضرت الملائكة يومئذ ولم تقاتل، ولما لم يحصل ذلك منهم فلم يتحقق الوعد، وفي هذا يقول تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكْفِيكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١١٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران]. وفي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عليها ثياب بيض، كأشد القتال وما رأيتها قبل ولا بعد<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: ابن هشام: (٢ / ١٢٢)، البخاري: الفتح (٧ / ٣٥١).

(٢) البخاري: الفتح (١٥ / ٢٣٤ - ٢٣٥) ح (٤٠٥٤)، مسلم: (٤ / ١٨٠٢) ح (٢٣٠٦).

## البطولات الإيمانية في أحد

س: اذكر بعض البطولات الإيمانية التي ظهرت في غزوة أحد؟.

ج: ظهرت بطولات إيمانية كثيرة يوم أحد ومن ذلك:

١- قال رجل للنبي ﷺ: رأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال: «في الجنة» فألقى

تمرات كانت في يده فقاتل حتى قُتل.

٢- قال عبد الله بن جحش قبل المعركة: إني أقسم أن نلقى العدو، فإذا لقينا

العدو أن يقتلوني، ويقرروا بطني، ثم يمثلوا بي، فإذا لقيتك سألتني؛ فبِمَ هذا، فأقول:

فيك. ولما لقي العدو وفعل بهم ما فعل وجدوه بالحالة التي وصفها.

٣- شهد عمرو بن الجموح القتال مع أبناء الأربعة بالرغم من محاولتهم

صده عن الخروج بحجة أن الله يعذره لشدة عرجه، وطلب منهم الرسول ﷺ

أن يدعوه ما دام راغباً في الشهادة، ومما قاله للرسول ﷺ: رأيت إن قتلت اليوم

أأطأ بعرجتي هذه الجنة؟ قال: «نعم»، قال: فوالذي بعثك بالحق لأطأن بها الجنة

اليوم إن شاء الله، ثم قاتل حتى نال ما أراد من الشهادة.

٤- وعلى الرغم من أن الله قد عذر الشيوخ الضعفاء إلا أن اليمان - والد

حذيفة - وثابت بن وقش أبيا البقاء مع الذرية في الحصون، فلاحقا بالميدان طلباً

للسهادة، وقد استشهد ثابت على يد الكفار، وقتل المسلمون اليمان خطأ، ووداه

الرسول ﷺ ولكن ابنه حذيفة تصدق بدية أبيه، مما زاده عند رسول الله ﷺ خيراً.

٥- كان حنظلة بن أبي عامر عريساً ليلة أحد، فعندما سمع النداء، عجل

بالخروج ولم يغتسل من الجنابة، وقاتل حتى استشهد، وعندما رآه ﷺ قال: «إن

صاحبكم لتغسله الملائكة» ولذا عرف بعد ذلك ب: غسيل الملائكة أو الغسيل<sup>(١)</sup>.

(١) ابن هشام: (٧٥/٢)، البيهقي: (١٥/٤)، ابن سعد: (٩/٣).

٦- قاتل مخيريق مع رسول الله حتى قُتل، وكان مثلاً وقدوة حسنة لليهود الذين أسلموا، وحين خرج إلى المعركة قال: إن أُصبت فهالي لمحمد ﷺ يصنع فيه ما يشاء، فقال رسول الله ﷺ: «مخيريق خير يهود».

٧- كان أصيرم بن عبد الأشهل - عمرو بن ثابت بن وقش - كارهاً للإسلام حتى كان يوم أحد، فشرح الله صدره للإسلام فأسلم، ولحق بالمسلمين، فقاتل حتى نال الشهادة، فذكروا الرسول الله ﷺ فقال: «هو من أهل الجنة» ولم يصل لله سجدة<sup>(١)</sup>.

٨- وممن قاتل يوم أحد حمية وليس بنية الجهاد: قزمان فقد قتل وحده سبعة أو ثمانية من المشركين، وكان الرسول ﷺ إذا ذكر له قزمان قال: «إنه من أهل النار»<sup>(٢)</sup> وكان قد قتل نفسه يوم أحد عندما أثنخته الجراح، وكان هذا من دلائل نبوته ﷺ ودليل على أن الأساس في الجهاد النية.

### الدروس والعبر في غزوة أحد

س: اذكر أهم الأحكام والدروس والعبر التي استقيتها من خلال دراستك لغزوة أحد؟.

ج: هذه أهم الأحكام الفقهية والدروس والعبر التي اشتملت عليها غزوة أحد:

١- أن الجهاد يلزم بالشروع فيه، ومن استعد وتأهب له، ليس له أن يرجع عن ذلك حتى يقاتل عدوه.

٢- إنه لا يجب على المسلمين إذا غزاهم العدو في ديارهم أن يخرجوا إليه، بل يجوز لهم أن يلزموا ديارهم ويقاتلوهم فيها إذا كان ذلك أفضل لهم.

٣- أنه لا يأذن لمن لا يطيق القتال من الصبيان غير البالغين بل يردهم إذا

(١) ابن هشام: (٢ / ٩٠)، أحمد: (٥ / ٤٢٨، ٤٢٩).

(٢) ابن هشام: (٢ / ٨٨)، البخاري: (٧ / ٣٦١، ١١ / ٤٣٦)، مسلم: (١١٢).

- خرجوا كما رد الرسول ﷺ ابن عمر ومن معه.
- ٤ - شؤم المخالفة وسوء عاقبتها، لما ترك الرماة موضعهم الذي أمر به الرسول ﷺ أن لا يفارقوه.
- ٥ - الحكمة في نصر المسلمين مرة وهزيمتهم أخرى: أنهم لو انتصروا دائماً دخل في المسلمين من ليس منهم، ولم يتميز الصادق من غيره، ولو هزموا دائماً، لم يحصل المقصود من بعثته ﷺ، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين، ليميز الصادق من الكاذب، فلما وقع ذلك ظهر أهل النفاق، فعرف المسلمون أن لهم عدواً في ديارهم، فيتحرزوا منهم، وكانت العاقبة على كل حال للمؤمن.
- ٦ - أن تأخر النصر - في بعض المواضع هضماً للنفوس فلما ابتلي المؤمنون صبروا، وجزع المنافقون.
- ٧ - أن الله هياً لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته، لا تبلغها أعمالهم فقيض لهم أسباب الابتلاء، والمحن، ليصلوا إلى تلك المنازل.
- ٨ - أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء فساقها الله تعالى إليهم.
- ٩ - جواز الغزو بالنساء، والاستعانة بهن فيما دون القتال، مثل السقي والتطبيب، فقد كان الرسول ﷺ يغزو بأمر سليم، ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى<sup>(١)</sup>.
- ١٠ - أن الإمام إذا أصابته جراحات صلى بأصحابه قاعداً وصلوا خلفه قعوداً كما فعل ذلك الرسول ﷺ عندما صلى بأصحابه الظهر يوم أحد جالساً وأصبحت سنة إلى وفاته.
- ١١ - أن المسلم إذا قتل نفسه فهو من أهل النار كما فعل قزمان.

(١) صحيح مسلم: (٣ / ١٤٤٣) ح (١٨١٠).

- ١٢- السنة في الشهيد ألا يغسل، بل يدفن بدمه، ولا يكفن في غير ثيابه إلا أن يسلبها عدوه.
- ١٣- اختلف العلماء في الصلاة على الشهيد، وقد رجَّح ابن القيم أن الإمام يخير بين الصلاة عليه، وتركها لمجيء الآثار بكل واحد من الأمرين.
- ١٤- السنة في الشهداء، أن يدفنوا في مصارعهم.
- ١٥- أن من عذره الله في التخلف عن الجهاد - لمرضٍ أو عرجٍ شديدٍ أو شيخوخة - يجوز له الخروج إليه، وإن لم يجب عليه كما خرج عمرو بن الجموح، وهو أعرج أو اليمان والد حذيفة وثابت بن وقش وهما شيخان
- ١٦- أن المسلمين إذا قتلوا واحداً منهم في الجهاد يظنونونه من الكفار، فعلى الإمام دفع ديته من بيت مال المسلمين كما في واقعة قتل اليمان.
- ١٧- عدم مخالفة القائد فيما يصدر من تعليمات.

### أهم الأحداث بين غزوتي أحد والأحزاب

#### أولاً: غزوة حمراء الأسد

س: متى كانت غزوة حمراء الأسد، وما الهدف منها، وما نتائجها؟.

ج: كانت في صبيحة يوم الأحد السادس عشر من شوال سنة ٣ هـ، وذلك أن الأخبار وصلت إلى الرسول ﷺ أن قادة قريش قد تلاوموا فيما بينهم، وقال بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئاً، أصبتم شوكتهم وحدهم، ثم تركتموهم، وقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم، فارجعوا حتى نستأصل شأفتهم، وعندما علم الرسول ﷺ بنيتهم، ندب الناس إلى المسير إلى لقائهم، وقال: «لا يخرج معنا إلا من شهد القتال»، فاستجاب له المسلمون على ما بهم من القرع الشديد والخوف، وقالوا: سمعاً وطاعة، وأذن لجابر بن عبد الله بالمسير معه؛ لأنه لم

يشهد أحداً، إذ كان أبوه قد خلفه على بناته، وساروا حتى بلغوا حمراء الأسد<sup>(١)</sup>. وعندما أقبل معبد بن أبي معبد الخزاعي إلى رسول الله ﷺ، أمره أن يلحق بأبي سفيان فيخذله، فلحقه بالروحاء، ولم يعلم أبو سفيان بإسلامه فخذله، وأخبره بخروج المسلمين إلى حمراء الأسد في عدد لا قبل لأبي سفيان به، ونصحه بالعودة إلى مكة، وقد كان أبو سفيان، وأصحابه أرادوا الرجوع إلى المدينة كما أسلفت، إلا أنهم عندما علموا بخروج الرسول ﷺ إليهم انهارت عزائمهم، وأخذهم الرعب، والفرع، فلم يروا السلامة إلا في مواصلة الانسحاب، والرجوع إلى مكة، ولكن أبا سفيان حاول القيام بحرب أعصاب ضد الجيش الإسلامي، لعله ينجح في كفه عن مواصلة المطاردة، فقد مر به ركب يريد المدينة، فقال لهم: هل أنتم مبلغين عني محمداً رسالته، وأوقر لكم راحلتكم هذه زبيباً بعكاظ إذا أتيتم إلى مكة؟ قالوا: نعم، قال: فأبلغوا محمداً أنا قد جمعنا الكرة لنستأصله ونستأصل أصحابه، فمرالركب برسول الله ﷺ وأصحابه وهم بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَرِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهْمُ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران]. ثم أقام ﷺ بحمراء الأسد ثلاثة أيام، ثم رجع إلى المدينة موفر السلامة.

مقتل معاوية بن المغيرة، وأبو عزة الشاعر:

أسر المسلمون معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، وهو جد عبد الملك بن مروان لأمه، وكان من أمره: أنه لما رجع المشركون من أحد ذهب معاوية على

(١) موضع على ثمانية أميال من المدينة.

وجهه، وهو أيضًا ابن عمّ عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فجاء عثمان، فلما نظر إليه قال له: أهلكني وأهلكت نفسك فقال: يا بن عمّ لم يكن أحدٌ أمسّ بي منك رحماً، فأجرني، فأدخله عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ منزله، وجعله في ناحية منه، ثم خرج عثمان ليأخذ له أماناً من رسول الله ﷺ، فسمع رسول الله ﷺ يقول: «إن معاوية بالمدينة فاطلبوه»، فدخلوا منزل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فأشارت إليهم أم كلثوم بأنه في ذلك المكان، بعد أن علمت بأن الرسول ﷺ أمرهم بذلك، فأخرجوه، وأتوا به رسول الله ﷺ فأمر بقتله، فقال عثمان: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق، ما جئت إلا لأخذ له أماناً فهبه لي، فوهبه له وأجله ثلاثاً، وأقسم أنه إن وجدته بعدها قتله، وخرج ﷺ إلى حمراء الأسد، فأقام معاوية ثلاثاً، ليستعلم أخبار رسول الله ﷺ وليأتي بها قريشاً، فلما كان اليوم الرابع، عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة، فخرج معاوية هارباً، فقال ﷺ: «إنكم ستجدونه بموضع كذا وكذا، فاقتلوه»، فأدركه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر، فقتلاه.

أما أبو عزة الشاعر: عمرو بن عبد الله بن وهب الجمحي، فقد ظفر به ﷺ يوم بدر وأسره، فقال يا رسول الله: إني فقير ذو عيال وحاجة فامنن عليّ من الله عليك، فرحمه رسول الله ﷺ وأطلقه من غير فداء، وكان شاعراً يشتغل بسبّ الرسول ﷺ ويستنفر الناس للقتال، وكان عاهد النبي ﷺ في يوم بدر أن لا يعود إلى شيء من ذلك، فلما عاد إلى مكة نقض العهد، واشتغل بما كان مشتغلاً به قبل من السب والهجاء، فلما كان يوم أحد خرج مع المشركين، فلما نزل المشركون بحمراء الأسد، نزل معهم، ثم ساروا، وتركوه نائماً فأدركه المسلمون، وأسروه، وكان الذي أسره عاصم بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فلما ظفر به النبي ﷺ قال: يا رسول الله لا تقتلني، وأمنن عليّ، ودعني لبناتي، وأعاهدك ألا أعود، ولما قال ذلك أبو عزة قال ﷺ: «والله لا تمسح عارضك بمكة، تقول خدعت محمداً



مرتين»، وفي رواية: «تمسح لحيتك تجلس بالحجر تقول: خدعت محمدًا». وفي لفظ: «سحرت محمدًا مرتين»: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» «اضرب عنقه يا زبير» وفي رواية: «يا عاصم»، وأنزل الله فيه: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [الأنفال]، وهذا المثل لم يسمع من غيره ﷺ، والله أعلم.

### ثانياً: سرية الرجيع

س: متى كانت سرية الرجيع، ومن بعثها، وما نتيجة هذه السرية؟

ج: بعث رسول الله ﷺ بعد أحد بعث الرجيع في صفر من السنة الرابعة من الهجرة، حيث قدم على رسول الله قوم من عضل والقارة - وهما قبيلتان من الهون بن خزيمة بن مدركة - وذكروا أن فيهم إسلامًا، وسألوا أن يبعث معهم من يعلمهم الدين، ويقرئهم القرآن، فبعث معهم عشرة نفر كما في رواية البخاري، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري، -جد عاصم بن عمر بن الخطاب-، فذهبوا إليهم، ولما كانوا بالرجيع - ماء لهذيل قرب الهداة، بين مكة وعسفان، يعرف بهذا الشام - غدروا بهم، واستصرخوا حياً من هذيل يقال لهم: بنو لحيان في مائة رام، فلما أحسوا بهم لجأوا إلى جبل هناك فأحاطوا بهم، وقالوا لهم: انزلوا ولكم العهد ألا نقتل منكم أحداً، فقال عاصم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا رسولك، فرموهم بالنبل فقتلوا عامتهم، منهم عاصم بن ثابت، وأسروا منهم: خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة، فذهبوا بهما فباعوهما بمكة، وذلك بسبب ما كانا قتلا من كفار قريش يوم بدر، فأما خبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فمكث عندهم مسجوناً، ثم أجمعوا على قتله فخرجوا به إلى التنعيم ليصلبوه، فاستأذنهم أن يصلي ركعتين، فأذنوا له، فصلاهما، ثم قال: والله لولا

أن تقولوا أن ما بي جزع لزدت، ثم قال: اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تبق منهم أحدًا، ثم قال:

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا      قبائلهم واستجمعوا كل مجمع  
وقد قربوا أبناءهم ونساءهم      وقُربت من جذع طويل ممنع  
إلى الله أشكوا غربتي بعد كربتي      وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي  
فذا العرش صبرني على ما يراد بي      فقد بضعوا لحمي وقد ياس مطمعي  
وقد خيروني الكفر والموت دونه      فقد ذرفت عيناني من غير مجزع  
ولست أبالي حين أقتل مسلمًا      على أي جنب كان في الله مصرعي  
وذلك في ذات الإله وإن يشأ      يبارك على أوصال شلو ممزع  
وما بي حذار الموت إني لميتٌ      ولكن حذاري جحم نار ملفع  
ولست بمبدي للعدو تخشعًا      ولا جزعًا إني إلى الله مرجعي

ثم أوكلوا به من يحرس جثته فجاء عمرو بن أمية الضمري فاحتمله بخدعة ليلاً، فذهب به فدفنه، وأما زيد بن الدثنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فابتاعه صفوان بن أمية فقتله بأبيه، وقد قال له أبو سفيان: أيسرك أن محمدًا عندنا نضرب عنقه، وإنك في أهلك؟ فقال: والله ما يسرني أني في أهلي وأن محمدًا في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وفي الصحيح<sup>(١)</sup> أن خبيبا أول من سن الركعتين عند القتل، وأنه رُئي وهو أسير يأكل قطعًا من العنب وما بمكة ثمرة.

ولما قُتل عاصم بن ثابت أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعه من سلافة بنت سعد بن شهيد، وكانت قد نذرت حين أصاب أباه يوم أحد لئن قدرت على

(١) البخاري: الفتح: (١٥ / ٢٦٠ - ٢٦٥) ح (٤٠٨٦)، أحمد: المسند (٢١ / ٦٠ - ٦٢).

رأس عاصم لتشرين في قحفته الخمر، فمنعته الدبر - الزناير والنحل - فلما حالت بينه وبينهم الدبر قالوا: دعوه حتى يمسي، فتذهب عنه فناخذه، فبعث الله الوادي، فاحتمل عاصمًا فذهب به<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: سرية بئر معونة

س: متى كانت سرية بئر معونة، وما سبب هذه السرية وما نهايتها؟

ج: في نفس الشهر الذي أرسل فيه الرسول ﷺ سرية الرجيع، أرسل ﷺ سرية بئر معونة، فقد ثبت في الصحيح<sup>(٢)</sup> أن الرسول ﷺ أرسل إلى نجد سبعين رجلاً من خيار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عُرِفُوا بالقراء، كانوا يحتطبون بالنهار، ويصلون بالليل، وينفقون ثمن حطبهم على أهل الصفة<sup>(٣)</sup>.

ويذكر سبب بعث هذه السرية: أن أبا براء عامر بن مالك الملقب بـ: ملاعب الأسنة قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدعاه إلى الإسلام فلم يسلم ولم يبعد قال: يا رسول الله لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك لرجوت أن يجيئهم إلى ذلك، فقال: «إني أخاف عليهم أهل نجد»، فقال أبو براء: أنا جار لهم.

فبعث الرسول ﷺ السبعين رجلاً، وأمر عليهم المنذر بن عمرو، وكانوا من فضلاء المسلمين وساداتهم، فنهضوا فنزلوا بئر معونة، وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم، ثم بعثوا حرام بن ملحان أخاً أم سليم بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فلم ينظر فيه، وأمر به، فقتله رجل ضربه بحربة، فلما خرج الدم قال: فزت ورب الكعبة<sup>(٤)</sup>. واستنفر عدو الله عامر، بني عامر إلى

(١) ابن هشام: (٢ / ١٦٩)، زاد المعاد (٢ / ١٠٩)، البخاري: الفتح (٢ / ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٨٥).

(٢) البخاري: الفتح (١٥ / ٢٦٨) ح (٤٠٩٠).

(٣) مسلم: (٣ / ١٥١١) ح (٦٧٧).

(٤) البخاري: (٧ / ٢٩٧ - ٢٩٩)، مسلم: (٦٧٧).

قتال الباقيين، فلم يجبيوه لأجل جوار أبي البراء، فاستنفر بني سليم، فأجابته عصابة، ورعل، وذكوان، فأحاطوا بأصحاب رسول الله ﷺ، فقاتلوا حتى قُتلوا عن آخرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، إِلَّا كعب بن زيد من بني النجار فإنه ارتث - هُمل من أرض المعركة جريحًا - من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق.

وكان عمرو بن أمية الضمري، والمنذر بن محمد بن عقبة في سرح المسلمين، فرأيا طيرًا تحوم على موضع الوقعة، فنزل المنذر، فقاتل المشركين حتى قُتل مع أصحابه، وأسر عمرو بن أمية الضمري، فلما أخبره أنه من مضر. جز عامر ناصيته، وأعتقه فيما زعم، عن رقبة كانت على أمه.

ورجع عمرو بن أمية، فلما كان بالقرقرة من صدر القناة - وادٍ شمال شرق المدينة - نزل في ظلّ، فجاءه رجلان من بني كلاب، وقيل: من بني سليم، فنزلا معه، فلما ناما فتك بهما عمرو، وهو يرى أنه قد أصاب ثأرًا من أصحابه، وإذا معهما عهد من رسول الله ﷺ، لم يشعر به، فلما قدم المدينة أخبر الرسول ﷺ بما فعل، قال: «لقد قتلت قتيلين لأدينيهما»<sup>(١)</sup> وكان هذا سبب غزوة بني النضير كما ورد هذا في الصحيح، وعندما وصل خبر مقتل القرءاء إلى النبي ﷺ حزن حزنًا شديدًا، ودعا على هذه القبائل التي قامت بالغدر، ففي الصحيح عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دعا النبي ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحًا، يدعو في صلاة الفجر على رعل وذكوان ولحيان وعصية<sup>(٢)</sup>، ويقول: «عُصِيَّة عصت الله ورسوله»، فأنزل الله تعالى على نبيه قرآنًا قرأناه حتى نسخ بعد: {بلغوا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه} فترك الرسول ﷺ قنوته<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن هشام (٢ / ١٨٣، ١٨٧)، ابن كثير: (٣ / ١٣٩، ١٤٤).

(٢) انظر: البخاري: الفتح (١٥ / ٢٦٦ - ٢٧٤ ح / ٤٠٨٨ - ٤٠٩٦)، ومسلم: (٣ / ١٥١١ ح / ٦٧٧).

(٣) البخاري: (٢ / ٥٨٦ - ٥٨٨).

### رابعاً: إجلاء بني النضير

س: من هم بنو النضير، ومتى تم إجلاؤهم، وما سببه؟.

ج: النضير: اسم قبيلة من اليهود، كانوا بالمدينة، وكانوا هم وقريظة نازلين بظاهر المدينة في حدائق وأطام لهم.

خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير في شهر ربيع الأول السنة الرابعة من الهجرة ليستعينهم في دية الكلابيين الذين قتلها عمرو بن أمية الضمري فقالوا: نفعل يا أبا القاسم حتى نقضي حاجتك، ولكنهم أضمروا الغدر والاعتيال، وكان رسول الله ﷺ قاعداً إلى جنب جدار من بيوتهم، فناجى بعضهم بعضاً: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، فمن رجل يعلو البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ وكان ﷺ في نفر من أصحابه، منهم: أبو بكر وعمر وعلي، وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم، وكان الرسول ﷺ قد بعث إليهم محمد بن مسلمة يقول لهم: «أخرجوا من المدينة ولا تسكنوني بها، وقد أجلتكم عشراً، فمن وجدت بعد ذلك بها ضربت عنقه»، ولكن رئيس المنافقين عبد الله بن أبي بعث إليهم أن اثبتوا وتمنعوا بحصونكم، ولا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين يدخلون معكم حصونكم ويمنعونكم، ويموتون دونكم، وتنصركم قريظة وحلفاءكم من غطفان، جاء ذلك في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحشر]، عند ذلك بعث رئيسهم حبي بن أخطب إلى الرسول ﷺ يقول: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك، فسار ﷺ بالناس حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليالٍ، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وسألوا الرسول ﷺ أن

يجليهم ويحقن دماءهم على أن لهم ما حملت إبلهم غير السلاح<sup>(١)</sup>، فأجابهم إلى ذلك، فتحمل حبي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق بأهليهم وأموالهم إلى خيبر، فدانته لهم، وذهبت طائفة منهم إلى الشام، ولم يسلم منهم إلا رجلان وهما: أبو سعد بن وهب، ويامين بن عمير بن كعب، وكانت أموالهم مما أفاء الله على رسوله، وفي هذه الغزوة نزلت سورة الحشر، وقد كان عبد الله بن عباس يسميها سورة النضير، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرُونَ يُؤْتُهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾<sup>(٢)</sup> [الحشر].

### غزوة الأحزاب أو «الخنديق» شوال سنة ٥هـ.

س: متى كانت غزوة الأحزاب وما سببها وبماذا عرفت؟

ج: كانت غزوة الأحزاب في شوال سنة ٥هـ.

وسببها: لما أجلى الرسول ﷺ يهود بني النضير وأخرجهم من المدينة، وألحقهم بخيبر والشام، وأخذ أموالهم، وقتل منهم من قتل، غاظهم ذلك، واشتد حقدهم على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين، لذا خرج منهم سلام بن أبي الحقيق النضري، وحبي بن أخطب النضري، وكنانة بن أبي الحقيق النضري، وهوذ بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي مع نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل - وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ - خرجوا حتى قدموا على قريش في مكة، فدعوهم إلى حرب الرسول ﷺ وقالوا: إنا نكون معكم

(١) سنن أبي داود: (٣ / ٤٠٤ - ٤٠٦)، مصنف عبد الرزاق: (٥ / ٣٥٩ - ٣٦٠) بإسناد صحيح.

(٢) صحيح البخاري: (٢ / ٢١٨).

عليه حتى نستأصله، فقالت قريش: يا معشر- يهود إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، وفيهم أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا نَضِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۗ﴾ [النساء: ٥١]، فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ذلك، ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب الرسول ﷺ، فاجتمعوا لذلك، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان فدعوهم، فاستجابوا لهم، ثم كانوا في قبائل العرب يدعونهم إلى ذلك فاستجاب لهم من استجاب.

**س: ماذا فعلت قريش بعد تحريض اليهود لهم بقتال المسلمين، ومن خرج معهم من الأحزاب؟.**

**ج:** خرجت قريش وكان قائدها أبا سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة، والحارث بن أبي حارثة المري في بني مرة، ومسعر بن رخيلة فيمن تابعه من أشجع.

**س: ماذا فعل الرسول ﷺ عندما علم بخروج قريش ومن تحزب معها لقتاله؟.**

**ج:** لما علم رسول الله ﷺ بمسيرهم إليه استشار أصحابه، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر خندق حول المدينة يحول بين العدو والمدينة، فأمر رسول الله ﷺ بحفره، فبادر إليه المسلمون وعمل فيه بنفسه، واشتغل المسلمون معه، أما المنافقون، فكانوا يتوانون، وينصرفون بدون إذن رسول الله ﷺ، ويستثقلون العمل ويثبطون العزائم.

**س: كيف كان حفر الخندق، اذكر بعض آيات النبوة التي تجلت في حفر الخندق؟.**

**ج:** خطَّ الرسول ﷺ الخندق ثم قطعه أربعين ذراعاً بين كل عشرة، فاختلف المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي، وكان رجلاً قوياً، فقالت الأنصار: سلمان منا، وقال المهاجرون: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ «سلمان

مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ» وبينما جماعة من المسلمين يحفرون في الخندق معهم سلمان إذ ظهرت لهم صخرة بيضاء، مروة فكسرت حديد معاولهم، وشقت عليهم، فقالوا: يا سلمان ارق إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبر هذه الصخرة، فيما أن نعدل عنها، وإما أن يأمرنا فيها بأمره، فإننا لا نحب أن نجاوز خطه - الذي رسمه لنا - فرقى سلمان إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، وقال له: أمرنا فيها بأمرك، فإننا لا نحب أن نجاوز خطك، فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان في الخندق، وأخذ المعول من سلمان، فقال: «بسم الله»، ثم ضربها فشر ثلثها، وخرج منها نوراً ضياء ما بين لابتها - يعني لابتى المدينة - فقال ﷺ: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة من مكاني»، ثم ضرب الثانية، فقطع ثلثاً آخر فبرقت برقة من جهة فارس أضاءت ما بين لابتها، فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن فأبشروا بالنصر»، فسرّ المسلمون بذلك، ثم ضرب الثالثة، وقال: «بسم الله»، وقطع بقية الحجر وخرج نور من قبل اليمن فأضياء ما بين لابتى المدينة حتى كأنه مصباح في جوف ليل مظلم، فقال: «الله أكبر: أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة»<sup>(١)</sup>.

س: اذكر عدد الجيشين في غزوة الأحزاب؟

ج: كان عدد المسلمين من أهل الخندق ثلاثة آلاف، خرج بهم الرسول ﷺ حتى جعلوا ظهورهم إلى جبل سلع، والخندق من بينه وبين القوم، فأمر بالذراري والنساء فجعلوا في أطام المدينة - الحصون والغرف العالية - ثم

(١) البخاري: الفتح: (١٥/٢٧٨ ح/ ٤١٠٠)، سنن النسائي: (٥٦/٢). وكثير أهيل أي: أصبح رملاً لا يتهاسك.



أقبلت قريش، وقائدها أبو سفيان بن حرب في أربعة آلاف، ونزلت بمجمع الأسيال بين رومة والجرف، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن، الذي وصفه الرسول ﷺ بالأحق المطاع؛ لأنه على حماقته كان محترماً في قومه، وخرجت بنو مُرّة بقيادة الحارث بن عوف المري، وخرج بنو أشجع بقيادة مسعر بن رخيلة، وخرجت بنو سليم بقيادة سفيان بن عبد شمس، وبنو أسد بقيادة طلحة بن خويلد الأسدي، وكان مجموع هؤلاء عشرة آلاف مقاتل.

### غدر بني قريظة وأثره على المسلمين

س: هل نقض بنو قريظة العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، وما موقفه ﷺ

والمسلمين من ذلك؟.

ج: أراد يهود بني النضير أن يجروا معهم إخوانهم يهود بني قريظة إلى نقض العهد والغدر بالمسلمين والوقوف مع الأحزاب، فأوفدوا حيي بن أخطب، فانطلق إلى بني قريظة، فدنا من حصنهم، فأبى كعب بن أسد سيد بني قريظة أن يفتح له، فلم يزل يكلمه حتى فتح له، فلما دخل عليه، قال: لقد جئتك بعز الدهر، جئتك بقريش وغطفان وأسد على قادتها لحرب محمد، قال كعب: جئتني والله بذل الدهر، وبجهام<sup>(١)</sup> قد هراق ماؤه، فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء، وبعد حوار طويل بينهما أقنعه بنقض العهد مع المسلمين بحجة قوة الأحزاب، ومقدرتهم على استئصال المسلمين، وأغراه بأن يدخل معه في حصنه عندما ينصرف الأحزاب بعد أداء مهمتهم ودخل مع المشركين<sup>(٢)</sup>، وسر بذلك المشركون، فلما بلغ الخبر رسول الله ﷺ بعث إلى بني قريظة سعد بن معاذ،

(١) هو السحاب الرقيق الذي لا ماء فيه.

(٢) ابن هشام: (٢/٢٢٠ - ٢٢١).

وسعد بن عباد، وخوات بن جبير، وعبد الله بن رواحة ليتعرّفوا الخبر، فلما قربوا من بني قريظة وجدوهم على أخصب ما يكون، وجاهروهم بالسب، ونالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: من رسول الله؟، لا عهد بيننا وبين محمد، ولا عقد. وعظم عند المسلمين نقض بني قريظة للعهد، وتكمن الخطورة في ذلك في موقعهم الذي يمكنهم من تسديد ضربة غادرة للمسلمين من الخلف، فقد كانت ديارهم في العوالي إلى الجنوب الشرقي للمدينة على وادي مهزوز، واشتد البلاء، ونجم النفاق - أي: ظهر - في بعض المنافقين، حتى قال معتب بن قشير: كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط، وحتى قال أوس بن قيطي: يا رسول الله! إن بيوتنا عورة من العدو، وذلك على ملاء من قومه، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا فإنها خارج المدينة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب].

س: ما موقف الأحزاب من حفر الخندق؟.

ج: عندما وصلت الأحزاب المدينة فوجئوا بوجود الخندق، فقاموا بعدة محاولات لاقتحامه، ولكنهم فشلوا؛ لأن المسلمين كانوا يمطرونهم بوابل سهامهم كلما هموا باقتحام الخندق، ولذلك استمر الحصار لمدة أربع وعشرين ليلة على خلاف عند أهل السير، ولهذا لم يكن بينهم قتال، إلا أن بعض فرسان قريش - منهم عمرو بن عبد ود - أقبلوا نحو الخندق، ولما وقفوا عليه قالوا: إن هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها ثم اتجهوا إلى مكان ضيق من الخندق وجالت بهم خيلهم في السبخة، ودعوا إلى البراز، فانتدب رسول الله ﷺ لعمرو بن عبد ود علي بن أبي طالب فبارزه فقتله، وكان من أبطال المشركين، وانهمزم أصحابه.

س: ماذا فعل الرسول ﷺ لمحاولة فك حصار الأحزاب للمسلمين؟.

ج: لما طال أمد الحصار على المسلمين أراد رسول الله ﷺ أن يصلح عيينة ابن حصن والحارث بن عوف رئيسي- غطفان، على ثلث ثمار المدينة وينصرفا بقومهما، وجرت المفاوضة على ذلك، واستشار الرسول ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عباد في ذلك فقالا: إن كان الله قد أمرك فسمعاً وطاعة، وإن كان شيئاً تحب أن نصنعه صنعناه، وإن كان شيئاً تصنعه لنا، فلا، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك وعبادة الأوثان، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وأعزنا به، نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف، فصوب ﷺ رأيها، وقال: «إنما هو شيء أصنعه لكم، لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوسٍ واحدٍ».

### تخاذل الأحزاب ونهاية الغزوة

س: من المعلوم أن الله تبارك وتعالى قد نصر جنده وهزم الأحزاب، فما هي الوسائل التي

نصر الله بها المؤمنين؟.

ج: لقد نصر الله تبارك وتعالى المؤمنين وكفاهم عدوهم بوسيلتين:

الأولى: تسخير الله نعيم بن مسعود الغطفاني ليخذل الأحزاب.

والثانية: الرياح الهوجاء الباردة التي أرسلها عليهم.

س: اذكر دور نعيم بن مسعود في تخذيل الأحزاب؟.

ج: يذكر أن نعيم بن مسعود الغطفاني جاء إلى رسول الله ﷺ وكان مع

الأحزاب، فقال: قد أسلمت، فمرني بما شئت، فقال له الرسول ﷺ:

«إنما أنت رجلٌ واحدٌ فخذل عنا ما استطعت، فإن الحرب خدعة»<sup>(١)</sup>. فذهب

(١) البخاري: الفتح: (١٢ / ١٢٦) ح (٣٠٢٩ - ٣٠٣٠).

إلى بني قريظة - وكان عشيراً لهم - فدخل عليهم، وهم لا يعلمون بإسلامه، فقال لهم: إنكم قد حاربتهم محمداً، وإن قريشاً إن أصابوا فرصة انتهزوها، وإلا انشمروا - تراجعوا - قالوا: فما العمل؟ قال: لا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن، قالوا: قد أشرت بالرأي. ثم مضى - إلى قريش فقال: هل تعلمون ودي لكم ونصحي؟ قالوا: نعم، قال: إن اليهود قد ندموا على ما كان منهم، وأنهم قد أرسلوا إلى محمد أنهم يأخذون منكم رهائن من أشرافكم يدفعونها إلى محمد ليقتلهم دليلاً على ندمهم على ما فعلوه ثم يهائونه عليكم، فإن سألوكم فلا تعطوهم، ثم ذهب إلى غطفان، فقال لهم مثل ذلك، فلما كانت ليلة السبت بعثت قريش وغطفان إلى بني قريظة، أننا لسنا معكم بأرض مقام، وقد هلك الخف والحافر، فاغدوا بنا إلى محمد حتى نناجزه، فأرسلوا إليهم إن اليوم يوم سبت، وقد علمتم ما أصاب من قبلنا حين أحدثوا فيه، ومع هذا لا نقاتل معكم حتى تبعثوا لنا برهائن.

فلما جاءتهم رسلهم قالوا: قد صدقكم والله نعيم بن مسعود، فبعثوا إليهم: إنا والله لا نبعث إليكم أحداً، فقالت قريظة: صدقكم والله نعيم فتخاذل الفريقان وبذلك زرع بذور الشك بينهم، وأخذ كل فريق يتهم الآخر بالخيانة.

س: اذكر معجزة الرياح التي أرسلها الله تعالى لنصر المؤمنين، وكيف أنهت هذه الغزوة؟

وكم قتل من المشركين؟ وكم استشهد من المسلمين؟.

ج: كان المسلمون يدعون: اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا، وأخذ رسول الله ﷺ في تلك الظروف الحالكة يدعو الله ويبتهل إليه قائلاً: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم» فأرسل الله تبارك وتعالى جنداً من الرياح في ليلة مظلمة باردة فجعلت تقلع خيامهم وتقلب قدورهم وأطفأت نيرانهم ودفنت رحالهم، وأرسل الله تعالى جنداً من الملائكة يزلزلون بهم ويلقون في قلوبهم الرعب، كما قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا

بِعَمَّةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١٩﴾ [الأحزاب].

وأرسل رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان يأتيه بخبرهم فوجدهم على هذا الحال وقد تهيئوا للرحيل<sup>(١)</sup>، فرجع إليه وأخبره الخبر ونام، فلما أصبح المسلمون رأوا ساحة القتال من جهة الكفار ليس فيها داع ولا مجيب ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب]، وكان الله خيبهم، ورد كيدهم في نحورهم، وكان فشلهم بمجموع هذه القوات يعني أن الطوائف الصغيرة والمتفرقة أولى أن لا تتجرأ على التوجه إلى المدينة، وقد أخبر بذلك النبي ﷺ فقال: «الآن نغزوهم، ولا يغزونا، نحن نسير إليهم» فلما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة هو والمسلمون، ووضعوا السلاح.

وقد ذكر ابن إسحاق وغيره: أنه استشهد من المسلمين يوم الخندق ستة لا غير: سعد بن معاذ، وأنس بن أوس، وعبد الله بن سهل، والطفيل بن النعمان، وثعلبة بن غنمة، وكعب بن زيد. وهلك من المشركين: منبّه بن عبيد، ونوفل بن عبد الله المخزومي، وعمرو بن عبد ود العامري.

### أهم الدروس والعبر من غزوة الأحزاب

س: اذكر بعض الدروس والعبر من غزوة الأحزاب؟.

ج: من خلال تتبع أحداث غزوة الأحزاب يمكن أن نستخلص منها أهم

الدروس والعبر:

١ - إن حفر الخندق يدخل في مفهوم المسلمين لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ

(١) صحيح مسلم: (٣ / ١٤١٤ - ١٤١٥) ح (١٧٨٨).

لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ [الأنفال]، لذلك لما رأى كفار قريش الخندق قالوا: هذه حيلة لم تكن العرب تعرفها، ومن المعلوم أن الذي أشار بحفر الخندق هو سلمان الفارسي.

٢ - اشتد الجوع بالرسول ﷺ وأصحابه، فقام جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وذبح بهيمة وطحنت امرأته صاعاً من شعير، ثم التمس من رسول الله ﷺ سرّاً أن يأتي في نفر من أصحابه، فقام النبي ﷺ بجمع أهل الخندق، فأكلوا من ذلك الطعام وشبعوا وبقيت برمة الطعام كما هي وبقي العجين يخبز كما هو.

٣ - جاءت أخت النعمان بن بشير بحفنة من تمر ليتغذى بها أبوها وخالها، فمرت برسول الله ﷺ فطلب منها التمر، وبدده فوق ثوب، ثم دعا أهل الخندق فجعلوا يأكلون منه، وجعل التمر يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب.

٤ - عرضت كدية شديدة للمسلمين يوم حفر الخندق، فجاءوا إلى الرسول ﷺ وقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقام رسول الله ﷺ، ثم نزل الخندق، وبطنه معصوب بحجر - من شدة الجوع - فأخذ المعول فضرب الكدية فصارت كثيباً أهيل.

٥ - عندما شغل المشركون الرسول ﷺ وأصحابه عن صلاة العصر. صلوا قضاءً بعد المغرب، فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء يوم الخندق إلى رسول الله ﷺ فجعل يسب كفار قريش، فقال: يا رسول الله ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب، فقال النبي ﷺ: «والله ما صليتُها»، فنزلنا مع النبي ﷺ بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها، وصلى العصر. بعدما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب<sup>(١)</sup>، وقد استاء رسول الله ﷺ لفوات هذه

(١) صحيح البخاري: (٢ / ٥٩٠).

الصلاة حتى دعى على المشركين، فعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ: «مَلَأَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِيوتِهِمْ وَقُبُورِهِمْ نَارًا كَمَا شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوَسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ»<sup>(١)</sup>. وفي هذا دليل على قضاء الفائتة.

٦ - وفي المراماة بين الفريقين رُمي سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِسَهْمٍ فَقَطَعَ مِنْهُ الْأَكْحَلَ<sup>(٢)</sup>، رماه رجلٌ من قريش فدعا سعد: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَجَاهِدَهُمْ فِيكَ مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي لَهُمْ، حَتَّى أَجَاهِدَهُمْ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتُ وَضَعْتَ الْحَرْبَ فَأَفْجِرْهَا، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِيهَا<sup>(٣)</sup>، وقال في آخر دعائه: وَلَا تَمْتَنِي حَتَّى تَقْرَعَ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ<sup>(٤)</sup>.

٧ - إن معركة الأحزاب ليست معركة خسائر، بل كانت معركة أعصاب، لم يجر فيها قتال مرير، إلا أنها كانت من أحسم المعارك في تاريخ الإسلام، تمخضت عن تحاذل المشركين وأفادت أن أي قوة من قوات العرب لا تستطيع استئصال القوة الصغيرة في المدينة، قال الله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾ [الأحزاب].

٨ - إن العرب لم تكن تستطيع أن تأتي بجمع أقوى مما أتت به الأحزاب، ولذلك قال رسول الله ﷺ حين أجلى الله الأحزاب: «الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم»<sup>(٥)</sup>.

(١) المصدر نفسه.

(٢) الأكحل: عرق في وسط الذراع.

(٣) صحيح البخاري: (٣/٥٩١).

(٤) ابن هشام: (٣/٣٣٧).

(٥) صحيح البخاري: (٢/٥٩٠).

## غزوة بني قريظة ، السنة الخامسة من الهجرة

س : متى وقعت هذه الغزوة وما سببها؟ .

ج : وقعت هذه الغزوة في أواخر ذي القعدة، وأوائل ذي الحجة من السنة الخامسة للهجرة، وهي بعد غزوة الأحزاب مباشرة، وذلك أن الرسول ﷺ عندما انصرف عن الخندق هو والمسلمون راجعين إلى المدينة ووضعوا السلاح، جاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وقت الظهر، فقال: أوقد وضعت السلاح؟ إن الملائكة لم تضع أسلحتها<sup>(١)</sup>، انهض إلى هؤلاء - يعني بني قريظة - فنادى رسول الله ﷺ: «من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة»<sup>(٢)</sup>.

أما سببها فهو معلوم من نقض بني قريظة العهد الذي بينهم وبين النبي ﷺ، بتحريض من حبي بن أخطب النضري؛ ولأن هذا النقض وهذه الخيانة جاءت في وقت عصيب، فقد أمر الله تعالى نبيه بقتالهم.

س : كيف خرج رسول الله ﷺ إلى بني قريظة، وكم عدد المسلمين الذين خرجوا معه،

وكيف انتهت هذه الغزوة؟ .

ج : سارع الرسول ﷺ والصحابة بالخروج إلى بني قريظة، وعددهم ثلاثة آلاف مقاتل، حتى إذا دنا من حصونهم قال: «يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله، وأنزل لكم نِقَمَهُ»، قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً، وحاصرهم خمس عشرة ليلة، حتى أجهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فقال رئيسهم كعب بن أسد: إني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً خذوا أيها شئتم:

١ - نصدق هذا الرجل ونتبعه، فإنكم تعلمون أنه النبي الذي تجدونه

(١) البخاري: الفتح: (١٥ / ٢٩٣) ح (٤١١٧).

(٢) البخاري: الفتح: (١٥ / ٢٩٤) ح (٤١١٩).



مكتوباً عندكم في التوراة، قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً.

٢ - قال: فاقتلوا أبناءكم ونساءكم واخرجوا إليه مصلتي سيوفكم، شاهري السيوف للقتال، حتى يحكم الله بينكم وبينه، قالوا: فما خير العيش بدون أبنائنا ونسائنا؟

٣ - قال: فانزلوا الليلة معي، فعسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوكم فيها؛ لأنها ليلة السبت لعلنا نصيب منهم غرة - غفلة وفجأة - قالوا: لا تفسد سبتنا، وقد علمت ما أصاب من اعتدى في السبت، قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة من الدهر حازماً، ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فحكم فيهم سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

**س: كيف حكم فيهم سعد بن معاذ، ولماذا حكم فيهم سعد بن معاذ بالذات؟.**

ج: عندما نزل بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ أحب أن يكل الحكم عليهم إلى واحد من رؤساء الأوس؛ لأنهم كانوا حلفاء بني قريظة، فجعل الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ، فلما دنا من المسلمين قال الرسول ﷺ: «قوموا إلى سيدكم أو خيركم» ثم قال: «إن هؤلاء نزلوا على حكمك»، فقال سعد: تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم، وتقسم أموالهم، فقال له النبي ﷺ: «قضيت بحكم الله تعالى» وقد كان سعد جريحاً من السهم الذي أصيب به في الخندق، وكان مقيماً بخيمة بالمسجد معدة لمعالجة الجرحى، ولكي يعود من أراد ذلك، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: اللهم وإن كنت وضعت الحرب بيننا فاجعله لي شهادة - يعني الجرح الذي أصابه - ولا تمنني حتى تفر عيني من بني قريظة، ونفذ الرسول ﷺ حكم الله فيهم كما سيأتي، وكان سعد يُمرّض في المسجد، فلم يرع المسلمون إلا ودم جرحه قد انبعث عندما مرت عنز وهو مضطجع، فأصابت الجرح بظلفها، فانبعث الدم، فمات منه رَحِمَهُ اللَّهُ، وفي الصحيحين عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أن رسول الله ﷺ قال: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»، وروى الترمذي من حديث أنس قال: لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخف جنازته، فقال الرسول ﷺ: «إن الملائكة كانت تحمله»، وروى أن رسول الله ﷺ قال: «لقد نزل سبعون ألف ملك شهدوا سعدًا، ما وطئوا الأرض إلا يومهم هذا»، ويذكر أن صاحب دومة الجندل قد بعث ببغلة، وجبة من سندس إلى الرسول ﷺ، وهو في تبوك، فجعل أصحابه يعجبون من حسن الجبة، فقال ﷺ: «لناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذه» قال صاحب السيرة الحلبية: عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت فيمن حفر لسعد بن معاذ قبره، فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا قبره من ترابه.

ثم استنزلهم، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار كيسة بنت الحارث ثم خرج رسول الله إلى سوق المدينة، ثم بعث إليهم، فضرب أعناقهم في الخندق الذي أعد لهذا الغرض، يخرج بهم إليه أرسالاً، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب الذي تحصن معهم بناء على الاتفاق الذي بينه وبينهم، وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة وقيل: سبعمائة.

#### س: ما مصير سبي بني قريظة؟

ج: ذكر ابن اسحاق أن الرسول ﷺ بعث سعد بن زيد الأنصاري بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً، وبعث رسول الله ﷺ سعد ابن عباد إلى الشام بسبايا لبييعهم ويشترى بهم سلاحاً وخيلاً، ويذكر أن عثمان ابن عفان، وعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قد اشتريا جملة من السبايا واصطفى رسول الله ﷺ لنفسه من نسائهم ريجانة بنت عمرو بن خنافة، وقد أسلمت، وقد توفي رسول الله، وهي في ملك يمينه، وكان ذلك باختيارها.

س: اذكر بعض الأحكام والدروس والعبر من غزوة بني قريظة؟.

ج: من أهم الأحكام والدروس والعبر في غزوة بني قريظة:

- ١ - جواز قتل من نقض العهد.
- ٢ - جواز التحكيم في أمور المسلمين، ومهامهم كما في تحكيم سعد بن معاذ.
- ٣ - استحباب القيام لأهل الفضل، وذلك استتاجاً من قول الرسول ﷺ «قوموا إلى سيدكم أو إلى خيركم»، وإن هذا ليس من القيام المنهي عنه، وإنما ذلك فيمن يقومون إليه، وهو جالس ويمثلون قياماً طول جلوسه، وذكر النووي أن القيام للقادم من أهل الفضل مستحب، وقد جاءت فيه أحاديث، ولم يصح في النهي عنه شيء صريح.
- ٤ - ابتدر المسلمون أمر رسول الله ﷺ نحو بني قريظة، وأدركتهم صلاة العصر. في الطريق فقال بعضهم: لا نصليها إلا في بني قريظة كما أمرنا الرسول ﷺ حتى أن رجالاً منهم صلوا بعد العشاء الآخرة، وقال بعضهم: لم يرد الرسول ﷺ منا ذلك، وإنما أراد سرعة الخروج، فصلوها في الطريق، فلم يعنف ﷺ أحداً من الطائفتين<sup>(١)</sup>.

### غزوة بني لحيان

س: من هم بنو لحيان، ومتى كان غزوهم، ولماذا غزاهم الرسول ﷺ؟.

ج: بنو لحيان: فخذ من هذيل، وهم الذين كانوا قتلوا أصحاب سرية الرجيع في صفر من السنة الرابعة للهجرة، وكانوا متوغلين في الحجاز إلى حدود عسفان، فأخر رسول الله أمرهم، حتى تحاذلت الأحزاب، واطمأن من الأعداء، خرج إليهم الرسول ﷺ في ربيع الأول سنة ٦هـ، في مائتين من الصحابة، وأسرع السير

(١) صحيح البخاري: (٣ / ١٣٩١) ح (١٧٧٠).

إليهم حتى بلغ بطن غران - وادي بين أمج وعسفان - حيث كان مصاب أصحابه، فترحم عليهم، ودعا لهم، وأقام في ذلك المكان يومين، أما بنو لحيان ففروا في رءوس الجبال، فلم يجد منهم أحداً، وأرسل عشرة من الفوارس إلى عسفان لتسمع بهم قريش فيدخلهم الرعب، فذهبوا إلى كراع الغميم، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، بعد أن غاب عنها أربع عشرة ليلة.

### سرية زيد بن حارثة إلى العيص

س: متى كانت سرية زيد بن حارثة وإلى أين بعثه الرسول ﷺ وما نتيجة هذه السرية؟  
ج: كانت سرية زيد بن حارثة إلى العيص في جماد الأولى، سنة ٦ هـ في مائة وسبعين راكب، ليعترض عيراً لقريش، بلغه أنها مقبلة من الشام، فتمكنوا من أخذها وما فيها، وأسروا أناساً ممن كان في العير، فيهم أبو العاص بن الربيع، وقدموا بهم إلى المدينة فاستجار أبو العاص بزوجه زينب بنت رسول الله ﷺ فأجارتها، وقبل الرسول ﷺ إجارتها، ورد عليه ما أخذ منه، وجاء أبو العاص إلى مكة وأدى إلى كل ذي حق حقه، ثم نطق بالشهادتين، وقال لهم: ما منعني أن أقيم بالمدينة إلا أنني خشيت أن تظنوا أنني أسلمت لأذهب بالذي لكم، ثم رجع إلى المدينة، فرد عليه ﷺ زينب بذلك النكاح الأول.

### غزوة بني المصطلق «المريسيع»<sup>(١)</sup>

س: من هم بنو المصطلق، ومتى غزاهم الرسول ﷺ، وما سبب تلك الغزوة؟  
ج: يتفق أهل الأنساب أن بني المصطلق بطن من بطون خزاعة، تبعد عن المدينة حوالي ١٧٠ ميلاً جنوباً، قام الرسول ﷺ بغزوهم في شعبان من السنة

(١) المصطلق: هو لقب لجذيمة بن سعد بن عمرو بطن من بطون خزاعة. والمريسيع: ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع - موضع ناحية المدينة - مسيرة يوم.

السادسة للهجرة، أما سبب هذه الغزوة فإنه بلغ الرسول ﷺ أن بني المصطلق يجمعون لقتال المسلمين، وكان أول موقف وقفته خزاعة ضد المسلمين هو انضمامهم لجيش قريش حيث انضم الأحابيش الذين ساندوا جيش مكة في غزوة أحد، وعندما أصابت قريش من المسلمين ما أصابت في أحد تجراً فيمن تجراً من الأعراب على المسلمين بنو المصطلق، وقد أخذ زعيمهم الحارث بن أبي ضرار - أبو جويرية بنت الحارث زوج رسول الله ﷺ - في جمع السلاح والرجال، وتأليب القبائل المجاورة للقيام بهجوم على المدينة، فلما سمع رسول الله ﷺ بهم أرسل إليهم بريدة بن الحصيب الأسلمي للتأكد من نيتهم، وأظهر لهم بريدة أنه جاء لعونهم، فتأكد من نيتهم، فعاد إلى الرسول ﷺ فأخبره بذلك.

#### س: ما نتيجة هذه الغزوة؟

ج: بعد أن تأكد رسول الله من صحة الخبر، وعزم بني المصطلق على غزو المدينة، ندب الصحابة وأسرع في الخروج، وكان خروجه لليلتين خلتا من شعبان سنة ٦ هجرية، وخرج معه جماعة من المنافقين، لم يخرجوا في غزوة قبلها، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة، وكان الحارث بن أبي ضرار قد وجه عيناً ليأتيه بخبر الجيش الإسلامي، فألقى المسلمون عليه القبض فقتلوه، ولقيهم رسول الله ﷺ على ماء لهم يقال له: المريسيع - من ناحية قديد إلى الساحل - وتهيأ الناس للقتال وصف رسول الله ﷺ أصحابه، فتراموا بالنبل ساعة، ثم أمر رسول الله ﷺ أصحابه، فحملوا حملة رجل واحد فكان النصر<sup>(١)</sup>، وانهمز المشركون ولم يقتل من المسلمين سوى هشام بن صبابه، أخي قيس بن صبابه، أصابه رجل من الأنصار كان يظنه من العدو فقتله خطأ، وقتل من قتل من

(١) انظر: صحيح البخاري: (٣٤٥/١)، فتح الباري (٧ / ٣٤١).

المشركين، ونفل أبناءهم، ونساؤهم، وأمواهم، ويذكر ابن إسحاق أن الأسرى كانوا مائة أهل بيت، وهو الصحيح من أقوال المؤرخين، وأهل السير، وكان من جملة السبي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار رئيس بني المصطلق.

### جويرية بنت الحارث رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

س: فيمن كان سهم جويرية بنت الحارث وماذا فعل معها الرسول ﷺ وما أثر سببها على قومه؟.

ج: كان الرسول ﷺ قد أصاب من بني المصطلق سبباً كثيراً - يذكر ابن إسحاق أنهم مائة أهل بيت - قسمه الرسول ﷺ في المسلمين، وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا: جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، زوج رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث في السهم، لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، فكاتبتة على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاححة - شديدة الملاححة - ولا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأنت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها رسول الله ﷺ ما رأيت، فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لا يخفى عليك، ف وقعت في السهم لثابت بن قيس - أو لابن عم له - فكاتبتة على نفسي - فجئتك استعينك على كتابتي، قال: «فهل لك في خير من ذلك؟» قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «اقضي - عنك كتابتك وأتزوجك»، قالت: نعم يا رسول الله، قال: قد فعلت، وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ؟، وأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد

(١) ابن هشام: (٢/ ٢٨٩)، زاد المعاد: (٢/ ١١٢ - ١١٣).

أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها، ويذكر أنهم أسلموا بعد ذلك جميعاً<sup>(١)</sup>.

**س: ما أثر خروج المنافقين في هذه الغزوة؟.**

**ج:** خرج كما أسلفت في هذه الغزوة جماعة من المنافقين لم يسبق لهم الخروج في غزوة قبلها مع رئيسهم عبد الله بن أبي بن سلول، وقد سجل لهم التاريخ موقفين من مواقف الخزي في هذه الغزوة:

**الأول:** محاولة إثارة الفتنة، والعصبية بين المهاجرين والأنصار.

**الثاني:** السعي لإيذاء رسول الله ﷺ بالطعن في عرضه حين افتروا على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما يعرف بحديث الإفك.

**س: كيف حاول المنافقون إثارة الفتنة والعصبية بين المهاجرين والأنصار؟.**

**ج:** كان رسول الله ﷺ بعد الفراغ من الغزوة مقيماً على ماء المريسيع، وكان مع عمر بن الخطاب أجير له يقود فرسه اسمه الجهجاه بن مسعود الغفاري، فازدحم هو وسانان بن وبر الجهني على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين، فلما بلغ الرسول ﷺ الخبر قال: «أدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟! دعوها فإنها منتنة» ثم كلم المضروب حتى أسقط حقه، وبذلك سكنت الفتنة، وبلغ ذلك عبد الله بن أبي بن سلول فغضب - وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث - وقال: أوقد فعلوها؟ نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلايب قريش إلا كما قال الأول: سَمَّنْ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ، أما والله: لئن رجعنا إلى المدينة لِيُخْرِجَنَّ الأَعْرُزُ مِنْهَا الأَذْلَ، ثم التفت إلى من معه وقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما

(١) ابن هشام: (٥ / ١٢٣)، أحمد: (٢ / ٣١)، البخاري: (٧ / ٢٣٢ - ٢٣٣).

بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن نذكر هنا سبب حنق عبد الله بن أبي على الإسلام، ولا سيما على رسول الله ﷺ؛ ذلك أن الأوس والخزرج قد اتفقوا على تنصيبه ملكاً عليهم، وكانوا ينظمون له الخرز، ليتوجوه، إذ دخل فيهم الإسلام، فصرّ فهم عنه، وكان يرى أن رسول الله ﷺ هو الذي استلبه ملكه.

فأخبر زيد بن أرقم عنه رسول الله، وعنده عمر، فقال عمر: مُر عباد بن بشر فليقتله، فقال: «فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه لا، لكن أذن بالرحيل»، وذلك في ساعة لم يكن الرسول ﷺ يرتحل فيها، ليشغل الناس في حديث يمكن أن يؤدي إلى فتنة، فارتحل الناس، فلقيه أسيد بن حضير فحيّاه، وقال: لقد رحلت في ساعة لم تكن ترتحل فيها؟ فقال له ﷺ: «أوما بلغك ما قال صاحبكم؟» - يريد ابن أبي - «زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعرز منها الأذل»، قال: فأنت يا رسول الله، تخرجه منها إن شئت، هاهو والله الذليل وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لينظموا له الخرز ليتوجوه، فإنه يرى أنك استلبته ملكه.

ثم مشي بالناس يومهم حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى أذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض أن وقعوا نياماً، فعل ذلك حتى يشغل الناس عن الحديث فيما حصل.

أما عبد الله بن أبي فلما علم أن زيد بن أرقم بلغ الخبر جاء إلى رسول الله ﷺ، وحلف بالله: ما قلت ما قال زيد، ولا تكلمت به، وقال من حضر من الأنصار: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل،

(١) انظر: الروض الأنف: (٤ / ١٤).



فصدّقتّه، قال زيد: فأصابني همّ لم يصبني مثله قط، فجلست في بيتي، فأنزل الله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ إلى قوله ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٧) يَقُولُونَ لِيَن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨) [المنافقون]. فأرسل إليّ الرسول ﷺ، فقرأها عليّ ثم قال: «إن الله قد صدّقك»<sup>(١)</sup>، وكان ابن هذا المنافق - وهو عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول - رجلاً صالحاً من الصحابة الأخيار، فتبرأ من أبيه، ووقف له على باب المدينة واستل سيفه، فلما جاءه ابن أبي قال له: والله لا تجوزها هنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ، فإنه العزيز وأنت الذليل، فلما جاء النبي ﷺ أذن له، فخلى سبيله، وكان قد قال عبد الله بن عبد الله بن أبي: يا رسول الله إن أردت قتله فمُرني بذلك، فأنا والله أحمل إليك رأسه<sup>(٢)</sup>.

### خبر الإفك في غزوة بني المصطلق

س: اذكر خلاصة خبر الإفك؟

ج: حاك المنافقون في هذه الغزوة حادثة الإفك، وذلك لما فشل كيدهم في المحاولة الأولى، وهي محاولة إثارة الفتنة والعصبية بين المهاجرين والأنصار، ويمكن لنا ذكر خبر الإفك من خلال حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله إذا أراد سفراً أقرع بين نساءه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فخرج بي رسول الله ﷺ، وكان إذا رُحِّل بي بعيري جلست في هودجي، ثم يأتي القوم الذين يرحلون لي، ويحملونني، فيأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه على ظهر البعير،

(١) انظر: صحيح البخاري: (١ / ٤٩٩، ٢ / ٧٢٧ - ٧٢٩)، ابن هشام: (٢ / ٢٩٠ - ٢٩٢).

(٢) المصدر السابق.

فيشدونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير، فينطلقون به، فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك، وجه قافلاً حتى كان قريباً من المدينة، نزل منزلاً فبات به ببعض الليل، ثم أذن في الناس بالرحيل، فارتحل الناس، وخرجت لبعض حاجتي، وفي عنقي عقد لي فيه خرز من ظفار، فلما فرغت انسل من عنقي، ولا أدري، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرحيل، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته، وجاء القوم الذين كانوا يرحلون البعير، ولم يشكوا أي فيه، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به، فرجعت إلى وما فيه من داع ولا مجيب، قد انطلق الناس، فتلففت بجلبابي، ثم اضطجعت في مكاني، وعرفت أن لو أفتقدت لرجع إليّ، فوالله إني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي، وقد كان تخلف من العسكر يلتقط متاع المسلمين حتى يأتيهم به، ولذلك تخلف، فرأى سوادي فأقبل حتى وقف عليّ، وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب، فلما رأي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، طعينة رسول الله، وأنا متلففة في ثيابي، قال: ما خلفك يرحمك الله؟ فما كلمته، ثم قرّب البعير، وقال: اركبي، واستأخر عني، فركبت وأخذ برأس البعير، فانطلق سريعاً يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس، وما افتقدت حتى أصبحت، ونزل الناس، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودي، فقال أهل الإفك ما قالوا، وتكلم من تكلم منهم بشاكلته، وما يليق به، ووجد عدو الله رأس المنافقين ابن أبي متنفساً فتنفس من كرب النفاق والحقد، فجعل يجمع الإفك ويفرقه<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح البخاري: (٢/١، ٣٦٤، ٦٩٦-٦٩٨) ابن هشام: (٢/٢٩٧-٣٠٧). زاد المعاد: (٢/١١٣-

**س: ما موقف الرسول ﷺ من هذه الإشاعة، ومن الذي تولى ترويحها؟.**

**ج:** اغتمَّ رسول الله ﷺ بهذه الإشاعة، ولكنه بالرغم من ذلك، فقد أعلن على الملأ وفي المسجد ثقته في أهله، وفي صاحبه ابن المعطل.

وقد تولى عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين ترويح هذه الإشاعة، ووجد متنفساً، فتنفس من كرب الحقد والحسد والنفاق، فجعل يجمع الإفك، ويروجه، وأخذ أصحابه يتقربون إليه بلهف وأغرى المنافقين بالخوض فيه، وبعض الصحابة، مثل: مسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش وحسان بن ثابت، ومن تمام الابتلاء لرسول الله ﷺ أن حبس الله عنه الوحي شهراً في هذا الشأن، ليزداد المؤمنون إيماناً وثباتاً على العدل والصدق، ويزداد المنافقون إفكاً ونفاقاً ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبويها، وتتم نعمة الله عليهم، وتقطع رجاءها من المخلوق، وتيأس من حصول النصر والفرج إلا من الله.

**س: كيف علمت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بخبر الإفك؟.**

**ج:** تقول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: ثم قدمنا المدينة، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة، ولا يبلغني من ذلك شيء، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبوي لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً، إلا أنني أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي، كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك، فأنكرت ذلك منه، وكان إذا دخل عليّ وعندي أمي تمرضني قال: «كيف تيكم؟» لا يزيد على ذلك، حتى وجدت في نفسي، فقلت: يا رسول الله لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي تمرضني؟ قال: «لا عليك»، قالت: فانتقلت إلى أمي، ولا علم لي بشيء مما كان، حتى نقهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة، إلى أن قالت: فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعني أم مسطح بنت أبي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف، فوالله إنها لتمشي. معي إذ عثرت في مرطها - كسائها -

فقالت: تعس مسطح، قلت: بئس لعمر كِ والله ما قلت، الرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا، قالت: أو ما بلغك الخبر يا ابنة الصديق؟ قلت: وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك، فقلت: أو قد كان هذا؟ قالت: نعم، والله لقد كان، قالت: فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ورجعت، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع - يشق - كبدي، وقلت لأمي: يغفر الله لك، تحدّث الناس ما تحدثوا به، ولا تذكرين لي من ذلك شيئًا؟ قالت: أي بنية، خفصي. عليك الشأن، فوالله لقلّما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها، لها ضرائر، إلا كثرن وكثر الناس عليها.

**س: ماذا فعل رسول الله ﷺ بعد أن علمت عائشة رضي الله عنها بالخبر؟**

**ج:** ذكرنا موقف الرسول ﷺ عندما سمع بما أشيع عن أهله، وقلنا: إنه ﷺ أعلن على الملأ في المسجد ثقتَه بزوجه وصاحبه، إلا أنه بعدما نزل من على المنبر، قالت عائشة رضي الله عنها: ونزل رسول الله ﷺ من على المنبر ودخل عليّ فدعا علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما، فأما أسامة فأثنى علي خيرًا ثم قال: يا رسول الله، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيرًا، هذا كذب وباطل، وأما علي فإنه قال: يا رسول الله، إن النساء لكثير، وإنك لقادر على أن تستخلف، وسَلِ الجارية فإنها تصدقك، فدعا الجارية وضربها عليّ ضربًا شديدًا وقال: اصدقي رسول الله ﷺ فتقول: والله ما أعلم إلا خيرًا، وما كنت أعيب على عائشة شيئًا إلا أني كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه، فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله<sup>(١)</sup>.

قالت: ثم دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندني أبواي وامرأة من الأنصار، وأنا أبكي وهي تبكي معي، فجلس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «يا عائشة

(١) الروض الأنف: (٤ / ٣٠)، زاد المعاد: (٣ / ٢٣٣).

إن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت قد ألممت بذنب فاستغفري، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب، تاب الله عليه»، فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك فقلص دمعي - أمسك - حتى ما أحس منه شيئاً وانتظرت أبوي أن يجييا عني رسول الله ﷺ فلم يتكلما، قالت لأبيها: أجب عني رسول الله، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقالت لأمها مثل ذلك، وقالت أمها مثل ذلك. قالت: فقلت: إن قلت: إني بريئة - والله يعلم أني بريئة - لا تصدقونني، ولا أجد لي ولكم مثلاً، إلا أبا يوسف، حيث قال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾، قالت: فأنزل الله الوحي على رسول الله ﷺ، وإيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأنًا أن ينزل الله في قرآنًا يقرأ به الناس، ولكنني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئًا يكذب به الله عني، لما يعلم الله من براءتي أو يخبر خبرًا، فأما قرآن ينزل في فوالله لنفسي أحقر عندي من ذلك. فعلمت أن الله لا يقول إلا الحق، وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده ما سرّي عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما، فكان أول كلمة قالها رسول الله ﷺ: «أما والله يا عائشة فقد برك الله»، فقال أبواي: قومي إلى رسول الله ﷺ، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله.

**س: ماذا فعل رسول الله ﷺ بعدما أنزل الله تبارك وتعالى براءة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؟**

**ج:** بعدما أنزل الله تبارك وتعالى براءة عائشة -أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- من فوق سبع سموات قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة، خرج رسول الله ﷺ إلى الناس وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك، بعد ذلك أمر رسول الله ﷺ بأن يجلد من صرح بالإفك ثمانين جلدة، حد القذف، وكانوا ثلاثة:

١ - حمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش زوج رسول الله ﷺ.

٢ - مسطح بن أثانة، ابن خال أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٣ - حسان بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وذلك؛ لأنهم ممن صرح بالفاحشة.

س: ما موقف أبي بكر من مسطح بن أثاثة الذي صرح بالإفك على عائشة رضي الله عنها؟.

ج: كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وحاجته، ولما تكلم في عائشة رضي الله عنها مع من تكلم بالإفك قال أبو بكر رضي الله عنه: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً ولا أنفعه بنفع بعد الذي قال لعائشة.

قالت عائشة رضي الله عنها: فأنزل الله في ذلك: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور]، قال أبو بكر: بلى، والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فأرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً<sup>(١)</sup>.

س: اذكر موقف بعض المؤمنين من حادثة الإفك؟.

ج: سجل القرآن الكريم ذلك الموقف الرائع لأولئك النفر من المؤمنين الذين وقفوا من هذا الإفك موقف المؤمن اليقظ والواثق ثقة كبيرة بآل بيت النبوة، الذين طهروا من الدنس والأرجاس، منهم: أبو أيوب الأنصاري وزوجته أم أيوب، فقد نزل في هؤلاء قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور]. قال ابن إسحاق: إن أبا أيوب -خالد بن زيد- قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت يا أم أيوب فاعلة؟ قالت: لا، والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك.

(١) البخاري: الفتح (١٨ / ٥٧ - ٥٨) ح (٤٩٥)، مسلم: (٤ / ٢١٢٩) ح (٢٧٧٠).

س: اذكر بعض ما أنزل في براءة أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا من القرآن؟.

ج: نزل الوحي على النبي ﷺ ببراءة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ تَوَلَّى إِذْ سَمِعَتْهُ نَوَافِلُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَأْسَهُنَّ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ تَوَلَّى جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَتِيكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَوْنَهُ بِالسِّنَّتِمْ وَتَقُولُونَ بَأْفَوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور].

### أهم الدروس والعبر من غزوة بني المصطلق «المريسيع»

س: اذكر بعض الدروس المستفادة من غزوة بني المصطلق «المريسيع»؟.

ج: من أهم الدروس والأحكام والعبر في غزوة بني المصطلق:

١ - مشروعية تقسيم الغنائم بين المقاتلين باستثناء السلب والخمس من

الغنيمة.

٢ - حسن سياسة النبي ﷺ في حل المشكلة التي حاول ابن سلول إثارتها

بين المؤمنين.

٣ - كانت قصة الإفك مما كان يتلقاه النبي ﷺ من الإيذاء والمحن التي

كان ينسجها ويدسها له أعداء الإسلام، وكان من لطف الله تعالى بنبيه

وبالمؤمنين، كشف زيف هذه القصة وبطلانها، وسجل التاريخ بروايات

صحيحة مواقف المؤمنين من هذه الفرية لاسيما موقف أبي أيوب الأنصاري

وزوجته، وهو موقف يتأسى به المؤمنون في حياتهم عندما يتعرضون لمثل هذه

الفرية، فقد انقطع الوحي، ولم يبق إلا الدروس التي تركها لنا لنستفيد منها.

- ٤ - بينت هذه الحادثة مشروعية حد القذف الذي أقيم على من ثبتت إدانته، وبينت حرمة قذف المحصنات المؤمنات، وكذا المحصن المؤمن وأنه من كبائر الذنوب، وعقوبته ثمانون جلدة.
- ٥ - بيان مشروعية الاقتراع، والأخذ بنتائجه لما فيه من تطيب النفوس كما في خبر اقتراع النبي ﷺ بين نسائه عند السفر.
- ٦ - مشروعية أخذ المجاهد امرأته للجهاد إذا كانت الظروف موالية لذلك.

### صلح الحديبية ذو القعدة سنة ٦هـ

س: ما هي الحديبية، ومتى كان صلح الحديبية، وما سببه، ولماذا خرج النبي ﷺ وكمر

عدد من خرج معه؟.

ج: الحديبية: قرية تقع شمال غرب مكة على بعد اثنين وعشرين كيلاً، جزء منها في الحل وجزء منها في الحرم، وتعرف الآن بالشمسي، وبها حدائق الحديبية ومسجد الرضوان<sup>(١)</sup>.

وسببه: أن النبي ﷺ رأى في منامه أنه دخل المسجد الحرام هو وأصحابه آمنين محلقي رؤوسهم ومقصرين، فأخبر المسلمين أنه يريد العمرة، واستنفر الأعراب الذين حول المدينة، ثم خرج في ذي القعدة من السنة السادسة من الهجرة يريد العمرة لا يريد حرباً، في ألف وأربعمائة من أصحابه على أصح الأقوال<sup>(٢)</sup>، بعد أن مضى - عليه ست سنوات بعد الهجرة في المدينة لم يزر فيها مكة ولم يعتمر ولم يحج، وهم أهل الشجرة، وأهل بيعة الرضوان.

(١) البخاري: (٧ / ٣٣٨، ٣٥١)، (٥ / ٢٤١، ٢٦١)، نسب حرب ص: (٣٥٠).

(٢) البخاري: (٧ / ٣٤١)، مسلم: (١٨٥٦).



س: لماذا استنفر النبي ﷺ العرب من بوادي المدينة ومن حولها من الأعراب إذا كان يريد العمرة؟.

ج: كان ﷺ يخشى أن تعرض له قريش بحرب، أو يصدوه عن البيت الحرام بعد الذي كان بينه وبينهم من قتال، وكان المسلمون يحملون السلاح استعداداً للدفاع عن أنفسهم في حالة الاعتداء عليهم، وهو لا يتجاوز أن يكون سلاح المسافر، السيوف في القرب<sup>(١)</sup>.

س: ما الدليل على أن النبي ﷺ كان لا يريد قتالاً؟.

ج: دليل ذلك إخبار النبي ﷺ لمن خرج معه أنه يريد العمرة، وإنما كان الاستنفر، لغرض الدفاع في حالة أن قريشاً حاولت القتال أو صد النبي ﷺ وأصحابه عن دخول مكة، ثم لم يكن معه ومع أصحابه من السلاح إلا سلاح المسافر، وهو السيوف، والأهم من ذلك أن النبي ﷺ ساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس حربه وليعلموا أنها خرج زائراً للبيت معظماً له، وأخرج معه زوجته أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

س: هل بعث النبي ﷺ بعين يتقصى أخبار قريش، ومن أتى له بخبر قريش، وماذا قال ﷺ

في ذلك؟.

ج: لما أهلَّ ﷺ بالعمرة، وساق معه الهدى أرسل عيناً له لتأتيه بخبر قريش فلما كان قريباً من عسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال له: يا رسول الله هذه قريش قد سمعوا بمسيرك، فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل - النوق حديثه الإنتاج مع أولادها - وقد نزلوا في خيلهم، وقد قدموها إلى كراع الغميم - وادٍ أمام عسفان بثمانية أميال - ولخصائص قريش ومكانتها بين العرب حرص رسول الله ﷺ على إسلامهم وتحسر - على عنادهم، وخسارة أرواحهم في الحروب مع المسلمين، لهذا عبّر عن هذه الحسرة بقوله ﷺ: «يا ويح قريش! لقد

(١) انظر: البخاري: الفتح: (١٦ / ٢٦) ح (٤١٧٨).

أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس، فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام، وهم وافرون»، إلى أن قال ﷺ: «فما تظن قريش والله أني لا أزال أجاهدكم على الذي بعثني الله له حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة»<sup>(١)</sup>.

س: عندما خرج خالد بن الوليد بفرسانه هل قابل المسلمين، وماذا فعل الرسول عندما علم بخروج خالد؟.

ج: خرج خالد بن الوليد في مائتي فارس من قريش ليصد المسلمين عن التقدم، فأمر الرسول ﷺ الناس فقال: اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض في طريق تخرجهم على ثنية المرار - مهبط الحديبية من أسفل مكة -، فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأت خيل قريش قفرة الجيش، قد خالفوا عن طريقهم رجعوا راكضين إلى قريش يخبرونهم الخبر.

س: ماذا حصل للرسول ﷺ بعد أن غير اتجاهه من مكة إلى الحديبية، وماذا قال ﷺ في ذلك؟.

ج: ذكرنا أن خالدًا عندما خرج لم يشعر إلا بغبرة الجيش الإسلامي فانطلق يركض إلى قريش نذيرًا.

أما الرسول ﷺ فعندما غير الطريق حتى لا يصطدم بفرسان قريش، عبر ثنية المرار التي تهبط بهم إلى الحديبية، وفي ذلك الطريق بركت راحلته ﷺ فقال الناس خلأت<sup>(٢)</sup> القصواء، فقال: «ما خلأت القصواء، وما ذلك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل» ثم قال: «والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها»، ثم زجر ناقته فوثبت به ثم سار،

(١) أحمد (المسند) (٤ / ٣٢٣)، والسالفة: صفحة العنق.

(٢) خلأت: بركت أو حرنت ولم تبرح مكانها من غير علة ظاهرة.

وأمر أصحابه بالنزول أقصى الحديبية، على بئر قليل الماء، وقد اشتكى الصحابة لرسول الله ﷺ قلة الماء، فانزع سهماً من كنانته وأمر أحد الصحابة، فنزل به في تلك البئر فغرز في جوف البئر فجاش لهم الماء فارتووا جميعاً<sup>(١)</sup>.

**س: عندما اطمأن رسول الله ﷺ في الحديبية ماذا عمل لإقناع قريش أنه لم يأت**

**للحرب؟.**

**ج:** بذل رسول الله ﷺ ما في وسعه لإفهام قريش أنه لا يريد حرباً معهم، وإنما يريد زيارة البيت وتعظيمه، وهو حق للمسلمين، فأحب أن يبعث إليهم رجلاً، فدعا عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله ليس لي بمكة أحد من بني عدي يحميني إن أوذيت، فأرسل عثمان، فإن عشيرته بمكة، وأن يُبلِّغ ما أردت، فدعاه وأرسله إلى قريش، وقال: «أخبرهم أنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عمَّاراً، وادعهم إلى الإسلام»، وأمره أن يأتي رجلاً بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات، فيبشرهم بالفتح، وأن الله ﷻ مظهر دينه بمكة، فانطلق عثمان، فمَرَّ على قريش، فقالوا: إلى أين؟ فقال: بعثني رسول الله ﷺ أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، ويخبركم بأنه لم يأت لقتال، وإنما جئنا عمَّاراً، فقالوا: قد سمعنا ما تقول فانفذ إلى حاجتك، فاستقبله أبان بن سعيد بن العاص، فرحب به وحمله على الفرس، وأردفه حتى جاء به إلى مكة.

**س: ماذا حدث للناس عندما تأخر عثمان ﷺ في العودة إلى الرسول ﷺ؟.**

**ج:** بلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قُتل، فدعا إلى البيعة، فتبادر أصحابه إليه ﷺ، وهو تحت الشجرة، فبايعوه على ألا يفروا، فأخذ بيد نفسه وقال: «هذه عن عثمان»، ولما تمت البيعة رجع عثمان بن عفان، فقالوا: اشتفيت من

(١) البخاري: (٥ / ٢٤١ - ٢٤٥).

الطواف بالبيت، فقال: بئس ما ظننتم بي، والذي نفسي بيده لو مكثت بها سنة، ورسول الله ﷺ بالحديبية ما طفت بها حتى يطوف، ولقد دعنتى قريش إلى الطواف فأبيت، وكان عمر بن الخطاب أخذ بيد رسول الله ﷺ للبيعة وهو تحت الشجرة، فبايعه المسلمون كلهم، ولم يتخلف إلا الجذ بن قيس<sup>(١)</sup>.

### س: لماذا جاء بديل بن ورقاء إلى الرسول ﷺ بالحديبية؟

ج: جاء بديل بن ورقاء إلى الرسول ﷺ وهو بالحديبية في رجال من خزاعة، فكلموه، وسألوه ما الذي جاء به؟، فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمة، وأخبره بديل أن بني لؤي وعامر بن لؤي نزلوا مياه الحديبية يرغبون قتال رسول الله ﷺ، وصادوه عن البيت، فقال: «إنا لم نجيء لقتال أحد، وإنما جئنا معتمرين، وإن قريشاً أنهكتهم الحرب، وأضررت بهم، فإن شاءوا ماددتهم ويخلوا بيني وبين الناس، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، وإن أبوا إلا القتال فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، أو لينفذن الله أمره»، فذهب بديل بن ورقاء حتى أتى قريشاً فبلغهم ذلك، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تحدثنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول، قال: سمعته يقول كذا وكذا.

### س: ماذا قال أهل الرأي عندما أخبرهم بديل بن ورقاء ما سمعه من الرسول ﷺ؟

ج: قال عروة بن مسعود: إن هذا قد عرض عليكم خطة رشد، فاقبلوها ودعوني آتة، فقالوا: آتته، فأتى الرسول ﷺ فجعل يكلمه، فقال له الرسول ﷺ نحواً مما قاله لبديل بن ورقاء، فقال عروة: يا محمد أرأيت لو استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فوالله إني

(١) صحيح مسلم: (١٨٥٦) من حديث جابر.

لأرى جماعة من الناس حريي بهم أن يفروا عنك ويدعوك - يقصد أصحابه.  
وبعد أخذ وعطاء مع الرسول ﷺ ومع بعض الصحابة عاد عروة بن مسعود إلى أصحابه، ثم قال لهم: أي قوم والله لقد وفدت على الملوك - كسرى وقيصر والنجاشي - والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمدٍ محمدًا، والله ما تنخّم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، ثم أخبرهم بجميع ما تقدم، ثم قال: وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، ولهذا يمكن القول أنه ﷺ ترأس هو والمشركون حتى جاء سهيل بن عمرو، ولما جاء قال رسول الله ﷺ: «قد سهل لكم من أمركم».  
س: من آخر رسل قريش إلى رسول الله ﷺ، ولماذا أرسلته، وماذا قالت له حين أرسلته، وما نتيجة ما وصل إليه مع رسول الله ﷺ؟.

ج: آخر من أرسلت قريش سهيل بن عمرو، فعندما رآه الرسول ﷺ قال متفائلاً: «لقد سهل عليكم أمركم» وقال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل» وكانت قريش قد قالت لسهيل بن عمرو: ائت محمداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تحدّث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً، فلما انتهى إلى الرسول ﷺ تكلم فأطال الكلام، وتراجعا، ثم جرى بينها الصلح.

س: ما الذي دعا قريشاً إلى طلب الصلح؟.

ج: عندما علمت قريش ببيعة الرضوان التي دعا إليها رسول الله ﷺ ومبايعة أصحابه له على ألا يفروا، أو على الموت عندما تأخر عنهم عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثلاثة أيام، وإشاعة خبر قتله من قبل المشركين، وشاع أمر هذه البيعة في قريش فداخلهم من الرسول ﷺ وأصحابه رعب عظيم، وكانوا قد أرسلوا منهم خمسين رجلاً عليهم مكرز بن حفص ليطوفوا بمعسكر المسلمين

علمهم أن يصيبوا منهم غرة، فأسره حارس الجيش محمد بن مسلمة، وهرب رئيسهم، ولما علمت قريش بذلك جاء جمع منهم وابتدأوا يناوشون المسلمين، حتى أسر منهم اثنا عشر رجلاً، وقتل من المسلمين واحد، عند ذلك أرسلت قريش سهيل بن عمرو للمفاوضة في الصلح.

ويمكن الإشارة إلى فضل أهل بيعة الرضوان بما نزل فيهم من القرآن، فقد قال الله تعالى فيهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح].  
وقول رسول الله ﷺ: «أنتم خير أهل الأرض» يقصد أهل بيعة الرضوان، وقوله ﷺ: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها»<sup>(١)</sup>.

**س: اذكر الخلاف في نص كتابة الصلح وما هي بنود الصلح الحديبية؟**

**ج:** لما استعرض الفريقان بنود الصلح، وقبل ذلك طلب رسول الله ﷺ حتى يتم الصلح ويوضع موضع التنفيذ - عودة عثمان وصحبه من المسلمين فوافق سهيل وأرسل إلى قريش على الفور يطلب منها إرسال عثمان، ورفقائه إلى رسول الله ﷺ، وقد ذهب سهيل بن عمرو إلى قريش، وعرض عليها بنود الاتفاق الذي توصل إليه هو ورسول الله ﷺ، فأشار عليه أهل الرأي منهم بالموافقة، فلما عاد سهيل إلى رسول الله ﷺ وأخبره بموافقة أهل الرأي من قريش دعا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وطلب منه أن يكتب فقال له ﷺ: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال سهيل: أما الرحمن فما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم، كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله

(١) صحيح مسلم رقم (٦٥٦٠) (٧ / ١٦٩)

الرحمن الرحيم، فقال ﷺ: «اكتب باسمك اللهم»، ثم قال: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، فقال سهيل بن عمرو: والله لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال: «إني رسول الله، وإن كذبتُموني، اكتب محمد بن عبد الله».

### بنود صلح الحديبية

س: اذكر بنود صلح الحديبية؟.

ج: هذه بنود صلح الحديبية:

- ١- وضع الحرب بين المسلمين وقريش عشر سنوات.
- ٢- من جاء المسلمين من قريش يردونه، ومن جاء قريش من المسلمين لا يلزمون برده.
- ٣- أن يرجع النبي ﷺ من غير عمرة هذا العام، ثم يأتي العام المقبل فيدخلها بأصحابه بعد أن تخرج منها قريش، فيقيم بها ثلاثة أيام ليس مع أصحابه من السلاح إلا السيف في الجراب، لا يدخلها بغير ذلك.
- ٤- من أراد أن يدخل في عهد محمد، وعقده من غير قريش دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عهد قريش وعقدهم دخل فيه، فدخلت خزاعة في عهد محمد، ودخلت بنو بكر في عهد قريش.

س: ما موقف الصحابة من شروط صلح الحديبية؟.

ج: لقد تبرم كثير من الصحابة من بعض هذه الشروط، ودليل ذلك أن علياً رضي الله عنه اعتذر عن محو كلمة «رسول الله» التي اعترض عليها سهيل بن عمرو، فقال رسول الله ﷺ: «أرني مكانها»، فمحاها وكتب علي مكانها «ابن عبد الله»، وغضبوا لشرط رد المسلمين الفارين من قريش إلى المسلمين، فقالوا: يا رسول الله: نكتب هذا؟ قال: «نعم، إنه من ذهب إليهم أبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل

الله له فرجًا ومخرجًا<sup>(١)</sup>». ومن ذلك أن عمر بن الخطاب جاء إلى رسول الله ﷺ غاضبًا عند كتابة الصلح، فقال: أأنت نبي الله حقًا، قال: «بلى»، قال: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى»، قال: فلم نعطي الدنية في ديننا إذًا؟ قال: «إني رسول الله ﷺ، ولست أعصيه وهو ناصري»، قال: أو ليس كنت تحدثنا أننا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرت أنك تأتيه هذا العام؟» قال: لا، قال: «فإنك آتية ومطوف به»، وأتى عمر أبا بكر، وقال له مثل ما قال للرسول ﷺ، فقال له أبو بكر: إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصي-ربه، وهو ناصره، فاستمسك بعرزته، فوالله إنه على الحق<sup>(٢)</sup> قال عمر: ما زلت أصوم وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خيرًا، ولم تطب نفس عمر إلا بعد ما نزل القرآن مبشرًا بالفتح<sup>(٣)</sup>. وفي رواية أنه قال: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ، فأتيت رسول الله فقلت: يا رسول الله، أأنت نبي الله؟.

### س: ماذا فعل الرسول ﷺ بعد أن تم الصلح بينه وبين قريش؟.

ج: لما انتهى أمر صلح الحديبية، أمر النبي ﷺ أصحابه بأن ينحروا الهدية، ويحلقوا رؤوسهم، ولم يقيم منهم أحد إلى ذلك، فكرر الأمر ثلاث مرات، فدخل على أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأخبرها بما حدث من المسلمين، فأشارت إليه بأن يبدأ هو بنحر هديه، وحلق شعره، فلما رأى المسلمون ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا<sup>(٤)</sup>، ثم رجع إلى المدينة وقد أمن كل فريق الآخر، وفي رجوع النبي ﷺ إلى المدينة أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١﴾

(١) صحيح مسلم (٢ / ١٠٥).

(٢) البخاري: (الفتح) (١١ / ١٧٦ - ١٧٨) ح (٢٧٣١ - ٢٧٣٢).

(٣) مسلم: (٣ / ١٤١٢) ح (١٧٨٥).

(٤) البخاري: (٧ / ٤٣٩ - ٤٥٨).



لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ [الفتح].  
**س: كيف سُمي صلح الحديبية فتحاً، وقد عاد ﷺ ولم يتمكنه قريش من دخول مكة؟.**

**ج:** نزلت على النبي ﷺ سورة الفتح في طريق عودته: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ [الفتح]. وقال عنها رسول الله ﷺ: «لقد أنزل عليَّ الليلة سورة هي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس»<sup>(١)</sup>، وقال عمر متعجباً: «أَو فَتَحَ هُوَ؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم»، وفرح المسلمون بذلك فرحاً غامراً، وانجلت تلك السحابة من الغم، وأدركوا قصورهم عن إدراك كل الأسباب والنتائج، وإن الخير في التسليم لأمر الله ورسوله ﷺ، وقال عبد الله بن مسعود: إنكم تعدون الفتح فتح مكة، وإنما كنا نعده صلح الحديبية، وصدق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ صِلْحَ الحديبية هو السبب في فتح مكة، وبصلح الحديبية أمن الناس بعضهم بعضاً، وتفرغ رسول الله، والصحابة للدعوة إلى الإسلام، وخلال هذه الفترة دخل في الإسلام أعداد كبيرة، وكتب رسول الله الملوك، ودعاهم إلى الإسلام، ككسرى وقيصر والمقوقس والنجاشي وأمراء العرب، وصدق الله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ [البقرة].

**س: ما موقف الرسول ﷺ ممن أتاه مهاجراً من النساء والرجال بعد بيعة الرضوان أو صلح**

**الحديبية؟.**

**ج:** بعد صلح الحديبية أو بيعة الرضوان، وعودة الرسول ﷺ إلى المدينة، أتته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط مهاجرة، ولم يردها إلى أهلها عندما طلبوها استناداً إلى ما كتبت في المعاهدة وهي: وعلى ألا يأتيك منا رجل، ولو كان على

(١) البخاري: (١) / (٣٨٠).

دينك إلا رددته علينا<sup>(١)</sup>، فكان خاصُّ بالرجال، وذلك عندما نزل عليه ﷺ قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَ كُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَجَرْتِ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ [المتحنة]. فكان الرسول ﷺ لهذا السبب يختبرهن، فإن خرجن من أجل الإسلام استبقاهن، ودفع مهورهن لأزواجهن ولا يردهن إليهم، أما الرجال فعندما يأتيه أحدٌ من مكة، فإنه يرده للعهد الذي تضمنه صلح الحديبية كما فعل ﷺ مع أبي بصير عندما جاء فأرًا من قريش، وأرسلوا في طلبه اثنين منهم، وقالوا للنبي ﷺ: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إليهم.

### خبر المستضعفين

س: اذكر كيف حُلَّت قضية المستضعفين في مكة بعد إرجاع أبي جندل إلى مكة؟.

ج: انفلت من المسلمين المعذبين في مكة أبو بصير واسمه: عتبة بن أسيد الثقفي، وجاء إلى المدينة، فأرسلت قريش رجلين إلى النبي ﷺ ليرده، فرده، فلما نزل بذي الحليفة قتل أبو بصير أحدهما، وفر الآخر حتى انتهى إلى النبي ﷺ، وقال: قُتِلَ صاحبي وأني لمقتول، وجاء أبو بصير، فزجره النبي ﷺ، وعرف أنه سيرده إليهم، ويذكر أن النبي ﷺ قال عنه لما رآه: «ويح أمه، مسعر حرب لو كان معه رجال»، فخرج حتى أتى سيف البحر - أي ساحله - وانفلت أبو جندل، فلحق به فجعل لا يخرج رجل من قريش قد أسلم إلا لحق به، حتى اجتمع منهم جماعة، وأخذت تعترض كل عير لقريش تخرج إلى الشام، فتهجم عليها وتأخذ أموالها، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم أن يستقدمهم إلى المدينة، وألا يرد أحدًا من قريش أتى إليه مسلمًا، فأرسل إليهم ﷺ، فقدموا وانحلت المشكلة.

(١) البخاري (١ / ٣٨٠).

## أثر صلح الحديبية على الدعوة الإسلامية

س: اذكر أثر صلح الحديبية على الدعوة الإسلامية؟.

ج: كان لهذا الصلح أثر كبير في تسيير الدعوة الإسلامية، فقد وجد المسلمون فرصة اللقاء بعامة العرب، ودعوتهم إلى الله، فدخل الناس في الإسلام بكثرة، وبلغ عددهم في عامين ما لم يبلغ خلال تسعة عشر عامًا، وقد جاء كبار قريش: عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة، إلى الرسول ﷺ، طائعين، راغبين، يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويبايعونه على الإسلام، ويبدلون له كل ما يملكون من غالٍ ورخيص، ويفدونه بالنفوس والأرواح، وقد قال رسول الله ﷺ حينما جاءوا: «إن مكة قد ألفت إلينا أفلاذ أكبادها».

## الدروس والعبر من صلح الحديبية

س: اذكر بعض الدروس والأحكام والعبر التي استفدتها من صلح الحديبية؟.

ج: من أهم الأحكام والدروس والعبر من هذا الصلح:

- ١ - عندما وجد سبب مانع للمسلمين من أداء عمرتهم التي أحرموا من أجلها تحلوا، وبذلك شرع التحلل للمعتمر، وأنه لا يلزمه القضاء.
- ٢ - إن سوق الهدي مسنون في العمرة المفردة كما هو مسنون في القرآن.
- ٣ - يستنتج من مدة الصلح أن الحد الأعلى لمهادنة الكفار عشر سنين؛ لأن الأصل معهم الحرب وليس الهدنة.
- ٤ - جواز مهادنة الكفار على رد من جاء منهم مسلمًا.
- ٥ - جواز التبرك بآثار الرسول ﷺ مثل التوضؤ بهاء وضوئه ﷺ، وهو خاصٌّ به خلافًا لآثار الصالحين من أمته.
- ٦ - في صلح الحديبية اعتراف بكيان المسلمين من قريش لأول مرة

فعاملتهم قريش معاملة الند للند.

٧- ذهاب هيبة قريش بدليل مبادرة انضمام خزاعة إلى حلف المسلمين دون خشية من قريش كما كان في السابق.

٨- أتاح الصلح للمسلمين التفرغ ليهود خيبر خاصة، ويهود تيماء وفدك بصفة عامة.

٩- أُتيح للمسلمين مضاعفة الجهد لنشر الإسلام، وفي ذلك قال الزهري: فما فُتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، إلى أن قال: ولقد دخل في الإسلام في تينك الستين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك.

١٠- إن أمير الجيش ينبغي له أن يبعث العيون أمامه نحو العدو.

١١- جواز الاستعانة بالمشرك المأمون في الجهاد عند الحاجة، لأن عين رسول الله ﷺ - الخزاعي - كان مشرئاً إذ ذاك، وفيه من المصلحة: أنه أقرب إلى الاختلاط بالعدو، ومعرفة أخبارهم.

١٢- في قصة أبي بصير، وأبي جندل ورفقائهم في العيص نموذج يقتدى في الثبات على العقيدة، وبذل الجهد في نصرتها، وعدم الاستكانة للطغاة<sup>(١)</sup>.

### مكاتبة الملوك والأمراء

س: متى كانت مكاتبة الرسول ﷺ للملوك والأمراء، وما الغرض من مكاتبتهم، واذكر

أهم تلك الكتب، مع ذكر رد فعل بعض من كاتبهم الرسول ﷺ؟

ج: لما عاد رسول الله ﷺ من عمرة الحديبية، وقد أبرم صلحاً مع قريش، وأمن جانبهم بدأ بإرسال الكتب إلى الملوك والأمراء، يدعوهم فيها إلى الإسلام، ويذكرهم بمضاعفة مسؤولياتهم، وهذه أهم الكتب بإيجاز:

(١) انظر: ابن هشام (٢ / ٣٠٨)، زاد المعاد (٢ / ١٢٢).

## ١- كتابه ﷺ إلى النجاشي: أصحمة بن الأبحر ملك الحبشة:

وقد كتب فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبي إلى النجاشي: الأصحح عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الإسلام، فإني أنا رسوله، فأسلم تسلم: ﴿قُلْ يَتَّأَهَّلُ الْكُتَّابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٦٤) [آل عمران]. فإن أبيت فإن عليك إثم النصارى من قومك».

وبعث الكتاب مع عمرو بن أمية الضمري، فلما أخذه النجاشي وضعه على عينيه، ونزل عن السرير، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب، وكتب إلى النبي ﷺ بإسلامه وبيعته، وزوج أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان بالنبي ﷺ وأصدقها من عنده أربعمئة دينار، وأرسلها والمهاجرين في سفينتين مع عمرو ابن أمية الضمري، فقدم بهم والنبي ﷺ بخير.

مات النجاشي هذا في رجب سنة ٩ هـ فعاه النبي ﷺ يوم وفاته وصلى عليه صلاة الغائب، وخلفه على الحبشة نجاشي آخر، فكتب إليه يدعوه إلى الإسلام، ولا يدرى هل أسلم هذا الثاني أو لم يسلم؟.

## ٢- كتابه ﷺ إلى المقوقس ملك الاسكندرية:

وكتب النبي ﷺ كتابًا إلى المقوقس ملك مصر والاسكندرية وهو: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط: ﴿قُلْ يَتَّأَهَّلُ الْكُتَّابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا

بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [آل عمران].

وبعث الكتاب مع حاطب بن أبي بلتعة، فكلمه حاطب وأبلغه الكتاب فأكرمه المقوقس، ووضع الكتاب في حق من عاج، وختم عليه، واحتفظ به، وكتب إلى النبي ﷺ يقر فيه بأن نبياً قد بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، ولكنه لم يسلم، وأهدى جاريتين: مارية وسيرين، وكان لهما في القبط مكان عظيم، وأهدى كسوة، وبغلة اسمها دلدل، فاختر النبي ﷺ مارية لنفسه، والبغلة لركوبه، ووهب سيرين لحسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

### ٣ - كتابه ﷺ إلى كسرى أبرويز ملك فارس:

كتب إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإنني أنا رسول الله إلى الناس كافة: ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٧٠﴾ [يس]، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك».

وبعث الكتاب مع عبد الله بن حذافة السهمي، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، ليدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قريء عليه الكتاب مزقه، وقال: عبد حقير من رعيتي يكتب اسمه قبلي، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «مزق الله ملكه»، ووقع كما قال، فقد انهزم جيشه أمام الروم هزيمة منكرة، ثم انقلب عليه ابنه شيرويه، فقتله وأخذ ملكه، ثم استمر فيه التمزق والفساد إلى أن استولى عليه الجيش الإسلامي في زمن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم لم تقم لهم قائمة.

### ٤ - كتاب النبي ﷺ إلى قيصر ملك الروم:

وكتب النبي ﷺ إلى قيصر ملك الروم: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أسلم تسلم،

أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ  
الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا  
يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَعُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

[آل عمران].

وبعث الكتاب مع دحية بن خليفة الكلبي، وأمره أن يدفعه إلى عظيم  
بصرى، ليدفعه إلى قيصر، وكان قيصر. قد جاء من حمص إلى بيت المقدس ماشياً  
على قدميه، شكرًا لله تعالى على ما حصل له من الفتح والانتصار على الفرس،  
فلما جاءه الكتاب أرسل رجاله لياتوا برجل من العرب يعرف النبي ﷺ،  
فوجدوا أبا سفيان في ركب من قريش، فأتوا بهم إلى هرقل، فدعاهم هرقل في  
مجلسه، وحوله عظماء الروم، فسألهم: أيهم أقرب إليه نسبًا، فأخبروه بأنه أبو  
سفيان، فأدناه منه وأجلس بقية الناس وراءه، وقال لهم: إني سائل هذا عن هذا  
الرجل - أي النبي ﷺ - فإن كذبنني فكذبوه، فاستحى أبو سفيان من  
الكذب.

وسأله هرقل: كيف نسبه فيكم؟. فقال: هو فينا ذو نسب.

فقال: فهل قال هذا القول منكم أحد قبله؟. قال: لا.

قال: فأشرف الناس اتبعوه أم ضعفاءهم؟. قال: بل ضعفاءهم.

قال: أيزيدون أم ينقصون؟. قال: بل يزيدون.

قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟. قال: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟. قال: لا.

قال: فهل يغدر؟. قال: لا. وهنا تمكن أبو سفيان من إدخال كلمة مريية.

فقال: ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها.

قال: فهل قاتلتموه؟. قال: نعم.

قال: فكيف كان قتالكم إياه؟، قال: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه.

قال: وماذا يأمركم؟ قال: يقول: اعبدوا الله ولا تشرِكوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمر بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.  
قال هرقل معلقاً على هذا الحوار: ذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.

وذكرت أنه لم يقل أحد منكم هذا القول قبله، قلت: فلو كان كذلك لقلت: رجل يأتى بقول قيل قبله.

وذكرت أنه لم يكن من آباءه من ملك، قلت: فلو كان من آباءه من ملك لقلت: رجل يطلب ملك أبيه.

وذكرت أنكم لم تكونوا تتهمونه بالكذب، فعرفت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.

وذكرت أن ضعفاء الناس اتبعوه، وهم أتباع الرسل.

وذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم.

وذكرت أنه لا يرتد منهم أحد، وكذلك الإيمان حين تحالط بشاشته القلوب.

وذكرت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا يغدرون.

وذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله، ولا تشرِكوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، فلو أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.

ثم دعا بالكتاب فقرأه، فارتفعت الأصوات وكثر اللغط، فأخرج أبا سفيان



ومن معه، فلما خرج أبو سفيان قال لأصحابه: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه ليخافه ملك بني الأصفر، ولم يزل أبو سفيان موقناً بعده بظهور أمر رسول الله ﷺ حتى وفقه الله للإسلام.

وأجاز هرقل دحية بن خليفة الكلبي بهال وكسوة، ثم رجع إلى حمص، فأذن لعظماء الروم في دسكرة له، وأمر بأبوابها فأغلقت، ثم قال: يا معشر الروم! هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم؟ فتبعوا هذا النبي، فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها مغلقة، فلما رأى قيصر نفرتهم قال: ردوهم عليّ، فقال لهم: إني قلت مقالتي أختبر بها شدتكم على الدين، فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه.

ويتبين من هذا أن قيصر عرف النبي ﷺ تمام المعرفة وصدق نبوته، ولكن غلب عليه حب ملكه فلم يسلم، وباء بإثمه وإثم رعيته كما قال النبي ﷺ. وأما دحية بن خليفة الكلبي فإنه لما كان بحسمى في طريقه راجعاً إلى المدينة قطع عليه الطريق رجال من بني جذام، وانتهبوه، حتى لم يتركوا معه شيئاً، فلما بلغ المدينة، وأخبر رسول الله ﷺ بعث إليهم زيد بن حارثة في خمسمائة مقاتل، فأغاروا وقتلوا وغنموا ألف بعير، وخمسة آلاف شاة، وسبوا مائة من النساء والصبيان، وأسرع زيد بن رفاعة الجذامي، أحد رؤسائهم إلى المدينة، وكان أسلم هو ورجال من قومه، ونصروا دحية حين قطع الطريق عليه، فرد عليه ﷺ الغنائم والسبي.

#### ٥ - كتاب رسول الله ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني:

وكتب رسول الله ﷺ كتاباً إلى الحارث بن أبي شمر الغساني أمير دمشق من قبل قيصر وهذا نص الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر: سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله وحده، وإني

أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك».

وبعث الكتاب مع شجاع بن وهب الأسدي من بني أسد بن خزيمة فلما قرأ الكتاب رمى به، وقال: من ينزع ملكي مني؟ واستعد ليرسل جيشاً يغزو المسلمين، وقال لشجاع بن وهب: أخبر صاحبك بما ترى، واستأذن قيصر- في حرب رسول الله ﷺ، فثناه عن عزمه، فأجاز الحارث شجاع بن وهب بالكسوة والنفقة، ورده بالحسنى.

#### ٦ - كتابه ﷺ إلى أمير بصرى:

يدعوه إلى الإسلام، وبعث الكتاب مع الحارث بن عمير الأزدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فلما بلغ مؤتة - من عمل البلقاء في جنوب الأردن - تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فضرب عنقه.

وكان هذا أشد عمل عدواني تجاه الرسل، فلم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره، وقد وجد ﷺ على ذلك وجداً شديداً، حتى أفضى- ذلك إلى معركة مؤتة، وسنأتي على ذكرها.

#### ٧ - كتابه ﷺ إلى هودّة بن علي صاحب اليمامة:

وهو: «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى هودّة بن علي سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم، أجعل لك ما تحت يدك».

وبعث الكتاب مع سليط بن عمرو العامري، فأكرمه وأجازه وكساه من نسيج هجر، وكتب في الجواب: ما أحسن ما تدعوا إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهابني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك.

فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «لو سألني قطعة من الأرض ما فعلت». فمات منصرف رسول الله ﷺ من فتح مكة.

#### ٨ - كتابه ﷺ إلى المنذرين ساوى ملك البحرين:

دعاه فيه إلى الإسلام، وبعث هذا الكتاب مع العلاء بن الحضرمي، فأسلم المنذر، وأسلم بعض أهل البحرين، وبقي الآخرون على دينهم من اليهودية أو المجوسية، فكتب المنذر يخبر بذلك رسول الله ﷺ ويستفتيه، فكتب إليه يأمره أن يترك للمسلمين ما أسلموا عليه، ويأخذ من اليهود والمجوس الجزية، وأنك مهما تصلح فلم نغزلك من عملك.

#### ٩ - وكتابه ﷺ إلى ملكي عمان جيفر وأخيه:

وهو: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله ﷺ إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما».

وبعث الكتاب مع عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلما قدم عُمان لقي عبد بن الجلندي، فسأله عبد عما يدعو إليه، فقال: إلى الله وحده لا شريك له وتخلع ما عبد من دونه، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد حوار جرى بينهما سأله عبد عما يأمر به فقال: يأمر بطاعة الله وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب.

قال عبد: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، لو كان أخي يتابعني عليه لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به، لكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً -تابعاً-.

قال عمرو: إن أسلم أخوك ملكك رسول الله ﷺ على قومه، فأخذ الصدقة من غنيهم فيردها على فقيرهم، فقال: إن هذا لخلق حسن، ثم سأله عن الصدقة فأخبره بتفاصيلها، فلما ذكر المواشي قال: ما أرى قومي يرضون بهذا.

ثم إن عبداً أوصل عمرًا إلى أخيه جيفر، فأعطاه الكتاب فقرأه، ثم أعطاه لأخيه، وسأل عمرًا عما فعلته قريش، فأخبره أنهم أسلموا، وأنه إن أسلم يسلم، وإلا وطئته الخيل وتبيد خضراءه، وأرجأ جيفر أمره إلى غدٍ، فلما كان الغد أبدى القوة والصمود، ولكنه خلا بأخيه واستشاره، فلما كان بعد الغد أسلم هو وأخوه، وخليا بين عمرو وبين أخذه الصدقة، وكانا عونًا على من خالفه. أرسل هذا الكتاب إلى عبد وجيفر بعد فتح مكة، وأما بقية الكتب فقد أرسلت بعد عودته ﷺ من الحديبية.

### غزوة خيبر، في محرم سنة ٧هـ

س: متى كانت غزوة خيبر، وما سببها، وما دور صلح الحديبية في هذه الغزوة؟

ج: خيبر واحة كبيرة تبعد عن المدينة حوالي ٩٦ ميلًا إلى الشمال، وذكر البكري أنها سميت باسم رجل من العماليق، وهو خيبر بن قانية بن مهلائيل، وهو أول من نزلها، وكانت هذه الغزوة في محرم من السنة السابعة للهجرة، بعد عودة الرسول ﷺ من الحديبية، وقد بقي في المدينة ذي الحجة وجزء من المحرم ثم خرج ﷺ إلى خيبر غازيًا

وسبب الغزوة: أن خيبر هي وكر الدس، والتآمر، وإثارة الحرب ضد الإسلام والمسلمين، فأهل خيبرهم الذين حزبوا الأحزاب كما ورد معنا في غزوة الأحزاب، وإثارة بني قريظة على الغدر والخيانة، وتحريضهم للمنافقين وغطفان وأعراب البادية بالتحزب لقتال المسلمين، وقد حاولوا قبل ذلك اغتيال النبي ﷺ.

وكانت هدنة الحديبية فرصة أمام المسلمين لتصفية هذا الجيب من اليهود الذي يشكل خطورة على أمن المسلمين، وقد وعد الله تبارك وتعالى المسلمين مغنم كثيرة يأخذونها إذا هزموا يهود خيبر، وإلى ذلك جاءت الإشارة في سورة الفتح التي نزلت في طريق العودة من الحديبية: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ

يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ ﴿[الفتح]، فقلوه: ﴿ فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ﴾ أي غنائم خيبر.

**س: كيف خرج الرسول ﷺ إلى خيبر، وكم كان عدد الجيش الإسلامي؟**

**ج:** سار الجيش الإسلامي بقيادة الرسول ﷺ بروح إيمانية عالية، بالرغم من علمهم بمنعة حصون خيبر وقوة رجالها وعتادهم الحربي، وسلخوا طريقاً بين خيبر، وغطفان، ليحولوا بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر؛ لأنهم كانوا أعداء للمسلمين، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة، روى البخاري عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى خَيْبَرَ لِيَلَّا فَنَامَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ دُونَهَا، ثُمَّ رَكَبُوا إِلَيْهَا بَكْرَةَ فَصَبَحُوهَا بِالْقِتَالِ<sup>(١)</sup>، وكان عدد من خرج مع رسول الله ﷺ ١٦٠٠ رجل منهم مئتا فارس.

**س: كيف وصل خبر خروج الرسول ﷺ إلى خيبر، وماذا فعل أهل خيبر عندما وصلهم الخبر؟**

**ج:** يذكر أن رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول أرسل إلى يهود خيبر أن محمداً قد توجه إليكم، فخذوا حذركم، ولا تخافوا منه، فإن عددكم وعدتكم كثيرة، وقوم محمد شرذمة قليلون، عزل السلاح ما معهم إلا قليلاً، فلما علم أهل خيبر بذلك أرسلوا كنانة بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس إلى غطفان يستمدونهم؛ لأنهم كانوا حلفاء يهود خيبر، ومظاهرين لهم على المسلمين، وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر إن هم غلبوا المسلمين، ثم إن غطفان حاولت نجدة حلفائهم يهود خيبر، حتى إذا ساروا مرحلة، سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حساً، فظنوا أن المسلمين قد خالفوا إليهم، فرجعوا وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر.

(١) البخاري: الفتح: (٧ / ٤٦٥)، زاد المعاد (٢ / ١٣٣).

**س: اذكر أهم حصون خيبر، وكيف دخل رسول الله ﷺ إلى خيبر؟.**

**ج:** كانت خيبر محصنة بالحصون العالية المنيعة، وكانت مساكنهم مقسمة إلى ثلاثة أشطر: النطاة، والكتبة، والشق، فالنطاة ثلاثة حصون: حصن ناعم، حصن الصعب بن معاذ، حصن قلعة الزبير، والشق حصنان حصن أبي، حصن النزار، والكتيبة ثلاثة حصون: حصن القموص، حصن الوطيح، حصن السلام وكان في خيبر حصون وقلاع أخرى صغيرة، لم تكن تبلغ مبلغ هذه الحصون في القوة والمنعة. ويذكر أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه: «قفوا»، ثم قال: «اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، اقدموا باسم الله». وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قومًا لم يغزهم حتى يصبح، فإن سمع أذانًا أمسك وإن لم يسمع أذانًا أغار، فنزل خيبر ليلاً، فبات رسول الله ﷺ حتى إذا أصبح لم يسمع أذانًا، فركب وركبنا معه، واستقبلنا عمال خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش قالوا: محمد والخميس! فأدبروا هربًا، فقال ﷺ: «الله أكبر، خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»<sup>(١)</sup>.

**س: كيف تم فتح خيبر، اذكر ذلك مفصلاً؟.**

**ج:** فتح النطاة: عسكر رسول الله ﷺ شرقي حصون النطاة بعيداً عن مدى النبل، وبدأ القتال بفرض الحصار على حصن ناعم، وكان حصناً منيعاً، صعب المرتقى، وكان خط الدفاع الأول لليهود، وفيه بطلهم مرحب الذي كان

(١) صحيح البخاري (٢ / ٦٠٣ - ٦٠٤).

يعد بألف رجل، فوعدت المراماة بين الفريقين أياماً، ثم بشرهم رسول الله ﷺ بالفتح وقال: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» فبات المهاجرون والأنصار كلهم يتمنى أن يعطاها، فلما أصبح قال: أين علي؟ قالوا: هو يشتكي عينيه، فأرسل إليه فأتى به، فبصق في عينيه ودعا له فبرئ، وكان لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، وكان اليهود قد نقلوا نساءهم وذرائعهم إلى حصن الشق ليلاً، وقرروا البراز للقتال في ذلك الصباح، فلما ذهب إليهم علي رضي الله عنه وجدهم متجهزين للقتال، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ودعا مرحب إلى المبارزة فخرج وهو يخط بسيفه ويقول:

قد علمت خير أني مرحب      شاكي السلاح بطل مجرب  
إذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز له عامر بن الأكوع وهو يقول:

قد علمت خير أني عامر      شاكي السلاح بطل مغامر  
فاختلفا ضربتين فوق سيف مرحب في ترس عامر فذهب عامر ليتناول بسيفه ساق اليهودي، وكان سيفه قصيراً فلم يصل إليه، بل رجع إلى عامر فأصاب ركبتيه، فمات بسبب تلك الضربة فيما بعد، فقال النبي ﷺ فيه: «إن له لأجرين، إنه لجاهد مجاهد، قلَّ عربيٌّ مشى بها - أي الأرض - قبله».

أما مرحب فبرز له علي وهو يرتجز:

أنا الذي سمتني أمي حيدر      كليث غابات كربه المنظرة  
أوفيهم بالصاع كيل السندرة

و ضرب رأس مرحب فقتله، ثم خرج أخوه ياسر يدعو إلى المبارزة، فبرز له الزبير بن العوام، وألحقه بأخيه، ثم دار القتال الميرير قتل فيه عدد من سراة

اليهود، وانهارت معنوياتهم فانكشفوا عن مواقعهم، وتبعهم المسلمون حتى دخلوا الحصن بالقوة، وانهمزم اليهود إلى الحصن الذي يليه، وهو حصن الصعب، وقد غنم المسلمون من حصن ناعم كثيرًا من الطعام والتمر والسلاح. ثم حاصر المسلمون حصن الصعب تحت قيادة الحباب بن المنذر، ودام الحصار ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث دعا رسول الله ﷺ بالفتح والغنيمة، ثم ندب المسلمين فهاجموا بشدة، ووقع البراز والقتال، ودارت معركة عنيفة انتهت بهزيمة اليهود، وافتتح المسلمون الحصن قبل أن تغرب الشمس، فوجدوا فيه غنائم كثيرة من الطعام، وكان أكثر الحصون طعامًا وودكًا، وأعظمها غناءً للمسلمين، وكان المسلمون قبل ذلك في مجاعة شديدة حتى ذبح أناس الحمر، فنهى رسول الله ﷺ عن لحومها، وأمر بالقدور فأكفئت، وهي منصوبة على النيران تطبخ فيها تلك اللحوم.

وعند ذلك لاذ اليهود بقلعة الزبير وتحصنوا فيها، وهي ثالث الحصون وآخرها في شطر النطاة، أما المسلمون ففرضوا عليهم الحصار، وفي اليوم الرابع دُلَّ يهودي على جداول ماء كان يستقي منها اليهود، فقطعه المسلمون عنهم، فخرجوا وقاتلوا قتالًا شديدًا، ثم انهزموا إلى شطر الشق، وتحصنوا بحصن أبي. فتح الشق:

عند ذلك تبعهم المسلمون حتى حاصروهم، فخرجوا مستعدين لأشد القتال، وبرز أحد أبطالهم يطلب المبارزة فقتل، ثم برز آخر فقتل، قتله أبو دجانة: سماك بن خرشة الأنصاري، فلما قتله أسرع إلى اقتحام القلعة واقتحم المسلمون، فجرى القتال داخل القلعة ساعة، ثم فر اليهود إلى الحصن الثاني؛ حصن النزار، وهو آخر الحصون في هذا الشطر، وغنم المسلمون في حصن أبي أثانًا كثيرًا ومتاعًا وغنمًا وطعامًا.



ثم تقدموا وحاصروا حصن النزار، وكان على رأس جبل لا سبيل إليه، وقد امتنع أهله أشد التمتع، وكانوا على شبه اليقين بأن المسلمين لا يستطيعون اقتحامه، ولذلك أقاموا فيه مع الذراري والنساء، وقاوموا أشد المقاومة، رميًا بالنبل والحجارة، فنصب المسلمون المنجنيق فوق في قلوبهم الرعب وهربوا إلى شطر الكتيبة دون أن يعانون شدة تذكر من المسلمين، ووجد المسلمون غنائم فيها أواني من نحاس وفخار فقال ﷺ: «اغسلوها واطبخوها فيها».

#### فتح الكتيبة:

وتقدم المسلمون إلى حصن القموص، أول حصون الكتيبة فحاصروه أربعة عشر-يومًا أو عشرين يومًا، ثم يقال: إن اليهود طلبوا الأمان، ويقال: إن المسلمين فتحوا الحصن عنوة، وفر اليهود إلى الحصنين الباقيين: الوطيح والسلام، فلما سار إليهما المسلمون ليحاصروهما طلب اليهود الأمان على أن يخرجوا من خيبر وأراضيها بنسائهم وذرائعهم، فعاهدهم الرسول ﷺ على ذلك، وسمح لهم بأن يأخذوا من الأموال ما حملت ركابهم، إلا الصفراء والبيضاء - الذهب والفضة - والكراع والحلقة - أي الخيل والسلاح - وتبرأ منهم الذمة إن كتموا شيئًا، ثم سلموا الحصن فغنم المسلمون مائة درع، وأربعمائة سيف، وألف رمح، وخمسمائة قوس عربية، وصحفًا من التوراة أعطوها لمن طلبها، وغدر بالعهد كنانة بن أبي الحقيق وأخوه، فغيبا كثيرًا من الذهب والفضة والجواهر، فبرئت منها الذمة وقتلا لغدرهما، وكانت صافية بنت حبي بن أخطب تحت كنانة بن أبي الحقيق، فجعلت في السبي.

**س: كيف قسم رسول الله ﷺ غنائم خيبر؟**

**ج:** لما حصل اليهود على الأمان من رسول الله ﷺ جاءوا باقتراح جديد قبل أن يتم إجلاؤهم.

قالوا: يا محمد دعنا في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها، فنحن أعلم بها منكم، وتعطينا نصف ما يخرج منها من التمر والزرع، فرضي بذلك على أن يجليهم منها متى شاء، فبقوا على ذلك حتى أجلاهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حيث سلكوا طريق الشر والخبث.

وقسم رسول الله ﷺ خيبر على ستة وثلاثين سهماً، كل سهم مجموعة مائة سهم، فعزل منها النصف وهو ثمانية عشر سهماً لنواب المسلمين، وقسم النصف الباقي وهو أيضاً ثمانية عشر سهماً، على الغزاة، فأعطى الراجل سهماً وللفارس ثلاثة، سهماً له وسهمين لفرسه، وكان الفوارس مائتين، فصارت لهم ستة أسهم، والرجالة ألف ومائتين فصار لهم اثنا عشر سهماً.

وكانت خيبر غنية بالتمر والطعام، قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: لما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر، وردّ المهاجرون إلى الأنصار منائحهم من النخيل بعدما رجعوا من خيبر إلى المدينة.

وهكذا فتحت خيبر عنوة استناداً إلى ما رواه البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ غزا خيبر وفتحها عنوة، فلما أراد أن يجليهم، قالوا: نحن أعلم بهذه الأرض منكم فدعنا نعمل لكم فيها على شطر ما يخرج من ثمارها، فاتفق رسول الله معهم على ذلك<sup>(١)</sup>.

**س: ماذا فعل رسول الله ﷺ بعد الانتهاء من فتح خيبر، وكم كان قتلى الفريقين؟**

**ج:** لما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك شمال خيبر، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك، وقتل من اليهود في معارك خيبر ثلاثة وتسعون رجلاً، وسييت النساء والذراري، منهن صفية بنت حيي بن أخطب التي اشتراها الرسول ﷺ فأعتقها وتزوجها،

(١) صحيح البخاري (٢/ ٦٠٣ - ٦٠٤)، ومسلم (٣/ ١٤٢٦٦) (١٣٦٦٥).

واستشهد من المسلمين عشرون رجلاً، وممن استشهد من المسلمين راعي غنم أسود كان أجيراً لرجل من اليهود، وخلاصة قصته أنه أتى رسول الله ﷺ، وهو محاصر لبعض حصون خيبر ومعه غنم يرهاها لبعض يهود خيبر، فطلب من الرسول ﷺ أن يعرض عليه الإسلام فأسلم، فاستفتى الرسول ﷺ في أمر الغنم، فطلب منه أن يضرب وجوهها فسترجع إلى أصحابها، ويذكر أنه قال لرسول الله ﷺ: إني رجل أسود اللون، قبيح الوجه، نتن الريح، لا مال لي، فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل أدخل الجنة؟ قال: «نعم»، فتقدم فقاتل حتى قتل، فقال الرسول ﷺ لما رآه: «لقد أحسن الله وجهك وطيب ريحك وكثر مالك»، ثم قال: «لقد رأيت زوجتيه من الحور العين تتنازعان عنه جبته، وتدخلان بين جلده وجبته»<sup>(١)</sup>.

### الشاة المسمومة

س: اذكر قصة الشاة المسمومة ولماذا سمت هذه الشاة ولن قدمت؟.

ج: بعدما عاد الهدوء إلى خيبر وذهب الخوف عاد اليهود إلى خبثهم وتآمرهم على قتل رسول الله ﷺ، فأهدوا له شاة مسمومة، سمّتها زينب بنت الحارث امرأة سلام ابن مشكم أحد كبرائهم، وقد علمت أن رسول الله ﷺ يعجبه الذراع، فأكثر السم فيه، وتناول منه رسول الله ﷺ لقمته ولاكها ثم لفظها وقال: إنها شاة مسمومة، وسأل عن المرأة واليهود فاعترفوا بجرمهم، وقالوا: قلنا: إن كان ملكاً نستريح منه، وإن كان نبياً لا يضره، فعفا عنهم وعن المرأة، ثم إن بشر بن البراء بن معرور مات من هذا السم وقد أكل مع الرسول ﷺ من هذه الشاة، فأمر النبي ﷺ بقتل المرأة قصاصاً.

(١) ابن هشام (٣ / ٤٧٩ - ٤٨٠)، زاد المعاد (٣ / ٢٨٧).

## زواج النبي ﷺ وبنائه بصفية

س: لماذا تزوج الرسول ﷺ بصفية بنت حيي بن أخطب ومتى؟

ج: كانت صفية بنت حيي بن أخطب ضمن سبي خيبر، وكان أخذها دحية بن خليفة الكلبي بإذن رسول الله ﷺ، فقال الصحابة لرسول الله ﷺ: «إنها لا تصلح إلا لك، إنها سيدة بني قريظة والنضير»، فدعا بها رسول الله ﷺ وعرض عليها الإسلام، فأسلمت، فأعتقها وتزوجها، وجعل عتقها صداقها، وأسلمها إلى بعض النساء.

فلما تم له فتح خيبر ووادي القرى وأطاع له أهل فدك وتيها، أخذ في عودته إلى المدينة حتى إذا كان بسد الصهباء حلت صفية، فبنا بها في ذلك المكان وأصبح عريسًا، وأولم عليها بحيس، وهو التمر والأقط والسمن، وما كان في الوليمة خبز ولا لحم، وأقام ثلاثة أيام بيني بها، ثم سار حتى قدم المدينة في أواخر شهر صفر أو في أوائل ربيع الأول من سنة ٧ هـ.

## أهم الدروس والعبر من غزوة خيبر

س: اذكر بعض ما وقع في غزوة خيبر من الدروس والعبر؟

ج: من خلال دراستنا لغزوة خيبر يمكن أن نستخلص منها أهم الدروس والعبر:

١ - عن سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك؟، وكان عامر رجلاً شاعراً فنزل يحدو القوم يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا	ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما اقتفينا	وثبت الأقدام إن لاقينا
وأنزلن سكينه علينا	إننا إذا صيح بنا أتينا

فقال رسول الله ﷺ: من هذا السائق؟ قالوا: عامر بن الأكوع، قال: يرحمه الله، قال رجلٌ من القوم: وجبت يا نبي الله لولا أمتعتنا به، وكانوا يعرفون أن رسول الله ﷺ لا يستغفر لإنسان يخلصه إلا استشهد، وقد وقع ذلك له في خيبر.

٢ - في الطريق إلى خيبر أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله» فقال ﷺ: «أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمًا ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعةً قريبًا»<sup>(١)</sup>.

٣ - نهى رسول الله ﷺ عن الغلول، وأن من مات وهو غالٌ يدخل النار، جاء ذلك في خبر الرجل الذي قال عنه الصحابة: إنه شهيد، فقال لهم الرسول ﷺ: «كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة...»<sup>(٢)</sup> وخبر مدعم مع الشملة.

٤ - أجرى الله على يدي نبيه ﷺ بعض المعجزات دليلاً على نبوته وعبرة لمن يعتبر، فقد بصق على عيني علي عندما اشتكى منها فبصق عليها فصحتا، وإخبار ذراع الشاة المسمومة إياه أنها مسمومة<sup>(٣)</sup>، وقد ثبت أنه نفث ثلاث نفثات في موضع ضربة أصابت ركبة سلمة بن الأكوع يوم خيبر فما اشتكى بعدها<sup>(٤)</sup>.

٥ - جواز عتق الرجل أمتة وجعل عتقها صداقها بدون إذنها ولا شهود، ولا ولي، كما فعل ﷺ في صفية بنت حبي بن أخطب.

(١) البخاري: الفتح: (١٦ / ٥٠ / ح / ٤٢٠٥).

(٢) مسلم: (١ / ١٠٧ - ١٠٨ / ح / ١١٤، ١١٥).

(٣) البخاري: (١٠ / ٢٠٩)، أحمد: (٢ / ٤٥١).

(٤) البخاري: الفتح: (١٦ / ١٥٠ / ح / ٤٢٠٦).

**إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**

س: متى أسلم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة، وما أهمية إسلامهم؟

ج: أسلم خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله المخزومي بعد صلح الحديبية، وكان أحد أشرف قريش في الجاهلية، ولما أراد الإسلام، وشرح الله صدره له قدم على رسول الله ﷺ، أما عمرو بن العاص، فقد خرج إلى رسول الله ﷺ لما رأى علو شأن الرسول ﷺ، وعندما قذف الله في قلبه الإسلام، ورأى حماس الناس حتى العجم في الإيمان بمحمد والدفاع عنه، والتقى في طريقه بخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة، وقد خرجوا سرًا وساروا سويًا إلى المدينة فأسلموا، وذلك في صفر سنة ٨هـ، فسربهم الرسول ﷺ سرورًا عظيمًا، وقال لخالد: «الحمد لله الذي هدأك، قد كنت أرى لك عقلًا رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير» فقال: يا رسول الله، ادعو الله لي أن يغفرتلك المواطن التي كنت أشهداها عليك، فقال ﷺ: «الإسلام يجب ما قبله» ويروى أنه قال لعمرو ابن العاص مثل ذلك<sup>(١)</sup>.

**قدوم جعفر بن أبي طالب وصحبه من الحبشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**

س: متى قدم جعفر بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ من الحبشة؟

ج: قدم جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابن عم رسول الله ﷺ وأصحابه ومعهم الأشعريون: أبو موسى الأشعري وأصحابه مع عمرو بن أمية الضمري، حامل كتاب رسول الله ﷺ إلى النجاشي، وهم ستة عشر- رجلًا، فوفوا رسول الله ﷺ حين فتح خيبر، وقبل تقسيمها فقبل جعفر وقال: «والله ما أدري أبقدم جعفر أنا أسر وأفرح أم بفتح خيبر» وقدم مع جعفر امرأته أسماء

(١) انظر: ابن هشام (٣ / ٢٥٠)، الطبري: (٢ / ١٠٢ - ١٠٤).

بنت عميس وابنها عبد الله بن جعفر، قال أبو موسى: بلغنا مخرج رسول الله ﷺ، ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وإخوان لي في بضع وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا سفينة، فألقننا سفيتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفراً، وأصحابه عنده فقال: إن رسول الله ﷺ بعثنا، وأمرنا بالإقامة فأقمنا معهم، حتى قدمنا فوافقنا رسول الله ﷺ حين فتح خيبر، فأقسم لنا، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر شيئاً إلا لمن شهد معه إلا لأصحاب سفيتنا مع جعفر وأصحابه قسم لهم معهم<sup>(١)</sup>، ووفاه أيضاً بخيبر بعد أن تم الفتح أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان قد جاء إلى المدينة بعد خروجه إلى خيبر في وفد دوس، فأسلم ثم استأذن في الخروج إلى خيبر، فأعطاه الرسول ﷺ من غنيمة خيبر

### حصار وادي القرى

س: ماذا فعل رسول الله ﷺ بعد فراغه من خيبر؟

ج: لما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر سار إلى وادي القرى، وهو اسم لقرية من القرى التي نزل بها اليهود بين المدينة وخيبر، وهي التي تعرف الآن بالعلأ، وكان به جماعة من اليهود وجماعة من العرب ثم دعا رسول الله ﷺ يهود وادي القرى إلى الإسلام، وأخبرهم أنهم إذا أسلموا أدركوا أموالهم وحققوا دماءهم وحسابهم على الله، فبرز رجل منهم، فبرز له الزبير، وقتله، ثم استمرت المبارزة والقتل منهم حتى بلغ عدد قتلاهم أحد عشر رجلاً، ثم قاتلهم حتى أمسوا، وفي الصباح استسلموا، وفتحت عنوة، وأقام فيها رسول الله ﷺ ثلاث أيام، وقسم ما أصاب على أصحابه، وترك الأرض والنخل بأيدي يهود وصالحهم عليها، ولما بلغ يهود تيبما ما حصل لليهود فدك ووادي القرى صالحوا رسول الله ﷺ على

(١) انظر: البخاري: (٧ / ٣٧٢)، مسلم: (٢٥٠٢ - ٢٥٠٣).

الجزية، فأقاموا وبأيديهم أموالهم، فلما كان عهد عمر أخرج يهود فدك وخيبر، ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى؛ لأنهما دخلتا في أرض الشام، ويرى أن ما دون وادي القرى إلى المدينة من الحجاز، وما وراء ذلك من الشام.

### غزوة ذات الرقاع

س: متى كانت غزوة ذات الرقاع وما سببها وكم عدد الصحابة الذين خرجوا فيها وما أهم أحداثها؟.

ج: بعد أن عاد الرسول ﷺ من خيبر واطمأن بالمدينة سمع بتجمع بعض البدو من بني إنهار وثلعبه ومحارب، فقصدهم ﷺ في سبعمائة من أصحابه فلقيهم في موضع يقال له: نخل، على بعد يومين من المدينة، فلقي جمعاً من غطفان، فتقارب الفريقان وأخاف بعضهم بعضاً، ولم يدر القتال، وأقيمت الصلاة، فصلى الرسول ﷺ بطائفة من أصحابه ركعتين، ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين، فكانت له أربع ركعات ولأصحابه ركعتان، وهي صلاة الخوف، ولها صورة أخرى وردت في الأحاديث، ثم ألقى الله الرعب في قلب العدو فتنفرق جمعه، وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة.

وسميت هذه الغزوة بذات الرقاع؛ لأن أقدام المسلمين نقتبت لأجل المشي، فلفوا عليها الخرق، وهي الرقاع، وقيل: لأن أراضيها وجبالها ذات ألوان مختلفة كأنها رقاع، وقيل: بل هي اسم لمكان الغزوة.

(ومن يمنعك مني):

ومن أروع ما وقع في هذه الغزوة، ولعله السبب في إيرادها لها أن رسول الله ﷺ نزل ذات يوم تحت شجرة ظليلة، فعلق بها سيفه ونام، وتفرق الناس تحت الأشجار وناموا، فجاء رجل من المشركين، فأخذ سيف رسول الله ﷺ، وهو نائم، فاستيقظ وهو واقف على رأسه وسيفه بيده، فقال: أتخافني؟ قال: «لا»، قال:



فمن يمنعك مني؟ قال: «الله»، فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ وقال: «من يمنعك مني؟» قال: كن خير آخذ، فدعاه إلى الإسلام، فلم يسلم، ولكنه أعطاه العهد ألا يقاتله ولا يكون مع قوم يقاتلونه، فخلى سبيله فذهب إلى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس. وعامة أهل المغازي يذكرون أنها وقعت في السنة الرابعة من الهجرة، والصحيح أنها في السنة السابعة بعد خيبر؛ لأن أبا هريرة وأبا موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كانا في هذه الغزوة، وهما إنما جاء إلى النبي ﷺ أول مرة بعد فتح خيبر كما تقدم.

### عمرة القضاء - ذي القعدة سنة ٧هـ

س: متى كانت عمرة القضاء، ولماذا سميت بعمرة القضاء، ومن خرج فيها، وكم عددهم؟  
 ج: تواترت الأخبار بأن عمرة القضاء كانت في شهر ذي القعدة في نفس الشهر الذي صد المشركون رسول الله ﷺ وأصحابه من أداء العمرة ودخول مكة، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم، وألا يتخلف منهم أحد شهد الحديبية، فخرجوا إلا من استشهد، وخرج معه آخرون معتمرين، فكان عددهم ألفين<sup>(١)</sup>، عدا النساء والأطفال، وسميت بعمرة القضاء، إما لأنها كانت قضاءً عن عمرة الحديبية أو لأنها وقعت حسب المقاضاة - أي المصالحة - التي وقعت في الحديبية، والوجه الثاني أرجح.

س: كيف دخل رسول الله ﷺ والمسلمون مكة في عمرة القضاء، وماذا فعل المشركون عند ذلك؟  
 ج: دخل الرسول ﷺ راكباً ناقته القصواء والمسلمون متوشحون السيوف محذقون برسول الله ﷺ وقد ترك رسول الله ﷺ السلاح خارج مكة، ولم يدخل هو وأصحابه إلا بسلاح الراكب - السيوف - فلما سمع به أهل مكة

(١) فتح الباري: (١٦ / ٨٤).

خرجوا إلى جبل قعيقعان المطل على الكعبة من الجهة الشمالية ليروا المسلمين، وتحدثت قريش فيما بينهم: إنه يقدم عليكم محمد وأصحابه وقد وهنتهم حمى يثرب<sup>(١)</sup>، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يضطبعوا - يكشفوا المناكب اليمنى، ويضعوا طرفي الإحرام على الكتف الأيسر - وأن يرملوا في الأشواط الثلاثة الأولى، وأن يمشوا ما بين الركنين، وقد أمرهم بذلك لير المشركون قوتهم<sup>(٢)</sup>، ودخل رسول الله ﷺ مكة من الثنية التي تطلعه على الحجون، وقد صف المشركون ينظرون إليه، فلم يزل يلبي ويستلم الركن بمحجنه، ثم طاف وطاف المسلمون معه، وعبد الله بن رواحة يرتجز متوشحًا بالسيف:

خَلَّوْا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ      خَلُّوا فَكُلَّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ  
 قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ      فِي صَحْفٍ تَتْلَى عَلَى رَسُولِهِ  
 يَا رَبِّ إِنِّي مَوْءُومٌ بِقِيلِهِ      إِنِّي رَأَيْتُ الْحَقَّ فِي قَبُولِهِ  
 بَأَنَّ خَيْرَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ      الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ  
 ضَرْبًا يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ      وَيَذْهَلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

وفي حديث أنس فقال عمر: يا بن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر؟ فقال له النبي ﷺ: خل عنه يا عمر، فلهذا أسرع فيهم من نضح النبل، ورمل رسول الله ﷺ والمسلمون في الأشواط الثلاثة الأولى، فلما رأهم المشركون قالوا: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم، هؤلاء أجلد من كذا وكذا<sup>(٣)</sup>.

(١) مسلم: (٢ / ٩٢٣) ح (١٢٩٦).

(٢) البخاري: (١٦ / ٩٦) ح (٤٢٥٦ - ٤٢٥٧)، مسلم: (٢ / ٩٢٣) ح (١٢٦٦).

(٣) مسلم: (٢ / ٩٢٣) ح (١٢٦٦).

س: كم بقي رسول الله ﷺ بمكة، وماذا فعل رسول الله ﷺ في هذه العمرة؟.

ج: بعد الانتهاء من الطواف والسعي بعث ﷺ أناساً إلى موضع السلاح خارج الحرم فيقيموا عليه حتى يأتي الآخرون وليقضوا نسكهم.  
وأقام رسول الله بمكة ثلاثاً بحسب بنود صلح الحديبية، فلما أصبح اليوم الرابع أتى إليه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى، فصاح حويطب نناشدك الله والعقد لما خرجت من أرضنا، فقد مضت الثلاث، فأمر ﷺ أبا رافع فأذن بالرحيل.

وفي هذه العمرة تزوج رسول الله ﷺ بميمونة بنت الحارث العامرية، وكان رسول الله ﷺ قبل الدخول إلى مكة بعث جعفر بن أبي طالب بين يديه إلى ميمونة، فجعلت أمرها إلى العباس، وكانت أختها أم الفضل تحته، فزوجه إياها، فلما خرج من مكة خلف أبا رافع ليحمل ميمونة إليه حين يمشي، فبنى بها بسرٍف<sup>(١)</sup>، ومن عجيب قدرة الله تعالى أن ميمونة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لما توفيت كانت بسرٍف فدفنت هناك ويذكر أنها آخر من تزوجه الرسول ﷺ وآخر من مات من أزواجه، وأنها ماتت سنة ٦١ هـ، والله أعلم.

### غزوة مؤتة

س: متى كانت غزوة مؤتة، وما سببها، كم عدد الجيش الإسلامي ومن قائدها، وبماذا

أوصاهم الرسول ﷺ في هذه الغزوة؟.

ج: وقعت هذه الغزوة في جمادى الأولى سنة ٨ هـ، أما سببها: فأن الرسول ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي بكتابه إلى ملك الروم بصرى، فعرض له شرحيل بن عمرو الغساني - وكان عاملاً على اللقاء من أرض الشام من قبل قيصر - فأوثقه،

(١) البخاري: (٩٧/١٦) ح (٤٢٥٩)، مسلم: (١٠٣٢/٢، ١٤١١)، وسرف موضع على ستة أميال من مكة.

ثم قتله، ولم يقتل لرسول الله ﷺ غيره، وكان قتل السفراء والرسول من أشنع الجرائم، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ حين جاءه الخبر فجهز إليه جيشاً كان قوامه: ثلاثة آلاف مقاتل، واستعمل الرسول ﷺ على الجيش زيد بن حارثة وقال: «إن أُصيب زيد فجعفر، فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة»<sup>(١)</sup>.

وعقد لهم ﷺ لواءً أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة، وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا بالله عليهم وقتلوهم، وقال لهم: «اغزوا بسم الله في سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغيروا، ولا تقتلوا وليدًا ولا امرأة، ولا كبيرًا فانيًا، ولا منعزلاً بصومعة، ولا تقطعوا نخلاً وشجرة ولا تهدموا بيتًا».

س: ماذا فعل عبد الله بن رواحة عندما تهيأ الجيش للخروج وودع الناس أمراء الرسول ﷺ؟

ج: عندما تهيأ الجيش للخروج وودع الناس أمراء رسول الله، حينها بكى عبد الله بن رواحة، فسألوه عن السبب فقال: ما والله بي حب الدنيا، ولا صباية بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله ﷻ يذكر فيها النار: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾<sup>(٧١)</sup> [مريم]، فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود، فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم وردكم صالحين، فقال ابن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة      وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا  
أو طعنة بيدي حران مجهزة      بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا  
حتى يقال إذا مروا على جدثي      يا أرشد الله من غار وقد رشدا<sup>(٢)</sup>

(١) البخاري: (الفتح) (٧ / ٣٩٣)، أحمد (٥ / ٩٢١، ٣٠٠ - ٣٠١).

(٢) ابن هشام (٢ / ٣٧٣ - ٣٧٤). ذات فرغ أي: واسعة يسيل دمها، والزبد: رغوة الدم.

س: أين أقام الجيش بعد وصوله وكيف وجد عدوه، وماذا عمل المسلمون بعد معرفة قوة عدوهم؟.

ج: تحرك الجيش الإسلامي في اتجاه الشمال حتى نزل معان، من أرض الشام مما يلي الحجاز، وحينئذ نقلت لهم استخباراتهم بأن هرقل نازل بمآب من أرض البلقا في مائة ألف من الروم، وانضم إليه من لحم وجماد وبلقين وبهراء وبلي مائة ألف، عليهم رجل من بلي يقال له: مالك بن رافلة.

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره، فتمضي - له، فشجع ابن رواحة الناس، وقال: والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بقوة ولا كثرة وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنها هي إحدى الحسينين إما ظفر وإما شهادة.

فمضى - الناس حتى وصلوا البلقاء، فلقيتهم جموع أعدائهم، فانحاز المسلمون إلى مؤتة، ثم اقتتلوا عندها والراية في يد زيد حتى استشهد، فأخذها جعفر فقاتل بها حتى أكرمه الله بالشهادة وهو ينشد:

يا حبذا الجنة واقتراها طيبة وبارد شراها  
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيده أنسابها

عليّ إذ لا قيتها ضراها

وروى ابن إسحاق أن جعفر أخذ اللواء بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه، حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بها حيث يشاء، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فتقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويقول:

أقسمت يا نفس لتنزلنه      لتنزلنَّ أو لتكرهنه  
 أن أجلب الناس وشدوا الرنه      مالي أراك تكرهين الجنه  
 قد طال ما قد كنت مطمئنه      هل أنتي إلا نطفة في شنه

فنزل فاتاه ابن عمِّ له بعرق من لحم فقال: شد بهذا صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده فانتهش منه نهشة، ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه وتقدم فقاتل حتى قُتل، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ثم قاتل قتالاً مريراً. فقد روى البخاري عن خالد بن الوليد قال: لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي إلا صفيحة بيانية<sup>(١)</sup>.

**س: اذكر نهاية المعركة وكرم شهداء المسلمين وماذا سميت غزوة ولم يخرج فيها الرسول ﷺ؟**

**ج:** كان الرسول ﷺ يخبر عن يوم مؤتة قبل أن يأتي الخبر فيقول: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب» - وعيناه تذرفان - «حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»، قال موسى بن عقبة: قدم يعلى بن منبه على رسول الله ﷺ بخبر أهل مؤتة، فقال له الرسول ﷺ: «إن شئت أخبرني وإن شئت أخبرتك»، قال: أخبرني يا رسول الله، فأخبره رسول الله ﷺ خبرهم كله، ووصفهم له، فقال: والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً واحداً لم تذكره، وإن أمرهم لكما ذكرت فقال رسول الله ﷺ: «إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معركتهم»<sup>(٢)</sup>. وكون الله جلاها لرسوله ﷺ فكانها حضرها وشارك فيها ﷺ لهذا السبب سميت غزوة عند أهل السير.

(١) البخاري: الفتوح: (١٦ / ١٠٤) ح (٤٢٦٥ - ٤٢٦٦).

(٢) انظر: زاد المعاد (٣ / ٣٣٩).

لذا وبالرغم من ضراوة هذه المعركة وكثرة جيش العدو، إلا أنه لم يستشهد من المسلمين إلا اثنا عشر رجلاً، أما الأعداء فلم يعرف عدد قتلاهم غير أن وصف المعركة وضراوتها يدل على كثرتهم. وكان لشهداء مؤتة مكانة ولذا قال رسول الله ﷺ: «ما يسرني - أو قال - ما يسرهم أنهم عندنا»<sup>(١)</sup>.

تم القسم الثاني

وبالله التوفيق

(١) البخاري: الفتوح: (١٢ / ١٥٢) ح (٣٠٦٣).

## القسم الثالث

من: فتح مكة. إلى وفاته صلى الله عليه وسلم.





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### فتح مكة

**س: بماذا سميت غزوة فتح مكة؟ اذكر وصف ابن القيم لهذه الغزوة؟.**

**ج:** كان فتح مكة يسمى فتح الفتوح؛ لأن العرب كانت تنظر بإسلام قريش وتقول: هم أهل الحرم، وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل، فإن غلبوا فلا طاقة لأحدٍ بمحمد، فلما فتح الله مكة دخلوا في دين أفواجًا، بعد أن كانوا يدخلونه فرادى، ولم يبق بعد ذلك للشرك قائمة.

**وصف ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ لَهُدَى لِهَذِهِ الْغَزْوَةِ:**

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في «زاد المعاد»: «إنه الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمة الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله الله هدى للعالمين، من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي ضُربَتْ أطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجًا».

**س: متى كان فتح مكة؟ وما سبب غزوة الفتح؟.**

**ج:** كان فتح مكة في السابع عشر من رمضان سنة ٨ هـ. والسبب: أنه كان ضمن شروط صلح الحديبية: أن من أراد أن يدخل في عقد محمد وعهده فعل، ومن أراد أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فعل، فدخلت خزاعة في عقد محمد وعهده، ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، وإن القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين تعتبر جزءًا من ذلك الفريق، فأى عدوان تتعرض له القبيلة يعتبر عدوانًا على الأخرى. ثم إن بني بكر اعتدوا على خزاعة ليلاً بقاء لهم يقال له: الوتير<sup>(١)</sup> قريبًا من مكة، وأعان قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل معهم بعضهم

(١) الوتير: الورد الأبيض. والحوجم: الورد الأحمر، من الحجمة وهي حمرة في العينين، والجل: الورد. ويقال للورد كله: الجل.

متخفياً بالليل، حتى لجأت خزاعة إلى الحرم، ولهذا أصبح اعتداء بني بكر على خزاعة ومعاونة قريش لهم يعتبر نقضاً لبنود الصلح.

**س: كيف وصل خبر اعتداء بني بكر ومن أعانهم على خزاعة وما الداعي لهذا الاعتداء؟.**

**ج:** عندما حصل الاعتداء على خزاعة خرج عمرو بن سالم الخزاعي، حتى وصل المدينة، وأخبر الرسول ﷺ بما حصل من بني بكر شعراً، ثم خرج بعده بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على الرسول ﷺ بالمدينة، فأخبروه بما أصيب منهم وبمعاونة قريش لبني بكر عليهم ثم رجعوا إلى مكة، أما ما دعا بني بكر للاعتداء على خزاعة أنه كان بين القبيلتين عداوة في الجاهلية، فلما جاء الإسلام، وحصلت هذه الهدنة في الصلح بين المسلمين وقريش ومن انضم إليها، وأمن كل فريق من الآخر اغتنم بنو بكر الفرصة، وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة الثأر القديم الذي لهم عندها.

**س: ماذا فعلت قريش بعد اعتداء بني بكر على خزاعة؟.**

**ج:** إن ما فعلت قريش وحلفاؤها يعتبر غدرًا محضًا، ونقضًا صريحًا للميثاق، لم يكن له أي مبرر سرعان ما أحست قريش بغدرها، وخافت عواقبه الوخيمة، وكانت تتوقع أن الخبر لم يصل إلى الرسول ﷺ بعد، فأرسلت أبا سفيان، وكان قبل ذلك عندما جاء الخبر للرسول ﷺ قال لأصحابه: «كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشد العقد ويزيد في المدة بعثته قريش وقد رهبوا للذي صنعوا؟».

**س: ماذا فعلت أم حبيبة بنت أبي سفيان عندما دخل عليها أبوها؟.**

**ج:** أول ما وصل أبو سفيان المدينة دخل على ابنته أم حبيبة، زوج الرسول ﷺ وعندما دخل عليها عمدت إلى فراش الرسول ﷺ فطوته فقال لها يا بنية: هل رغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت بالفراش عني؟، فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس، فقال: والله لقد أصابك بعدي شر، ثم

خرج من عندها<sup>(١)</sup>.

**س: لماذا ذهب أبو سفيان إلى الرسول ﷺ، وبماذا أجيب، وماذا فعل بعد ذلك؟**

**ج:** بعد أن خرج أبو سفيان من عند ابنته أم حبيبة ذهب إلى الرسول ﷺ فكلمه فلم يرد عليه شيئاً، ويذكر أنه طلب من الرسول ﷺ تجديد العقد وزيادة المدة، وأن الرسول ﷺ قال له: «أو حدث شيء»، قال: لا، قال: «نحن على العهد»، ثم خرج من عنده، وذهب إلى أبي بكر، ثم إلى عمر، ثم إلى علي، وطلب منهم أن يشفعوا له عند الرسول ﷺ فرفضوا ذلك، وقال عمر: أنا أشفع لكم؟ والله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به، وقد أشار عليه عليٌّ بعد ذلك أن يقوم ويحير بين الناس، فدخل أبو سفيان المسجد فقال: أيها الناس، إني قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره، وانصرف عائداً إلى مكة خائباً<sup>(٢)</sup>.

**س: ماذا فعل الرسول ﷺ بعد علمه بغدر قريش وبني بكر بخزاعة وبعد مجيء أبي سفيان؟**

**ج:** تجهز الرسول ﷺ وأمر أصحابه بذلك، وأخبر أبا بكر الصديق بالوجهة فقال له أبو بكر: يا رسول الله، أو ليس بينك وبين قريش عهدٌ؟ قال: «نعم، ولكنهم غدروا ونقضوا»، ثم استنفر عليه الصلاة والسلام الأعراب حول المدينة، وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها». فتجهز الناس<sup>(٣)</sup> وخرج الرسول ﷺ وأصحابه من المدينة في طريقهم إلى مكة في رمضان سنة ثمان من الهجرة، وكانوا صياماً، حتى بلغوا كديداً فأفطر، وأفطر الناس<sup>(٤)</sup>.

(١) الدرر: (٢٥٠).

(٢) ابن هشام: (٤ / ٥٥ - ٥٦).

(٣) ابن هشام: (٢ / ٣٨٩، ٣٩٨).

(٤) البخاري: الفتح: (١٥/١٧٢ ح / ٣٩٨٣)، وكديد عين جارية تبعد عن مكة ٨٦ كيلاً إلى المدينة.

س: ماذا فعل حاطب بن أبي بلتعة عندما أجمع الرسول ﷺ وأصحابه بالمسير إلى مكة؟ .

ج: عندما أجمع ﷺ وأصحابه بالمسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة البدري كتاباً إلى قريش يخبرهم بخروج النبي ﷺ وأصحابه إليهم، ثم أعطاه امرأة وجعل لها جُعللاً على أن تبلغه قريشاً، ثم جعلته في رأسها، ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت به، وأتى النبي ﷺ الخبر من السماء بما فعل حاطب، فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام، وقيل: المقداد بن الأسود، رضوان الله عليهم، فقال: أدركا امرأة قد بعث معها حاطب كتاباً إلى قريش، يحذرهم ما أجمعنا له في أمرهم.

### مضمون كتاب حاطب بن أبي بلتعة

س: ما مضمون كتاب حاطب بن أبي بلتعة؟ ومن المرأة التي بعث معها الكتاب؟ ومتى كان

خروج النبي ﷺ من المدينة متجهاً إلى مكة؟ .

ج: هناك رواية تقول إنه كتب من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من قريش: أن النبي ﷺ قد توجه إليكم بجيش كالليل، يسيل كالسيل، أقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم، فإنه منجز له ما وعده، وورد أن الكتاب كان مضمونه: أن محمداً قد نفر إما إليكم، وإما إلى غيركم، فعليكم بالحدز.

أما المرأة التي استأجرها حاطب: فهي سارة بنت صيفي بن أبي صيفي بن هاشم، كانت مغنية أهل مكة، ذهبت إلى المدينة محتاجة تسأل الرسول ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أجئت مهاجرة؟»، قالت: لا، قال: «فما جئت له؟»، قالت: أنتم الأهل ولا مواسٍ، فقال لها: «أما كان في غنائك ما يكفيك؟»، قالت: إن قريشاً منذ قتل منهم من قتل يوم بدر تركوا الغناء، فأعطاه الرسول ﷺ نفقة وثياباً، ويذكر أن حاطب دفع لها مقابل إيصال الرسالة ديناراً وقيل: عشرة.

سار الرسول ﷺ من المدينة يوم الأربعاء العاشر من شهر رمضان سنة ٨هـ وهو صائم، والناس معه صيام، ولما بلغ الكديد - ماء بين قديد وعسفان - أفطر، وقد استخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين بن عتبة الغفاري.

**س: ماذا فعل علي وصاحبه حتى أدركا المرأة؟ وما فعلا مع هذه المرأة، ومن هي؟.**

**ج:** خرج علي وصاحبه حتى أدركا المرأة بالخليقة - موضع قرب ذي الحليفة - فأوقفها، وبحثا عن الكتاب في رحلها، فلم يجدا شيئاً، فقال لها علي: إني أحلف بالله ما كُذِبَ رسول الله ولا كُذِبنا ولتخرجنَّ لنا الكتاب أو لنكشفنَّك، فلما رأت الجدم منه قالت: اعرض، فأعرض فحلت قرونها، وأخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه، فأتى به رسول الله ﷺ، وهذه المرأة هي سارة مولاة لبني عبد المطلب كما أسلفت.

**س: ماذا قال عمر عندما علم بخبر الكتاب، وماذا فعل الرسول ﷺ، وهل وافق عمر على**

**قوله؟.**

**ج:** عندما أحضر الكتاب إلى النبي ﷺ دعا حاطب بن أبي بلتعة، وقال له ﷺ: «يا حاطب ما حملك على هذا؟»، فقال: أما والله يا رسول الله، إني لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت ولا بدلت، ولكنني كنت امرأ ليس لي من أصل في القوم ولا عشيرة، ولي بين أظهرهم ولد وأهل، فأردت أن تكون لي عندهم يدٌ فيحموا أهلي وولدي، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، دعني أضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم<sup>(١)</sup>، وقد أنزل الله تبارك وتعالى في ذلك قوله:

(١) صحيح البخاري: (١/٤٢٢، ٢/٦١٢).

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [المتحنة].

س: أين لقي العباس النبي ﷺ، ولماذا خرج العباس وبمن خرج من مكة؟.

ج: خرج العباس بن عبد المطلب مسلماً مهاجراً بأهله وعياله، وقد لقي الرسول ﷺ بالحنيفة، وكان خارجاً للهجرة، وعاد مع الرسول ﷺ إلى مكة.

**إسلام العباس بن عبد المطلب، وأبي سفيان بن الحارث، وعبد الله بن أبي أمية**

س: من عرض للنبي ﷺ في طريقه إلى مكة، ولماذا عرض له، وما موقف الرسول ﷺ

من ذلك؟.

ج: في طريقه ﷺ إلى مكة عرض له:

١- العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

خرج العباس بن عبد المطلب بأهله مهاجراً إلى المدينة، وقد لقي رسول الله ﷺ في الحنيفة، ويذكر أن العباس قد أسلم قبيل غزوة خيبر، رغم أن بعض الروايات تذكر إسلامه قبل بدر لكنه كان يكتنم إسلامه، فعاد مع رسول الله ﷺ إلى مكة، وأرسل عياله إلى المدينة.

كما عرض له صهره ﷺ وابن عمته:

٢- عبد الله بن أبي أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

واسم أبي أمية حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن أمية المخزومي القرشي وكان يسمى زاد الركب، وعبد الله هذا هو أخو أم سلمة لأبيها.

٣- أبو سفيان بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ابن عم رسول ﷺ، وقد لقي النبي ﷺ بالأبواء، وكانا قادمين إلى المدينة رغبة في الإسلام، وعندما لقي رسول الله ﷺ أعرض عنها، فقالت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يا رسول الله لا يكن ابن عمك وابن عمك وصهرك أشقى الناس بك، وعندما

رأهما ﷺ أعرض عنهما وقال: «لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال في بمكة ما قال» يعني بذلك قوله: والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلماً إلى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله أرسلك جاء ذلك في قول الله تعالى: ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿١١٣﴾ [الإسراء].

عند ذلك قال علي بن أبي طالب لأبي سفيان: أتت رسول الله ﷺ من قبل وجهه فقل له ما قال إخوة يوسف عليه السلام ليوسف: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِبِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يوسف]، فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن قولاً منه، ففعل ذلك أبو سفيان، فقال رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف] وقبل منهما إسلامهما عند ذلك قال أبو سفيان:

لعمرك إني يوم أحمل راية      لتغلب خيل اللات خيل محمد  
لكالمدج الحيران أظلم ليلة      فهذا أواني حين أهدى فأهتدي  
هدائي هادٍ غير نفسي ودلني      على الله من طردته كلمطرد  
فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: «أنت طردتني كل مطرد».

وكان أبو سفيان بعد ذلك ممن حسن إسلامه، فيقال: إنه ما رفع رأسه إلى الرسول ﷺ منذ أسلم حياً منه، وكان يحبه الرسول ﷺ حباً شديداً ويشهد له بالجنة ويقول: «أرجو أن يكون خلفاً من حمزة»، مات في خلافة عمر رضي الله عنه، وعند موته قال لأهله: لا تبكون عليّ فإنني لم انتطف بخطيئة منذ أسلمت، ومات من ثالول في رأسه حلقة الحلاق في الحج، فقطعه مع الشعر فنزف منه فمات.



**س: ماذا قال عمر لما جاء العباس بأبي سفيان إلى الرسول ﷺ؟**

**ج:** كان أبو سفيان بن حرب يخرج كل ليلة يتحسس قدوم الرسول ﷺ وأصحابه من المدينة، في الجانب الآخر فإن قريشاً أصابها الغم، وقالوا لأبي سفيان: اخرج فإذا لقيت محمداً فخذ لنا منه أماناً.

خرج ثلاثة من زعماء قريش من مكة ليتحسسوا أخبار رسول الله ﷺ وهم: أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، و بديل بن ورقاء، ولم تكن الأخبار قد وصلت مسامع قريش عن خروج المسلمين، وتقدمهم ووصولهم إلى مَر الظهران - وادي فاطمة - ولكنهم كانوا يتوقعون أمراً بسبب فشل أبي سفيان، عندما ذهب إلى المدينة لتجديد المعاهدة ولم ينجح، وكان الزعماء الثلاثة قد أبصروا جيشاً كثيفاً يعسكر في هذه المنطقة، ولاحظوا كثرة نيران معسكره، وكان أبو سفيان ورفيقاه يتناقشون في أمر هذا الجيش، وكان أبو سفيان وبديل ابن ورقاء يتراجعان في أمر هذه النيران، ويقول أبو سفيان: ما رأيت كالليلة نيراناً قط، ولا عسكرياً، قال بديل هذه خزاعة قد حمشتها الحرب.

وكان العباس قد خرج على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، وذلك رغبة في أن يجد أحد الخطابة فيخبر أهل مكة، وذلك ليخرجوا إليه فيستأمنون قبل أن يدخلها ﷺ عنوة، وفي ذات ليلة وجده العباس بن عبد المطلب فأخذه إلى الرسول ﷺ رغبة في إسلامه، وقد أجاره فلما رآه عمر قال: هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني أضرب عنقه، قال العباس: إني قد أجرته، وقد أمر النبي ﷺ أن يبيت تلك الليلة مع عمه العباس وأن يأتيه صباحاً.

**س: ماذا قال الرسول ﷺ لأبي سفيان بعدما أتاه صباحاً؟**

**ج:** وفي الصباح أتى العباس ومعه أبو سفيان، فقال الرسول ﷺ لأبي سفيان: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟». قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لو كان مع الله غيره لقد

أغنى عني شيئاً بعد. قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله»، قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أما هذه والله فإن في النفس حتى الآن منها شيء.

**س: ماذا قال العباس لأبي سفيان بعد كلام الرسول ﷺ لأبي سفيان؟**

**ج:** بعد الحديث الذي دار بين أبي سفيان وبين الرسول ﷺ قال العباس لأبي سفيان: ويحك أسلم قبل أن يضرب عنقك، قال: فشهد شهادة الحق فأسلم، بعد ذلك أمره الرسول ﷺ أن يلحق بقومه.

**س: ماذا قال العباس للرسول ﷺ بعد أن أسلم أبو سفيان وأمره بأن يلحق بقومه؟**

**ج:** لما أراد أبو سفيان أن يلحق بقومه في مكة قال العباس للرسول ﷺ: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئاً. قال: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن» ثم انصرف متوجهاً إلى قومه، وعندما وصل مضيق الوادي طلب الرسول ﷺ حبس أبي سفيان في ذلك الموضع.

**س: ما الحكمة من حبس أبي سفيان بمضيق الوادي؟**

**ج:** الحكمة من ذلك حتى يرى جند الله قبل أن ينصرف إلى قريش، وحتى لا يفكر في جمع قومه لقتال الرسول ﷺ، ورغبة من الرسول ﷺ ألا يكون بمكة قتال.

**س: ماذا قال أبو سفيان عندما جاء إلى قريش؟**

**ج:** عندما جاء أبو سفيان إلى قومه صرخ بأعلى صوته وقال: هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن ففعلوا<sup>(١)</sup>، فتفرق الناس إلى دورهم

(١) انظر: ابن هشام (٤ / ٦٢)، البخاري: الفتح: (١٦ / ١١٣، ١١٧)، ح (٤٢٨٠).

وإلى المسجد، إلا مجموعة من السفهاء لم يرق لهم ذلك، فاجتمعوا عند جبل الخدمة.

**س: لماذا تجمع سفهاء قريش عند دخول الرسول ﷺ إلى مكة ومع من تجمعوا؟.**

**ج:** تجمع سفهاء قريش مع عكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وسهيل ابن عمرو بالخدمة ليقاتلوا رسول الله ﷺ وأصحابه.

**س: هل حدث قتال مع من تجمع من قريش والمسلمين، وما نتائج ذلك؟.**

**ج:** حدث مناوشة بين من تجمع في الخدمة، ومع من لقيهم من المسلمين من أصحاب خالد بن الوليد، فأصيب من المشركين اثنا عشر، ثم انهزموا وفر هؤلاء الأشخاص الذين تجمعوا بالخدمة لقتال المسلمين، وقد طلب الرسول ﷺ من أبي هريرة أن يهتف بالأنصار.

**س: ماذا قال الرسول ﷺ للأنصار عندما التفوا حوله بعدما هتف بهم أبو هريرة؟.**

**ج:** قال الرسول ﷺ للأنصار عندما التفوا حوله: «أترون إلى أوباش قريش وأتباعهم، احصدوهم حصداً حتى توافوني على الصفا»<sup>(١)</sup>.

**س: كيف كان دخول الرسول ﷺ مكة؟ وما أهم عمل قام به الرسول ﷺ أثناء طوافه**

**بالببيت؟ وماذا كان يردد؟.**

**ج:** دخل ﷺ مكة من أعلاها من جهة كداء خاشعاً لله شاكرًا له على ما أنعم عليه من الفتح، وكان يقرأ سورة الفتح ويرجع في قراءتها، وهو على راحلته<sup>(٢)</sup>، وأمر ﷺ بتطهير البيت الحرام، وإزالة الأصنام عنه، وشارك بيده في تكسيرها، فطاف ﷺ بالببيت، وحوله ثلاثمائة وستون صنمًا، وكان بيده قوس

(١) مسلم: (١٧٨٠)، أحمد (٥٣٨ / ٢).

(٢) البخاري: الفتح: (١٦ / ٢٣)، ح (٤٢٨١)، (١٦ / ١٢٩) ح (٤٢٨١).

فجعل يطعنهما بالقوس وهو يقول: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [سبأ: ٤١]، والأصنام تتساقط على وجوهها.

**س: كيف كان طواف الرسول ﷺ، وهل كان محرماً، وماذا عمل بعد أن أكمل طوافه؟**

**ج:** كان طواف الرسول ﷺ على راحلته، وذلك ليراه الناس ويقتدوا به، ولم يكن محرماً، واقتصر على الطواف فقط، ولما أكمل طوافه، دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له، فدخل ورأى فيها صوراً فأمر بها فمحييت، ثم أغلق عليه الباب هو وبلال وأسامة، فاستقبل الجدار الذي يقابل الباب، حتى إذا لم يكن بينه وبينه قدر ثلاث أذرع وقف وصلى هناك، ثم دار في البيت وكبر في نواحيه ووحد الله.

بني شيبه ومفتاح الكعبة

يروى عن عثمان بن طلحة قوله: كنا نفتح الكعبة كل يوم إثنين وخميس في الجاهلية، فأقبل النبي ﷺ يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فأغلظت له، ونلت منه، فحلم عني وقال: «يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت»، قلت: هلكت قريش يومئذ وذلت، قال: «بل عمرت وعزت يومئذ» ودخل الكعبة، ووقعت كلمته مني موقعا ظننت أن الأمر سيصير إلى ما قال، قال: فلما كان يوم الفتح طلب الرسول ﷺ المفتاح، وكان عند أمي محفوظا، وقد أبت أن تسلمه إياه، فقلت: والله لتعطينه أو ليخرجن هذا السيف من صليبي، فجئت به إلى الرسول ﷺ فدفعته إليه، ففتح الباب، ودخل الكعبة فلما خرج من البيت سأله العباس أن يعطيه المفتاح، ويجمع بين السقاية والسدانة فأبى، ثم نادى عثمان ودفع إليه المفتاح وقال: «خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان إن الله أستأمنكم على بيته

فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف»، قال فلما وليت ناداني، فرجعت إليه فقال: «ألم يكن الذي قلت لك؟» فذكرت قوله قبل الهجرة: «لعلك ستري هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت»، قلت: بلى، أشهد أنك رسول الله. والسقاية هي أحواض من جلد يوضع فيها الماء العذب لسقاية الحجاج، وربما يطرح فيها التمر والزبيب، وقد فعل ذلك عبد المطلب لما حفر زمزم - والسدانة هي خدمة البيت الحرام -.

**س: كيف أسلم عتاب بن أسيد والحارث بن هشام؟**

**ج:** ذكرنا أن النبي ﷺ دخل الكعبة ومعه بلال، ثم إنه أمره أن يؤذن، وكان من ضمن مشركي قريش بالمسجد عندما صعد بلال يؤذن للصلاة، أبو سفيان، والحارث بن هشام، وعتاب بن أسيد، كانوا جلوساً بفناء الكعبة، فقال عتاب: لقد أكرم الله أسيداً ألا يكون سمع هذا فيسمع منا ما يغيظه، فقال الحارث بن هشام: أما والله لو علمت أنه محق لا تبعته، إن يكن الله يكره هذا فسيغيره، وقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى، فأتي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فأخبر النبي ﷺ، فخرج عليهم وقال: قد علمت الذي قلتهم، وأخبرهم، فقال عتاب والحارث: نشهد أنك رسول الله، والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك، فخرج عليهم النبي ﷺ فقال: «قد علمت الذي قلتهم» ثم ذكر ذلك لهم، وذلك ما رواه الترمذي عن عبد الله بن أبي بكر قال: خرج رسول الله ﷺ على أبي سفيان وهو في المسجد، فلما نظر إليه أبو سفيان قال في نفسه: ليت شعري بأي شيء غلبني، فأقبل النبي ﷺ حتى ضرب بيده بين كتفيه وقال: «بالله غلبتك يا أبا سفيان»، فقال أبو سفيان: أشهد أنك رسول الله، فقال الحارث وعتاب: نشهد إنك رسول الله، والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك، فهكذا أسلم.

س: من الذي أمره الرسول ﷺ بالصعود على ظهر الكعبة للأذان عندما حان وقت صلاة

الظهر يوم الفتح؟ ولماذا هذا الشخص بالذات؟.

ج: أمر النبي ﷺ عندما حان وقت صلاة الظهر بلائاً بأن يصعد على ظهر الكعبة ليؤذن لصلاة الظهر، ليغيظ المشركين، وقريش فوق رؤوس الجبال ومنهم من كان داخل المسجد، منهم أبو سفيان داخل المسجد يتأمل حينما دخل رسول ﷺ، وقد فقئت عيناه الأولى يوم الطائف، والثانية يوم اليرموك تحت لواء ابنه يزيد بن أبي سفيان، وتوفي في خلافة عثمان بن عفان، وكان بعد أن أخذ الإسلام من قلبه كل مأخذ قال لزوجته هند بنت عتبة: والله لتسلمين أو لأضربن عنقك، فأسلمت وحسن إسلامها، ويذكر أنها توفيت في خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س: ماذا فعل الرسول ﷺ بعد أن صلى داخل الكعبة؟.

ج: فتح الباب وكانت قريش مجتمعمة حول البيت، ثم أخذ بعضادتي الباب وهم تحته فقال ﷺ: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة، أو مال، أو دم فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتل الخطأ شبه العمد - السوط والعصا - ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل أربعين منها في بطونها أولادها، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وادم من تراب»<sup>(١)</sup>، ثم تلا قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات]، ثم قال: «يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم»، قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم،

(١) أبو داود (٤٥ - ٤٧)، ابن ماجه (٢٦ / ٢٧)، أحمد (٦٥٣٣).

قال: «إني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء».

دخل ﷺ مكة عنوة - أي بقوة السلاح - وأخذت كرهاً من قريش، ولكنه من على أهلها بأموالهم وأنفسهم.

### تأمين مكة

س: اذكر بعض الآيات التي وردت في تأمين مكة؟.

ج: هناك آيات كثيرة على تأمين مكة ومنها: قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنَخِّطُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ [القصص] وقوله: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٢﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ [قريش].

### مناقب بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

س: اذكر بعض مناقب بلال بن رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟.

ج: مناقبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثيرة وفضائله شهيرة، توفي في الشام سنة عشرين، ولما حضره الموت جعل أهله يبكون، ويقولون: وا كرباه، فيقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وا طرباه غداً نلقى الأحبة محمد وصحبه، كان عبداً لأمية بن خلف، فأسلم مع أبي بكر وزيد بن حارثة، وأمه حمامة مولاة لبني جمح، شهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ، اشتراه أبو بكر من أمية، بن خلف عند اشتداد تعذيبه له حيث أعطاه نسطاساً عبده وأخذ منه بلال.

س: ما هي الصلاة التي صلاها النبي ﷺ ضحى يوم الفتح، وكم ركعاتها وكيف أصبحت

فيما بعد؟.

ج: صلى النبي ﷺ ضحى يوم الفتح ثماني ركعات خفيفة، عرفت بصلاة

الفتح أو صلاة الشكر على الفتح، صلاها في دار أم هانئ بنت أبي طالب، واسمها هند زوجة هبيرة بن أبي وهب المخزومي، وتكنى بابنها هانئ بن هبيرة، وقد أصبحت هذه الصلاة سنة مؤكدة فيما بعد، وكان أمراء الإسلام إذا فتحوا حصناً أو بلدًا، صلوا عقيب الفتح هذه الصلاة اقتداءً برسول الله ﷺ.

**س: ماذا عمل الرسول ﷺ لما استقر الفتح؟.**

**ج:** ولما استقر الفتح للرسول ﷺ والمسلمين أمن الناس كلهم إلا تسعة نفر فإنه أمر بقتلهم ﷺ وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، وأجارت أم هانئ حمّوين لها، فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ»<sup>(١)</sup>.

**س: اذكر من أهدر دمهم الرسول ﷺ مع ذكر السبب؟.**

**ج:** سبب إهدار النبي ﷺ دم هؤلاء النفر - كما هو واضح من سيرتهم - ما ألحقوه من أذى شديد بالمسلمين، وكان في إهدار دمهم عبرة للمستهزئين بالإسلام وبأرواح الأبرياء في كل زمان ومكان، والذين أهدر الرسول ﷺ دمهم وأمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة هم:

١ - عبد الله بن سعد بن أبي السرح، أمر ﷺ بقتله؛ لأنه كان يكتب له الوحي، فارتد مشرّكًا ورجع إلى قريش، فجاء به عثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ وشفع فيه وحقن دمه، وهو أخوه من الرضاعة، فزعموا أن الرسول ﷺ صمت طويلاً ثم قال: «نعم» فلما انصرف عنه عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله من أصحابه: «لقد صممتُ ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه» فقال رجل من الأنصار: فهلاً أومأت إلي يا رسول الله؟ قال: «إن النبي لا يقتل بالإشارة». قال ابن هشام: ثم أسلم بعد، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر.

(١) مالك: (١ / ١٥٢)، البخاري: (٦ / ١٩٥ - ١٩٦)، مسلم: (١ / ٤٩٨) (٣٣٦).



٢- عبد الله بن خطل أمر النبي ﷺ بقتله؛ لأنه كان مسلماً وبعثه ﷺ لجمع الصدقات، وبعث معه مولى له يخدمه، وكان مسلماً، ونزل منزلاً وطلب من المولى أن يعد له طعاماً فنام، ولما استيقظ لم يجده صنع له شيئاً، فعدا عليه وقتله، وارتد مشركاً، فقتله رجل من الصحابة، وقيل: إن الذي قتله سعيد بن حريث المخزومي، وأبو برزة الأسلمي وكان متعلقاً بأستار الكعبة.

٣- مقيس بن صبابه، وكان قد أسلم وذهب إلى المدينة، وقتل الأنصاري الذي كان قد قتل أخاه هشام بن صبابه خطأً في غزوة بني المصطلق بعد أن أخذ الدية، ورجع إلى قريش مشركاً، وقد قتله شميعة بن عبد الله.

٤- الحارث بن نفيل بن وهب، وذلك أنه كان شديد الأذى للرسول ﷺ، وكان ممن يؤذيه بمكة فقتله علي بن أبي طالب، قال ابن هشام: وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأم كلثوم، ابنتي رسول الله ﷺ من مكة يريد بهما المدينة، فنخس بهيرهما فرمى بهما.

٥- هبار بن الأسود، وقد فر يوم فتح مكة ثم أتى فيما بعد وأسلم وحسن إسلامه.

٦- عكرمة بن أبي جهل، وكان خرج لقتال المسلمين، وهرب، ثم استأمنت له امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام بعد أن هرب وعادت به فأسلم وحسن إسلامه.

٧- قيتا عبد الله بن خطل، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ فأمر بقتلهما مع عبد الله بن خطل، فقتلت إحداهما واستؤم من للأخرى فأسلمت.

٨- سارة مولاة لبني عبد المطلب كانت ممن يؤذي الرسول ﷺ بمكة، واستؤم لها فأمنت وأسلمت، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسًا في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها.

### محاولة اغتيال الرسول ﷺ

س: ما هي قصة فضالة بن عمير مع الرسول ﷺ يوم الفتح؟.

ج: هو فضالة بن عمير بن الملوح الليثي، كان رجلاً جريئاً، جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يطوف ليقبله، فلما دنا من الرسول ﷺ قال له: «أفضالة؟»، قال: نعم يا رسول الله، قال: «بِمَ كنت تحدث به نفسك؟»، قال: لا شيء، كنت أذكر الله، فضحك الرسول ﷺ وقال: «استغفر الله يا فضالة»، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله من أحد أحب إليّ منه.

قال: فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت: هلمّ إلى الحديث، فقلت: لا، فانبعث فضالة يقول:

قالت هلمّ إلى الحديث فقلت لا      يابى عليّ الله والإسلام  
لو ما رأيت محمداً وقبيله      بالفتح يوم تكسر الأصنام  
لرأيت دين الله أضحى بيناً      والشرك يغشى وجهها الإظلام

س: من استأمن لصفوان بن أمية وهل أهدر دمه؟ وماذا طلب من الرسول ﷺ؟.

ج: لم يكن صفوان بن أمية ممن أهدر دمه، لكنه كان زعيماً من زعماء قريش، فخاف على نفسه وفر، فاستأمن له عمير بن وهب الجمحي رسول الله ﷺ، فأمنه وأعطاه عمامته التي دخل بها مكة، فجاء إلى الرسول ﷺ فعرض عليه الإسلام فقال: يا رسول الله أمهلني شهرين أفكر في الإسلام، قال: بل أربعة أشهر، ثم أسلم، وكانت امرأته قد أسلمت قبله، فأقرهما الرسول ﷺ على النكاح الأول.

### بيعة النساء

بايع الرسول ﷺ يوم الفتح النساء على الصفا، وكان بأعلى الصفا وعمر بينه وبينهن، وكانت المتكلمة عنهن هند بنت عتبة، فلما أخذ عليهن: ﴿ أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا ﴾ [المتحنة]، قالت هند: قد علمت أن لو كان مع الله غيره لأغنى عنا فلما قال: ﴿ وَلَا يُشْرَفَنَّ ﴾، قالت: وهل تسرق الحرة لكن يا رسول الله، أبو سفيان رجل شحيح ربما أخذت من ماله بغير علمه ما يصلح ولده، فقال ﷺ: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»، ثم قال: «إنك لأنتِ هند»؟ قالت: نعم يا رسول الله، اعف عني عفا الله عنك، وكان أبو سفيان حاضرًا فقال: أنت في حل مما أخذت، فلما قال: ﴿ وَلَا يَزِينَنَّ ﴾: قالت: وهل تزني الحرة. يا رسول الله؟. ولما قال: ﴿ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ قالت: بأبي أنت وأمي ما أكرمك وأحسن ما دعوت إليه، فلما سمعت: ﴿ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ ﴾، قالت: والله قد ربيناهم صغارًا حتى قتلتهم أنت وأصحابك ببدن كبارًا، قال: «فضحك عمر من قولها حتى مال».

س: من جدد أنصاب الحرم وما المقصود بأنصاب الحرم؟.

ج: أمر النبي ﷺ عتاب بن أسيد الخزاعي بتجديد أنصاب الحرم، وهي حجارة تجعل علامات بين الحل والحرم، ويذكر أن جبريل عليه السلام أخذ إبراهيم عليه السلام، فأراه حدود الحرم فقام بنائها، فهو أول من وضع علامات حدود الحرم.

س: ماذا فعل الرسول ﷺ بعد أن تم الفتح واستقر به المقام بمكة؟.

ج: أقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر. يومًا يجدد معالم الإسلام يرشد الناس إلى الهدى والتقوى وبعث سرايا للدعوة إلى الإسلام، ولتكسير الأوثان التي كانت حول مكة، فكسرت كلها، ونادى مناديه: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنمًا إلا كسره.

س: كم كان عدد الجيش الإسلامي الذي شهد فتح مكة؟.

ج: كان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وبني سليم وبني غفار وبني مزينة وحلفاء المهاجرين والأنصار وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد.

س: ما أهم الأصنام التي أمر الرسول ﷺ بهدمها؟ ولبن كانت؟ ومن هدمها؟.

ج: أمر النبي ﷺ بتكسير الأصنام التي كانت خارج مكة وأهم تلك الأصنام:

١ - العزى: وكانت لقريش وبني كنانة، وبعث الرسول ﷺ إليها خالد بن الوليد خمس ليال بقين من شهر رمضان سنة ٨هـ، وكانت بنخلة وكانت من أعظم أصنامهم، فخرج إليها خالد في ثلاثين فارساً فهدمها.

٢ - صنم سواع: وهو صنم لهذيل بعث الرسول ﷺ عمرو بن العاص إلى هذا الصنم، فدنا منه فهدمه، وأمر أصحابه فهدموا بيت خزائنه وذلك في رمضان سنة ٨هـ.

٣ - صنم مناة: صنم بالمشلل عند قديد، وهو للأوس والخزرج وغسان، بعث النبي ﷺ سعد بن زيد الأشهلي في عشرين فارساً، فلما انتهى إليه، خرجت إليه امرأة عريانة سوداء، ثائرة الرأس، تدعو بالويل والثبور، وتضرب صدرها، فضربها سعد فقتلها وأقبل إلى الصنم فهدمه. ويلاحظ أن أسماء الأصنام مؤنثة، ويجعلون ألتهم إناثاً كالكالات والعزى، ومناة لاعتقادهم الخبيث في الملائكة أنها بنات.

### سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة

س: متى كانت سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، ولماذا بعثه النبي ﷺ؟ وما نتيجة

هذه السرية؟.

ج: ثم بعث ﷺ سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة من كنانة، وكانوا

بأسفل مكة على ليلة بناحية يلملم، في شوال سنة ثمان وهو يوم العميصاء. وهي عند ابن إسحاق قبل سريره لهدم العزى، وسياق ما ذكره لابن سعد: قال: قالوا: لما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى، ورسول الله ﷺ مقيم بمكة، بعثه إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام، ولم يعثه مقاتلاً، فخرج في ثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار وبني سليم، فانتهى إليهم. قال: ما أنتم؟ قالوا: مسلمون، قد صلينا وصدقنا بمحمد، وبنينا المساجد في ساحاتنا وأذننا فيها، قال: فما بال السلاح عليكم؟، قالوا: إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة، فخفنا أن تكونوا هم فأخذنا السلاح، قال: فضعوا السلاح، فوضعوه، فقال لهم: استأسروا، فاستأسر القوم، فأمر بعضهم فكتف بعضاً، وفرقهم في أصحابه، فلما كان في السحر نادى منادي خالد: من كان معه أسير فليذافه<sup>(١)</sup>، والمذافه: الإجهاز عليه بالسيف، فأما بنو سليم فقتلوا من كان في أيديهم، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسراهم فبلغ النبي ﷺ ما صنع خالد، فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد». وبعث علي بن أبي طالب فودى لهم قتلاهم وما ذهب منهم، ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ فأخبره<sup>(٢)</sup>.

وعند ابن إسحاق في هذا الخبر أن خالداً قال لهم: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا، فلما وضعوه، أمر بهم عند ذلك فكتفوا، ثم عرضهم على السيف، وقد كان بين خالد وعبد الرحمن بن عوف كلام في ذلك، فقال له عبد الرحمن: عملت بأمر الجاهلية في الإسلام، فقال: إنما تأرت بأبيك، فقال عبد الرحمن: كذبت، قد قتلت قاتل أبي، وإنما تأرت بعمك الفاكه بن المغيرة، حتى كان بينهما

(١) (فليذافه): تروى بالبدال المهملة وبالذال المعجمة، والمعنى واحد.

(٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد: (١٤٧ / ٢).

شر، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «مهلا يا خالد دع عنك أصحابي، فوالله لو كان لك أحد ذهبًا، ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل منهم ولا روحته».

وكان بنو جذيمة قتلوا الفاكهة بن المغيرة، عم خالد بن الوليد، وعوف بن عبد عوف والد عبد الرحمن بن عوف قبل ذلك، وقتل عبد الرحمن خالد بن هشام قاتل أبيه منهم.

قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأحنس، عن الزهري عن ابن أبي حدرد الأسلمي، قال: كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد، فقال لي فتى من بني جذيمة هو في سني، وقد جمعت يدها إلى عنقه برممة<sup>(١)</sup>، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه: قال: يا فتى قلت: ما تشاء؟ قال: هل أنت آخذ بهذه الرممة فقائدي إلى هؤلاء النسوة حتى أقضي- إليهن حاجة، ثم تردني بعد فتصنعوا بي ما بدا لكم؟ قال: قلت: والله ليسير ما طلبت، فأخذته برمته فقدته بها، حتى وقفته عليهن، فقال:

أسلمي حبيش على نغد العيش:

أريتك إذ طالبتكم فوجدتكم بحلية أو ألفيتكم بالخوانق  
ألم أك أهلا أن ينول عاشق تكلف إدلاج السرى والودائق  
فلا ذنب لي قد قلت إذ أهلنا معا أثيبي بود قبل إحدى الصفائق<sup>(٢)</sup>  
أثيبي بود قبل أن يشحط النوى وينأى الأمير بالحبيب المفارق<sup>(٣)</sup>

روي عن ابن عباس، أن النبي ﷺ بعث سرية فغنموا، وفيهم رجل، فقال

(١) برممة: الرمة: قطعة من الحبل.

(٢) أثيبي: أنعمي، و(الصفائق): جمع صفيقة، وهي الخطوب والحوادث.

(٣) يشحط: يبعد.

لهم: إني لست منهم، عشقت امرأة، فلحقتها، فدعوني أنظر إليها، ثم اصنعوا بي ما بدالكم، فإذا امرأة طويلة أدماء، فقال لها: أسلمي حبش قبل نفاذ العيش: أريتك لو تابعتكم فلحقتكم بحلية أو أدركتكم بالخوانق أما كان حقاً أن ينول عاشق تكلف إدلاج السرى والودائق قالت: نعم فديتك، قال فقدموه ف ضربوا عنقه، فجاءت المرأة فوقع عليه فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «أما كان فيكم رجل رحيم»<sup>(١)</sup>.

### الأحكام والدروس من فتح مكة سنة ٨هـ

س: اذكر أهم الأحكام والدروس من فتح مكة سنة ٨هـ؟

ج: من أهم الأحكام والدروس المستفادة من غزوة فتح مكة:

- ١ - جواز مباغته المعاهدين إذا نقضوا العهد والإغارة عليهم، وأما ماداموا قائمين بالوفاء بالعهد فلا يجوز ذلك.
- ٢ - جواز الصوم والفطر للمسافر في غير معصية، فقد أفطر ﷺ عندما وصل كديد.
- ٣ - صلى الرسول ﷺ صلاة الفتح ثماني ركعات خفيفات، فاستدل بعض الناس على أنها سنة مؤكدة في خلفائه من بعده.
- ٤ - قصر - الرباعية للمسافر، فقد أقام الرسول ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً يقصر الصلاة.
- ٥ - إقرار جوار النساء حيث أمضى. الرسول ﷺ جوار أم هانئ في رجلين من أحمائها.

(١) رواه النسائي ومنه ذكره السهيلي نور البراس لوحة (٨٣/٣).

- ٦ - اعتبار عقد النكاح قائم بين الزوج المشرك والزوجة المسلمة إذا أسلم الزوج قبل انقضاء العدة، وذلك من خلال قصة صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، حيث أسلمت زوجتهما وهما مشركان، ثم أسلما قبل انقضاء عدتهما.
- ٧ - جواز دخول مكة لأي عمل مباح من غير إحرام؛ لأن رسول الله ﷺ دخلها بغير إحرام.
- ٨ - إن قتل الجاسوس راجعٌ إلى رأي الإمام، فإن رأى في قتله مصلحة للمسلمين قتله، وإن كان استبقاؤه أصلح أو وجد علة مانعة استبقاه كما في قصة حاطب بن أبي بلتعة.
- ٩ - جواز تجريد المرأة كلها وتكشيفها للحاجة والمصلحة العامة، كما في قصة المرأة التي أعطاها حاطب الكتاب، وموقف علي والمقداد منها.
- ١٠ - جواز قتل المرتد الذي غلظت رده من غير استتابة كما في قصة عبد الله ابن سعد بن أبي السرح.
- ١١ - جواز قتل الساب لرسول الله ﷺ، بل يتعين قتله حدًّا لا بد من استيفائه، كما فعل بالجاريتين اللتين كانتا تغنيان بهجائه، وكما فعل بالحارث بن نفيل.

### غزوة حنين شوال سنة ٨هـ

س: متى كانت غزوة حنين، وما سببها، وإلى من كانت؟.

ج: حنين موضع بين مكة والطائف سميت الغزوة باسمه، ووقعت في شوال من السنة الثامنة للهجرة، وكانت بين المسلمين وهوازن، ذلك أن هوازن عندما سمعت برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة، جمعها مالك بن عوف النصري، مع من اجتمع إليها من نصر. وجشم وبنو سعد بن بكر، قررت



هذه القبائل الخروج إلى المسلمين، لما رأت في نفسها من العزة والأنفة، وحتى لا تقابل انتصار المسلمين في فتح مكة بالخضوع، وخشية أن يخرج إليها المسلمون بعد هذا الفتح، حيث إنهم أقرب القبائل إلى مكة.

**س: من هو قائد هوازن، ومن الشيخ الذي خرج مع هوازن، ولماذا خرج؟.**

**ج:** قائد هوازن هو مالك بن عوف النصري، وهو شاب شجاع سيد في قومه، وقد خرج مع قبائل هوازن.  
 دريد بن الصمة، وهو رجل كبير في السن من المعمرين ليس فيه إلا رأيه وكان شجاعاً.

ومما يدل على ذلك إصرار هوازن على الخروج معهم بدريد بن الصمة بعد أن كانوا قد عرضوا عليه قبل ذلك الرئاسة عليهم فقال: ما ذاك في عمى بصري وما أستمسك على ظهر الفرس، ولكن أحضر معكم؛ لأن أشير عليكم برأي على أن لا أخالف، فإن أنتم تظنون إني أخالف أقمت ولم أخرج، قالوا: لن نخالفك، وجاء مالك بن عوف فقال له: لا نخالفك في أمرتراه، فقال له دريد: يا مالك إنك تقاتل رجلاً كريماً، قد أوطأ العرب، وخافته العجم ومن بالشام، ويحلي يهود الحجاز، إما قتلاً وإما إخراجاً، على ذل وصغار، ويومك هذا الذي تلقى فيه محمداً له ما بعده، قال مالك: إني لأطمح أن ترى غداً ما يسرك، قال دريد: منزلي حيث ترى، فإذا جمعت الناس سرت إليك، فلما خرج من عنده لم يخبره أنه يسير بالظعن، والأموال مع الناس.

**س: كم كان عدد جيش هوازن؟ وبماذا خرجت القبائل معها؟.**

**ج:** يقدر عدد جيش هوازن بعشرين ألف مقاتل، وقد أمر قائد هوازن مالك ابن عوف الناس بأن يخرجوا معهم بأموالهم، ونسائهم وذرايرهم، وذلك ليجعل وراء كل رجل مقاتل أهله وماله ليقاتل عنهم، ولا يفكر أحد منهم بالفرار.

**س: ماذا قال دريد بن الصمة عندما علم بعدم خروج قبيلتي كعب وكلاب؟.**

**ج:** سأل دريد بن الصمة ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا له: لم يشهدا منهم أحد، قال: غاب الحد والجد<sup>(١)</sup> لو كان يوم علاء ورفعة لم يغيبوا ولوددت أنكم فعلتم مثل ما فعلت كعب وكلاب.

**س: من بعث النبي ﷺ إلى العدو ليأتيه بأخبارهم وبماذا أمره؟.**

**ج:** بعث النبي ﷺ عبد الله بن حدرد الأسلمي إلى العدو، وأمره أن يدخل في الناس ويقيم فيهم، ثم يأتيه بأخبارهم، وذلك بعد أن علم ﷺ بخروج العدو، فجاءهم ومكث فيهم يوماً أو يومين، ونقل خبرهم إلى الرسول ﷺ.

**س: متى غادر الرسول ﷺ إلى حنين؟.**

**ج:** خرج الرسول ﷺ يوم السبت السادس من شهر شوال سنة ٨ هـ، وغادر مكة متجهاً إلى حنين بعد أن أقام ﷺ بها تسعة عشر- يوماً حتى جاءت هوازن وثقيف ونزلوا بحنين يريدون القتال.

**س: كم كان عدد جيش المسلمين، وماذا استعار النبي ﷺ من صفوان بن أمية؟.**

**ج:** كان عدد الجيش الإسلامي اثني عشر- ألفاً منهم عشرة آلاف الذين اشتركوا في فتح مكة، وألفان من الطلقاء من أهل مكة، وأكثرهم حديث عهد بالإسلام، وقد استعار النبي ﷺ من صفوان بن أمية مائة درع بما تحتاجه من السلاح، واستعمل عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية أميراً على مكة<sup>(٢)</sup>.

**س: ماذا فعل النبي ﷺ عندما قرب من حنين؟.**

**ج:** عندما اقترب الرسول ﷺ من حنين، وحضر-تهم صلاة العشاء، أمر أحد الصحابة بمراقبة العدو من فوق أحد الجبال المطلة على وادي حنين، ثم إنه

(١) الحد: النشاط والسرعة والمضاء في الأمور.

(٢) انظر: ابن هشام (٤ / ٧٢)، الدرر (٢٦٧).

نقل إلى رسول الله ﷺ خبرهم، وأنهم قد خرجوا بظعنهم ونعمهم وشائهم، واجتمعوا إلى حنين، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله تعالى»، وعندما حانت ساعة النوم تطوع أنس بن أبي مرثد الغنوي بحراسة المسلمين إلى الفجر، فأثنى عليه النبي ﷺ ووعدته بالجنة<sup>(١)</sup>.

#### س: لمن كانت الغلبة في بداية المعركة، وسببها؟

ج: كانت الغلبة في بادئ الأمر لهوازن، وذلك أن مالك بن عوف قد سبقهم إلى حنين، ووزع جيشه بالليل في ذلك الوادي، وفرق كمناءه في الطرق والمداخل والشعاب، وأمرهم أن يرشقوا المسلمين أول ما طلوعوا، ويشدوا عليهم شدة رجل واحد، وشرع المسلمون في الدخول إلى وادي حنين، وهم لا يعلمون بوجود كمناء العدو في مضائق الوادي، فأمطروهم بالنبال، وشد عليهم العدو شدة واحدة، وعاد المسلمون راجعين، ثم إنهم هزموا ابتلاء من الله تعالى عندما قالوا: لن نغلب اليوم عن قلة، فوقع بهم ما وقع من ابتلاء من الله لقولهم، وهذا الذي أشار الله تبارك وتعالى إليه في قوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة].

#### س: ماذا قال بعض أهل مكة عندما رأى هزيمة المسلمين في أول الأمر؟

ج: لما وقعت الهزيمة بالمسلمين تكلم بعض جفاة أهل مكة بما في أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان - وهو حديث عهد بالإسلام - : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر وصرخ جبلة بن الحنبل، وقال ابن هشام: كلدة بن الحنبل، وهو مع أخيه صفوان بن أمية وهو مشرك في المدة التي جعلها له رسول الله ﷺ: ألا بطل

(١) أبو داود: (١ / ٢١٠) بإسناد صحيح.

السحر اليوم، فقال له صفوان: اسكت فض الله فاك؛ فوالله لأن يربني - يملكني - رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن.

**س: ماذا عمل المسلمون بعد نداء العباس بن عبد المطلب فيهم؟**

**ج:** أمر الرسول ﷺ عمه العباس أن ينادي الصحابة، كونه جهير الصوت فقال بأعلى صوته: أين أصحاب السمرة فقالوا: لبيك فيذهب الرجل ليشي بعيره فلا يقدر عليه، فيأخذ سيفه ودرعه وينزل عن بعيره، فيأتي إلى الصوت، حتى إذا اجتمع عند رسول الله ﷺ مائة استقبل الناس واقتتلوا، فما رجع الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسرى مكتفين عند رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

**س: ما هي نتيجة مقابلة المسلمين لهوازن في المرة الثانية؟**

**ج:** تلاحقت كتائب المسلمين واحدة تلو الأخرى ونظر الرسول ﷺ إلى ساحة القتال، وقد استحووا احتدم، فقال: «الآن حمي الوطيس»، ثم أخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوه القوم وقال: «شاهت الوجوه»<sup>(٢)</sup>، فما بقي منهم أحدٌ إلا ملأ عينيه التراب وما هي إلا ساعات قليلة بعد رمي قبضة التراب حتى انهزم العدو هزيمة منكرة، وقتل من ثقيف نحو سبعين وغنم المسلمون ما كان بأيدي العدو من السلاح والمال.

وقد نهى ﷺ عن قتل النساء والأجراء وكل من لم يحمل السلاح كما نهى ﷺ عن قتل الأولاد والذراري حين بلغه أن بعضهم قد قتل خلال المعركة، وأجاب من قال له أنهم أولاد المشركين بقوله: «والذي نفس محمد بيده ما من نسمة تولد إلا على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها» رواه أحمد في «المسند».

(١) ابن هشام: (٤ / ٧٧) وسنده صحيح.

(٢) مسلم (٣ / ١٣٩٩، ١٧٧٧)، والوطيس: التنور، وهذا القول كناية عن اشتداد القتال.

## أثر خروج الطلقاء مع المسلمين

س: من هم الطلقاء، ما أثر خروجهم مع المسلمين إلى حنين؟.

ج: كان لوجود الطلقاء من أبناء مكة الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام آثار سلبية أهمها:

رأى رجل أثناء تقدم الجيش الإسلامي نحو حنين شجرة تعرف بذات أنواط يعلق عليها المشركون أسلحتهم، يأتونها كل سنة ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً، وعند مسير الجيش رأى بعض هؤلاء سدره خضراء عظيمة فنأدى بعضهم بعضاً، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط؟ قال رسول الله ﷺ: «الله أكبر قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى، ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴿[الأعراف] والذي نفسي بيده لتركين سنن من كان قبلكم».

ومنها: ما أصاب المسلمين من غرور وإعجاب بكثرتهم، فقال أحدهم: «لن نغلب اليوم عن قلة»، ويذكر أن الذي قال ذلك سلمة بن الأكوع، وقيل سلامه ابن وقش، وقد أصاب المسلمين هذا الشعور فأذاقهم الله مرارة الهزيمة في المواجهة الأولى في حنين، وعاقبهم وبيّن لهم أن النصر من عند الله وأن شعورهم بالزهو لكثرتهم كان سبباً في ذلك الدرس القاسي.

## محاولة اغتيال الرسول ﷺ

س: من هو الذي حاول قتل الرسول ﷺ في حنين ولماذا؟.

ج: يذكر أن شيبه بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار قال: لما كان عام الفتح، دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة، قلت: أسير مع قريش إلى هوازن بحنين، فعسى أن أصيب من محمد غرة، فأثار منه فأكون أنا الذي قمت بثأر

قريش كلها، وأقول: لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا اتبع محمداً ما تبعته أبداً، فلما اختلط الناس، اقتحم الرسول ﷺ عن بغلته فأدرت بالرسول لأقتله، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذلك، وعلمت أنه ممنوع مني، فالتفت رسول الله ﷺ فناداني: «يا شيب ادن مني» فدنوت منه فمسح صدري ثم قال: «اللهم أعذه من الشيطان» قال: فوالله لهو ساعتئذٍ أحب إلي من سمعي وبصري ونفسي، وأذهب الله ما كان في نفسي (١).

**س: اذكر دور الملائكة في حنين؟**

**ج:** روى ابن إسحاق من حديث جبير بن مطعم: أنه رأى قبل هزيمة القوم - والناس يقتتلون - مثل الكساء الأسود أقبل من السماء حتى سقط بينهم وبين القوم، فنظر إليه فإذا هو نمل مبعوث قد ملأ الوادي لم يشك أنها الملائكة، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم، وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة]، إشارة إلى نزول الملائكة لتقاتل مع المسلمين، والله أعلم.

**س: ما هي نتيجة حركة مطاردة قلوب المنهزمين من هوازن؟**

**ج:** بعد هزيمة العدو سارت طائفة منهم إلى الطائف، وطائفة منهم إلى نخلة وطائفة إلى أوطاس، فأرسل النبي ﷺ إلى أوطاس طائفة من المطاردين بقيادة أبي عامر الأشعري، فأدرك بعضهم فقاتلهم فهزمهم الله تعالى، وقتل أبو عامر الأشعري، وأخذ الراية ابن عمه أبو موسى الأشعري.

**س: ما مقدار غنائم المسلمين في حنين، ولماذا تأخر الرسول ﷺ في تقسيمها؟**

**ج:** كانت الغنائم كالتالي: السبي النساء والذراري والموالي ستة آلاف،

(١) زاد المعاد: (٣ / ٤١٣).

والإبل أربعة وعشرين ألفاً، والغنم أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية من الفضة، وتأخر الرسول ﷺ في تقسيم السبي، والغنائم بضعة عشر ليلة أملاً أن يأتيه أهل هوازن مسلمين تائبين، فيحرزوا ما فقدوه.

**س: من أول من أعطى الرسول ﷺ من الغنائم، ولماذا أعطاهم؟.**

**ج:** أول من أعطى أبو سفيان بن حرب، أعطاه مائة من الإبل، وأربعين أوقية من الفضة، وأعطى ابنه يزيد مثل ذلك، وابنه معاوية مثل ذلك، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه، ثم أعطى صفوان ابن أمية مائة من الإبل، ثم مائة، ثم مائة، وقد أعطاهم الرسول ﷺ ليتألف بها قلوبهم رجاءً في صدق إسلام من أسلم، وأملاً في إسلام من لم يسلم منهم.

**س: لماذا وجد الأنصار في أنفسهم على الرسول ﷺ بعد توزيع الغنائم وماذا فعل ﷺ**

**تجاه ذلك؟.**

**ج:** كان الرسول ﷺ عندما أعطى من تلك الغنائم لقريش وقبائل العرب، لم يعط الأنصار منها شيئاً، لذلك وجد الأنصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة، وقد أتى إليه سعد بن عباد، وذكر له ذلك، فطلب الرسول ﷺ أن يجمع له الأنصار، فدخل عليهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال لهم: «يا معشر- الأنصار ما مقالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها في أنفسكم..» إلى أن قال ﷺ بعد ذكر فضله على الأنصار، وفضل الأنصار عليه: «وجدتم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قومًا ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر- الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعون برسول الله إلى رحالكم، فوالذي نفسي بيده، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً، وسلك الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار»، فبكى القوم حتى ابتلت لحاهم،

وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحقاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا.

**س: متى قدم وفد هوازن وهل أسلم هذا الوفد، وأين وجدوا رسول الله ﷺ؟**

**ج:** بعد توزيع الغنائم قدم وفد هوازن وهم أربعة عشر رجلاً برئاسة زهير بن صرد وسألوا الرسول ﷺ أن يمن عليهم بالسبي، والأموال، أتوه ﷺ بالجرعانة وقد أسلموا.

**س: هل من الرسول ﷺ على وفد هوازن بالسبي؟**

**ج:** حيث أن قدوم هذا الوفد بعد توزيع السبي والغنائم فقد خيرهم بين أبنائهم ونسائهم أو أموالهم، فاختاروا أبنائهم ونساءهم، وطلب منهم أن يأتوه إذا صلى بالناس الظهر، وأمرهم أن يقولوا عند ذلك: إنا نستشفع برسول الله إلى المؤمنين ونستشفع بالمؤمنين إلى رسول الله أن يرد علينا سيينا، فلما صلى الظهر حضروا، وقالوا مثل ذلك، فقال الرسول ﷺ: «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وسأسأل لكم الناس»، فقام المهاجرون والأنصار وقالوا: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، فردوا عليهم نساءهم وأبنائهم ولم يبق أحد من السبي.

### غزوة الطائف شوال سنة ٨ هـ

**س: أين تقع الطائف؟ ولماذا سميت بهذا الاسم؟ اذكر نبذة موجزة عنها؟**

**ج:** الطائف بلدة كبيرة على ثلاثة مراحل بسير الإبل من مكة، وخمس ساعات بسير السيارات على طريق وعر غير معبد وبعد التعبيد أصبح المسافة تقطع في حوالي الساعة: وهي مدينة بناحية المشرق طيبة الهواء، كثيرة الفواكه ترتفع عن سطح البحر بمقدار ألف وتسعمائة وسبعين متراً، قيل: سميت بالطائف؛ لأنها كانت بالشام فنقلها الله إلى الحجاز بدعوة إبراهيم عليه السلام، أو لأن رجلاً من اليمن أصاب دمًا بحضرموت، ففر إلى وجّ - وادٍ بالطائف - وحالف مسعود بن معتب الثقفي، قال: هل لكم أن أبنني لكم طوفاً عليكم



يكون لكم رداءً من العرب، فقالوا نعم، فبناه وهو الحائط المطيف به، أو لأن جبريل طاف بها على البيت.

وذكر السهيلي وجهًا آخر: ذكره المفسرون في تسميتها بالطائف فقال في الجنة التي ذكر الله سبحانه وتعالى في سورة «القلم» حيث يقول:

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ .. ﴾ قال: كان الطائف هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ اقتلعها من موضعها وأصبحت كالصريم وهو الليل، أصبح موضعها كذلك، ثم سار بها إلى مكة، فطاف بها حول البيت، ثم أنزلها حيث الطائف اليوم، فسميت بالطائف الذي طاف عليها وطاف لها وكانت تلك الجنة بصوران على فرسخ من صنعاء، فكانت المياه والشجر بالطائف دون غيرها مما حولها من الأرض.

**س: إلى أين اتجهت فلول المنهزمين من هوازن وأين تحصنوا؟.**

**ج:** غزوة الطائف في حقيقة الأمر امتداد الغزوة حنين، وذلك أن معظم فلول هوازن وثقيف دخلوا الطائف مع قائدهم مالك بن عوف النصري، و تحصنوا بها وأغلقوا أبواب مدينتها، وأعدوا العدة للقتال، فسار إليهم رسول الله ﷺ فراغه من حنين وجمع الغنائم بالجعرانة في نفس الشهر في شوال سنة ٨هـ.

**س: أين نزل الرسول ﷺ عندما وصل إلى الطائف؟.**

**ج:** سلك رسول الله ﷺ إلى الطائف طريق النخلة البيانية، ثم على قرن المنازل، ثم على ليّة، وكان هناك حصن لمالك بن عوف، فهدمه، ثم واصل سيره إلى الطائف فنزل قريباً من حصنه، وعسكر هناك، وفرض الحصار على أهل الحصن.

**س: كم استمر حصار حصن الطائف وما نتيجة هذا الحصار؟.**

**ج:** استمر حصار حصن الطائف على خلاف بين أهل السير قيل ثمانية عشر يوماً وقيل: أكثر من ذلك وقيل: أقل<sup>(١)</sup>.

(١) البخاري: (٨ / ٤٥).

أما نتيجته: فإن الحصن استعصى فتحه على المسلمين وقد نزل المسلمون في بداية الأمر قريباً منه، ولكن عدوهم أمطروهم بالنبل، وقتل منهم اثني عشر- رجلاً.

مما اضطر الرسول ﷺ والمسلمين إلى الابتعاد قليلاً عن الحصن حتى لا تصلهم سهام العدو، فارتفعوا إلى مكان مسجد الطائف اليوم، وضربوا الحصن بالمنجنيق<sup>(١)</sup>، بعد أن قربوا منه الدبابة<sup>(٢)</sup>، لم يؤذن للنبي ﷺ في فتح الطائف ذلك العام، عندها استشار النبي ﷺ نوفل بن معاوية الديلي وهو من المؤلفة قلوبهم في أمر الطائف أيرجع عن قتال أهله أم لا؟ فقال له نوفل بن معاوية الديلي: يا رسول هم كثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرك.

عند ذلك نادى الرسول ﷺ «أيما عبد خرج إلينا فهو حر» فخرج منهم بضعة عشر-عبداً نزلوا ببكرة منهم: نفيح بن مسروح بن الحارث المكنى بأبي بكرة، عندها دفع رسول الله ﷺ كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يموّنه، ويحمّله، وأمرهم أن يقرئوهم القرآن ويعلموهم السنن، وشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة، ثم لما أسلمت ثقيف كَلَّم أشرافهم فيهم رسول الله ﷺ أن يردهم إلى الرِّق فقال: «أولئك عتقاء الله»، كما أمر الرسول ﷺ بقطع أعناب ثقيف عندما استعصى عليه فتح الحصين، وأملاً في استسلامهم فوقع الناس فيها يقطعون، فسألوه أن يدعها لله وللرحم فتركها، ولما طال أمد الحصار أمر الرسول ﷺ عمر بن الخطاب فأذن في الناس بالرحيل فضج الناس من ذلك، فقالوا: نرحل ولم يفتح علينا الطائف، فقال ﷺ: «فاغدو على القتال» فغدوا

(١) المنجنيق: لفظة معربة وهي آلة ترمى بها الحجارة الثقيلة ونحوها لدك الحصون.

(٢) الدبابة: آلة من آلات الحرب تصنع من خشب وتغطى بالجلود ويدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها.

فأصاب المسلمين منهم جراحات، فقال الرسول ﷺ: «إنا قافلون إن شاء الله» فسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله ﷺ يضحك، وكان قصد الرسول ﷺ من الرحيل الشفقة على أصحابه والرفق بهم لصعوبة الحصن وشدة اللقاء.

فلما ارتحلوا واستقلوا رحالهم قال رسول الله ﷺ قولوا: «آيون تائبون عابدون لربنا حامدون»، ثم قيل لرسول الله ﷺ: أَدع على ثقيف، فقال: «اللهم اهد ثقيفاً وات بهم»<sup>(١)</sup>.

س: ماذا فعل النبي ﷺ بعد عودته من الطائف وانتهائه من تقسيم الغنائم بالجرعانة؟  
ج: لما فرغ النبي ﷺ من تقسيم الغنائم، أهل معتمراً من الجعرانة، فأدى العمرة وانصرف بعد ذلك عائداً إلى المدينة، بعد أن ولى على مكة عتاب بن أسيد، وكان رجوعه إلى المدينة لست ليال بقين من ذي القعدة سنة ٨هـ.

### ولاية عتاب بن أسيد إمارة مكة

س: من الذي ولاه الرسول ﷺ على مكة؟ ومتى كان ذلك؟ ولماذا هذا الاختيار؟

ج: ولى رسول الله ﷺ حال خروجه من هوازن، عتاب بن أسيد الأموي القرشي إمارة مكة، وكان عمره نيفاً وعشرين سنة، وكان صالحاً فاضلاً، وجعل معه معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمكة معلماً للناس السنن والفقه، وكان عتاب شديداً على المريب لئناً على المؤمنين، وكان يقول: والله لا أعلم متخلفاً عن هذه الصلاة في جماعة إلا ضربت عنقه، فإنه لا يتخلف عنها إلا منافق، فقال أهل مكة: يا رسول الله، استعملت على أهل الله أعرابياً جافياً؟ فقال ﷺ: «إني رأيت فيما يرى النائم أنه أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فققعها حتى فتح له ودخل»، وهو أول

(١) أحمد: (٣ / ٣٤٣)، الترمذي: (٣٩٣٧)، ورجاله ثقات.

أمير صلّى بمكة بعد الفتح جماعة، وقد أمره رسول الله ﷺ أن يصلي بالناس، ولما ولى رسول الله ﷺ عتاباً على مكة قال له: «انطلق فقد استعملتك على أهل الله»، قال ذلك ثلاثاً، ثم قال: «يا عتاب أتدري على من استعملتك؟ استعملتك على أهل الله فاستوص بهم خيراً». يقولها ثلاثاً، وجعل له راتباً، كل يوم درهماً، فقام في الناس خطيباً، فقال: أيها الناس أجاج الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقني رسول الله درهماً في كل يوم فليست لي حاجة إلى أحد<sup>(١)</sup> وأقام رسول الله ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين<sup>(٢)</sup> رواه البخاري.

### أهم الأحكام والدروس من غزوتي حنين والطائف

س: اذكر أهم الأحكام والدروس المستنبطة من غزوتي حنين والطائف؟.

ج: أهم الأحكام والدروس من غزوتي حنين والطائف:

- ١ - النهي عن قتل النساء والأطفال والشيوخ والأجراء ممن لا يشتركون في قتال المسلمين.
- ٢ - جواز إعطاء المؤلفة قلوبهم من الغنائم إذا رأى الإمام أن في ذلك سبباً لدخولهم في الإسلام أو كف أذاهم أو فيه مصلحة للمسلمين.
- ٣ - لا يجوز للإمام أن يمن على الأسرى بعد القسمة، ويجوز له ذلك قبل القسمة، كما فعل النبي ﷺ بأهل خيبر حين منّ عليهم وتركهم عمالاً للمسلمين في أراضيهم التي فتحوها عنوة.
- ٤ - تشريع العمرة من الجعرانة لداخل مكة، كما فعل النبي ﷺ بعد الفراغ

(١) وقد قال عند موته: والله ما اكتسبت في ولايتي كلها إلا قميصاً معقداً كسوته غلامي كيسان. قال ابن عبد البر:

فأقام بها أميراً على مكة حتى قبض رسول الله ﷺ وأقره أبو بكر، فلم يزل عليها إلى أن مات.

(٢) قال ابن عباس: ونحن إذا سافرنا فأقمنا تسعة عشر قصرنا وإن زدنا أتمنا.

من توزيع الغنائم، أما الخروج من مكة إلى الجعرانة للإحرام فهو ما يفعله العوام وليس بسنة.

٥ - التأكيد على إباحة سلب المشرك لقاتله، وأنه لا يَحْمَسُ وهو للقاتل وإن كثر القتل.

٦ - جواز الاستفادة من أدوات الحرب التي يمتلكها المشركون، كما فعل النبي ﷺ عندما استعار الدروع من صفوان بن أمية.

٧ - جواز نصب المنجنيق على الكفار، ورميهم به، وإن أفضى إلى قتل من لم يقاتل من النساء والذرية.

٨ - جواز قطع شجر المشركين، إذا كان ذلك يغيظهم ويضعفهم.

٩ - من كمال رحمته ورقته أن يدعو بالهداية لمن قاتله.

١٠ - لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت، بعد القدرة على هدمها، فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات.

١١ - إن وادي وج - وادي بالطائف - ليس بحرم وإن الأحاديث الواردة فيه ضعيفة.

١٢ - جواز القتال في الأشهر الحرم حيث نسخ أمر تحريم القتال.

قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا

أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ [التوبة].

## الأحداث والسرايا التي وقعت بين غزوتي الطائف وتبوك

### أولاً: المصدقون:

س: من هم المصدقون، ومتى بعثهم رسول الله ﷺ، ولماذا بعثهم؟.

ج: شرع رسول الله ﷺ في بعث المصدقين إلى المناطق المختلفة في مطلع

المحرم سنة ٩ هـ، والمصدقون هم العمال الذين يجمعون الزكاة من الأعراب، وهذه أهم بعوث المصدقين:

- ١ - بريدة بن الحصيب إلى أسلم وغفار.
  - ٢ - عباد بن بشر إلى سليم ومزينة.
  - ٣ - رافع بن مكيث إلى جهينة.
  - ٤ - عمرو بن العاص إلى فزارة.
  - ٥ - الضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب.
  - ٦ - بسر بن سفيان الكلبي إلى بني كعب.
  - ٧ - ابن اللثبية الأزدي إلى بني ذبيان.
  - ٨ - المهاجر بن أمية إلى صنعاء.
  - ٩ - زياد بن لبيد إلى حضرموت.
  - ١٠ - عدي بن حاتم إلى طيء وبني أسد.
  - ١١ - مالك بن نويرة إلى بني حنظلة.
  - ١٢ - الزبرقان بن بدر إلى بني سعد.
  - ١٣ - العلاء بن الحضرمي إلى البحرين.
  - ١٤ - علي بن أبي طالب إلى نجران.
- لجمع الصدقات والجزية كليهما.

وتجدد الإشارة هنا إلى أن هؤلاء العمال لم يبعثوا كلهم في المحرم سنة ٩ هـ بل تأخر بعضهم إلى اعتناق الإسلام من تلك القبائل التي بعثوا إليها، ولذلك فإن بداية بعث العمال في السنة التاسعة من الهجرة، وهذا يدل على مدى نجاح الدعوة الإسلامية بعد هدنة صلح الحديبية، وأما بعد الفتح فقد دخل الناس في دين الله أفواجا.

### ثانياً: إسلام كعب بن زهير

س: متى أسلم كعب بن زهير، وكيف أسلم، وما موقفه من الإسلام قبل إسلامه؟.

ج: كان كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني من الشعراء المخضرمين المرموقين، وأبوه زهير بن أبي سلمى صاحب إحدى المعلقات السبع المعروفة، وكان كعب ممن يهجو النبي ﷺ ويؤذيه، وفي قصته وأخيه بجيراً أن بجيراً هذا كتب كتاباً إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن الرسول ﷺ قتل رجلاً بمكة ممن كان يهجو ويؤذيه، وأن من بقي من شعراء قريش: ابن الزبعرى، وهبيرة بن أبي

وهب وغيرهما، قد هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة، فطر إلى رسول الله ﷺ فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً، وإن لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض<sup>(١)</sup>.

وكان كعب بن زهير قد قال:

ألا أبلغا عني بجيراً رسالة      فهل لك فيما قلت ويحك هل لك  
فبين لنا إن كنت لست بفاعلٍ      على أي شيء غير ذلك ذلكا  
على خلق لم تلف أمّا ولا أبا      عليه ولم تدرك عليه أخالكا  
فإن كنت لم تفعل فلست بأسف      ولا قائل أما عثرت لعالكا  
سقاك بها المأمون كأساروية      فأهلك المأمون منها وعلكا

ثم بعث بها إلى أخيه بجيرا، فلما أتته كره أن يكتمها رسول الله ﷺ فأنشده إياها، فقال رسول الله ﷺ لما سمع «سقاك بها المأمون» «صدق وإنه لكذوب أنا المأمون»، ولما سمع: «على خلق لم ألف أما ولا أبا عليه» قال: «أجل، لم يلف عليه أباه ولا أمه».

ويذكر أن رسول الله ﷺ لما بلغته القصيدة أهدر دمه، ثم إنه بعد ذلك قدم على رسول الله ﷺ المدينة وأسلم ونظم قصيدته التي مطلعها:

بانت سعاد قلبي اليوم متبول      متيم عندها لم يفد مكبول  
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا      إلا أغن غضيض الطرف مكحول  
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة      لا يشتكي قصر منها ولا طول  
تجلوا عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت      كأنه منهل بالراح معلول

(١) ابن هشام (٤/١٢٣)، الروض الأنف (٤/٢٧٩). إلى نجائك: أي: إلى محل ينجيك منه.

شجت بذى شبم من ماء محنية  
تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه  
فيا لها خلة لو أنها صدقت  
لكنها خلة قد سيط من دمها  
فما تدوم على حال تكون بها  
وما تمسك بالعهد الذي زعمت  
فلا يغرنك ما منت وما وعدت  
كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً  
أرجو وآمل أن تدنو مودتها  
أمت سعاد بأرض لا يبلغها  
ضخم مقلدها فعم مقيدها  
يسعى الوشاة بجنيها وقولهم  
وقال كل صديق كنت آمله  
فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم  
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته  
نبئت أن رسول الله أوعدني  
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ  
إن الرسول لسيف يستضاء به  
في عصابة من قريش قال قائلهم  
زالوا فما زال انكاس ولا كشف

صاف بأبطح أضحي وهو مشمول  
من صوب غادية بيض يعاليل  
بوعدها أو لو أن النصح مقبول  
فجع وولع وإخلاف وتبديل  
كما تلون في أثوابها الغول  
إلا كما يمسك الماء الغرايل  
إن الأماني والأحلام تضليل  
وما مواعيدها إلا الأباطيل  
وما إخال لدينا منك تنويل  
إلا العتاق النجيات المراسيل  
في خلقها عن بنات الفحل تفضيل  
إنك يا بن أبي سلمى لمقتول  
لا ألهينك إني عنك مشغول  
فكل ما قدر الرحمن مفعول  
يوماً على آلة حذاء محمول  
والعفو عند رسول الله مأمول  
قرآن فيها مواعيط وتفصيل  
مهند من سوف الله مسلول  
ببطن مكة لما أسلموا زولوا  
عند اللقاء ولا ميل معازيل



شم العرائن أبطال لبوسهم  
بيض سوابغ قد شكت لها حلق  
لا يفرحون إذا نالت رماحهم  
يمشون مشي- الجمال الزهر يعصمهم  
لا يقع الطعن إلا في نحورهم  
وما لهم عن حياض الموت تهليل

هذا ما رواه ابن إسحاق من قصيدة كعب بن زهير بن أبي سلمى في رسول الله ﷺ، فقد أوردتها هنا لأنها هي القصيدة الوحيدة التي ألقى في مسجد رسول الله ﷺ من القصائد التي مُدِّحَ بها، ثم لما ألقى كعب بن زهير قصيدته أمام رسول الله ﷺ، ووصل إلى هذا البيت:

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

كساه رسول الله ﷺ بردة له، فاشتراها معاوية بن أبي سفيان من ولده، فهي التي كان يلبسها الخلفاء في الأعياد، كما رواه الحافظ ابن حجر في الإصابة ويقال: إنها موجودة إلى اليوم في القسطنطينية مع جملة مدخرات إسلامية تاريخية.

وفي السيرة الحلبية أن الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ قال: اشترى معاوية البردة التي كانت عند الخلفاء من أهل كعب بأربعين ألف درهم، ثم توارثها الخلفاء الأمويون، ثم العباسيون حتى أخذها التتر منهم سنة أخذ بغداد، وقال: هذه من الأمور المشهورة جداً، ولكن لم أر ذلك في شيء من الكتب بإسناد أرتضيه، ثم صار كعب بن زهير من شعراء رسول الله ﷺ الذين يذبون عن الإسلام، فقد كتبت السعادة له، وصار من أنصار الإسلام بعد أن كان من أعدائه.

فيستفاد من هذه القصة ما كان عليه رسول الله ﷺ من الصفح عن الجانين بعد المقدرة، وما كان عليه من الرفق، والتسامح عن كل جان متمرد على

الإسلام إذا ندم وتاب من ذنوبه، وآب إلى رشده ودخل الإسلام يتحصن به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وكما قد تقدم في الأجزاء السالفة من هذا الكتاب عفى رسول الله ﷺ عمن هو شر من كعب بن زهير، ولذلك توافد الناس على رسول الله ﷺ من كل فج عميق لنيل السعادة في الدنيا والآخرة، وكان أخوه بجير بن زهير هو الذي شوقه إلى الدخول في الإسلام وأعلمه أن النبي ﷺ يقبل كل من يأتيه تائبًا، وكان بجير هذا من السابقين إلى الإسلام ومن الشعراء أيضا ومن ذوي الرأي والفضل.

وقد شرح هذه القصيدة كثير من علماء الأدب، وأظهروا جواهر معانيها ودرر مبانيها وعدوبة نظمها، لذلك لم أتصد إلى شرح معاني الألفاظ الغريبة، وعلى القارئ مراجعة شروحا إذا شاء.

### ثالثًا: السرايا

س: اذكر بعض السرايا التي بعثها النبي ﷺ وما الهدف منها؟.

ج: كما بعث النبي ﷺ المصدقين إلى القبائل، دعت الحاجة إلى بعث عدد من السرايا، والهدف منها المحافظة على الأمن وسيادته على عامة مناطق الجزيرة، ثم لأخذ الصدقات ممن منعوا المصدقين من دفعها ودعوة القبائل للإسلام، وهذه أهم السرايا التي بعثها رسول الله ﷺ:

١ - سرية عيينة بن حصن الفزاري: وكانت في محرم سنة ٩هـ، إلى بني تميم في خمسين فارسًا ليس منهم أحدٌ من الأنصار، وسببها أن بني تميم كانوا قد أغروا القبائل ومنعوهم من أداء الجزية، وخرج عيينة بن حصن يسير بالليل ويكمن بالنهار، حتى هجم عليهم في الصحراء، فولى القوم مدبرين، وأخذ منهم أحد عشر- رجلًا، وإحدى وعشرين امرأة، وثلاثين صبيًا، وساقهم إلى المدينة، فأنزلوا في دار رملة بنت الحارث، ثم قدم منهم عشرة من رؤسائهم

فجاءوا إلى النبي ﷺ وبعد مفاوضات أسلموا، فأجازهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم، ورد عليهم نساءهم وأبناءهم.

٢ - سرية قطبة بن عامر: وكانت إلى حي من خثعم بناحية تبالة أويشة في صفر ٩هـ، وقد خرج في عشرين رجلاً على عشرة أباعر يتعاقبونها، فشن الغارة عليهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر الجرحى في الفريقين، وقتل قطبة منهم من قتل، وساق المسلمون النعم والشاء والنساء إلى المدينة وفي القصة: أنه اجتمع القوم وركبوا في آثارهم فأرسل الله سبحانه وتعالى سيلاً عظيماً حال بينهم وبين المسلمين، فساقوا النعم والشاء والسبي، وهم ينظرون ولا يستطيعون أن يعبروا إليهم حتى غابوا عنهم<sup>(١)</sup>.

٣ - سرية الضحاك بن سفيان بن عوف الكلبي: وكانت إلى بني كلاب في ربيع الأول سنة ٩هـ، بعثت هذه السرية إلى بني كلاب، لدعوتهم إلى الإسلام، فأبوا وقاتلهم المسلمون فهزموهم<sup>(٢)</sup>.

٤ - سرية علقمة بن مجزز المدلجي: إلى سواحل جدة في شهر ربيع الآخر سنة ٩هـ، في ثلاثمائة، بعثه إلى رجال من الحبشة كانوا قد اجتمعوا بالقرب من سواحل جدة للقيام بأعمال القرصنة ضد أهل مكة، فخاض علقمة البحر حتى انتهى إلى جزيرة هناك، فلما سمعوا بمسير المسلمين إليهم هربوا.

٥ - سرية علي بن أبي طالب إلى صنم طيء يقال له: «الفلس» ليهدمه، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ٩هـ، بعثه الرسول ﷺ في مائة وخمسين على مائة بعير وخمسين فرساً، ومعه راية سوداء، ولواء أبيض، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم الطائي مع الفجر، فهدموا الصنم وملاءوا أيديهم من السبي والنعم

(١) طبقات ابن سعد: (٢ / ١٦٢).

(٢) المصدر السابق.

والشاء، وفي السبي سفانة بنت حاتم الطائي، أخت عدي بن حاتم، وهرب عدي بن حاتم إلى الشام، ووجد المسلمون في خزانة الفليس ثلاثة أسياف، وثلاثة أدرع، وفي الطريق قسموا الغنائم وعزلوا الصفي لرسول الله ﷺ، ولم يقسموا آل حاتم حتى قدم المدينة<sup>(١)</sup>، ولما جاؤوا إلى المدينة استعطفت أخت عدي بن حاتم الرسول ﷺ قائلة: يا رسول الله، غاب الوافد وانقطع الوالد، وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة فمن عليّ من الله عليك، قال: «من وافدك؟» قالت: عدي بن حاتم، قال: «الذي فر من الله ورسوله؟» ثم مضى، فلما كان الغد قالت مثل ذلك، وقال لها ما قال بالأمس، فلما كان بعد الغد قالت مثل ذلك، فمنّ عليها، وكان إلى جنبه رجل ترى أنه علي، فقال لها: سليه الحملان، أي ما تحمل عليه إلى أهلها، فسألته فأمر لها به.

ورجعت إلى أخيها بالشام، فلما لقيته قالت عن رسول الله ﷺ: قد فعل فعلة ما كان أبوك يفعلها اتته راغباً أو راهباً.

**س: ماذا فعل عدي بن حاتم بعد عودة أخته إليه؟**

**ج:** بعد أن عادت أخت عدي بن حاتم إليه، وعاتبته على ذهابه إلى الشام وتركها، قرر عدي بن حاتم الذهاب إلى رسول الله ﷺ، فخرج بغير أمان ولا كتاب حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخل عليه وهو في مسجده فقال: من الرجل؟ قال: عدي بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ فانطلق به إلى بيته، وعندما جلسا في بيت رسول الله ﷺ قال له: «إيه يا عدي بن حاتم ألم تكن ركوسياً؟» قال: قلت له: بلى، قال: «أو لم تكن تسير في قومك بالمربع<sup>(٢)</sup>؟» قال: فقلت: بلى، قال: «فإن ذلك لم يحل في دينك»، قلت: أجل والله، ومن خلال هذا

(١) طبقات ابن سعد: (٢ / ١٦٢).

(٢) المربع: أخذ ربع الغنيمة دون أصحابه، الركوسية: هم فئة لهم دين خليط بين الصائبة والنصرانية.

الحوار مع عدي بن حاتم عرف أنه نبي، وليس مَلِكٌ يُعَلِّمُ ما يجهل، ثم قال: «لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخولٍ في هذا الدين ما ترى من حاجاتهم، فوالله ليوشك المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك ما يمنعك من دخولٍ فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكنَّ أن تسمع المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك ما يمنعك من دخولٍ فيه أنك ترى الملك والسلطان في غيرهم، وإيم الله ليوشكنَّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم» قال: فأسلمت.

وكان عدي بن حاتم يقول: قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة، ووالله لتكوننَّ: قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وإيم الله لتكوننَّ الثالثة: ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه<sup>(١)</sup>.

### غزوة تبوك رجب سنة ٩هـ

س: متى كانت غزوة تبوك وما أسبابها؟

ج: تبوك موضع معروف في شمال غرب الجزيرة العربية، وهو في منتصف الطريق بين المدينة إلى دمشق، وسميت باسم عين تبوك، وهي العين التي أمر الرسول ﷺ الناس ألا يمسوا من مائها شيئاً. روى مسلم أن الرسول ﷺ قال: «ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي».

كانت غزوة تبوك في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة بعد عودة النبي ﷺ من الطائف بحوالي ستة أشهر، وكانت في زمان عسرة من الناس، وجذب من

(١) البخاري: (٤٥٠/٦).

البلاد، حين طابت الشمار، فالناس يجبون المقام في ثمارهم وظلالهم، وكان الرسول ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا ورى غيرها، إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه جلاها للناس، لبعده المسير، وشدة الزمان، وقوة العدو.

ويذكر أن سبب غزوة تبوك: أن هرقل جمع جمعاً من الروم، وقبائل العرب المواليين مثل: لخم وجذام وغسان، ثم قدموا طلائعهم إلى البلقاء، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ ندب الناس للخروج إلى تبوك ودعاهم إلى التأهب والاستعداد، ودعا الأغنياء إلى البذل والإنفاق، ويذكر إضافة إلى هذا سبب آخر، وهو: أن الروم أقرب الناس إلى جزيرة العرب، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق، لقرابهم إلى الإسلام وأهله، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَنُنَادُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَيَجِدُوا فِيكُمْ غَضَبًا وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١٢٣) [التوبة].

**س: كيف هباً الرسول ﷺ لهذه الغزوة وما هي المصاعب التي واجهت المسلمين فيها؟**

**ج: حث الرسول ﷺ أصحابه للتهيئ لغزو الروم، كما حث الصحابة على الإنفاق في هذه الغزوة، كما حث أهل الغنى على الإنفاق، وذلك لشدة الزمان، وبعد المسافة، وكثرة عدد الخارجين في هذه الغزوة، وجاءوا بصدقات كثيرة، أنفق عمر شطر ماله، وقال: اليوم أسبق أبا بكر، ثم أنفق أبو بكر، وأتى بماله كله، فقال له رسول الله ﷺ: هل أبقيت لأهلك شيئاً؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، ووعد المنفقين فيها بالأجر العظيم من الله، فأنفق كلُّ حسب قدرته، وكان عثمان بن عفان أكثر المنفقين، حيث جهز جيش العسرة<sup>(١)</sup>، وأنفق ألف دينار، ودعا له الرسول ﷺ واستحمل<sup>(٢)</sup> رجال رسول الله ﷺ فاعتذر رسول الله ﷺ لعدم وجود الظهر، فاشتد حزنهم على ذلك، وأسقط الله عنهم الحرج بقوله تعالى:**

(١) البخاري: الفتح (١٤ / ١٩٤ - ١٩٥). البخاري: الفتح (١٦ / ٢٣٨) ح (٤٤١٥).

(٢) طبقات ابن سعد: (٢ / ١٦٢).

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (١٢) ﴿[التوبة].

س: اذكر موقف المنافقين من غزوة تبوك؟.

ج: عندما أعلن رسول الله ﷺ النفير، ودعا إلى الإنفاق في تجهيز هذه الغزوة، أخذ المنافقون في تشييط همم الناس، قائلين: لا تنفروا في الحر. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (٨١) ﴿[التوبة].

وقال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه لغزوة تبوك للجد بن قيس: «يا جدُّ هل لك في جلاد بني الأصفر؟»، فقال: يا رسول الله، أو تأذن لي ولا تفتني، فقد عرف قومي أنه ما من رجل أشدَّ عجبًا بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال له: «أذنت لك»، وفيه نزلت الآية: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَذُنَ لِي وَلَا نَفْتِيَّ إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (٤٩) ﴿[التوبة].

وذهب بعضهم إلى النبي ﷺ مبدلين أعدارًا كاذبة ليأذن لهم بالتخلف فأذن لهم، فعاتبه الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ﴾ (٤٣) ﴿[التوبة] (١).

وبلغ رسول الله ﷺ أن أناسًا منهم يجتمعون في بيت سويلم اليهودي يثبطون الناس عن رسول الله ﷺ، فأرسل إليهم من أحرقت عليهم بيت سويلم. وقد تخلف عن رسول الله ﷺ جماعة كما ثبت في حديث كعب بن مالك في قوله: فكنت إذا خرجت في الناس أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموساً

(١) تفسير الطبري: (٤/٢٧٣).

بنفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، وخرج بعضهم إلى رسول الله ﷺ لعلمهم يتحينون الفرص للتخذيل كما سيأتي.

**س: ما هو موقف المؤمنين من الخروج إلى تبوك؟**

**ج:** بعد أن أعلن رسول الله ﷺ وجهته، وعزمه الخروج إلى تبوك، سارع المؤمنون إلى مرافقته ﷺ، ولم ينظروا إلى ما سيقونه من مشقة وعناء، فكان ممن تردد بين الخروج والبقاء أبو خيثمة الأنصاري، واسمه سعد من بني سالم بن عوف ابن عمرو بن عوف بن الخزرج، فقرر وحسم الأمر، ولحق بالرسول ﷺ بعدما غادر هو وجيشه إلى تبوك، فهذا هو يقول: تخلفت عن رسول الله ﷺ فدخلت بستاناً لي فرأيت عريشاً قد رش بالماء، ورأيت زوجتي فقلت: ما هذا بإنصاف، رسول الله ﷺ في السموم والحرور، وأنا في الظل والنعيم، فقممت إلى ناضح<sup>(١)</sup> لي وتمرات فخرجت، فلما طلعت على العسكر ورآني الناس، قال النبي ﷺ: «كن أبا خيثمة»، قالوا: يا رسول الله! هو والله أبو خيثمة، ثم أخبر الرسول ﷺ الخبر، فقال له رسول الله ﷺ: «أولى لك يا أبا خيثمة»، ثم قال له رسول الله ﷺ خيراً ودعاه بخير<sup>(٢)</sup>. قال ابن هشام: وقال أبو خيثمة في ذلك شعراً:

ولما رأيت الناس في الدين نافقوا      أتيت التي كانت أعف وأكرما  
وبايعت باليمنى يدي لمحمد      فلم أكتسب إثماً ولم أغش محرماً  
تركت خصياً في العريش وصرمة      صفاً يا كراماً بسرهما قد تحمماً  
وكنت إذا شك المنافق أسمحت      إلى الدين نفسي - شطره حيث يمما  
كذلك يروى أن أبا ذر واسمه: جندب بن جنادة أبطأ به بعيره، وسبب

(١) الناضح: البعير يستقى عليه.

(٢) البخاري: (٨ / ٨٦)، مسلم: (٢٧٦٩).



إبطائه أن يعيره كان أعجف (هزياً) فقال: أعلفه أياماً، ثم ألحقه ﷺ، فعلفه أياماً ثم خرج فلم يربه حركة، فأخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر الرسول ﷺ ماشياً، وعندما ظهر الرجل يمشي - على الطريق وحده، قال رسول الله ﷺ: «كن أبا ذر»، فعندما وصل كان هو أبا ذر، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده، ويبعث وحده»<sup>(١)</sup>.

وعندما أقام أبو ذر بالربذة - موضع شرقي المدينة المنورة، يبعد ٢٠٠ كم في موقع مميز على طريق الحج الكوفي - في عهد عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وذلك أنه أشار على أبي ذر أن لو اعتزلت الناس؛ لأنه كان يريد أن يُحمّلهم ما لا يستطيع حمله عموم الناس، فخرج إلى الربذة، زاهداً فاضلاً، ولم يكن معه أحد سوى امرأته وغلّامه، فأوصاهما بأن يغسلاه، ويكفناه إذا مات، ثم يضعاه على قارعة الطريق، ويطلبوا الإعانة على دفنه من أول ركب يمر بهما، ففعلا، فأقبل ابن مسعود في رهطٍ من أهل العراق عُمّاراً، فقام إليهم الغلام فقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه، فبكى ابن مسعود، وقال: صدق رسول الله ﷺ: تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك، ثم نزل هو وأصحابه فدفنوه، ثم حدثهم ما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك<sup>(٢)</sup>.

**س: كم عدد الصحابة في جيش تبوك وكم أقام بها الرسول ﷺ ومن استخلف على المدينة**

**عند خروجه منها؟.**

**ج:** عدد الصحابة الذين خرجوا في جيش تبوك مع رسول الله ﷺ: ثلاثون ألفاً من الناس، وعدد الخيل: عشرة آلاف فرس، وأقام بتبوك عشرين ليلة يقصر الصلاة، وهرقل عظيم الروم بحمص، واستخلف على المدينة محمد

(١) أخرجه الحاكم: (٣ / ٥٠)، وصححه ووافقه الذهبي، ابن كثير: (٤ / ١٤).

(٢) ابن حبان: (٢٢٦٠)، مجمع الزوائد: (٩ / ٣٣١).

ابن مسلمة الأنصاري، وخلف علياً على أهله ﷺ.

**س: ماذا قال المنافقون في علي رضي الله عنه عندما خلفه الرسول ﷺ في أهله؟.**

**ج:** لما خرج رسول الله ﷺ خلف علياً على أهله، فقال المنافقون: ما خلفه إلا استثقلاً له، وتخففاً منه، فعندما سمع ذلك علي رضي الله عنه أخذ سلاحه ولحق برسول الله ﷺ وهو بالجرف في طريقه إلى تبوك، فقال: يا نبي الله، زعم: المنافقون أنك ما خلفتني إلا استثقلاً، فقال: «كذبوا، ولكنني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي»<sup>(١)</sup> فرجع.

**س: بماذا أمر النبي ﷺ أصحابه عندما مر بالحجر من ديار ثمود؟.**

**ج:** كان رسول الله ﷺ عندما مر بالحجر من ديار ثمود وهم قوم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لأصحابه: «لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين، إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، لا يصيبكم مثل ما أصابهم»<sup>(٢)</sup> وقال: «لا تشربوا من مائها شيئاً، ولا تتوضأوا منه للصلاة، وما كان من عجين عجتهموه فأعلفوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئاً»، وقد حذرهم ﷺ لئلا يورثهم ذلك قسوة في قلوبهم، أو أضراراً في أبدانهم، وأمرهم أن يريقوا الماء، وأن يستقوا من البئر التي كانت تردّها الناقة.

**س: اذكر بعض المعجزات والمواقف التي وقعت للرسول ﷺ في غزوة تبوك؟.**

**ج:** في «صحيح مسلم»<sup>(٣)</sup> عن أبي حميد الساعدي قال: انطلقنا حتى قدمنا تبوك، فقال رسول الله ﷺ: «ستهب عليكم ريح شديدة فلا يقيم أحد منكم،

(١) البخاري: (٨٦/٨)، مسلم: (٢٤٠٤). والجوف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة.

(٢) البخاري في التفسير: (٢٨٨/٨).

(٣) مسلم: (١٧٨٥/٤).

فمن كان له بعير فليشد عقاله»، فهبت ريح شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيبى، وفي رواية أن النبي ﷺ نهى الناس تلك الليلة عن أن يخرج واحد منهم وحده، فخرج شخص وحده لحاجته فخنق، وخرج آخر وحده في طلب بعير له، فاحتملته الريح حتى ألقته بجبلي طيبى، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «ألم أنحكم أن يخرج أحد منكم إلا ومعه صاحبه»، ثم دعا للذي خنق فشفي، أما الذي ألقته الريح بجبل طيبى فأرسلته طيبى للرسول ﷺ حين قدم المدينة.

قال ابن إسحاق: أصبح الناس ولا ماء معهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا الله فأرسل سحابة، فأمرت حتى ارتوى الناس، واحتملوا حاجاتهم من الماء<sup>(١)</sup>.

ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلّت ناقته، فقال زيد بن اللصيت - وكان منافقاً - أليس محمد يزعم أنه نبي وأنه يخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته، فقال ﷺ: «إن رجلاً يقول - وذكر مقالته - وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلّني الله عليها، وهي في الوادي، في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوني بها»، فذهبوا فجاؤوا بها<sup>(٢)</sup>، وقد تضمنت هذه القضية آيتين من آيات النبوة لرسول الله ﷺ.

الأولى: إخباره ﷺ عن مقالة ذلك المنافق قبل أن يصل إليه.

والثانية: إخباره ﷺ بأنها في المكان الفلاني، مُعرِّفاً لهم أن شجرة حبستها بزمامها، كأنه ﷺ يشاهد ذلك فيخبر عنه رأي العين، وقد وجدوها كما أخبر، ولا غرابة في ذلك، فكم له من آيات لا يتأتى حصرها.

(١) الهيثمي: المجمع (٦/١٩٤ - ١٩٥)، ابن كثير: (١٦/٤).

(٢) ابن هشام: (٢/٥٢٣) عن ابن إسحاق ورجاله ثقات.

**س: اذكر موقف الرسول ﷺ ممن تخلف عن الخروج معه؟.**

ج: مضى- رسول الله ﷺ إلى تبوك فجعل يتخلف عنه الرجل، فيقول الصحابة: تخلف فلان، فيقول: دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه، فلم يتخلف إلا من حبسهم العذر، أو الذين كذبوا على الله ورسوله من المنافقين، الذين استأذنوا للعودة كذباً، أو وعدوا ولم يستأذنوا، إلا أن هناك ثلاثة نفر من المؤمنين الصادقين، تخلفوا من غير مبرر، وهم الذين ابتلاهم الله ثم تاب عليهم، وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية الواقفي، ولما دخل رسول الله ﷺ المدينة عند عودته من تبوك بدأ بالمسجد، فصلى فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فأما المنافقون وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً، فجاءوا يعتذرون بأنواع شتى من الأعذار، وطفقوا يلحفون لرسول الله ﷺ فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله.

أما نفر الثلاثة من المؤمنين الصادقين فاختروا الصدق كما سيأتي في قصتهم، فأمر رسول الله ﷺ الصحابة ألا يكلموهم، وجرت ضدهم مقاطعة شديدة، وتغير لهم الناس، حتى تنكرت لهم الأرض، وضافت عليهم بما رحبت، وضافت عليهم أنفسهم، وبلغت بهم الشدة أنهم بعد أن قضوا أربعين ليلة من المقاطعة أمروا أن يعتزلوا نساءهم، حتى تمت مقاطعتهم خمسين ليلة، ثم أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة]، وفرح المسلمون، وفرح الثلاثة فرحاً شديداً<sup>(١)</sup>. وأما

(١) البخاري: الفتح (١٦/٢٤١ - ٢٥٢ ح / ٤٤١٨)، مسلم: (٤/٢١٢٠ - ٢١٢٨ ح / ٢٧٦٩).

الذين حبسهم العذر، فقد قال تعالى فيهم: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [١١] [التوبة]، وقال فيهم رسول الله حين دنا من المدينة: «إن بالمدينة رجالاً ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم العذر» قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة».

س: ما سبب اشتداد غضب النبي ﷺ على المتخلفين بالرغم من أن الجهاد فرض كفاية؟.

ج: ذكر السهيلي في الروض الأنف: «وإنما اشتد غضبه ﷺ على من تخلف، ونزل من الوعيد ما نزل، حتى تاب الله على الثلاثة منهم، وإن كان الجهاد من فروض الكفاية لا من فروض الأعيان، لكنه في حق الأنصار كان فرض عين، وعليه بايعوا النبي ﷺ، ألا تراهم يقولون يوم الخندق وهم يرتجزون:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً  
وذكر الحافظ وجهاً غير هذا في تغليظ الأمر على هؤلاء وهو أنهم تركوا  
الواجب بلا عذر؛ لأن الإمام إذا استنفر الجيش عموماً لزمهم النفير، ولحق  
اللوم بكل فرد».

س: ما سبب اختلاف التعامل مع المنافقين عنه في المتخلفين بلا عذر ولا شك ولا ارتياب؟.

ج: لما كان هؤلاء المتخلفون بلا عذر ولا شك ولا ارتياب وهم الثلاثة، وقد شاركوا المنافقين في صورة التخلف عن الغزو بلا عذر، وهم براء من النفاق، كانت توبتهم على الحال التي ذكرت في الحديث ليميز الله الخبيث من الطيب، ويظهر إيمان هؤلاء الأصحاب الغر الميامين رضي الله عنهم أجمعين.

س: اذكر دور المنافقين في تخذيل المسلمين عن الخروج مع النبي ﷺ إلى تبوك؟.

ج: كان رهطاً من المنافقين منهم ودیعة بن ثابت ومخشن بن حمير، يشيرون

إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك قال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً؟، والله لكأنهم غداً مقرنين في الحبال، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين، فقال مخشن بن حمير: والله لو ددت أني أقاضي على أن يضرب كل واحد منا مائة جلدة، وأنا لنفلت أن ينزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: «أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل: بل قلتم كذا وكذا، فانطلق إليهم عمار»، فقال لهم ذلك، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه فقال وديعة بن ثابت: إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله فيهم: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِمْ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ الْكَاذِبِينَ﴾ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ يُغَدِّبُ طَآئِفَةٌ بِآثَمِهِمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ [التوبة].

س: ماذا حصل بعد هذه الأحداث ووصول الرسول ﷺ بجيشه إلى تبوك؟

ج: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه صاحب أيلة<sup>(٢)</sup>، فصالحه وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جربا وأذرح فأعطوه الجزية، وكتب لهم كتاب أمان، كان فيه كفالة الحدود وتأمين المياه والطرق البرية والبحرية والضمان لسلامة الفريقين، وأكرمهم رسول الله ﷺ.

#### أكيدر دومة الجندل

ثم بعث رسول الله ﷺ وهو في تبوك خالد بن الوليد مع خمسمائة من أصحابه إلى أكيدر بن عبد الملك الكندي النصراني أمير دومة الجندل، وقال له الرسول ﷺ: «إنك تجده يصيد البقرة»، خرج خالد حتى إذا كان حصنه بمنظر

(١) زاد المعاد: (٤٦٩/٣).

(٢) البخاري: الفتح (١٢/٢٥٤ ح / ٣١٦١)، ابن هشام: (٤/٢٣٠ - ٢٣١).

العين في ليلة مقمرة، وهو على سطح له، فباتت البقرة تحك بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله، ثم نزل، فأمر بفرسه فأسرج له، وركب معه نفر من أهل بيته، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ، فأخذته وقتلوا أخاه، وقدم به خالد.

### محاولة المنافقين اغتيال رسول الله ﷺ

س: تعرض النبي ﷺ لمحاولة اغتيال، من الذي حاول الاغتيال، اذكر القصة؟.

ج: عن أبي الطفيل عامر بن واثلة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر منادياً فنادى: إن رسول الله ﷺ أخذ العقبة، فلا يأخذها أحد، فسار رسول الله ﷺ في العقبة؛ يقوده حذيفة، ويسوقه عمار، إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل، فغشوا عماراً، وهو يسوق برسول الله ﷺ، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة: «قَدْ قُدُّ، ويا عمار: سُقُّ سُقُّ» فأقبل عمار على القوم فضرب وجوه رواحلهم، حتى هبط رسول الله ﷺ من العقبة فلما هبط، ورجع عمار قال: «يا عمار، هل عرفت القوم؟»، فقال عمار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قد عرفت عامة الرواحل، والقوم متلثمون، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «هل تدري ما أرادوا؟»، قال عمار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الله ورسوله أعلم، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ فيطرحوه»، قال: فسأل عمار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: نشدُّك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة؟ قال: أربعة عشر رجلاً. فقال: إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر، قال: فعذر رسول الله ﷺ منهم ثلاثة؛ قالوا: والله ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ، وما علمنا ما أراد القوم، فقال عمار: أشهد أن الاثني عشر الباقيين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا.

## محاولات القتل التي تعرض لها النبي ﷺ خلال بعثته

س: هل لنا أن نذكر هنا أهم المحاولات التي تعرض فيها للقتل؟.

ج: تعرض ﷺ خلال فترة حياته لمحاولات عديدة للاغتيال، شأنه شأن العظماء عبر التاريخ، إلا أنه ليس كأولئك، فهو تحت حماية ربه ﷻ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة].

والمراد من العصمة هنا - والله أعلم - أن لا تطوله يدٌ تتمكن من اغتياله، وقتله، لتُغتال فيه الدعوة التي بُعث لتبليغها، إلا أنه من حيث تعرضه للأذى، فإن الأنبياء عليهم السلام أشد الناس ابتلاءً، وأمّا محاولات قتله أو اغتياله ﷺ، فكثيرة مشهورة. ولكن الله حماه من تلك المحاولات، حيث حاول أعداؤه من مشركي العرب واليهود والمنافقين قتله.

ومن تلك المحاولات:

١ - عزم أبي جهل - فرعون الأمة - على قتل رسول الله ﷺ، حيث عاهد قريشا على قتل النبي ﷺ بفضخ رأسه بحجر وهو يصلي قرب الكعبة. ولكن الله ألقى في قلب أبي جهل الرعب، وحفظ نبيه ومصطفاه ﷺ.

٢ - وكذلك محاولة الشبان الأشداء من قبائل قريش، وبتدبير من زعمائهم، فأحاطوا ببیت النبي ﷺ لقتله، وذلك ليلة هجرته ﷺ، ولكن الله صرف أبصارهم عن رؤية النبي ﷺ، حينما خرج من بين أظهرهم، وحشى على رؤوسهم التراب.

٣ - كما حفظه ﷺ وصاحبه الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي غَار ثور، من الطلب وقصاص الأثر، الذين وصلوا عند باب الغار، وحادثه سراقه بن مالك معروفة مشهورة.

٤ - محاولة عمير بن وهب الجمحي، بالتنسيق مع صفوان بن أمية.



٥ - محاولة شيبه بن عثمان العبدي اغتيال النبي ﷺ في حين عندما خرج لملاقاة جيش هوازن.

٦ - محاولة رجل من المشركين اغتياله وهو نائم في ظل شجرة في غزوة ذات الرقاع، قِيلَ نَجِدُ. ففي «صحيح مسلم»: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَأَخَذَ السَّيْفَ، فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَيَّ رَأْسِي، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلَّتْ فِي يَدِهِ، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟» قال: «قَلْتُ: اللَّهُ. ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟» قال: «قَلْتُ: اللَّهُ».

فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ وقال: «من يمنعك مني؟» قال: كن خير آخذ، فدعاه إلى الإسلام، فلم يسلم، ولكنه أعطاه العهد ألا يقاتله، ولا يكون مع قوم يقاتلونه، فحلى سبيله فذهب إلى قومه وقال: جئتكم من عند خير الناس.

٧ - محاولة يهود بني النضير إلقاء صخرة عليه من فوق جدار كان يستند إليه، فجاء رسول الله ﷺ الخبر بما هموا به.

٨ - محاولة تسميمه بعد غزوة خيبر. ففي «صحيح البخاري» عن أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعن أبيها قالت: كان النبي ﷺ يقول في مرض موته الذي مات فيه: «يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلتُ بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم».

٩ - محاولة فضالة بن عمير بن الملوح الليثي، قتل النبي ﷺ وهو يطوف ضحى يوم الفتح، فلما دنا من الرسول ﷺ قال له: «أفضالة؟»، قال: نعم يا رسول الله، قال: «بِمَ كُنْتَ تَحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ؟»، قال: لا شيء، كنت أذكر الله، فضحك الرسول ﷺ وقال: «استغفر الله يا فضالة»، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله من شيء أحب إليه منه.

١٠ - محاولة اثني عشر. منافقاً اغتياه في طريق عودته من غزوة تبوك. وقد حفظه مولاه، جسداً وروحاً؛ حياً وميتاً. قال ﷺ عن نفسه وإخوانه من الأنبياء: «إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء».

س: كم مكث الرسول ﷺ بتبوك وماذا عمل بعد ذلك؟.

ج: بلغ الرسول ﷺ خبر انسحاب الروم وعدو لهم عن فكرة الزحف واقتحام الحدود، فلم ير رسول الله ﷺ مجالاً لتبعهم داخل بلادهم، وقد تحقق الغرض، ومكث بتبوك: عشرين ليلة لم يلق حرباً من الأعداء<sup>(١)</sup> فرجع إلى المدينة منتصراً.

### عبد الله ذو البجادين

س: من هو ذو البجادين، اذكر قصته؟.

ج: هو عبد الله بن عبد نهم بن عفيف بن عدي بن عثمان بن عمرو المزني. ذكر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر، فاتبعتها أنظر إليها، فإذا الرسول ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين<sup>(٢)</sup> المزني قد مات وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ في حفرتة وأبو بكر وعمر يدلّيانه إليه وهو يقول: «أدليا إلى أخاكما» فأدليا إليه، فلما هيأه لشقه قال: «اللهم إني قد أمسيت راضياً عنه فارض عنه» قال عبد الله ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة<sup>(٣)</sup>.

(١) وقد أستشار رسول الله ﷺ أصحابه في مجاوزة تبوك، ولم يكن إذ ذاك وحي فقال عمر: يا رسول الله إن للروم جموعاً كثيرة وليس بها أحد من أهل الإسلام، وقد أفزعهم دنوك، فلو رجعنا هذه السنة حتى ترى ما يحدث أ يحدث الله أمراً؟. الإمام أحمد في المسند (٤٥٣/٥)، والطبراني في المعجم الكبير كما في مجمع الزوائد (١/١١٠-١١١)، والبخاري في مسنده (٧/٢٢٧) رقم (٢٨٠٠).

(٢) البجاد: الكساء الأسود الغليظ.

(٣) ابن هشام: (٢/٥٢٧ - ٥٢٨) ورجاله ثقات.

## س: اذكر أثر غزوة تبوك على الإسلام والمسلمين؟.

ج: كان لهذه الغزوة أعظم الأثر في بسط نفوذ المسلمين على الجزيرة العربية، فقد تبين للناس أنه ليس لأي قوة من القوات أن تعيش في جزيرة العرب سوى قوة الإسلام، وخاب ما بقي من أمل لدى بعض الجاهليين والمنافقين، الذين كانوا يتربصون بالمسلمين، حيث كانوا عاقدين آمالهم على الرومان الذين عدلوا عن فكرة الزحف وغزو المسلمين واستسلموا للأمر الواقع.

ولذلك لم يبق للمنافقين أن يعاملوا من قبل المسلمين بالرفق واللين، وقد أمر الله تعالى بالتشديد عليهم، حتى نهى عن قبول صدقاتهم، وعن الصلاة عليهم والاستغفار لهم، والقيام على قبورهم، ويعرف مدى أثر هذه الغزوة من أن العرب وإن كانت أخذت بالتوافد إلى رسول الله ﷺ بعد فتح مكة بل وما قبلها إلا أن تتابع الوفود وتكاثرها بلغ القمة بعد هذه الغزوة<sup>(١)</sup>.

فلما دنا من المدينة خرج الصبيان إلى ثنية الوداع لتلقيه، ومعهم النساء والولائد ينشدون:

طلّع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	مادعاً لله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع
جئت شرفتم المدينة	مرحباً يا خير داع

كانت غزوة تبوك لظروفها الخاصة بها، اختباراً شديداً من الله تعالى، امتاز به المؤمنين من غيرهم كما هو الحال من الله تعالى في مثل هذه المواضع حيث يقول: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران]،

(١) انظر: ابن هشام: (٢ / ٥١٥)، زاد المعاد: (٣ / ١٢ - ١٣)، صحيح البخاري: (٢ / ٦٣٣).

فخرج كل مؤمن صادق، حتى صار التخلف عن هذه الغزوة من صفات أو أمارات النفاق في الرجل.

### آخر الغزوات

وتجدد الإشارة إلى أن غزوة تبوك كانت آخر غزوات الرسول ﷺ والتي بلغت سبعة وعشرين غزوة، والبعوث والسرايا التي بلغ عددها ستين، ولم يكن في كلها قتال، وقد أريق في هذه الغزوات والسرايا أقل دم عرف في تاريخ الحروب والغزوات فلم يتجاوز القتلى ١٠١٨ قتيلاً بين الفريقين، وكانت حاقنة لدماء كثيرة لا يعلمها إلا الله.

**س: ما موقف النبي ﷺ من مسجد الضرار، وما هو مسجد الضرار وما الهدف من بنائه؟**

**ج:** كان أصحاب مسجد الضرار قد أتوا إلى النبي ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة، والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا لتصلي لنا فيه، فقال: إنا على جناح سفر، وحال شغل، ولو قد قدمنا إن شاء الله لآتيناكم فصلينا لكم فيه، فلما نزل بذي أوان في عودته إلى المدينة جاءه خبر المسجد من السماء، فدعا مالك بن الدخشم، ومعن بن عدي، فقال لهما: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه وحرقاه، فخرجا مسرعين حتى أتيا ديار بني سالم بن عوف - وهم رهط مالك ابن الدخشم - فقال لمعن: أنظرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلي، فدخل إلى أهله فأخذ سعفاً من النخل فأشعل فيه ناراً، ثم خرجا يشندان حتى دخلا المسجد، وفيه أهله فحرقاه، وهدماه، وتفرقوا عنه، ونزل فيه قول الله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [التوبة].

قال ابن عباس في الآية: هم أناس من الأنصار، ابتنوا مسجداً، فقال لهم

أبو عامر الفاسق: ابنوا مسجدكم واستعدوا ما استطعتم من قوة ومن سلاح،  
فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فأت بجنود من الروم، فأخرج محمداً وأصحابه،  
فلما فرغوا من بنائه أتوا النبي ﷺ فقالوا: إنا قد فرغنا من بناء مسجدنا، ونحب  
أن تصلي فيه وتدعو بالبركة، فأنزل الله تعالى: ﴿لَأَنقُصَنَّ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى  
التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِروا لِلَّهِ يَكْبِتُ السَّمَكُ بِرَبِّهِ ۗ﴾ (١٠٨)  
أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ  
هَارٍ فَاتَّخِرَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي  
قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ [التوبة].

### قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك

س: ما قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك؟ اذكرها مفصلة؟.

ج: روى البخاري رحمه الله تعالى عن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن  
مالك الأنصاري: أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد أبيه حين عمي قال:  
سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن غزوه تبوك قال: لم أتخلف عن  
رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوه تبوك وإلا في غزوة بدر، ولم يعاتب  
أحدًا تخلف عنها.

ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين توثقنا على الإسلام وما  
أحب أن يكون لي بها مشهد بدر وأن كانت بدر أذكر في الناس منها.  
وكان من خبري أني لم أكن قط أقوى، ولا أيسر-حين تخلفت عن تلك  
الغزوة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتها في تلك الغزوة،  
قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى أمره ما لم ينزل فيه وحي  
من الله تعالى؛ لأن المسلمين مع الرسول ﷺ كثير، ولا يجمعهم ديوان.

يقول: فطفقت أغدو لكي اتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً من جهازي، فقلت أتجهز بعد يوم أو يومين ثم ألحق بهم، وكذلك غدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئاً، ثم غدوت ثم رجعت، فلم يزل بي حتى تفارط الغزو، فهممت أن أرتحل فأدرتهم، وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك يقول: فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج الرسول ﷺ فطففت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق، أو رجلاً ممن عذره الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ إلا بعد أن وصل تبوك، حيث قال وهو جالس في القوم: ما فعل كعب بن مالك، فقال رجل من بني سلمه وهو عبدالله بن أنيس السلمي: يا رسول الله حبسه براده ونظره في عطفه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً. فسكت رسول الله ﷺ.

قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرني همي فأخذت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غداً؟، واستعنت في ذلك بكل ذي رأي من أهلي.

يقول: فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظل - قرب - قادماً زاح عني الباطل وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب فأجمعت صدقه وأصبح الرسول ﷺ قادماً، وكان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون أو المعدرون وهم بضعة وثمانون، فقدموا أعذارهم، وأخذوا يحلفون له فقبل علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى، قال كعب: فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال: «تعال»، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك؟ ألم تكن ابتعت ظهراً؟» قال: قلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد

أعطيت جدلاً، ولكن والله قد علمت أني لو حدثتك حديث كذب لترضى عني ليوشكن الله أن يسخط علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه، إني لأرجو فيه عفو الله، ولا والله ما كان لي من عذر، لا والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال الرسول ﷺ: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي- الله فيك»، خرج كعب بن مالك من عند رسول الله ﷺ وسار خلفه رجال من بني سلمة وقالوا له: والله ما نعلم إنك قد أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ كما اعتذر له المخلفون، فقد كان يكفيك لذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك.

يقول كعب: فما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ولما فكرت في الرجوع سألت هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلا ن قال مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا فيهما أسوة فمضيت حين ذكروهما لي.

ونهى رسول الله ﷺ عن كلام هؤلاء الثلاثة من بين من تخلف عنه.

يقول كعب: فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا حتى تغيرت في نفسي- الأرض فما هي التي أعرف.

لبث كعب بن مالك وصاحبا على ذلك خمسين ليلة، يقول كعب: أمّا صاحباي فقد استكانا وقعدا في بيوتها يبكيان، وأما أنا فكنت أشبههم وأجلدهم وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف بالأسواق ولا يكلمني أحد، وأتي رسول الله ﷺ وهو في مجلسه فأسلم عليه بعد الصلاة، فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا؟، ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني، لما طالت

جفوة الناس كان يتسور جدار حائط ابن عمه قتادة، وهو أحب الناس إليه فيسلم عليه يقول كعب: كنت أسلم عليه فوالله ما يرد عليّ السلام. يقول: فقلت لأبي قتادة: أنشدك بالله هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت فنشدته فقال: الله أعلم، ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار.

يقول: فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا بنبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلني على كعب بن مالك، فأخذ الناس يشيرون إلي، ثم جاءني ودفع إلي، كتابًا من ملك غسان، فإذا فيه أما بعد: فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة، فالحق بنا نواسك، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضًا من البلاء، فتيمنت التنور فسجرت به.

بعد مضي - أربعين ليلة من الخمسين ومن شدة الابتلاء، إذا رسول الله ﷺ يأتي إلى كعب بن مالك ويقول: إن رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟، قال: لا بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى مرارة وهلال مثل ذلك، ولهذا أمر امرأته أن تلحق بأهلها حتى يقضي الله في هذا الأمر.

واستأذنت زوجة هلال بن أمية رسول الله ﷺ في خدمته، وقالت: إنه شيخ كبير ضائع ليس له خادم، فأذن لها ولكن قال لها لا يقربك، فقالت: إنه شيخ كبير ما به من شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا.

لبث كعب وصاحباة عشر - ليالٍ حتى كملت خمسين ليلة من حين نهى الرسول ﷺ عن كلامهم، يقول كعب: فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينما أنا جالس على الحال التي ذكرها الله قد



ضاق عليّ نفسي- وضاق عليّ الأرض بما رحبت، عندها سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك: أبشر، فخررت ساجداً، وعرفت أنه جاء الفرج وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صَلَّى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبيّ مبشرون.

يقول كعب: فلما جاء الذي سمعت صوته يبشرنى نزع ثوبيّ فكسوته إياهما ببشارته، والله ما أملك غيرها يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فدخلت المسجد والنبى ﷺ جالس والناس جلوس حوله، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام إليّ رجل غيره من المهاجرين، ولا أنساها لطلحة.

قال: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك، قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: بل من عند الله، وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكُنَّا نعرف ذلك منه.

قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة لله ورسوله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك». قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة]، فكانت هذه الآية خاتمة هذا الابتلاء والتوبة من الله تعالى لكعب وهلال ومرارة.

س: اذكر بعض الأحكام والفوائد والدروس المستنبطة من أحداث غزوة تبوك؟.

ج: من أهم الدروس والأحكام والفوائد من غزوة تبوك:

١- أقام الرسول ﷺ بتبوك بضعة عشر ليلة وهو يقصر الصلاة واستدل

- العلماء على جواز القصر ما دام المرء في حالة سفر ولم ينو الإقامة.
- ٢ - جواز الهجر لأكثر من ثلاث ليالٍ لسبب شرعي، كما في أمر الرسول ﷺ بمقاطعة الذين خُلفوا لمدة خمسين ليلة.
- ٣ - مشروعية استخلاف الإمام إذا سافر رجلاً من الرعية على الضعفاء والنساء والذرية، كما في حالة علي بن أبي طالب، وهي خلافة خاصة، واستخلاف آخر للشئون العامة، كاستخلافه لمحمد بن مسلمة.
- ٤ - لا يجوز الشرب من مياه آبار ثمود، ولا الطبخ منه، ولا العجن به، ولا الطهارة به، لئلا يورث من شرب منه قسوة في قلبه أو ضرراً في بدنه.
- ٥ - جواز إحراق وهدم أمكنة المعصية كما فعل الرسول ﷺ بمسجد الضرار.
- ٦ - أن رسول الله ﷺ كان يقبل علانية من أظهر الإسلام من المنافقين ويكل سريرته إلى الله، ويجري عليه حكم الظاهر، ولا يعاقبه بما لا يعلم من سره كما فعل مع مَنْ جاءوا يعتذرون له ﷺ عن تخلفهم.
- ٧ - مشروعية أخذ الجزية من أهل الكتاب، وإنهم يجرزون بذلك دمائهم وأموالهم، فقد رأيت أن الروم اختفوا وتفرقوا عن مواجهة الرسول ﷺ حينما وصل إلى تبوك، وجاءه نصارى العرب فصالحوه على الجزية.
- ٨ - لقد وُطِّدَت هذه الغزوة سلطان الإسلام في شمال شبه الجزيرة العربية، ومهدت لفتوح الشام التي استعد لها الرسول ﷺ بإعداد جيش أسامة قبيل وفاته، فأنفذه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم أتبعه أبو بكر بجيوش الفتح الأخرى إلى بلاد الشام والعراق، وكانت بداية تحرير شعوب تلك المناطق من عبودية الأكاسرة والقيصرة.

## الوفود

س : متى كان عام الوفود ، وإلى من وفدت تلك الوفود ، وما الغرض من وفودها؟ .

ج: عندما فتح رسول الله ﷺ مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت، قدمت إليه وفود العرب من كل وجه، وكان ﷺ قد كتب قبل ذلك إلى الملوك والأمراء كتباً دعاهم فيها إلى الإسلام، فلقي من بعضهم الاستجابة، ومن بعضهم ردّاً رقيقاً، ووقف بعضهم خائفاً متردداً، وردها بعضهم ردّاً قبيحاً، فلقي عقوبة عاجلة أطاحت بملكه ونفسه، وقد تسامع العرب كلهم وتحدثوا به، حتى أن سنة تسع من الهجرة كانت تسمى سنة الوفود، وقد تابعت هذه الوفود إلى رسول الله ﷺ للدخول في دين الله، فلما فتحت مكة كما أسلفت ودانت قريش لرسول الله ﷺ عرفت العرب أن لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته، فدخلوا في دين الله أفواجاً، كما قال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ ﴾ ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ [النصر].

س : اذكر أهم الوفود التي وفدت إلى رسول الله ﷺ؟ .

ج: بلغ مجموع ما ذكره أهل السير ما يزيد على تسعين وفدًا، نذكر هنا وباختصار أهم تلك الوفود:

أولاً: وفد ثقيف:

أرسلت ثقيف إلى رسول الله ﷺ في رمضان سنة ٩ هـ بعد عودته ﷺ من تبوك وفدًا برئاسة عبد ياليل بن عمرو وثلاثة من بني مالك واثنان من الأحراف، فأعلنوا إسلامهم وإسلام قومهم، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابًا، وطلبوا من الرسول ﷺ تأخير هدم صنمهم اللات لمدة ثلاث سنوات، مخافة غضب قومهم، ولكنه أعفاهم من القيام بذلك، ووكّل الأمر إلى أبي سفيان،

والمغيرة بن شعبة، وطلبوا إعفاءهم من الصلاة بحجة عدم استساغتهم الركوع والسجود، فأبى عليهم ذلك قائلاً: «لا خير في دين لا صلاة فيه» واشتروا إعفاءهم من الزكاة والجهد فوافقهم على ذلك وهو يقول: «سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا» وسألوه أن يعفيهم من الوضوء بحجة أن بلادهم باردة، وأن يتبذوا في القرع، وأن يعيد عليهم أبا بكره الثقفي، فأبى عليهم هذا كله، وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان أصغرهم، ولكنه كان أحرصهم على تعلم القرآن والتفقه في الدين، وعادوا إلى بلادهم بعد أن مكثوا في المدينة خمسة عشر- يوماً، وعاد معهم أبو سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة ليقوما بهدم اللات، وعندما جاء لتنفيذ المهمة اجتمعت النساء حول اللات حسراً يبكين عليها، فلما دخل المغيرة علاها يضر بها بالمعول، وقام دونه بنو مغيث خشية أن يُرْمَى كما فعل بعروة بن مسعود، فلما هدمها أخذ مالها وحليها وأرسل به إلى أبي سفيان<sup>(١)</sup>.

### عروة بن مسعود الثقفي

س: من هو عروة بن مسعود وما قصة إسلامه وما هي نهايته وماذا عملت ثقيف بعد قتله؟

ج: هو عروة بن مسعود الثقفي سيد ثقيف، وهو أحد الرجلين اللذين عناهما قریش في قوله: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَاتِ عَظِيمٍ ﴾ (٣١) [الزخرف]، أما قصة إسلامه، فإنه لما كان فتح مكة، وغزوة حنين، وحصار الطائف، في السنة الثامنة للهجرة، كان عروة بن مسعود في مدينة جرش يتعلم بعضاً من صناعة السلاح، ولم يشهد من تلك الأحداث شيئاً، وكانت عودته بعد انصراف الرسول ﷺ من الطائف متجهاً إلى المدينة، فجاءه الخبر، فذهب يتبع

(١) ابن هشام: (٣ / ٥٣٧ - ٥٤٢)، زاد المعاد: (٣ / ٥٢١ - ٥٢٤).

أثره ﷺ حتى أدركه قبل أن يصل المدينة، فأسلم وسأل الرسول ﷺ أن يرجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فقال له الرسول ﷺ: «إنهم قاتلوك» وعرف الرسول ﷺ فيهم نخوة الامتناع، فقال: يا رسول الله، أنا أحب إليهم من أبكارهم - وعند ابن هشام: من أبصارهم - وكان فيهم كذلك، محبباً مطاعاً، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام، رجاء ألا يخالفوه، لمنزلته فيهم، فلما أشرف عليهم على عليّة له - غرفة مرتفعة - وقد دعاهم إلى الإسلام، رموه بالنبل من كل ناحية، فأصابه سهم فقتله، فقيل له: ما ترى في دمك؟، فقال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليّ، فليس فيّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم، فادفونني معهم فدفنوه معهم، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «إن مثله في قومه كمثل صاحب يس في قومه»، ثم قامت ثقيف بعد مقتل عروة شهراً، ثم تشاوروا فيما بينهم، ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب، وقد أسلموا وبايعوا، فأجمعوا على أن يرسلوا وفداً إليه ﷺ، فأرسلوا وفدهم، وكان من أمرهم ما كان.

#### ثانياً: وفد بني تميم

س: متى كان قدوم وفد بني تميم، ولماذا قدم هذا الوفد، وماذا نزل فيه من القرآن، ولماذا؟.

ج: في عام الوفود قدمت على رسول الله ﷺ وفود العرب، فقدم عليه عطار بن حاجب بن زرارة التميمي، في أشرف بني تميم، منهم الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر، وغيرهم لأجل أسرى بني تميم الذين أخذتهم سرية عيينة بن حصن، فلما دخل وفد بني تميم، نادوا رسول الله ﷺ من وراء حجراته، طالبين منه الخروج إليهم ليفاخروه ولم يستأذنوا عليه<sup>(١)</sup>، فأذى ذلك رسول الله ﷺ، وكان عيينة بن حصن قد أخذ أحد عشر رجلاً، وإحدى

(١) البخاري: الفتح (١٦/٢٠٦ ح/٤٣٦٥)، ابن هشام: (٤/٢٧٤-٢٨٣).

وعشرين امرأة، وثلاثين صبياً، وساقهم إلى المدينة في محرم سنة ٩هـ، وقد بعثه الرسول ﷺ قبل ذلك إليهم عندما امتنعوا عن دفع الجزية، وأغروا القبائل المجاورة عن دفعها، وفيهم نزل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات]، فلما خرج إليهم قالوا: جئنا لنفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا، قال: أذنت، فقام عطارد فخطب، فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس: قم فأجب الرجل، فقام ثابت فخطب وأجابه، وقام الزبرقان بن بدر فقال شعراً، فلما انتهى قال الرسول ﷺ لحسان: قم فأجب الرجل، فقام وقال شعراً، فلما فرغ حسان، قال الأقرع بن حابس: إن خطيب هذا الرجل أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهم أحلى من أصواتنا، فلما فرغ القوم أسلموا، فرد عليهم أسراهم وأحسن جوائزهم، وأقاموا مدة يتعلمون فيها القرآن، ويتفقهون في الدين.

### ثالثاً: وفد طيئ

س: لماذا قدم وفد طيئ، وماذا قال الرسول ﷺ في هذا الوفد؟.

ج: قدم وفد طيئ وفيهم زيد الخيل - وهو سيدهم - فعرض عليهم ﷺ الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم، واسم زيد الخيل: زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب، وفي زيد رئيس وفد طيئ قال ﷺ: «ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني، إلا رأيتُه دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما فيه»، ثم سمى رسول الله ﷺ زيد الخير، وأقطعه «فيداً» وأرضين معه، وكتب له بذلك كتاباً، فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه، فلما انتهى إلى ماء من مياه نجد يقال له (فردة) أصابته الحمى بها فمات فعمدت امرأته إلى ما كان معه من الكتب التي أقطع له بها رسول الله ﷺ فحرقتها<sup>(١)</sup>.

(١) ابن هشام: (٤/٢٩٦)، ابن سعد: (١/٣٢١)، وفيداً: اسم مكان قرب جبل سلمى في بلاد طيئ.

## رابعاً: وفد عبد القيس

س: من هو رئيس وفد عبد القيس، ولماذا قدم هذا الوفد؟.

ج: قدم على رسول الله ﷺ الجارود<sup>(١)</sup> العبدي في وفد عبد القيس، وكان نصرانياً، فقال: يا رسول الله، إني على دين، وإني تارك ديني لدينك، فتضمن لي بما فيه، قال: «نعم أنا ضامن لذلك، إن الذي أدعوك إليه خير من الذي كنت عليه» فأسلم وأسلم أصحابه، فكان حسن الإسلام صلماً في دينه، حتى هلك، وقد أدرك الرّدة، وكان في وفد «الأشج»<sup>(٢)</sup> واسمه المنذر الذي قال له الرسول ﷺ: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»<sup>(٣)</sup>.

## خامساً: وفد بني حنيفة، فيهم مسيلمة

س: لماذا قدم وفد بني حنيفة، ومن كان مع هذا الوفد؟ ولماذا قدموا؟.

ج: في «الصحيحين» من حديث نافع بن جبير عن ابن عباس قال: قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ المدينة فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل النبي ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد النبي ﷺ قطعة جريد، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: «إن سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدوا أمر الله فيك، ولن أدبرت ليعقرنك الله، وإني أراك الذي رأيت فيه ما رأيت، وهذا ثابت بن قيس يحبك عني» ثم انصرف.

(١) اسمه: بشر بن عمرو بن المعلّى، كان نصرانياً، وسمي الجارود؛ لأنه أغار على قوم من بني بكر فجردهم مما معهم.  
(٢) عندما وصل الوفد إلى المدينة: أخذوا يتسابقون من على رحلهم ويقبلون على رسول الله ﷺ إلا الأشج فقد تأخر حتى أناخ رواحلهم وجمع متاعهم ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له «إن فيك خصلتان يحبهما الله الحلم والأناة» فقال: يا رسول الله هل هما خصلتان تخلقت بهما أم فطرنى الله عليهما؟ قال: «بل فطرك الله عليهما».  
(٣) مسلم: (٤٦/١ - ٤٩ ح/٢٣٧١)، ابن هشام: (٥٧٥/٢)، أحمد: (٨٠/٥) الترمذي: (١٨٨٢).

قال ابن عباس: فسألت عن قول الرسول ﷺ «وَأَنْتَ الَّذِي رَأَيْتَ فِيهِ مَا أَرَيْتَ» فأخبرني أبو هريرة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سَوَارِينَ مِنْ ذَهَبٍ فَأَهْمَنِي شَأْنُهُمَا، فَأَوْحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْفَخْتُهُمَا؛ فَانْفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوْلَتْهُمَا: كَذَّابِينَ يَخْرُجَانِ بَعْدِي، فَهَذَا هُمَا: الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ - صَاحِبُ صَنْعَاءَ، وَالْآخَرُ مَسِيلِمَةُ الْكَذَّابِ صَاحِبُ الْيَمَامَةِ»<sup>(١)</sup>. وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَيْتُ بِخَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوَضَعْتُ فِي يَدَيَّ سَوَارِينَ مِنْ ذَهَبٍ فَكَبَّرَا عَلَيَّ وَأَهْمَانِي، فَأَوْحِيَ إِلَيَّ أَنْ انْفَخْتُهُمَا، فَانْفَخْتُهُمَا فَذَهَبَا، فَأَوْلَتْهُمَا الْكَذَّابِينَ الَّذِينَ أَنَا بَيْنَهُمَا صَاحِبُ صَنْعَاءَ وَصَاحِبُ الْيَمَامَةِ»<sup>(٢)</sup>.

س: ماذا كتب مسيلمة للرسول ﷺ؟ وبماذا أجابه ﷺ؟

ج: كتب مسيلمة بعد عودته مع وفد بني حنيفة كتاباً، وبعث به لرسول الله ﷺ، قال فيه: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أمّا بعد فإنّي أشركت في الأمر معك، وإنّ لنا لنصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قریشاً قوم لا يعدلون، فكتب إليه رسول الله ﷺ: «من محمد رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى، أمّا بعد فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين»، وقال للرجلين الذين أتيا بكتابه: «ما تقولان أنتما؟»، فقالا: نقول كما قال، فقال: «أما والله، لولا أنّ الرسل لا تقتل، لضربت رقابكما»<sup>(٣)</sup> وذلك في آخر سنة عشرة.

(١) البخاري: (٧٠ / ٨)، مسلم: (٢٢٧٣).

(٢) البخاري: (٧٠ / ٨)، (١٢ / ٣٦٨ - ٣٦٩)، مسلم: (٢٢٧٤).

(٣) أحمد: (٤٨٧ / ٣)، أبو داود: (٢٧٦١).



وهو مسيلمة بن حبيب الحنفي، واسمه الصحيح - مسلمة -، وقد صغر في الإسلام، ازدراء بشأنه، فقد روي أنه صنع قرآناً مضاهية للقرآن وذكر إن في حقه نزلت الآية: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٣﴾ [الأنعام]، فقد ذكر علماء التفسير أن عبارة: ﴿ أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ نزلت في مسيلمة أخي بني عدي بن حنيفة، فيما كان يسجع ويتكهن به، ومن قال: ﴿ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ نزلت في عبد الله ابن سعد بن أبي السرح، أخي بني عامر بن لؤي، وقد سبق ذكره فيمن أهدر دمهم النبي ﷺ يوم الفتح، كان يكتب للنبي ﷺ، وكان فيما يملي: عزيز حكيم، فيكتب: غفور رحيم فيغيره، ثم يقرأ عليه كذا وكذا لما حوّل، فيقول: نعم سواء، فرجع عن الإسلام ولحق بقريش، وقال لهم: لقد كان ينزل عليه عزيز حكيم، فأحوّله، ثم أقول لما أكتب، فيقول: «نعم سواء».

**س: اذكر بعض نيروجات مسيلمة، وما كان له من الآيات المنكوسة؟.**

ج: وذكر أهل الأخبار أن مسيلمة كان صاحب «نيروجات» وتمويه واحتيال، يدعي المعجزات والآيات، وأنه أول من أدخل البيضة في القارورة، وأول من وصل جناح الطائر المقصوص، وكان يدعي أن ظبية تأتيه من الجبل فيحلب لبنها.

وقد جربه قوم، فوجدوا آياته منكوسة:

تفل في بئر قوم سألوه ذلك تبرگًا، فملح ماءؤها، ومسح رأس صبي فقرع قرعًا فاحشًا، ودعا لرجل في ابنين له بالبركة، فرجع إلى منزله، فوجد أحدهما قد سقط في البئر والآخر قد أكله الذئب، ومسح على عيني رجل استشفى بمسحه

فابيضت عيناه، ومسح وجه أبا بصير، وهو صبي من بني يشكر بن وائل، وكانوا أتوا به مسيلمة، فعمي، فكني أبا بصير، وكان يروي عنه أن امرأة من بني حنيفة، تكنى بأُم الهيثم أته، فقالت: إن نخلنا لسُحِق وإن آبارنا لجرز، فادع الله لمائنا ولنخلنا، كما دعا محمد لأهل هزمان، فدعا بسجل، ودعا لهم فيه، ثم تَضَمَّضَ بفمه منه، ثم مجه فيه، فانطلقوا به حتى أفرغوه في تلك الآبار، ثم سقوه نخلهم، فغارت مياه تلك الآبار، وخوى نخلهم، وقد ذكر الطبري هذه الملاحظة: وإنما استبان ذلك بعد مهلكه.

وروى الطبري، أخبارًا أخرى من هذا النوع، ذكر أن نهارًا قال له: بَرَك على مولودي حنيفة، فقال له: وما التبريك؟، قال: كان أهل الحجاز إذا ولد فيهم المولود أتوا به محمدًا فحنكه، ومسح رأسه، فلم يؤت مسيلمة بصبي فحنكه ومسح رأسه إلا قرع ولثغ.

وذكر أن نهارًا قال له: تَوْضَأُ وَأَعْطِ وضوءك إلى أصحاب الحيطان، أي: البساتين كما يفعل محمد، فأعطى أحدهم وضوءه، فسقى به حائطه، فبست أشجاره، وصارت الأرض يبابًا لا ينبت مرعاها، وأعطى مسيلمة رجلًا سجالًا من ماء، وكانت أرضه سبخة، فأفرغه في بثره، فغرقت أرضه، فما جف ثراها، ولا أدرك ثمرها.

وقد عرف مسيلمة بين أتباعه برسول الله، وكانوا يتعصبون له، ويؤمنون به إيمانًا شديدًا.

#### س: كيف كانت نهاية كل من مسيلمة الكذاب والأسود العنسي؟.

ج: بعد رجوع وفد بني حنيفة لم يلبث مسيلمة إلا يسيرًا ثم ادَّعى النبوة، وادعى أنه أشرك في الأمر مع النبي ﷺ، ولفق السجعات كما سبق، وأحل لقومه الخمر والزنا، وافتتن به قومه، وتفاقم أمره، حتى توفي رسول الله ﷺ

وهو على ذلك، فازداد قومه افتتانه به، فأرسل إليه أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الجيوش بقيادة خالد بن الوليد، فجرت بينه وبين المسلمين حروب شديدة، قتل فيها مسيلمة ومعظم جنوده، وقضى على فتنته، وكان الذي قتله وحشي بن حرب قاتل حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أما الكذاب الثاني الذي أريه النبي ﷺ فهو الأسود العنسي، فقد ظهر الأسود العنسي من بلدة كهف حنان في سبعمائة مقاتل، يدعي لنفسه النبوة والأمر، وتقدم إلى صنعاء واحتلها، ثم تفاقم أمره، واشتدت فتنته، وقوي ملكه، واستمر ذلك ثلاثة أشهر أو أربعة، ثم احتال عليه جماعة من الفرس الذين قد أسلموا، على رأسهم فيروز الديلمي، فقتله فيروز، واحتز رأسه، ورماه خارج الحصن، فانهزم أصحابه، وظهر الإسلام وأهله، وكان قتله قبل وفاة الرسول ﷺ بيوم وليلة، فأتاه الوحي، فأخبر به أصحابه، ثم وصل الكتاب في زمن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكانت هذه نهاية الكذابين مسيلمة في اليمامة، والأسود العنسي في اليمن.

سادساً: وفد بني عامر، وقصة عامر بن الطفيل، وأريد بن قيس.

س: لماذا قدم وفد بني عامر، ومن كان مع الوفد؟ وما قصة عامر بن الطفيل وأريد بن قيس؟

ج: كان من ضمن الوفود التي وفدت على الرسول ﷺ رغبة في الإسلام، وفد بني عامر وكان فيهم: عامر بن الطفيل، وأريد بن قيس بن جزء، وجبار بن سلمى وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم.

تدبير الغدر بالرسول ﷺ

وكان قدوم عامر بن الطفيل على رسول الله ﷺ وهو يريد الغدر به، وقد قال له قومه: يا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم، فأبى الإسلام ثم قال لأريد: إذا قدمنا على الرجل، فإنني سأشغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعله

بالسيف، فلما قدما على رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل: يا محمد خالني<sup>(١)</sup>، قال: «لا والله حتى تؤمن بالله وحده» قال: يا محمد خالني، وجعل يشاغل رسول الله ﷺ وينظر إلى أربد لعله يفعل ما أمره به، فجعل أربد لا يحرك شيئاً، ثم أخذ يكرر الطلب إلى رسول الله ﷺ رغبة في أن يخاليه - يتحدث إليه منفرداً - والرسول ﷺ يرفض حتى يؤمن عامر، فلماً يئس من ذلك قال: أما والله لأملأها عليك خيلاً ورجالاً، فلماً ولى قال رسول الله ﷺ: «اللهم اكفني عامر بن الطفيل» فلما خرجا من عنده قال عامر لأربد: ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك، وإيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً، قال: لا أبالك، لا تعجل عليّ والله ما هممت بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلت بيني وبين الرجل، حتى ما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف؟.

وعندما خرجوا راجعين إلى بلادهم، أصاب عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول، فجعل يقول: يا بني عامر أعدة كغدة الإبل، وموتاً في بيت سلولية.

ولما قدم أربد على قومه بني عامر قالوا له: ما وراءك يا أربد؟، قال: لا شيء والله، لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالنبل فأقتله، فخرج بعد مقاتله بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه، فأرسل الله عليه وعلى جملة صاعقة فأحرقتهما، وكان أربد بن قيس أخا للبيد بن ربيعة لأمه<sup>(٢)</sup>. وفي أربد نزل قوله تعالى: ﴿لَهُ مَعْجَبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۗ وَمَا لَهُم مِّنْ دُونِهِ مِن وَّالٍ ۗ هُوَ الَّذِي

(١) خالني بالتخفيف: تفرد لي خالياً حتى أتحدث معك، وبتشديد اللام: اتخذني خليلاً وصاحباً من المخالاة وهي الصداقة.

(٢) انظر: البخاري: الفتح (١٥ / ٢٦٨.٢٦٩ ح / ٤٠٩١)، ابن كثير: التاريخ: (١٥ / ٦٨ - ٦٩).

يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسْبِغُ الرِّعْدَ بِحَمْدِهِ  
وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ  
شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ [الرعد].

سابعاً: قدوم جرير بن عبد الله البجلي

س: متى قدم جرير بن عبد الله البجلي، وماذا قال الرسول ﷺ حين قدومه؟.

ج: قدم جرير بن عبد الله البجلي في وفد بجيلة في رمضان من السنة العاشرة في مائة وخمسين رجلاً من قومه، ويذكر أنه حينما دخل المدينة كان رسول الله ﷺ يخطب في المسجد، وذكره الرسول ﷺ في خطبته قبل أن يدخل عليهم المسجد، فقال: «يدخل عليكم من هذا الباب - أو من هذا الفج - من خير ذي يمن إلا أن علي وجهه مسحة ملك»، فأسلم على يدي الرسول ﷺ وباعه وأكرمه الرسول ﷺ بأن ألبسه حلته وقال: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»<sup>(١)</sup>. وقال رسول الله ﷺ يوماً لجرير: «ألا تريحني من ذي الخلصة؟» فشكا إليه أنه لا يثبت على الخيل، فضرب بيده على صدره وقال له: «اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً»، فلم يسقط بعد ذلك عن فرسه. وذهب جرير إلى ذي الخلصة في مائة وخمسين من قومه، فأحرقه وهدمه، وأرسل إلى رسول الله ﷺ يبشره بذلك، فدعا له الرسول ﷺ.

ثامناً: وفد دوس وفيهم «الطفيل بن عمرو»

س: متى قدم وفد دوس؟ ومن هو رئيس هذا الوفد؟ وما قصة إسلامه؟.

ج: يذكر ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> أن الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة بعد بعثة رسول الله ﷺ فمشى إليه رجل من قريش - وكان الطفيل رجلاً

(١) أحمد: الفتح: (٢١٦/٢١) البخاري: الفتح: (١١/١٤٠/ح/٢٧١٤-٢٧١٥)، مسلم: (١/٧٥/ح/٥٦).

(٢) ابن هشام: (٢/٥٢-٢٩).

شريفًا شاعرًا لبيبًا - فقالوا له: إنَّ الرجل - يقصدون الرسول ﷺ - فرق جماعتنا وشتت أمرنا، وإنَّما قوله كالسحر يفرق بين المرء وابنه، وبين المرء وزوجه، وإنَّما نخشى عليك وعلى قومك ما قد حلَّ علينا، فلا تكلمه، ولا تسمع منه شيئًا، قال: فما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئًا ولا أكلمه، وحشوت أذنيَّ إذا غدوت إلى المسجد كُرْسُفًا<sup>(١)</sup> حتى لا أسمع منه شيئًا.

فدخلت المسجد فوجدت النبي ﷺ قائمًا عند الكعبة يصلي فقممت قريبًا منه، فأبى الله ألا أن يسمعني بعض قوله، فسمعت منه كلامًا حسنًا، فقلت في نفسي: والله إنِّي لرجل لبيب شاعر، ما يخفى عليَّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟، فإن كان حسنًا قبلت، وإن كان قبيحًا تركت، فمكثت حتى دخل رسول الله داره، فتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إنَّ قومك قالوا لي كذا وكذا، فوالله ما برحوا يخوفونني حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثمَّ أبى الله إلا أن يسمعني، فسمعت قولًا حسنًا فاعرض أمرك، إلى أن عرض ﷺ عليه الإسلام وتلا عليه القرآن، حتى أسلم وشهد شهادة الحق، ثمَّ قال للرسول ﷺ: إنِّي امرؤ مطاعٌ في قومي، وإنِّي راجع إليهم فداعيتهم إلى الإسلام، فادع الله لي أن يجعل لي آية تكون عونًا لي عليهم فيما أدعوهم إليه، فكان أن جعل الله له نورًا في رأس سوطه، وعندما عاد إلى قومه كان أول من أسلم والده وأمه، وتأخرت دوس في إسلامها، فعاد إلى الرسول ﷺ فطلب منه أن يدعوا الله عليهم، ولكن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ اهد دوسًا، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم»<sup>(٢)</sup> ثم رجع إليهم وأخذ يدعوهم إلى الإسلام إلى ما بعد غزوة الخندق، فقدم بمن

(١) الكُرْسُف: القطن.

(٢) البخاري: الفتح: (١٦ / ٢٢٧ / ح / ٤٣٩٢)، مسلم: (٤ / ١٩٥٧ / ح / ٢٥٢٤).

أسلم من قومه على الرسول ﷺ وهو بخيبر، وهم نحو من سبعين أو ثمانين بيتاً من دوس.

ثمَّ لحقوا بالرسول ﷺ بخيبر؛ فأسهم لهم مع المسلمين، فلم يزل مع الرسول ﷺ حتى بعثه بعد فتح مكة إلى صنم ذي الكفين صنم عمرو بن حممة الدوسي، فأحرقه<sup>(١)</sup>، ثم قتل شهيداً باليامة.

**س: هل هناك وفود خلاف ما ذكرنا؟.**

**ج:** هذه بعض وفود العرب إلى الرسول ﷺ ليبايعوه على الإسلام، وكان قدومهم خلال السنة التاسعة والعاشره أتوا إلى الرسول ﷺ أفواجا فدخلوا في دين الله، إلا أن هناك عدداً كبيراً من الوفود لم نذكرها هنا لكثرتها، حيث بلغت ما يقارب المائة وفد، ولكننا اكتفينا هنا بما ذكر؛ لأن المجال لا يتسع لذكرها جميعاً.

**س: اذكر أهم الأحكام والعبر والفوائد من أخبار الوفود؟.**

**ج:** يمكن أن نستخلص من أخبار هذه الوفود من الأحكام والفوائد والعبر ما يلي:

١- إنَّ في أخبار وفود هذه القبائل على الرسول ﷺ لدليل واضح على مدى انتشار الإسلام في الجزيرة العربية في حياة الرسول ﷺ وتوحيد الجزيرة العربية تحت راية واحدة هي راية الإسلام.

٢- إنَّ في تدفق هذه الوفود على المدينة لدليل على وفاء الله بوعده النصر-الذي وعده نبيه.

٣- إنَّ من حسن سياسة الإسلام وأدبه وأخلاقه احترام ممثلي الشعوب أو القبائل وإكرامهم، وذلك بدليل ما كان يفعله الرسول ﷺ مع الوفود من

(١) ابن سعد: (٢ / ١٥٧)، الوافدي: (٢ / ٩٢٢ - ٩٢٣).

الضيافة وحسن الاستقبال وإجزال العطاء.

٤ - جواز إنزال المشرك المسجد إذا كان يرجى إسلامه وهدايته، فقد استقبل الرسول ﷺ وقد ثقيف في المسجد، كما استقبل وفد نجران وهم نصارى بالمسجد.

٥ - إن الإمام يأتي بنفسه إلى من قدم إليه يريد لقاءه من الكفار.

٦ - إن الرسول ﷺ لا يقتل الرسول ولو كان مرتدًا؛ كما في قصة رسولي مسيلمة وهذه هي السنة.

٧ - إن الإمام ينبغي له أن يستعين برجل من أهل العلم ليحجب عنه أهل الاعتراض والعناد، حيث أمر النبي ﷺ ثابت بن قيس بأن يحجب عنه في أكثر من موقف.

٨ - جواز مكاتبة الإمام لأهل الردة إذا كان لهم شوكة، ويخاطبهم بسلام على من اتبع الهدى، كما فعل ﷺ مع مسيلمة الكذاب.

### حجة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

س : متى كانت حجة أبي بكر، ولماذا خرج، وكم عدد الصحابة الذين خرجوا معه، وما نزل من القرآن في هذه الحجة، وما سبب بعث النبي ﷺ علياً إلى الحج؟.

ج: كان خروج أبي بكر الصديق في أواخر ذي القعدة، وقيل: في أوائل ذي الحجة من السنة ٩ هـ، بعد عودة النبي ﷺ من تبوك، وقد بعثه رسول الله ﷺ أميراً على الحج تلك السنة، ليقوم للناس حجهم فخرج أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى مكة<sup>(١)</sup> ومعه ثلاثمائة من الصحابة، وبعث معه رسول الله ﷺ عشرين بدنة، قلدها وأشعرها بيده، ومع أبي بكر خمس بدنان<sup>(٢)</sup>، وعندما فصل الحجاج عن

(١) البخاري: الفتح (١٦ / ٢٠٤ / ح / ٤٣٦٣)، مسلم: (٢ / ٩٨٢ / ح / ١٣٧٤).

(٢) ابن سعد: (٢ / ١٦٨).



المدينة نزلت سورة براءة، فبعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب بصدرها ليعلنها على الناس في يوم النحر بمنى، قال تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١) فسيحوا في الأرض أربعة أشهر وأعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين (٢) وأذن من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله، فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم (٣) إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين (٤) فإذا انسح الشهر الحرام فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم وأحضرهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم (٥) [التوبة].

وعندما رأى أبو بكر علياً قال له: أمير أم مأمور؟، فقال: بل مأمور، ثم مضيا وكان رهط من الصحابة منهم أبو هريرة يساعد علياً في النداء، بآيات براءة التي طلب منه الرسول ﷺ تبليغها للناس، ويعلمون في الناس أمر رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فإن أجله أو أمده إلى أربعة أشهر، فإذا مضت الأربعة الأشهر، فإن الله بريء من المشركين ورسوله» (١).

وذكر بعض العلماء سبب بعث النبي ﷺ علياً ليقراً صدر سورة براءة على الناس في الحج، ويعلمهم بأمر رسول الله ﷺ في ذلك، هو: أن العرب تعارفوا فيما بينهم في عقد العهود ونقضها أن لا يتولى ذلك إلا سيدهم، أو رجل من رهطه، فبعث علياً دفعا للعلة ولئلا يقولوا: هذا خلاف ما نعرفه فينا في إلغاء العهد (٢).

(١) البخاري: الفتح (١٦ / ٢٠٤ / ح / ٤٣٦٣)، مسلم: (٢ / ٩٨٢ / ح / ١٢٣٧).

(٢) ابن هشام: (٤ / ٢٥٦)، أحمد: الفتح الرباني (٢١ / ٢١٢).

## وفاة عبد الله بن أبي بن سلول

س : متى كانت وفاة عبد الله بن أبي بن سلول، وهل صلى عليه الرسول ﷺ، وما موقف

عمر بن الخطاب منه، وماذا نزل فيه من القرآن؟.

ج: مات عبد الله بن أبي بن سلول في ذي القعدة من السنة التاسعة للهجرة، وقد صلى عليه الرسول ﷺ وشيع جنازته حتى وقف على قبره، وإنما فعل ذلك تطييباً لقلب ولده عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول، وتأليفاً لقلوب الخزرج لمكانة عبد الله بن أبي فيهم، وقد نزع ربقة النفاق كثير من المنافقين بعد هذا اليوم.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول، دُعِيَ رسول الله ﷺ للصلاة عليه، فقام إليه، فلما وقف عليه يريد الصلاة، تحولت حتى قمت في صدره، فقلت: يا رسول الله، أتصلي على عدو الله عبد الله بن أبي بن سلول؟، القائل كذا وكذا، والقائل كذا يوم كذا؟ فكنت أعدد أيامه ورسول الله ﷺ يتسم، حتى إذا أكثرت قال: «يا عمر أحر عني قد خيرت فاخترت، قد قيل: لي استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر له سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت»، ثم صلى عليه رسول الله ﷺ، ومشى معه حتى قام على قبره، حتى فرغ منه.

فعجبت لي ولجراتي على رسول الله ﷺ، والله ورسوله أعلم، فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت الآية الكريمة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّا تَابَ إِلَّا تَقَمُّ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٨٤) [التوبة]، فما صلى رسول الله ﷺ بعده على منافق، حتى قبضه الله.

## حجة الوداع

س: متى كانت حجة الوداع، ولماذا سميت بهذا الاسم، وكيف خرج الرسول ﷺ لهذا الحج؟.

ج: عزم رسول الله ﷺ على الحج، وأعلم الناس أنه حاج فتجهزوا وذلك في شهر ذي القعدة سنة عشرة للهجرة، وسمع بذلك من حول المدينة، فقدموا يريدون الحج مع رسول الله ﷺ ووافاه في الطريق خلق كثير، فكانوا من بين يديه، ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله مد البصر.

وخرج من المدينة نهاراً بعد الظهر لأربع ليال بقين من ذي القعدة، يوم السبت بعد أن صلى بهم الظهر أربعاً، وخطب فيهم خطبة قبل ذلك علمهم فيها الإحرام وواجباته وسننه<sup>(١)</sup>، ثم سار وهو يقول: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»، ثم واصل سيره حتى قرب مكة فبات بنذي طوى، ثم دخل مكة بعد أن صلى الفجر واغتسل من صباح يوم الأحد، لأربع ليال خلون من ذي الحجة سنة ١٠هـ، وقد أمضى في طريقه ثمان ليال وهو متوسط المسافة بين المدينة ومكة، فلما دخل المسجد الحرام طاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، ولم يحل إحرامه؛ لأنه كان قارئاً قد ساق معه الهدى، فنزل بأعلى مكة عند الحجون، وأقام هناك يوم الأحد، والإثنين، والثلاثاء، والأربعاء، وليلة الخميس، ولم يعد إلى الطواف غير طواف الحج<sup>(٢)</sup>.

وقد أمر أصحابه ممن لم يكن معه الهدى أن يحل من إحرامه ويجعلوها عمرة فيطوفوا ويسعوا ثم يحلوا إحلالاً تاماً، فترددوا، فقال: «لو استقبلت من أمري ما

(١) ابن حجر، فتح الباري: (٨ / ١٠٤).

(٢) مسلم: (٢ / ١٢٣٠).

استدبرت ما أهديت ولولا أنَّ معي الهدي لأحللت»، فحل من لم يكن معه الهدي، وسميت حجة الوداع لأنَّه لم يحج بعدها، وقيل: لأنه ودع الناس فيها، ولم يحج الرسول ﷺ من المدينة غير حجته هذه، وعرفت بحجة البلاغ، وحجة الإسلام، وحجة الوداع.

س: ماذا فعل ﷺ في اليوم الثامن وما بعده واذكر شيئاً من خطبه التي خطب بها الناس؟.

ج: وفي يوم الخميس الثامن من ذي الحجة - يوم التروية - توجه ﷺ إلى منى، فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر - خمس صلوات - ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس من يوم الجمعة، فأجاز حتى أتى عرفة، فنزل بنمرة حتى إذا زالت الشمس أمر بناقته القصواء فرحلت له، فأتى بطن الوادي، وقد اجتمع له أكثر من مائة ألف من الناس، وألقى خطبته الجامعة ومنها: «أيها الناس، اسمعوا قولي، فإنِّي لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، بهذا الموقف أبداً، إنَّ دماءكم وأموالكم حرامٌ عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإنَّ أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث - كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل - وربا الجاهلية موضوعة، وأول ربا أضع من ربانا ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوعة كله.

فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهنَّ ألا يوطئن فرشكم أحدٌ تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهنَّ ضرباً غير مبرح، ولهنَّ عليكم رزقهنَّ وكسوتهن بالمعروف.

وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعد إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد إنك قد بلغت رسالات ربك، وأديت، ونصحت لأمتك، وقضيت الذي عليك، فقال: «اللهم أشهد» ثلاث

مرات<sup>(١)</sup>، وقد بين في خطبته هذه عدة أمور، فلما فرغ ﷺ من إلقاء خطبته نزل عليه قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة] (٢).

فكان يوم نعمة وسعادة وشكر، وأذن بلال بعد الخطبة، ثم أقام فصلى الرسول ﷺ بالناس الظهر والعصر - قصرًا، جمعهما في وقت الظهر جمع تقديم، ولم يصل بينهما شيئًا، ثم أتى إلى الموقف وجعل بطن ناقته إلى الصخرات، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفًا حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً، ثم دفع بالناس حتى أتى مزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء، بأذان وإقامتين ولم يسبح بينهما، ثم اضطجع حتى طلع الفجر، فصلى الفجر مبكرًا، ثم أتى المشعر الحرام، ثم دفع إلى منى قبل أن تطلع الشمس حتى أتى الجمرة الكبرى، فرماها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة منها ولم يزل يلبي حتى رمى الجمرة، فلما رماها قطع التلبية ووقف عند هذه الجمرة يقول: «خذوا عني مناسككم فلعلي لا أحج بعد عامي هذا» ثم أتى منزله بمنى فنحر ثلاثاً وستين بدنة بيده، ثم نحر عليُّ بقية المائة، وهي سبع وثلاثون بدنة، ثم أمر من كل بدنة ببضعة، ثم لبس ثيابه، وتطيب قبل أن يطوف، ثم ركب حتى أتى البيت، فطاف طواف الإفاضة، ولم يسعى بين الصفا والمروة، وصلى الظهر، وذهب إلى زمزم فشرب منها، ثم رجع إلى منى فمكث بها ليلي التثريق، الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر، من ذي الحجة، يرمي الجمرات الثلاث كل يوم إذا زالت الشمس، يبدأ بالجمرة الصغرى، ثم الوسطى، ثم الكبرى، وقد خطب ﷺ خطبة يوم النحر

(١) مسلم: (٢ / ٨٨٩ - ٨٩٠ ح / ١٢١٨)، ابن هشام: (٢ / ٦٠٣).

(٢) البخاري: (١ / ٨٠٧)، (٢٠٣)، مسلم: (٣٠١٧).

ثم أواسط أيام التشريق، أكد فيها ما سبق في خطبة يوم عرفة، وزاد عليها ونزلت عليه سورة النصر في أواسط أيام التشريق قبل الخطبة.  
وقال في بعض خطبه في تلك الحجة: «ويلكم -أو- ويحكم انظروا لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض» وقال: «إنَّ الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم هذه، ولكنَّه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك ممَّا تحقرون من أعمالكم، فاحذروا أيها الناس»<sup>(١)</sup>.

وفي يوم الثلاثاء، وهو يوم النفر الثاني - الثالث عشر من ذي الحجة - نفر النبي ﷺ من منى، فنزل بخيف بني كنانة<sup>(٢)</sup> من الأبطح، وأقام هناك بقية يومه ذلك وليلته، وصلى هناك الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وبعث عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مع أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر ليعمرها من التنعيم، فأحرمت وقضت عمرتها، ثم جاءته بالأبطح وقت السحر، ثم رقد رقدة، ثم ركب إلى البيت من ليلة الأربعاء، فطاف به طواف الوداع، وكان قد أمر الصحابة بذلك أيضًا<sup>(٣)</sup>، وكانت مدة إقامته بمكة منذ دخلها إلى أن وجه راجعًا إلى المدينة عشرة أيام، فلما أتى الخليقة بات بها، فلما رأى المدينة كبر ثلاثًا، وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آيئون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون، صدق وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» ثم دخل المدينة نهارًا ليستأنف دعوته وكفاحه ﷺ.

(١) البخاري: الفتح (١٦ / ١٣٣ / ح / ٤٤٠٣)، مسلم: (١ / ٨٢ / ح / ٦٥ - ٦٦).

(٢) مسلم: (١٣١٣).

(٣) البخاري: (٣ / ٣٨٩ - ٣٩٠).

س: اذكر بعض الأحكام والدروس والعبر من حجة الوداع؟.

ج: يمكن الإشارة فيما يلي إلى أهم الأحكام والعبر من حجة الوداع:

١- أراد النبي ﷺ أن يتعلم الناس منه كيفية أداء الركن الخامس من أركان الإسلام بعد أن حرّم التقاليد الجاهلية المتوارثة أيام الحج من تصدية و صفير وعري أثناء الطواف.

٢- أراد أن يلتقي في هذه الحجة بالمسلمين الذين تقاطروا إليه من كل مكان، ويلخص لهم تعاليم الإسلام وشرائعه، وتحميلهم أمانة التبليغ إلى من لم تبلغه من البشر. في كل أصقاع الأرض في الحاضر والمستقبل، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

### سرية أسامة بن زيد إلى الشام

س: متى كانت سرية أسامة بن زيد، ولماذا خرجت هذه السرية، وماذا وقع فيها من خلاف؟.

ج: رجع النبي ﷺ من حجة الوداع في أواخر ذي الحجة من العام العاشر، وفي أواخر صفر من العام الحادي عشر. ندب الرسول ﷺ الناس لغزو الروم بالبلقاء وفلسطين وفيهم كبار المهاجرين والأنصار<sup>(١)</sup>.

وفي يوم الإثنين لأربع بقين من شهر صفر جهز عليه الصلاة والسلام جيشاً وأمر عليه أسامة بن زيد، إلى أبني - موضع قرب مؤتة - حيث قتل زيد ابن حارثة والد أسامة وقال له: «سر إلى موضع قتل أبيك، فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش، فأغر صباحاً على أهل أبني، وحرقت عليهم، وأسرع السير، والطلائع معك لتسبق الأخبار، فإن أظفرك الله عليهم فأقلّ اللبث فيهم، وخذ الأدلة وقدم

(١) أحمد: المسند (٤ / ٨٠ - ٨٢)، الطبراني: الكبير (٢ / ١٣٠ - ١٣١).

العيون»، فطعن بعض الناس في إمارة أسامة، فلما بلغ ذلك الرسول ﷺ غضب غضباً شديداً، وخرج عاصباً رأسه - وكان قد بدأ به الوجع - فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس، أنفذوا بعث أسامة، فإن طعتم في إمارته فقد طعتم في إمارة أبيه، وإيم الله إن كان لخليق للإمارة، وإن كان أبوه لمن أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ من بعده»، ثم نزل<sup>(١)</sup>.

وكان سبب الطعن في إمارة أسامة لكونه صغير السن، إذ كان ابن ثمان عشرة سنة، وأخذ الناس يلتفون حول أسامة، وينتظمون في جيشه، حتى خرجوا ونزلوا الجرف، على فرسخ من المدينة، إلا أن الأخبار المقلقة عن مرض رسول الله ﷺ جعلت الجيش يترث، وظل معسكراً بالجرف، ورجع إلى المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ ثم أنفذه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما استخلف وكان عدده ثلاثة آلاف.

#### فائدة

مما سبق يظهر لنا فضل أسامة بن زيد وأبيه زيد ومكانتهما عند الرسول ﷺ فلا صغر السن ولا الرق القديم الذي وقع على أبيه منع رسول الله من أن يجعله أميراً على جيش فيه عامّة الصحابة في غزوة كبرى، وهكذا حطمت الشريعة قيم الجاهلية، ومقاييسها التي كانوا يتعاملون بها.

(١) ابن هشام: (٢ / ٢٥ - ٢٩).



## من أحوال النبي ﷺ الشخصية

س: اذكر بعض أحوال النبي ﷺ؟

ج: كان لرسول الله ﷺ أحوال شخصية في مأكله ومشربه وملبسه وغير ذلك، وهي تدل على عفاه وبعده عن زخارف الدنيا، فقد أتينا على شيء منها لإتمام الفائدة:

شرابه ﷺ:

أما شرابه ﷺ فكان يستعذب له الماء وكان يشرب العسل الممزوج بالماء البارد، وقالت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كان أحب الشراب إليه ﷺ الحلو البارد.

وكان ﷺ يشرب اللبن خالصا تارة، وتارة مشوبا بالماء البارد، وكان يتنفس في شرابه ثلاثا ثلاثا ويقول: إنه أروى وأمرى وأبرد. وكان تنفسه خارج الإناء، فإذا تنفس عاد إلى الشرب.

لباسه ﷺ:

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: كان ﷺ قد اقتصر منه على ما تدعوه ضرورته إليه وزهد فيما سواه، فكان يلبس ما وجدته، فيلبس في غالب أحواله الشملة والكساء الخشن والأردية والأزر، ويُقسم على من حضره أقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر.

وقال ﷺ: «إن كرامة المؤمن على الله ﷻ نقاوة ثوبه ورضاه باليسير»، ورأى ﷺ رجلاً وسخة ثيابه فقال: «أما وجد هذا شيئاً ينقي به ثيابه»، فقد كانت سيرته ﷺ في ملبسه أتم وأنفع للبدن وأخفه عليه، فإنه لم تكن عمامته بالكبيرة التي يؤذي حملها ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية الرأس من الحر،

والبرد، بل وسطا بين ذلك وكان يدخل منها تحت حنكه. وكان ﷺ لم يطول أكمامه ويوسعها، بل كان كم قميصه إلى الرسغ وهو منتهى الكف عند المفصل ولا يقصره عن هذا، وكان ذيل قميصه وردائه إلى أنصاف الساقين، ولم يتجاوز الكعبين ولم يقصر عن عضلة ساقيه.

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: وأما هذه الأكمام الواسعة الطوال التي هي كالأخراج، وعمائم كالأبراج، فلم يلبسها ﷺ هو ولا أحد من أصحابه، وهي مخالفة لسنته وفي جوازها نظر، فإنها من جنس الخيلاء، انتهى. وكان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص والخبرة - ضرب من البرود فيه حمرة - قال أبو رمثة: رأيت رسول الله ﷺ وعليه بردان أخضران ولبس ﷺ جبة رومية ضيقة الكمين، ولبس ثوبا أبيض. وكان ﷺ يلبس الصوف، وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول: «إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد».

ورأى رسول الله ﷺ رجلا عليه ثوب دون فقال: «هل لك من مال؟» قال: نعم، قال: «من أي المال؟» قال: من كل ما أتى الله من الإبل، والشاء، قال: «فإذا أتاك الله مالا فلير أثر نعمته عليك وكرامته» وقال ﷺ: «إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»، في هذا ما يدل على جواز لبس كل فاخرو نظيف من الثياب والأردية، بل وعلى استحبابه لكل من يستطيع لبس الفاخر من أصحاب المال لقوله ﷺ: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده».

ولبس ﷺ خاتم فضة فيه فص حبشي، وكان يجعل فسه مما يلي كفه، فكان في يده، ثم كان في يد أبي بكر، ثم في يد عمر، ثم كان في يد عثمان حتى وقع في بئر «أريس». رواه الشيخان. وأما السراويل، ففي كون النبي ﷺ لبسها خلاف، وأما الخف، فروى الترمذي عن بريدة أن النجاشي أهدى للنبي ﷺ

خفين ساذجين، فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما. وأهدى دحية الكلبي النبي ﷺ خفين فلبسهما.

وأما النعل فقد لبسه النبي ﷺ، ففي البخاري أن نعل النبي ﷺ كان له قبالات - والقبالات هو السير الذي يكون بين الأصبعين -.

#### فراشه ﷺ:

كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه أدمًا حشوه الليف، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: دخلت عليّ امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ قطيفة مثنية، فبعثت إليّ بفراش حشوه الصوف، فدخل عليّ رسول الله ﷺ فقال: «ما هذا يا عائشة؟» قالت: يا رسول الله، فلانة الأنصارية دخلت فرأت فراشك فبعثت إليّ بهذا، فقال: «رديه يا عائشة فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة<sup>(١)</sup>» قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير فجلست فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره وإذا الحصير قد أثر في جنبه، وإذا أنا بقبضة من الشعير نحو الصاع، وإذا إهاب معلق فابتدرت عيناى، فقال ﷺ: «ما يبكيك يا بن الخطاب؟»، فقلت: يا نبي الله ومالي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك كسرى وقيصر، في الثمار، والأنهار، وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزانتك، قال: «يا بن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا».

(١) السلسلة الصحيحة: (٥ - ٦٣٤ ح/٢٤٨٤)، صحيح الترغيب والترهيب: (٣-١٥٤ ح/٣٢٨٧).

## مرض الرسول ﷺ ووفاته

س: بماذا اتسمت طلائع وداعه ﷺ؟

ج: بعدما بلغ رسول الله ﷺ الرسالة، وأدى الأمانة بدأت طلائع الوداع من الدنيا تتسم في أقواله وأفعاله ﷺ.

ومنها: أنه اعتكف في رمضان من السنة العاشرة عشرين يوماً، وعارضه جبريل القرآن مرتين، فقال لابنته فاطمة: «لا أرى ذلك إلا اقتراب أجلي»، وودع معاذ إلى اليمن فأوصاه، ثم قال: «يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري». فبكى معاذ جزعاً لفراق رسول الله ﷺ، وقال ﷺ في حجة الوداع مراراً: «لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، ولعلي لا أحج بعد عامي هذا»، وكان نزول قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ [المائدة]. وكذلك نزول سورة النصر- إشعاراً بأنه فرغ من مهمته في الدنيا، ولذلك سميت بحجة الوداع، أي: إنه ودع الناس ليتقل إلى ربه، سبحانه وتعالى.

ومنها: في أوائل صفر سنة ١١ هـ خرج ﷺ إلى أحد فصلى على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات، ثم انصرف إلى المنبر فقال: «أنا فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض - أو - مفاتيح الأرض، وإني ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها».

ومنها: أنه ﷺ في أواخر صفر خرج إلى البقيع في جوف الليل، فاستغفر لهم وقال: «إنا بكم لاحقون».

س: متى بدأت شكوى الرسول ﷺ، وأين اشتد به مرضه، وأين مُرِّضٌ؟.

ج: اشتكى رسول الله ﷺ بعد عودته من حجة الوداع، وفي التاسع والعشرين من صفر، من العام الحادي عشر- الهجري شهد ﷺ جنازة في البقيع<sup>(١)</sup>، فلما رجع وهو في الطريق أخذه صداع في رأسه، واشتدت حرارته، حتى أنهم كانوا يجدون سورتها فوق العصابة التي عصب بها رأسه. وفي إحدى الليالي طلب من مولاه أبي مويهبة أن يصحبه في جوف الليل إلى البقيع؛ لأنه أمر أن يستغفر لأهل البقيع، وعندما وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنى لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى». ثم أقبل على أبي مويهبة قائلاً: «يا أبا مويهبة إنني قد أوتيت مفاتيح الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، فخيرت بين ذلك ولقاء ربي والجنة» فقال أبو مويهبة: بأبي أنت وأمي، خذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة»، ثم استغفر لأهل البقيع<sup>(٢)</sup>، ثم انصرف إلى بيت عائشة وازداد به وجعه، وهو يدور على نسائه، حتى اشتد به وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرض في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا<sup>(٣)</sup>، فأذن له، فخرج يمشي بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن العباس، والآخر علي ابن أبي طالب، عاصباً رأسه، تخط قدماه، حتى دخل بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكانت عائشة تقول له عندما رجع من البقيع: وارأساه، فقال ﷺ: «بل أنا والله يا عائشة وراساه»، ثم ثقل عليه الوجع فكان حمى شديدة تتتابه، وكان بدء ذلك

(١) ابن حجر، فتح الباري: (١٦ / ٢٦٠ - ٢٦١).

(٢) ابن هشام: (٤ / ٣٨٥ - ٢٨٦).

(٣) البخاري: الفتح (١٦ / ٢٧٣ - ٢٧٤ / ح ٤٤٤٢).

في أواخر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة، وكانت عائشة ترقيه ﷺ بمعوذات من القرآن.

**س: كم استغرق مرضه ﷺ، ومتى توفاه الله؟.**

**ج:** استغرق مرضه ﷺ قيل: عشرة أيام وقيل: ثلاثة عشرة يوماً، ثم توفاه الله يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، سنة إحدى عشرة من الهجرة، وقد تم له من العمر ثلاثة وستون سنة بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، وربى أمته على تقلد مهام الدعوة وصيانة الدين من التحريف، فقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران].

**س: اذكر بعض أحواله ﷺ قبل وفاته وتوجيهه لأصحابه، وما موقف الصحابة من موته؟.**

**ج:** قبل وفاته ﷺ بخمسة أيام ارتفعت حرارته، واشتد به الوجع، وأغمي عليه، فقال: «أهريقوا علي سبع قرب من آبار شتى، حتى أخرج إلى الناس، فأعهد إليهم»، فأقعدوه وصبوا عليه الماء، حتى قال: «حسبكم حسبكم»، وعند ذلك أحس بخفة فدخل المسجد وهو معصوب الرأس حتى جلس على المنبر وخطب الناس وهم مجتمعون فقال: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»<sup>(١)</sup>، وقال: «لا تتخذوا قبوري وثناً يعبد»<sup>(٢)</sup>.

وقد عرض نفسه ﷺ للقصاص قائلاً: «من كنت جلدت له ظهرًا، فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضًا فهذا عرضي فليستقد منه». وفي «الصحيح» أن ابن عباس وأبا بكر مرًا بمجلس للأنصار، وهم يبكون،

(١) البخاري: الفتح (٣/ ٩٨ - ٩٩)، مسلم: (١٠/ ٤٧٥٦ ح/ ٥٢٩).

(٢) الموطأ: ص (٣٦٥).

فقالا: ما بيكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس رسول الله ﷺ منا، فدخلنا على النبي ﷺ فأخبراه بذلك، فخرج وقد عصب رأسه، فصعد المنبر، ولم يصعده بعد ذلك فحمد الله وأثنى عليه، ثم وصى ﷺ بالأنصار قائلاً:

«أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبي<sup>(١)</sup>، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فأقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم»، وفي رواية أنه قال: «الناس يكثرن، وتقل الأنصار، حتى يكونوا كالمح في الطعام، فمن ولي منكم أمراً يضر فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم»<sup>(٢)</sup>، ثم قال: «إن عبداً خيرَه الله أن يؤتية من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختر ما عنده»، فبكى أبو بكر وقال: فدينك بأبائنا وأمهاتنا فعجبنا له، فقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتية من زهرة الدنيا وبين ما عنده، وهو يقول: فدينك بأبائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا، ثم قال ﷺ: «إن أمنَّ الناس عليَّ في صحبتته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد، إلا باب أبي بكر»<sup>(٣)</sup>، وفي الصحيح عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: اشتد مرض رسول الله ﷺ فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»<sup>(٤)</sup>.

قال الزهري: حدثني أنس بن مالك، قال: «كان يوم الإثنين الذي قبض فيه رسول الله ﷺ خرج إلى الناس، وهم يصلون الصبح، فرفع الستر وفتح

(١) عيبي: موضع سرّي وأمانتي.

(٢) البخاري: الفتح (٣ / ١٣٣ / ح ٤٦٧)، مسلم: (٤ / ١٨٥٤ / ح ٢٣٨٢).

(٣) البخاري: الفتح (٣ / ١٣٣ / ح ٤٦٧)، مسلم: (٤ / ح ٢٣٨٢).

(٤) صحيح البخاري: (١ / ٩٩)، أحمد: الفتح الرباني (٢١ / ٢٢٦، ٢٢٧).

الباب، فخرج رسول الله ﷺ، فقام على باب عائشة، فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم فرحاً به حين رأوه فأشار إليهم، أن اثبتوا على صلاتكم، قال: وتبسم رسول الله ﷺ سروراً، لما رأى من هيئتهم في صلاتهم، وما رؤي أحسن منه هيئة تلك الساعة، قال: ثم رجع، وانصرف الناس، وهم يرون أنه قد فرق من وجعه، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسنع، فتوفي رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى من ذلك اليوم»<sup>(١)</sup>.

قال ابن إسحاق: قال الزهري: حدثني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام عمر، فقال: إن رجلاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وأن رسول الله ﷺ ما مات، ولكنه قد ذهب إلى ربه، كما ذهب موسى بن عمران، قد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل مات، ووالله ليرجعن رسول الله ﷺ بعد حين، كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه قد مات»<sup>(٢)</sup>.

قال: وأقبل أبو بكر حتى نزل باب المسجد حين بلغه الخبر - وعمر يكلم الناس - فلم يلتفت إلى شيء، حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة، ورسول الله ﷺ مسجى في ناحية البيت، عليه برد حيره، فأقبل حتى كشف عن وجهه، ثم أقبل عليه فقبّله، ثم قال: بأبي أنت وأمي، أمّا الموتة التي كتبها الله عليك فقد ذقتها، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً، ثم ردّ البرد على وجهه، وخرج - وعمر يكلم الناس - فقال: على رسلك يا عمر، أنصت، فأبى إلا أن يتكلم، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس فلما سمع الناس كلام أبي بكر أقبلوا عليه، وتركوا عمر، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنه

(١) البخاري: الفتح (١٦ / ٢٧٧ / ح / ٤٤٤٨).

(٢) ابن هشام: (٢ / ٦٥٥).



من كان منكم يعبد محمداً، فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. قال: فوالله لكانَّ النَّاسُ لم يعلموا أنَّ هذه الآية نزلت، قال أبو هريرة: فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعثرت حتى وقعت على الأرض ما تحملاني رجلاي، وعرفت أنَّ رسول الله ﷺ قد مات» (١).

وفي يوم الثلاثاء، وهو اليوم التالي لوفاته ﷺ، غسلوا رسول الله ﷺ في ثيابه ثم كفنوه في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة، ثم حفروا له في حجرة عائشة، وصلى النَّاسُ عليه أرسالاً، يدخلون من باب فيصلون عليه ثم يخرجون من الباب الآخر، لا يؤمهم أحد، وقيل: صلى عليه أولاً بنو هاشم ثم المهاجرون ثم الأنصار ثم النَّاسُ حتى فرغوا، ثم النساء ثم الصبيان ثم العبيد، ثم دفنوه ليلة الأربعاء (٢).

س: اذكر أهم العظات والعبر من وفاته ﷺ.

ج: هذه أهم العظات والعبر:

١ - كفى بالموت عظة وعبرة، لقد شاء الله تعالى أن يكون الموت نهاية كل إنسان مهما طال عمره، ومهما كان موقعه من الحياة، وتلك سنة الحياة كما عبر عنها القرآن ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإَيْنَ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (٣٤) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٣٥) [الأنبياء]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٠) [الزمر].

(١) البخاري: الفتح (١٦ / ٢٧٩ - ٢٨٠ / ح ٤٤٥٢ - ٤٤٥٤).

(٢) انظر: ابن سعد (٢ / ٢٩١)، الطبري: التاريخ (٣ / ٢١٣).

فها هو محمد ﷺ خير البشر، يموت بعد أن عانى من سكرات الموت وآلام المرض، وإذا وعى الناس هذه الحقيقة استشعروا معنى التوحيد، وخضعوا لله الواحد القهار، واستعدوا للموت بالإكثار من العمل الصالح، وطاعة الله وإخلاص العبادة له في كل مجال من مجالات الحياة.

٢- مشروعية الرقية بما ثبت في ذلك، وقد نقل عدد من العلماء الإجماع على مشروعية الرقى إذا اجتمعت ثلاثة شروط: أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، وأن تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بمشيئة الله تعالى.

٣- بيان فضل أبي بكر الصديق عندما أمر الرسول ﷺ أن يؤم الناس وما يتمتع به من رباطة جأش، وقوة أعصاب عند النكبات، لا يتمتع بها صحابي آخر، ظهر ذلك جلياً من موقفه من وفاة الرسول ﷺ، وهذا ما يجعله أولى الناس بخلافة رسول الله ﷺ، وقد أثبت ذلك في حركة الردة في الجزيرة العربية.

٤ - النهي عن اتخاذ القبور مساجد.

### البيت النبوي

#### زوجات النبي ﷺ أمهات المؤمنين رضي الله عنهن

س: اذكر عدد زوجات النبي ﷺ من أمهات المؤمنين؟ وكم عدد من جمع بينهما؟ وكم عدد

اللائي توفي عنهن؟.

ج: تزوج الرسول ﷺ ثلاث عشرة امرأة منهن: خديجة بنت خويلد، وسودة بنت زمعة، وعائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، وزينب بنت جحش بن رثاب، وميمونة بنت الحارث بن حزن، وجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، وصفية بنت حيي بن أخطب، وزينب بنت خزيمة الهلالية، ودخل

بهنَّ جميعاً وجمع بين أحد عشر منهنَّ وتوفي عن تسع<sup>(١)</sup>.

#### أولاً: خديجة بنت خويلد

وهي أوَّل من تزوج ﷺ ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وكان ذلك في سنة خمس وعشرين من مولده، زوجه إياها أبوها خويلد بن أسد، ويقال: أخوها عمرو بن خويلد، وأصدقها الرسول ﷺ عشرين بكرة، فولدت له ولده كلهم إلا إبراهيم، وكانت قبله عند أبي هالة بن مالك، أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم حليف بني عبد الدار، فولدت له هند بن أبي هالة، وزينب بنت أبي هالة، وكانت قبل أبي هالة عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن مخزوم، فولدت له عبد الله وجارية وماتت عن ٦٥ سنة وكان عمرها عندما تزوجت الرسول ﷺ ٤٠ سنة<sup>(٢)</sup>. وتوفيت بمكة في رمضان سنة عشرة من النبوة، ودفنت بالحجون، ولها من العمر ٦٥ سنة.

#### ثانياً: سودة بنت زمعة بن قيس

تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة بن قيس زوجه إياها سليل بن عمرو، ويقال: أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس، كانت من المؤمنات المهاجرات في سبيل الله مع زوجها السكران بن عمرو بن عبد شمس، ابن عم أبيها، الذي مات عنها، توفيت بالمدينة في شوال سنة ٥٤هـ.

#### ثالثاً: عائشة بنت أبي بكر

تزوجها بمكة وهي بنت ست سنين، وبنى بها بالمدينة، وهي بنت تسع سنين<sup>(٣)</sup>، ولم يتزوج بغيرها، زوجه إياها أبو بكر الصديق وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمئة درهم، ولقد رأى الرسول ﷺ في المنام رؤيا حق، أن

(١) ابن حبيب، المحبر ص (٧٧).

(٢) انظر: مسلم: (٤ / ١٨٨٩ ح / ٢٤٣٦)، وابن هشام: (١ / ٢٤٦).

(٣) البخاري: الفتح (١٩ / ٢٢٨ ح / ٥١٣٣)، مسلم: (٢ / ١٠٣٨ ح / ١٤٢٢).

رجلاً يحملها إليه في قطعة من جيد الحرير، فيقول: هذه امرأتك، فيكشف فراها، فيقول: «إن كان هذا من عند الله يمضه»<sup>(١)</sup>.

ومن يقف على سيرة هذه السيدة العظيمة، تأخذ الدهشة لذكائها وفطنتها وغزارة علمها وفقهها وسمو أخلاقها، وسيعلم حينها، لماذا كانت لها تلك المكانة عند رسول الله ﷺ. وتوفيت في ١٧ رمضان سنة ٥٧هـ. وقيل ٥٨هـ ودفنت بالبقيع.

#### رابعاً: زينب بنت جحش الأسدية

زوجه إياها أخوها عبد الرحمن بن جحش وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمئة درهم، وقد كانت قبله عند زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ففيها أنزل الله وتعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب، ٣٧]، وهي ابنة عمه الرسول ﷺ أميمة بنت عبد المطلب وكانت تفتخر على أزواج النبي ﷺ، فتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات، وكان ذلك في شهر ذي القعدة سنة ٥هـ، وكان عمرها خمساً وثلاثين سنة، وكانت من أعبد النساء وأعظمهن صدقة، توفيت في ذي القعدة سنة ٢٠هـ ولها ٥٣ سنة، وكانت أول أمهات المؤمنين وفاة بعد الرسول ﷺ وصلى عليها عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ودفنت بالبقيع.

#### خامساً: أم سلمة بنت أبي أمية

زوجه إياها سلمة بن أبي سلمة ابنها، وأصدقها رسول الله ﷺ فراشاً حشوه ليف، وقدحاً وصحن ومجشة - رحى - وكانت قبله عند أبي سلمة بن

(١) البخاري: الفتح (١٨ / ١٣٩ - ١٤٠ / ح ٤٧٨٧).

عبد الأسد، واسمه عبد الله، فولدت له سلمة، وعمر، وزينب ورقية، وكان زواجه ﷺ بها في شوال سنة ٤هـ<sup>(١)</sup>، كانت من أفقه النساء وأعقلهن، توفيت سنة ٥٩هـ، وقيل: ٦٢هـ ودفنت بالبقيع ولها ٨٤ سنة.

#### سادساً: حفصة بنت عمر

زوجه إياها أبوها عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمئة درهم، وكانت قبله عند حذافة السهمي، يذكر أنه أصابته جرحات يوم أحد فمات، وقيل: مات بعد بدر<sup>(٢)</sup>، تزوجها رسول الله ﷺ في شعبان سنة ٣هـ، توفيت بالمدينة في شعبان سنة ٤٥هـ ولها من العمر ستون سنة، ودفنت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بالبقيع.

#### سابعاً: أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان

زوجه إياها خالد بن سعيد بن العاص، وهما بأرض الحبشة، وأصدقها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربعمئة دينار، وهو الذي خطبها لرسول الله ﷺ من وكيلها خالد بن سعيد بن العاص ابن عم أبيها، وكانت قبله عند عبيد الله ابن جحش الأسدي، ولما تنصر - فارقها، وذلك في السنة السابعة ولها بضع وثلاثون سنة<sup>(٣)</sup>. وابتني بها ﷺ بعد رجوعه من خيبر في صفر أو ربيع الأول سنة ٧هـ، وتوفيت سنة ٤٢هـ وقيل غير ذلك.

#### ثامناً: جويرية بنت الحارث

كانت في سبايا بني المصطلق من خزاعة فوقع في السهم لثابت بن قيس ابن الشماس الأنصاري، فكاتبها على نفسها فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، فقال: «هل لك في خير من ذلك؟» قالت: ما هو؟ قال: «أقضي عنك

(١) ابن سعد: (٨ / ٨٧).

(٢) ابن سعد: (٨ / ٨١ - ٨٢).

(٣) ابن سعد: (٨ / ٩٦ - ٩٨).

كتابتك وأتزوجك» فقالت: نعم، فتزوجها، وكانت قبله عند ابن عم لها يقال له: عبد الله، وذلك في شعبان سنة ٦ هـ وقيل ٥ هـ توفيت في ربيع الأول سنة ٥٦ هـ ولها ٦٥ سنة.

#### تاسعاً: صفية بنت حيي بن أخطب

كانت من ضمن سبايا خيبر فاشتراها الرسول ﷺ من دحية الكلبي، حيث وقعت في سهمه، فأعتقها وتزوجها، ودخل عليها في طريق عودته إلى المدينة، وأولم رسول الله ﷺ وليمة ليس فيها شحم ولا لحم، كان سويقاً وتمراً وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، توفيت سنة ٥٠ هـ أو ٥٢ هـ ودفنت بالبقيع.

#### عاشراً: ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية

زوجه إيّاها العباس بن عبد المطلب، وأصدقها العباس بن عبد المطلب أربعمئة درهم عن رسول الله ﷺ، وكانت قبله عند أبي رهم بن عبد العزى، رغب الرسول ﷺ في الزواج منها لما عرفه عنها من الصلاح والتقوى، فقد قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَمَا إِنَّمَا كَانَتْ أَتَقَانَا لِلَّهِ وَأَوْصَلْنَا لِلرَّحِمِ. وكان عمه العباس حريصاً على أن يقترن الرسول ﷺ بها، فقد قال له: يا رسول الله، تأيمت ميمونة بنت الحارث، هل لك في أن تتزوجها، ولا شك أن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أعرف النَّاسِ بِهَا؛ لِأَنَّهَا أُخْتُ زَوْجِهِ أُمِّ الْفَضْلِ، وَمِمَّا يَذْكَرُ أَنَّهَا تِي وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَذَلِكَ أَنَّ خُطْبَةَ النَّبِيِّ ﷺ انْتَهَتْ إِلَيْهَا وَهِيَ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا فَقَالَتْ: الْبَعِيرُ وَمَا عَلَيْهِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب]. توفيت بسرف سنة ٦١ هـ ودفنت هناك ولا يزال قبرها معروفاً.

### أحد عشر: زينب بنت خزيمة الهلالية

كانت تُدعى أم المساكين، لرحمتها إياهم، ورفقتها عليهم، زوجها إياها قبضة ابن عمر الهلالي، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمئة درهم، وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو بن الحارث، وهو ابن عمها، تزوجت الرسول ﷺ في رمضان، على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة، ولم يمت من أزواجه في حياته ﷺ غيرها وغير خديجة بنت خويلد<sup>(١)</sup>، وكانت تسمى في الجاهلية بأم المساكين؛ لإطعامها إياهم، توفيت في آخر ربيع الأول سنة ٤هـ بعد زواجها منه ﷺ بثمانية أشهر أو ثلاثة أشهر، فصلى عليها الرسول ﷺ ودفنت بالبقيع.

فهؤلاء اللاتي بنى بهن رسول الله ﷺ إحدى عشرة.

فمات قبله مهن اثنتان خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة، وتوفي ﷺ

عن تسع، واثنتان لم يدخل بهن:

- ١- أسماء بنت النعمان الكندية، تزوجها فوجد بها بياضا فمتعها وردها إلى أهلها.
- ٢- عمرة بنت يزيد الكلابية، وكانت حديثة عهد بكفر، فلما قدمت على رسول الله ﷺ استعادت من رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «لقد عذت بعظيم الحقي بأهلك» فردها إلى أهلها.

### السراي

س: اذكر سراي رسول الله ﷺ؟

ج: لم يتسر- الرسول ﷺ بغير مارية القبطية أم ولده إبراهيم، وجارية أخرى أصابها في بعض السبي، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش، وريحانة بنت زيد،

(١) ابن سعد: (٨ / ١١٥).

التي اختلف في أمرها، والرَّاجح - والله أعلم - أنه كان يطؤها بملك اليمين، وروى أن الرسول ﷺ قال عن مارية عندما ولدت له إبراهيم «أعتقها ولدها»<sup>(١)</sup>.

### أولاده ﷺ

س: سبق أن ذكرنا أولاده ﷺ من خلال دراستنا للسيرة فهل يمكن أن تذكرهم هنا إجمالاً؟

ج: سبق لنا وأن ذكرنا أن جميع أولاده ﷺ من خديجة إلا إبراهيم وهم:

١- القاسم: وهو أكبر ولد رسول الله ﷺ، وبه كان يكنى، عاش حتى

مشى، ثم توفي وله من العمر نحو سنتين.

٢- زينب: وهي أكبر بناته ﷺ، أصيبت في الله، فقال ﷺ: «تلك أفضل

بناتي» ولدت بعد القاسم، وتزوجها أبو العاص بن الربيع، وهو ابن خالتها هالة

بنت خويلد، ولدت زينب ابناً اسمه علي، وبتناً اسمها أمامة، وهي التي كان

رسول الله ﷺ يحملها في الصلاة، توفيت زينب في أوائل سنة ثمان بالمدينة.

٣- رقية: تزوجها عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فولدت له ابناً اسمه عبد الله، وقد

بلغ ست سنين، ثم نقره ديك في عينه فمات، ماتت رقية ورسول الله ﷺ في بدر،

وجاء زيد بن حارثة بشيراً إلى المدينة، فوجدهم قد سووا التراب على قبرها.

٤- أم كلثوم: زوجها رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد وفاة

رقية مرجعه من بدر، ولم تلد له شيئاً، توفيت في شعبان سنة ٩ هـ ودفنت بالبقيع.

٥- فاطمة: وهي أصغر بناته ﷺ، وأحبهن إليه، وهي سيدة نساء أهل الجنة،

تزوجها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد بدر، فولدت له ابنين: حسناً وحسيناً،

وبنتين: زينب وأم كلثوم، وأم كلثوم هذه تزوجها عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فولدت

له زيداً، ثم مات عنها، فتزوجها عون بن عمها جعفر، وتوفي عون فتزوجها

(١) ابن كثير: البداية والنهاية (٥ / ٣٤١)، البيهقي في السنن: (١٠ / ٣٤٦).



أخوه محمد، وتوفي محمد فتزوجها أخوه عبد الله، ثم ماتت وهي عنده، توفيت فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بعد النبي ﷺ بستة أشهر. وهؤلاء الخمسة المذكورون من أولاده ﷺ ولدوا قبل أن يكرمه الله بالنبوة والرسالة.

٦- عبد الله: يقال إنه ولد في الإسلام، ويقال: بل قبل ذلك، توفي وهو صغير، وكان آخر أولاد النبي ﷺ من خديجة. ٧- إبراهيم: ولد بالمدينة من سريته ﷺ مارية القبطية، في جمادى الأولى أو جمادى الآخرة سنة ٩هـ وتوفي في ٢٩ شوال سنة ١٠هـ يوم كسفت الشمس بالمدينة وهو رضيع، ابن ستة عشر. أو ثمانية عشر. شهراً، ودفن بالقيع، وقد قال ﷺ: «إن له مرضعاً يتم رضاعه في الجنة».

### خدمه ﷺ

س: اذكر بعضاً ممن خدم الرسول ﷺ من الرجال والنساء، ومواليه وإماءه وكتابه ﷺ؟  
ج: خدم رسول الله ﷺ عددٌ من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وكانت حاجاته موزعة عليهم كما سيأتي بيانه، وقد أحصاهم بعض أصحاب السير وهم:  
١- أنس بن مالك بن النضر- بن ضمضم أبو حمزة الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ وأحد الكثيرين من الرواية عنه صح عنه أنه قال: قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين، وأن أمه أم سليم الأنصارية أتت به النبي ﷺ لما قدم فقالت له: هذا أنس غلام يخدمك، فقبله، وأن النبي ﷺ كناه أبا حمزة ببغلة كان يجتنيها، ومازحه النبي ﷺ فقال له: يا ذا الأذنين وشهد بدرًا ولم يذكر اسمه في البدرين؛ لأنه لم يكن في سن من يقاتل، خدم النبي ﷺ عشر (١) سنين،

(١) عشر سنين: بحساب الكسر فإنه خدمه ﷺ تسع سنين وأشهر، روي عنه أنه قال: خدمته تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته: يا أنس لم فعلته.

ودعا له النبي ﷺ وكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين، وكانت إقامته بعد النبي ﷺ بالمدينة، ثم شهد الفتوح ثم قطن البصرة، وكان آخر الصحابة موتا بالبصرة سنة تسعين وله من العمر مائة سنة.

قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لقد دفنت من صليبي سوى ولد ولدي مائة وخمسة وعشرين، وذلك ببركة دعاء النبي ﷺ بقوله: «اللَّهُمَّ أَكْثَرُ مَا لهُ وَوَلَدُهُ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»، قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة، يعني رأى كثرة المال، والولد، ويرجو الثالثة وهي دخول الجنة.

٢- ربيعة بن كعب بن مالك الأسلمي، صاحب وضوء رسول الله ﷺ، قال: كنت أبيت على باب النبي ﷺ وأعطيه الوضوء، وكان من أصحاب الصفة ولم يزل مع رسول الله ﷺ إلى أن قبض، فخرج من المدينة فنزل في بلاد أسلم على بريد من المدينة، وبقي إلى أيام الحرة ومات بالحررة سنة ثلاث وستين في ذي الحجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣- أيمن بن أم أيمن، وهو بن عبيد بن زيد بن عمرو الخزرجي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاحب مطهر رسول الله ﷺ، استشهد يوم حنين.

٤- عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أحد السابقين الأولين، وهاجر الهجرتين وشهد بدرًا والمشاهد بعدها ولازم النبي ﷺ، وكان صاحب الوسادة، والسواك، والنعلين، والطهور، وكان يلي ذلك من النبي ﷺ، وكان إذا قام النبي ﷺ ألبسه نعليه، وإذا جلس جعلها في ذراعيه<sup>(١)</sup> حتى يقوم، وقد تقدم من ترجمته في السيرة الشيء الكثير، مات بالمدينة<sup>(٢)</sup> سنة اثنتين وثلاثين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) في ذراعيه: لتخليه يديه لخدمه المصطفى ﷺ إذا احتاج.

(٢) بالمدينة: كما قاله أبو نعيم وهذا أثبت كما في الإصابة وقيل: بالكوفة.

٥- عقبة بن عامر بن عيس بن عمرو الجهني، وكان صاحب بغلته في نقب<sup>(١)</sup> من تلك النقاب؛ إذ قال له رسول الله ﷺ: «اركب يا عقبة»، قال: فأجللت رسول الله ﷺ أن أركب مركبه، ثم أشفقت أن يكون معصية قال: فركبت هنيهة ثم نزلت، ثم ركب النبي ﷺ وقدمت به فقال لي: «يا عقبة ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن العظيم»؟ قلت: بلى، فأقرأني: «قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس»، قال عقبة: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا في غنم لي أرهاها فتركتها ثم ذهبت إليه فقلت: بايعني، فبايعني على الهجرة. كان عقبة قارئاً عالماً بالفرائض والفقه، فصيح اللسان شاعراً كاتباً، وهو أحد من جمع القرآن، قال أبو سعيد بن يونس: رأيت مصحفه بمصر على غير تأليف مصحف عثمان، وفي آخره كتبه عقبة بن عامر بيده، مات<sup>(٢)</sup> سنة ثمان وخمسين من الهجرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٦- أسلع بن شريك بن عوف الأعرجي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كان صاحب راحلته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال أسلع: كنت أخدم النبي ﷺ وأرحل له فقال لي ذات يوم: «يا أسلع قم فارحل» فقلت: أصابتنى جنابة فسكت رسول الله ﷺ وأتاه جبريل بآية الصعيد فقال رسول الله ﷺ: «قم يا أسلع فميمم» قال: فقممت فميممت ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين، ثم رحلت له فسارحتي مر بهاء فقال لي: «يا أسلع مس أو أمس هذا جلدك» أي: اغتسل.

٧- سعد مولى أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كان يخدم النبي ﷺ.

٨- أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قد تقدم خبر إسلامه في أول من أسلم، كان يخدم رسول الله ﷺ، توفي بالربذة سنة اثنتين وثلاثين، وصلى

(١) في نقب: أي طريق.

(٢) مات بمصر وولي بها معاوية سنة أربع وأربعين ثم جعل مكانه مسلمة بن مخلد.

عليه عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كان أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طويلاً أسمر اللون نحيفاً، قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أبو ذر وعاءٌ مُليءٌ علماً أو كمي عليه، ولوفاته قصة عجيبة ذكرها ابن عبد البر في «الاستيعاب»، وهي عن أم ذر زوجة أبي ذر قالت: لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت فقال لي: ما يبكيك، فقلت ومالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض وليس عندي ثوب يسعك كفنا لي ولا لك ولا بد من القيام بجهازك قال: فأبشري ولا تبكي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة، فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبد»، وقد مات لنا ثلاثة من الولد، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم: «ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين».

وليس من أولئك نفر أحد إلا وقد مات في قرية وجماعة، فأنا ذلك والله ما كذبت ولا كذبت؛ فأبصري الطريق: قلت: أنى وقد ذهب الحاج وتقطعت الطريق، قال: اذهبي فتبصري، قالت: فكنت أشتد إلى الكثيب فأنظر، ثم أرجع إليه فأمرضه فبينما هو وأنا كذلك، إذ أنا برجال على رحالهم كأنهم الرخم، تحث بهم رواحلهم فأسرعوا إليّ حتى وقفوا عليّ فقالوا: يا أمة الله مالك؟ قلت: امرؤ من المسلمين يموت تكفونونه؟ قالوا: ومن هو، قلت: أبو ذر، قالوا: صاحب رسول الله ﷺ قلت: نعم قالت: ففدوه بأبائهم وأمهاتهم وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه فقال لهم: أبشروا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم: «ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين» وليس من أولئك نفر أحد إلا وقد هلك في قرية أو جماعة، والله ما كذبت ولا كذبت، ولو كان عندي ثوب يسعني كفنا لي ولا مرأتي لم أكفن إلا في ثوب هولي أو لها، وإني أنشدكم الله أن لا يكفني رجل منكم كان أميراً أو عريقاً أو بريداً أو نقيباً،

وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد قارف بعض ما قاله إلا فتى من الأنصار، فقال: أنا أكفئك ياعم في ردائي هذا وفي ثوبين في عييتي من غزل أمي، قال: أنت تكفني، قالت: فكفنه الأنصاري وغسله في النفرالذين حضروه وقاموا عليه ودفنوه.

وكان ابن مسعود يومئذ مقبلاً من المدينة إلى الكوفة، فدعي إلى الصلاة عليه، فقال ابن مسعود: من هذا؟ قيل: أبو ذر، فبكى طويلاً، فقال: أخي وخليلي عاش وحده، ومات وحده، يبعث وحده، طوبى له.

٩- مهاجر مولى أم سلمى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يكنى أبا حذيفة، صحب النبي ﷺ وخدمه، وشهد فتح مصر. واختط بها، ثم تحول إلى طحا فسكنها، إلى أن مات، قال المهاجر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: خدمت رسول الله ﷺ سنين، فلم يقل لي شيء صنعته لم صنعته، ولا شيء تركته لم تركته، وهذا يدل على عظم مكارم أخلاق النبي ﷺ.

١٠- حنين والد عبد الله مولى العباس بن عبد المطلب، كان حنين غلاماً للنبي ﷺ فوهبه للعباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فأعتقه، وكان يخدم النبي ﷺ وكان إذا توضأ خرج بوضوئه إلى أصحابه، فحبسه حنين فشكوا إلى النبي ﷺ فقال حنين: حبسته لأشربه

١١- أبو الحمراء مولى النبي ﷺ وخادمه، واسمه هلال بن الحارث نزل حمص وتوفي فيها.

١٢- أبو السمح: واسمه إياد مولى رسول الله ﷺ وخادمه، قال أبو السمح كنت أخدم النبي ﷺ فكان إذا أراد أن يغتسل قال: «ولني قفاك» قال أبو عمر بن عبد البر: يقال: إنه قتل فلا يدرى أين مات. فهؤلاء الذين خدموه وهم اثنا عشر صحابياً.

### خدماته ﷺ

**الأولى:** (بركة) أم أيمن بنت ثعلبة بن عمرو، وكانت لأم رسول الله ﷺ ورثها منها، فأعتقها رسول الله ﷺ حين تزوج خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وكانت قد تزوجت عبيد بن زيد من بني الحارث بن الخزرج فولدت له أيمن، فصحب النبي ﷺ.

ولما وهبت خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زيد بن حارثة لرسول الله ﷺ أعتقه وزوجه أم أيمن بعد النبوة، فولدت له أسامة، وكانت تخدم رسول الله ﷺ وكان يقول ﷺ: «أم أيمن أمي بعد أمي» كان من شأن أم أيمن أنها كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب والد النبي ﷺ، وكانت من الحبشة فلما ولدت آمنة رسول الله ﷺ بعد وفاة أبيه كانت أم أيمن تحضنه حتى كبر.

وكان رسول الله ﷺ يدخل على أم أيمن فقربت إليه لبنا، فإما كان صائما وإما قال لا أريد، فأقبلت تضاحكه، فلما كان بعد وفاة النبي ﷺ قال أبو بكر لعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ انطلق بنا نزور أم أيمن كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما دخلا عليها بكت فقالا: ما يبكيك؟ فما عند الله خير لرسوله، قالت: أبكي أن وحي السماء انقطع، فهيجتهما على البكاء فجعلت تبكي ويبكيان معها.

حضرت أم أيمن غزوة أحد، وكانت تسقي الماء وتداوي الجرحى، وشهدت خيبر، ولما قتل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بكت فقبل لها: ما يبكيك فقالت: وهى الإسلام، وماتت بعده بعشرين يوما رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

**الثانية:** (خولة) خادمة رسول الله ﷺ قالت إن جروا دخل البيت فدخل تحت السرير ومكث النبي ﷺ ثلاثا لا ينزل عليه الوحي فقال: «يا خولة ما حدث في بيت رسول الله، جبريل لا يأتيني»، فقلت: والله ما علمت، فأخذ برده فلبسه وخرج، فقلت: لو هيات البيت فكنته، فإذا بجرو ميت فأخذته فألقيته،

فجاء رسول الله ﷺ ترعد لحيته، وكان إذا أتاه الوحي أخذته الرعدة، فقال: «يا خولة دثريني» فأنزل (١) الله تعالى: ﴿ وَالصُّحُفِ يُؤْتَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾.

**الثالثة:** (سلمى) أم رافع امرأة أبي رافع مولى رسول الله ﷺ، كانت تخدم النبي ﷺ وهي المرأة التي قالت لحمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما رجع من الصيد في بدء الإسلام: لو رأيت ما فعل أبو جهل بابن أخيك، تعني: النبي ﷺ حتى غضب حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومضى إلى أبي جهل فضرب رأسه بالقوس وجره ذلك إلى الإسلام، وهي مولاة صفية بنت عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وجاءت سلمى إلى النبي ﷺ تستعديه على أبي رافع، وقالت: إنه يضربني، فقال ﷺ: «مالك ولها؟» قال: إنها تؤذيني يا رسول الله، قال: «بما أذيته يا سلمى؟» قالت: ما أذيت به شيء، ولكنه أحدث وهو يصلي فقلت: يا أبا رافع إن رسول الله ﷺ قد أمر المسلمين إذا خرج من أحدهم ريح أن يتوضأ، فقام يضربني، فجعل النبي ﷺ يضحك ويقول: «يا أبا رافع لم تأمرك إلا بخير».

**الرابعة:** (ميمونة) بنت سعد، كانت تخدم النبي ﷺ وهي مولاته.

**الخامسة:** (مارية) خادمة النبي ﷺ تكنى أم الرباب، وهي التي طأطأت للنبي ﷺ حين صعد حائطا ليلة فر من المشركين بمكة، ليلة هجرته إلى المدينة.

**السادسة:** (أم عياش) مولاة رقية بنت النبي ﷺ كانت تخدم النبي ﷺ، ولما تزوج عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رقية بنت رسول الله ﷺ بعثها مع ابنته رقية لعثمان.

(١) فأنزل الله تعالى: (والضحى): كون هذا سبب إبطاء الوحي يرده ما في «الصححين» أنه ﷺ اشتكى وسلم واشتكى فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأنته امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا وقد تركك، فأنزل الله تعالى والضحى ... السورة.

### مواليه ﷺ

كان موالي رسول الله ﷺ كثيرين وقد أتيت هنا بأسماء من أعتقهم ﷺ من المشاهير وهم:

- ١- زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- ٢- ابنه أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- ٣- أيمن بن أم أيمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أخو أسامة لأمه.
- ٤- أبو رافع القبطي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- ٥- شقران الحبشي- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان لعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فوهبه النبي ﷺ شهد بدرًا وهو مملوك ثم عتق.
- ٦- ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من العرب من حكى بن سعد بن حمير، اشتراه رسول الله ﷺ ثم أعتقه.
- ٧- أنجشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشتراه الرسول ﷺ منصر-فه من الحديدية وأعتقه، وكان حاديا حسن الصوت بالحداء، وكان يحدو بالنساء، وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال، فإذا اعتقت الإبل - أسرع - قال له النبي ﷺ: «يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير»، يعني: النساء؛ لأن الحداء إذا سمعته الإبل أسرع المشي فتزعج الراكبات عليها من النساء.
- ٨- رباح الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- ٩- يسار النوبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان على لقاح رسول الله ﷺ وهو الذي قتله العرنيون.
- ١٠- سفينة وكان أسود، وكان لأم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي ﷺ فأعتقه واشترطت عليه أن يخدم النبي ﷺ ما عاش.
- ١١- سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عده أصحاب السير في الموالي؛ لأن النبي ﷺ هو الذي أدى عنه نجوم كتابته.



- ١٢- مابور الخصمي الذي أهدها المقوقس ملك مصر. للنبي ﷺ مع مارية  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
- ١٣- أبو كبشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من مولدي مكة، وقد شهد بدرًا.
- ١٤- زيد جد بلال بن يسار بن زيد، وكان نوبياً أصابه رسول الله ﷺ في  
غزوة بني ثعلبة فأعتقه.
- ١٥- مدعم عبد أسود كان لرفاعة بن زيد الضبيي فأهداه إلى الرسول ﷺ.
- ١٦- واقد، يكنى بأبي واقد.
- ١٧- أبو بكرة نفيح بن مسروح.
- ١٨- بادام مولى رسول الله ﷺ، ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة.
- ١٩- أبو مويهبة مولى رسول الله ﷺ، وكان من مولدي مزينة، شهد غزوة  
المريسيع وكان يقود لعائشة أم المؤمنين ﷺ جملها.

### أما الإماء فهنّ

- ١- أم أيمن الحبشية.
- ٢- سلمى أم رافع زوج أبي رافع.
- ٣- مارية القبطية أم ولده إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- ٤- ريجانة بنت شمعون بن زيد من بني النضير، سبها رسول الله ﷺ  
وأسلمت وعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها ويضرب عليها الحجاب، فقالت:  
يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف عليّ وعليك فتركها.
- ٥- قيسر أخت مارية.

### كتابه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

أما كتبه ﷺ فهم: أبو بكر وعمر وعثمان، وعلي بن أبي طالب، وعامر بن  
فهيرة، وخالد وأبان: ابنا سعيد بن العاص بن أبي أحيحة، وعبد الله بن الأرقم  
الزهري، وحنظلة بن الربيع الأسدي، وأبي بن كعب، وهو أول من كتب له ﷺ

من الأنصار وثابت بن قيس بن شماس، وزيد بن ثابت، وشرحبيل بن حسنة، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن زيد، وجهم بن الصلت والزبير بن العوام، وخالد بن الوليد، والعلاء بن الحضرمي، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن رواحة، ومحمد بن مسلمة، وعبد الله بن عبد الله بن أبي، ومعقيب ابن أبي فاطمة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، وهو أول من كتب له من قریش ثم ارتد فنزلت فيه: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [٦٨] العنكبوت.

وذكر في كتابه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أيضًا: طلحة، وزيد بن أبي سفيان، والأرقم بن أبي الأرقم الزهري، والعلاء بن عتبة، وأبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد، وبريدة ابن الحصيب، والحصين بن نمير، وأبو سلمة المخزومي، وعبد الله بن عبد الأسد، وحويطب بن عبد العزى، وأبو سفيان بن حرب، وحاطب بن عمرو.

### حكمة تعدد زوجات الرسول ﷺ

س: اذكر الحكمة من تعدد زوجاته ﷺ؟

ج: بإمعان النظر في تعدد زوجات الرسول ﷺ وظروف زواجه منهن يمكن لنا القول: إن أمهات المؤمنين اللائي توفي عنهن رسول الله ﷺ كنَّ معلمات لنساء الأمة الإسلامية ورجالها في القضايا النسائية والأحكام الشرعية والآداب الزوجية والحكم النبوية، وكُنَّ قدوةً صالحةً في الخير والبر والإحسان، كما كان الرسول ﷺ المثل الأعلى في حسن الخلق وطيب المعشر. مع نساءه، فقد عاشرهنَّ بالمعروف وعدل بينهنَّ وعلمهنَّ الأحكام الشرعية الخاصَّة بالنساء، وسياسة النبي ﷺ في تعدد الزوجات هي السياسة الرشيدة التي اقتضتها ظروف الدعوة الإسلامية في ذلك الوقت، ومن الصعب أن تقوم زوجة واحدة بمهام تبليغ تلك الأحكام للناس، ولن يكون هناك ما يغيرهنَّ بالبقاء في بيت الرسول ﷺ سوى هذه المهمة الجليلة؛

لأن الأخبار قد تواترت لتقطع بأن زوجات الرسول ﷺ كن يعشن في شغف من العيش إلى الحد الذي كن يطالبن بزيادة النفقة عليهن، فخيرهن الرسول ﷺ بين الطلاق، وبين قبول هذه المعيشة، وذلك في قصة طويلة وثابتة بنص القرآن، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَلزَّوْجِ أَكْثَرُ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَأَفْضَلُ بَلْ كُنْتُمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٢٨].

ويلاحظ أن من بين زوجات الرسول ﷺ الصغيرة التي ما تزال تلعب مع أقرانها بلعب الأطفال، والمسنة، وابنت عدوه اللدود، وابنة صديق حميم ومنهن من كانت تشغل نفسها بتربية الأيتام ومنهن من تميزت على غيرها بكثرة الصيام والقيام، إنهن نماذج للأفراد الإنسانية، ومن خلالها قدم رسول الله ﷺ للمسلمين تشريعاً فريداً في كيفية التعامل السليم مع كل نموذج من هذه النماذج البشرية وعندما انتقل الرسول ﷺ إلى المدينة لم يكن أمر العدا قاصراً على قريش، بل تعداه إلى غيرها من قبائل العرب، فاقتضت الحكمة أن يجمد الرسول ﷺ بعض أطراف هذا العدا، وذلك بالإصهار إلى قبائل شتى؛ لأن أعراف العرب كانت تقتضي بأن يحمي أهل المرأة زوج امرأتهم، كما تفيد ذلك لغتهم، إذ يسمون أنفسهم بالأحماء من الحماية.

ولما كانت هذه المصلحة يمكن أن تستغل استغلالاً سيئاً؛ نظراً لأن الأمور الجنسية تتبعها النفوس اللاهثة، فقد جعل الله تعالى ذلك التعدد بتلك الكيفية خاصاً برسول الله ﷺ وحدد عدد الزوجات لغيره بأربع زوجات كحد أقصى.

### بعض شمائل النبي ﷺ (١)

س: اذكر بعض شمائل النبي ﷺ، وما أهمية دراسة أخلاقه ﷺ؟

ج: لقد تميز الرسول ﷺ بصفات خلقية وأخلاقية كثيرة، وأريد هنا أن أقف عند بعض صفاته والافتداء بها، ولما كانت صفات الرسول ﷺ الأخلاقية انعكاسًا لما في قلب الرسول ﷺ من قيم ومبادئ، كان لا بد لكل مسلم أن يلم بها، ويتحلى بمحاسنها، ومن أبرز هذه الصفات أو الشمائل:

#### ١- التقشف في الطعام:

قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَجْتَمِعْ عِنْدَهُ غَدَاءٌ وَلَا عِشَاءٌ مِنْ خَبْزٍ وَلَحْمٍ إِلَّا ضَفَفَ»، وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَبْزٍ شَعِيرٍ يَوْمِينَ مُتَتَابِعِينَ حَتَّى قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»، وفي رواية أخرى عنها: «مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ مِنْذَ قَدَمِ الْمَدِينَةِ، مِنْ طَعَامٍ بَرٍّ، ثَلَاثَ لَيَالٍ تَبَاعًا حَتَّى قَبِضَ» وهناك روايات أخرى عند مسلم والترمذي بهذا المعنى.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً هو وأهله، لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم الشعير. وذكرت عائشة أنه كان يأتيها فيقول: «أعندك غداء؟» فتقول: لا، فيقول: «إِنِّي صَائِمٌ».

#### ٢- التقشف في الفراش:

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنَّمَا كَانَ فَرَّاشَ الرَّسُولِ ﷺ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ أَدَمًا مَحْشُورًا لَيْفًا».

(١) للتوسع في هذا الموضوع والوقوف على مصادره انظر: د/ مهدي رزق الله أحمد، «السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية، دراسة تحليلية»، ط ١، ١٤١٢ هـ.

### ٣- تواضعه:

قال رسول الله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله».

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلَانٍ، انظري أي السكك شئت، حتى أقضي لك حاجتك»، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها.

وكانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنتقل به حيث شاءت.

وكان يدعى إلى خبز شعير والإهالة السنخة - الدهن الجامد المتغير الرائحة من طوال المكث - فيجيب. وقال: «لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت».

وعلى الرغم من أنه لم يكن شخص أحب إلى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا لَهُ، لَمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كِرَاهَتِهِ ذَلِكَ، وَقَالَ ﷺ فِي الثَّنَاءِ عَلَى التَّوَاضُعِ وَذَمِّ الْاِسْتِكْبَارِ: «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ أَشْعَثٍ مَتَضَاعَفَ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرِهِ، أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عَتَلٍ جَوَازٍ مُسْتَكْبِرٍ»، وَقَالَ: «... وَمَا تَوَاضَعُ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» وَفِي ذَلِكَ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>. وَكَانَ لَا يَسْتَكْبِرُ ﷺ عَنْ خِدْمَةِ أَهْلِهِ.

### ٤- خلقه:

كان رسول الله ﷺ يقبل بوجهه وحديثه على أشرف القوم، يتألفهم

(١) أبو داود: (٤٠٩٠)، ابن ماجه: (٣٣٨٤).

بذلك، خدمه أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عشر سنين، فما قال له أفأقط، وما قال له لشيء صنعته: لم صنعته، ولا لشيء تركه لم تركته، وما كان فاحشاً ولا متفحشاً، ولا صخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ويقول: «خياركم أحسنكم أخلاقاً».

وقال لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إنَّ شرَّ النَّاسِ من تركه النَّاسِ - أو ودعه النَّاسِ - إتِّقاء فحشه».

ونهى عن اللعن، فقال: «لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً» وقال: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»، وعندما قيل له: ادع على المشركين قال: «إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة».

أمَّا من لعنه الرسول ﷺ أو سبه أو دعا عليه، وليس هو أهلاً لذلك، كان ذلك له زكاة وأجرًا ورحمة؛ لأنَّ الرسول ﷺ شارط ربه على ذلك كما في الحديث: «... اللهم إنَّما أنا بشر، فأبي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرًا».

وما خيَّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلاَّ اختار أيسرهما ما لم يَأثم، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه، وما انتقم لنفسه في شيء قط إلاَّ أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله.

وما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة، ولا خادمًا، إلاَّ أن يجاهد في سبيل الله، وما سئل رسول الله ﷺ قط فقال: «لا».

قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان رسول الله ﷺ أحسن النَّاسِ خلقًا، وكان لي أخ يقال له: أبا عمير، وكان إذا جاء قال: «يا أبا عمير، ما فعل النغير؟» لنغر (طير) كان يلعب به، فهات، فدخل عليه النبي ﷺ يومًا فوجده حزيناَ لموته، فقال ما قال.

## ٥ - شجاعته:

قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عري، في عنقه السيف وهو يقول: «لم تراعوا لم تراعوا»، وقال علي كرم الله وجهه: لما حضر البأس يوم بدر اتقينا برسول الله ﷺ وكان من أشد الناس بأساً، ولم يكن أحد أقرب إلى المشركين منه، وعنه من طريق ثان، قال: رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس بأساً وقد رأيت موقفه يوم بدر وأحد وحنين حين امتحن الله المسلمين.

## ٦ - حياؤه:

قال أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه، وقال ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير»، وروى ابن عمر أن النبي ﷺ مرّ على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء، يقول: «إنك لتستحي حتى كأنه يقول قد أضربك»، فقال رسول الله ﷺ: «دعه فإن الحياء من الإيمان» وقال ﷺ: «إنّ ممّا أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

أمّا الحق فلم يكن الرسول ﷺ يستحي منه؛ لأنّ ذلك من التفقه في الدين، فقد روت أم سلمة: أنّ أم سليم جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إنّ الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة غسل إذا احتلمت؟ فقال: «نعم، إذا رأت الماء».

## ٧ - التيسير والرفق:

قال رسول الله ﷺ: «يسرّوا ولا تعسروا، وسكنوا ولا تنفروا» وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ أعرابياً بال في المسجد، فثار الناس ليقعوا به، فقال لهم

الرسول ﷺ: «دعوه وأهرقوا على بوله ذنوباً من ماء، أو سجلاً من ماء، فإنها بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين».

وقال في الرفق: «من يحرم الرفق يحرم الخير، وإن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه، وإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه».

#### ٨ - الحذر من الغضب:

إن من أوصاف المؤمنين وسجاياهم الصفح والعفو عن الناس، وعدم الانتقام عند الغضب، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَجْنَبُونَ كِبْرَ الْأَيْمِ وَالْفَوْحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى]، ويقول الرسول ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» وعندما قال رجل للنبي ﷺ أو صني، قال: «لا تغضب» ورددتها مراراً.

#### ٩ - الحلم والأناة:

كان مما يحبه ﷺ هاتان الصفتان، وقد قال لأشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة».

#### ١٠ - الوصية بالجار:

قال ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»، وقال لأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا أبا ذر، إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك» وفي رواية: «... ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف»، وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره...».

#### ١١ - رحمته بالأطفال:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ: «أخذ ولده إبراهيم فقبله وشمه». وجعل الرسول ﷺ الجنة لمن يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث،



بفضل رحمته إياهم.

وكانت تفيض عيناه لموتهم، وقد سأله مرة سعد بن عبادة: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال ﷺ: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء» وعندما ذرفت عيناه لوفاة ابنه إبراهيم، قال لابن عوف: إنها رحمة لمن اتبعها بأخرى، وقال: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

وخرج على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأمامة بنت أبي العاص بن الربيع، ابنة زينب، على عاتقه، فصلى، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها، وقبّل الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال: «أو أملك لك أن نزع الله من قبلك الرحمة».

١٢- بكاؤه عند المريض:

عندما اشتكى سعد بن عبادة ذات مرة، عاده فوجده في غشاية أهله، فقال: «قد قضى؟» قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا، فقال: «إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا يحزن القلب، ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم».

١٣- النهي عن تعذيب الناس بغير حق:

ويقول الرسول في هذا: «إن الله يعذب الذين يضربون الناس في الدنيا».

١٤- رحمته ﷺ بالإناث:

شبهه الرسول ﷺ النساء بالقوارير، إشارة إلى ما فيهن من الصفاء والنعومة والرقّة، وإلى ضعفهن وقلة تحملهن، ولذا فإنهن يحتجن إلى الرفق، وله توجيهات كثيرة ومواقف عملية في هذا المجال، ومن أبرز الأمثلة على ذلك:

١ - كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وكان معه نساء منهن أم سليم، وغلام

أسود يقال له: أنجشة يحدو، فقال له النبي ﷺ: «يا أنجشة رويدك، سوّقاً بالقوارير».

- ٢- وقد عثرت ناقته ذات مرة ومعه عليها زوجته صافية، فطرحا على الأرض، فلحق بها أبو طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له النبي ﷺ: «عليك بالمرأة».
- ٣- روى أنس أن النبي ﷺ قال: «من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم أصابعه.
- ٤- وقال ﷺ: «من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن، كن له سترا من النار».
- ٥- وقال ﷺ: «أفضل الصدقة إعالتك ابنتك الفقيرة التي رفضها زوجها، وليس لها غيرك».
- ٦- وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ يحب بناته حبًّا جمًّا، فقد روي أن ابنته فاطمة كانت عندما تأتيه يقوم لها، ويأخذ بيدها ويقبلها ويجلسها في مكانه الذي يجلس فيه.
- ٧- وقال ﷺ: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي، مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه».
- ١٥- النبي ﷺ الزوج المثالي:
- كان ﷺ كثيرا ما يوصي بالزوجات خيرا، ويقول: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»، «وما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانن إلا لئيم»، وأوصى بهن خيرا في حجة الوداع كما ذكرنا في مكانه، وقال: «حُبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا الطَّيِّبِ والنساء وجعلت قرّة عيني في الصلاة» ومن دلائل شدة احترامه وحبّه لزوجته خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها (صديقاتها) وذلك بعد مماتها، وقد أقرت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بأنها كانت تغير من هذا المسلك منه.
- وقد روي أنه وضع ركبته لتضع عليها زوجته صافية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رجلها حتى تركب على بعيرها.
- وأوصى ﷺ بالمرأة الزوجة، فقال: «استوصوا بالنساء خيرا، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن

تركته، لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً». وقال: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان عندكم..» وقال: «بم يضرب أحدكم امرأته ضرب الفحل ثم لعله يعانقها» وفي رواية: «جلد العبد».

وقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم» وفي رواية: «إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وأطفهم بأهله». وقال: «إن من أعظم الأمور أجراً النفقة على الأهل».

١٦ - رحمته ﷺ بالضعفاء عموماً:

لقد بُعث الرسول ﷺ رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء، ١٠٧]، ويقول ﷺ عن هذه الرحمة الإلهية: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي».

وشملت رحمته ﷺ الضعفاء حتى وهو في الصلاة، فقد أوصى الأئمة قائلاً: «إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن فيهم السقيم والضعيف والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه ليطول ما شاء»، وفي رواية: «إن منكم منفرين فأيكم صلى بالناس فليتجوز، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة».

وشملت رحمته الخدم والأرقاء، وفي ذلك قال:

١ - على المسلم أن يعامل خادمه أو مولاه كأخ له، فقد روى أبو ذر أن الرسول ﷺ قال: «وهم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم».

٢ - روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا صَنَعَ لِأَحَدِكُمْ خَادِمَهُ طَعَامَهُ ثُمَّ جَاءَ بِهِ، وَقَدْ وُلِيَ حَرَهُ وَدَخَانَهُ، فَلْيَقْعِدْ مَعَهُ، فَلْيَأْكُلْ فَإِنْ كَانَ الطَّعَامُ قَلِيلًا فَلْيَضَعْ فِي يَدِهِ مِنْهُ أَكْلَةً أَوْ أَكْلَتَيْنِ» أي: لقمة أو لقمتين.

٣ - وكان الرسول ﷺ يوصي - وهو في فراش الموت - بحسن معاملة الأرقاء.

- ٤ - وروى أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَسَاءَ مَعَامَلَةً مِنْهُمْ تَحْتَ يَدَيْهِ فَلَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ».
- ٥ - وَقَالَ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ أُمَّةٌ فَأَدْبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ».
- ٦ - وَأَمَرَ ﷺ بِأَنْ يِعَامَلَ الْمَهَالِكُ مِثْلَ مَعَامَلَةِ الْأَبْنَاءِ.
- ٧ - مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يَعْتَقَهُ.
- ٨ - وَقَالَ لِأَبِي مَسْعُودٍ عِنْدَمَا رَأَاهُ يَضْرِبُ مَمْلُوكًا لَهُ: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودَ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرَ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ»، فَانْتَهَى عَنْ ضَرْبِهِ، وَأَعْتَقَهُ حَتَّى لَا يَمْسَهُ اللَّهُ بِعَذَابٍ نَتِيجَةَ هَذَا الْفِعْلِ.
- وَحَثَّ عَلَى كِفَالَةِ الْيَتَامِ الْأَيْتَامِ لضعفهم وحاجتهم للرعاية، فَقَالَ ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَقَالَ بِأَصْبَعِهِ السَّبَابَةَ وَالْوَسْطَى.
- وَحَثَّ عَلَى إِعَالَةِ الْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ، فَقَالَ ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ، وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ كَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ» وَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْرَجُ حَقَّ الضَّعِيفِينَ: الْيَتِيمَ وَالْمَرْأَةَ» وَقَالَ ﷺ: «ابْغُونِي الضَّعْفَاءَ، فَإِنَّمَا تَنْصُرُونَ وَتَرْزُقُونَ بِضَعْفَائِكُمْ».
- وَشَمِلَتْ رَحْمَتُهُ حَتَّى الْبَهَائِمَ، قَالَ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ غَرَسَ غَرْسًا فَأَكَلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ إِلَّا كَانَ صَدَقَةً» وَقَالَ ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي - بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بئْرًا، فَنَزَلَ فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ الْبئْرَ فَمَلَأَ خَفَهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقَى، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ ﷺ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ».
- ١٧ - رَحْمَتُهُ ﷺ بِالْأَعْدَاءِ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلْمِ:
- كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَصِلِي الْفَجْرَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحَدِيثِيَّةِ، فَنَزَلَ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ



الكبائر؟ قالها ثلاثاً، فقال الصحابة: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين...» وقال ﷺ: «إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات..» وحث على صلة الوالدين المشركين والأقارب المشركين.

وجعل صلة الرحم من أسباب دخول الجنة، والبسط في الرزق وقطعها من أسباب دخول النار، قال: «لا يدخل الجنة قاطع»، أي قاطع رحم.

وقال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، فقال: «لئن كنت كما قلت، فإنما تسفهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك».

٢٠- إعراضه ﷺ عما يكرهه:

روى عن أنس أنه ﷺ كان عنده رجل به أثر صفرة، وكان ﷺ لا يكاد يواجه أحداً بشيء يكرهه، فلما قام الرجل، قال ﷺ للقوم: «لو قلتم له يدع هذه الصفرة»؛ لأن الصفرة من أثر طيب النساء، ويكره للرجل أن يتطيب بما له لون، بل يتطيب بما له رائحة فقط.

وروي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال: «ائذنوا له، فبئس رجل العشير، أو بئس رجل العشيرة»، فلما دخل ألان له القول، قالت عائشة: يا رسول الله قلت له الذي قلت فلما دخل أنت له القول قال ﷺ: «يا عائشة: إن شر الناس منزلة يوم القيامة، من ودعه أو تركه الناس انقاء فحشه». وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان النبي ﷺ إذا بلغه عن رجل شيء لم يقل له قلت كذا وكذا، ولكن يقول: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا».

٢١- عدم ذكره عيب الطعام واستحبابه مدحه:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه، وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ سأل أهله إداماً، فقالوا: ما عندنا إلا خلّ فدعا به، فجعل يأكل ويقول: «نعم الإدام الخلّ، نعم الإدام الخلّ».

### معجزات ودلائل نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ

س: اذكر إجمالاً بعضاً من معجزات رسالته الدالة على نبوته ﷺ؟

ج: المعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي، وسُميت معجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثلهما، وهي تدل على صدق من ظهرت على يديه، وشرط تسميتها معجزة أن تظهر على يد مدعي الرسالة على طبق دعواه. والمعجزة على شقين شق هو من نوع قدرة البشر، فعجزوا عنه فتعجزهم عنه فعل لله دل على صدق نبيه كتحدي اليهود أن يتموا الموت وشق خارج عن قدرتهم، فلم يقدرُوا على الإتيان بمثله كانشق القمر، مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله تعالى فيكون ذلك على يد النبي من الله وتحدي من يكذبه أن يأتي بمثله تعجيزاً له.

ومعجزات رسول الله ﷺ التي ظهرت على يديه تشمل كلا النوعين فهو ﷺ أكثر الرسل معجزات وأبهرهم آيات وأظهرهم برهاناً فله من المعجزات ما لا يحصى، وقد ألفت في معجزاته ﷺ المؤلفات الكثيرة وتناولها العلماء بالشرح والبيان ممن اعتنى بجمعها من الأئمة أبو نعيم الأصبهاني والبيهقي. ومعجزاته ﷺ منها ما نقل إلينا نقلاً متواتراً من طرق كثيرة تفيد القطع عند الأمة ومنها ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين: أولاً: نوع مشتهر منتشر، رواه العدد وشاع الخبر به عند أهل العلم بالآثار، ونقلته السيرة والأخبار، كنبع الماء من بين أصابعه الشريفة ﷺ وتكثير الطعام ثانياً: نوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهاره غيره لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الإتيان بالمعجز. وبعد هذا التمهيد الموجز، نورد بإذن الله تعالى جملة من معجزات ودلائل نبوة سيد الأولين والآخرين ﷺ مما ساندها الدليل الصحيح. فمنها:

## ١. المعجزة الكبرى القرآن الكريم:

أعطى الله ﷻ كل نبي من الأنبياء عليهم السلام معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه وأهل زمانه. فلما كان الغالب على زمان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ السحر وتعظيم السحرة، بعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار، وحيرت كل سحار، فلما استيقنوا أنها من عند العزيز الجبار انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار.

وأما عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فبعثه الله في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدا من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد، أو على مداواة الأكمه والأبرص.

وكذلك نبينا بعث في زمان الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء، فأتاهم بكتاب من عند الله ﷻ، فاتهمه أكثرهم أنه اختلقه وافتراه من عنده فتحدهم ودعاهم أن يعارضوه ويأتوا بمثله وليستعينوا بمن شاءوا فعجزوا عن ذلك كما قال تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ۚ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء]، وكما قال الله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ ۚ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٣٣] فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثِ مِثْلِهِ ۚ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [٣٤] [الطور].

ثم تقاصر معهم إلى عشر- سور منه فقال في سورة يونس: أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر- سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين. ثم تنازل إلى سورة فقال في سورة يونس: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس] وكذلك في سورة البقرة وهي مدنية أعاد التحدي بسورة منه، وأخبر تعالى أنهم لا يستطيعون ذلك أبدا لا في الحال ولا في المال فقال تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا ۚ ﴾



بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَٰكِن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ [البقرة].

وهكذا وقع، فإنه من لدن رسول الله ﷺ وإلى زماننا هذا لم يستطع أحد أن يأتي بنظيره ولا نظير سورة منه، وهذا لا سبيل إليه أبداً؛ فإنه كلام رب العالمين الذي لا يشبهه شيء من خلقه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فأنى يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق؟. وقد انطوى كتاب الله العزيز على وجوه كثيرة من وجوه الإعجاز: ذلك أن القرآن الكريم معجز في بنائه التعبيري وتنسيقه الفني باستقامته على خصائص واحدة في مستوى واحد لا يختلف ولا يتفاوت ولا تختلف خصائصه معجز في بنائه الفكري وتناسق أجزائه وتكاملها، فلا فلتة فيه ولا مصادفة، كل توجيهاته وتشريعاته تتناسب وتتكامل وتحيط بالحياة البشرية دون أن تصطدم بالفطرة الإنسانية معجز في يسر مداخله إلى القلوب والنفوس ولمس مفاتيحها وفتح مغاليقها واستجاشة مواضع التأثر والاستجابة فيها وقد سرد هبة الدين الحسيني الشهرستاني المزايا الإجمالية للقرآن ومنها: فصاحة ألفاظه الجامعة لكل شرائعها نباؤه الغيبية، وأخباره عن كوا من الزمان، وخفايا الأمور، قوانين حكيمة في فقهه تشريعي، فوق ما في التوراة والإنجيل وكتب الشرائع الأخرى سلامته عن التعارض والتناقض والاختلاف أسرار علمية لم تهتد العقول إليها بعد عصر القرآن إلا بمعونة الأدوات الدقيقة والآلات الرقيقة المستحدثة، ظهوره على لسان أمي لم يعرف القراءة ولا الكتابة خطاباته البديعة، وطرق إقناعه الفذة سلامته من الخرافات والأباطيل تضمنه الأسس لشريعة إنسانية صالحة لكل زمان ومكان.

قال الحافظ ابن كثير: إن الخلق عاجزون عن معارضة هذا القرآن، بعشر-

سور مثله، بل عن سورة منه، وأنهم لا يستطيعون كما قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا

وَلَنْ تَقْعَلُوا ﴿البقرة﴾. أي فإن لم تفعلوا في الماضي، ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل، وهذا تحدّي ثان، وهو أنه لا يمكن معارضتهم له في الحال ولا في المآل ومثل هذا التحدي إنما يصدر عن واثق بأن ما جاء به لا يمكن لبشر. معارضته، ولا الإتيان بمثله، ولو كان من عند نفسه لخاف أن يعارض، فيفتضح ويعود عليه نقيض ما قصد من متابعة الناس له.

## ٢. انشقاق القمر:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما<sup>(١)</sup>.

فكان هذا الانشقاق - كما قال الخطابي - آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء؛ وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجاً من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه المعجزة في كتابه العزيز فقال: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۗ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۗ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُّسْتَقَرٌّ ۗ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۗ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ التَّذْذِرُ ۗ﴾ [القمر]. ونقل الحافظ ابن كثير الإجماع على أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات وأن الأحاديث التي وردت بذلك متواترة من طرق متعددة تفيد القطع ومع عظم هذه المعجزة فإن أهل مكة المعاندين لم يصدقوا ولم يذعنوا بل استمروا على كفرهم وإعراضهم وقالوا: سحرنا محمد، فقال بعضهم: لئن كان سحرنا ما يستطيع أن

(١) البخاري في الصحيح: (٣٨٦٨). ومسلم في الصحيح: (٢٨٠٢).

يسحر الناس كلهم فسألوا من قدم عليهم من المسافرين فأخبروهم بنظير ما شاهدوه، فعلموا صحة ذلك وتيقنوه.

### ٣. الإسراء والمعراج

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ» - وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: «فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَأَخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اخْتَرْتِ الْفَطْرَةَ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتِ؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِأَدَمَ فَرَحَبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتِ؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْخَالَةَ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَبَا وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتِ؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ فَفَتَحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحَسَنِ فَرَحَبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم]. ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟، قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ فَفَتَحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَحَبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثم عرج بنا إلى

السماء السادسة فاستفتح جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ: من هذا؟ قال: جبريل قِيلَ: ومن معك؟ قال: محمد، قِيلَ: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقِيلَ: من هذا؟ قال: جبريل، قِيلَ: ومن معك؟ قال: محمد، قِيلَ: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كأذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال ﷺ: فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليّ ما أوحى. ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: ما فرض ربك عليّ أمّتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف؛ فإنّ أمّتك لا يطيقون ذلك، فرجعت إلى ربي، فقلت: يا رب خفف عليّ أمّتي، فحط عني خمساً فرجعت إلى موسى، فقلت: حط عني خمساً، قال: إنّ أمّتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى قال: يا محمد إنهنّ خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ: قد رجعت إلى ربي حتى استحيت منه». رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

(١) مسلم في الصحيح: (٤٠٦).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ مرَّ على قوم يزرعون ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان، فقال لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما هذا؟» قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنه إلى سبعمائه ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين.

ثم أتى ﷺ على قوم ترسخ رءوسهم بالصخر، كلما رضخت عادت كما كانت، ولا يفتر عنهم من ذلك شيء، فقال: «ما هذا يا جبريل؟» قال: هؤلاء الذين تتناقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة.

ثم أتى ﷺ على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع، يسرحون كما تسرح الأنعام، يأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم، فقال ﷺ: «ما هؤلاء؟» قال: هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم وما ظلمهم الله وما ربك بظلام للعبيد.

ثم أتى ﷺ على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر ولحم نيء في قدر خبيث فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث ويدعون النضيج، فقال ﷺ: «ما هؤلاء يا جبريل؟» قال: هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة، فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتي رجلاً خبيثاً فتبيت عنده حتى تصبح.

ثم أتى ﷺ على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال: «ما هذا يا جبريل؟» قال: هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها.

ثم أتى ﷺ على قوم تقرض ألسنتهم وشفاهم بمقاريض من حديد، كلما قرضت عادت كما كانت، لا يفتر عنهم من ذلك شيء، قال ﷺ: «ما هذا يا جبريل؟» قال: هؤلاء خطباء الفتنة، ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور

عظيم، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع، فقال ﷺ: «ما هذا يا جبريل؟» قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة، ثم يندم عليها، فلا يستطيع أن يردها، ثم أتى على وادٍ فوجد فيه ريحاً طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتاً فقال: «ما هذا يا جبريل؟» قال: هذا صوت الجنة تقول: رب آتني بما وعدتني فقد كثرت غرفي وإستبرقي وحريري وسندي وعقبربي ولؤلؤي ومرجاني وفضيتي وذهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي ومراكبي وعسلي ومائي ولبني وخري، فآتني بما وعدتني، قال: لك كل مسلم ومسلمة، ومؤمن ومؤمنة، ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحاً ولم يشرك بي شيئاً، ولم يتخذ من دوني أنداداً، ومن خشيني فهو آمن ومن سألني فقد أعطيته ومن أقرضني جازيته ومن توكل علي كفيته، إنني أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد، قد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين، قالت: قد رضيت، ثم أتى ﷺ على واد فسمع صوتاً منكراً ووجد ريحاً ممتنة فقال: «ما هذا يا جبريل؟» قال: هذا صوت جهنم تقول: رب آتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقبي وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فآتني بما وعدتني، قال: لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب، قالت: قد رضيت فسار ﷺ حتى أتى بيت المقدس<sup>(١)</sup>.

#### ٤. انقياد الشجر له ﷺ.

روى مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفِيحًا - وَاسِعًا - فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ فَاتَّبَعْتَهُ بِإِدَاوَةٍ فِيهَا مَاءٌ، فَنَظَرَ فَلَمْ يَرِ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، وَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بِبَعْضِ مِنْ أَغْصَانِهَا وَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ يَا ذُنَّ اللَّهِ».

(١) المنذري في الترغيب والترهيب: (٤/٣٣٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (١/٧٢).

فانقادت معه كالبعير المخشوش<sup>(١)</sup> الذي يصانع قائده، حتى إذا كان بالمتصف - وسط الطريق - فيما بينهما لاءم بينهما - جمعها -، وقال: «التما عليّ بإذن الله»<sup>(٢)</sup>. فالتأمتا، قال جابر: فخرجت أحضر مخافة أن يحس بقربي منه فيبعد، فجلست أحدث نفسي، فحانت مني التفاتة، فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبل وإذا الشجرتان قد افترقتا وقامت كل واحدة منهما على ساق. فهذه إحدى المعجزات الخارقة للعادة التي لا تكون إلا لنبي من الأنبياء.

### ٥. حنين الجذع شوقاً إليه ﷺ:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يخطب إلى جذع نخلة، فقالت امرأة من الأنصار وكان لها غلام نجار: يا رسول الله إن لي غلاماً نجاراً أفأمره أن يتخذ لك منبراً تخطب عليه؟ قال: «بلى»، فاتخذ له منبراً، فلما كان يوم الجمعة خطب ﷺ على المنبر، فأن الجذع الذي كان يقوم عليه كما يئن الصبي، فقال النبي ﷺ: «إن هذا بكى لما فقد من الذكر». وفي رواية البخاري فصاحت النخلة - جذع النخلة - صياح الصبي، ثم نزل ﷺ فضمه إليه يئن أنين الصبي الذي يسكن، على ما كانت يسمع من الذكر<sup>(٣)</sup>.

### ٦. تسبيح الحصى في يديه ﷺ وسلام الشجر عليه:

روى الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى عن سويد بن يزيد السلمى قال: سمعت أبا ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: لا أذكر عثمان إلا بخير بعد شيء رأيت، وبين

(١) المخشوش: من خش الرجل البعير: جعل في أنفه الخشاش، والخشاش: عود يجعل في عظمة أنف البعير يشد به الزمام ليقاد به.

(٢) مسلم: كتاب الزهد (٧٤)، البيهقي في السنن الكبرى: (٩٤/١)، ابن كثير في البداية والنهاية: (١١٠/٦-١٤١)، التبريزي في مشكاة المصابيح: (٥٨٨٥)، القاضي عياض في الشفاء: (٥٧٥/١).

(٣) البخاري: (ح/٣٥٨٤)، ابن أبي شيبة في المصنف: (٥٠٨/١٢)، ابن كثير في البداية والنهاية (١٤٦/٦).

ذلك الخبر الذي رآه فقال: كنت رجلاً أتبع خلوات رسول الله ﷺ، فرأيت يومًا جالسًا وحده، فاغتنمت خلوته فجئت حتى جلست إليه، فجاء أبو بكر فسلم عليه، ثم جلس عن يمين رسول الله ﷺ، فجاء عمر فسلم وجلس عن يمين أبي بكر، ثم جاء عثمان فسلم ثم جلس عن يمين عمر، وبين يدي رسول الله ﷺ سبع حصيات فأخذهن في كفه فسبحن حتى سمعت لهن حينئذ كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن أي سكتن، ثم أخذهن فوضعهن في كف أبي بكر فسبحن، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبحن، ثم وضعهن فخرسن. فقال النبي ﷺ: «هذه خلافة النبوة»<sup>(١)</sup>.

#### ٧. سلام الحجر عليه ﷺ:

عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»<sup>(٢)</sup>. فسلام الحجر وهو جماد أمر خارق للعادة ومعجز للبشر أن يأتوا بمثله.

#### ٨. تكثيره الماء ونبعه من بين أصابعه الشريفة ﷺ:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة - إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء - فتوضأ، فجهش الناس نحوه - والجهش: أن يفرع الإنسان إلى الإنسان وهو مع ذلك يريد أن يبكي كالصبي يفرع إلى أمه - فقال: «ما لكم؟» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا،

(١) البيهقي في دلائل النبوة: (٦/٦٥)، ابن كثير في البداية والنهاية: (٦/١٥١) و(٧/٢٠٦).

(٢) مسلم في الصحيح: (٢٢٧٧).



قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة<sup>(١)</sup>.  
وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ وقد حانت صلاة العصر فالتمس الوضوء فلم يجده، فأُتي رسول الله ﷺ بوضوء فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضؤوا منه، فأريت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم<sup>(٢)</sup>.  
قال المزني رَحِمَهُ اللهُ: نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر، حيث ضربه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالعصا فتفجرت منه المياه؛ لأن خروج الماء من الحجارة معهود، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم.

#### ٩. تكثيره الطعام والشراب ﷺ:

##### فأما الطعام:

فقد وقع ذلك منه ﷺ مرات عديدة: منها ما روي عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في الخندق حيث يقول جابر: لما حُفر الخندق رأيت برسول الله ﷺ خمصاً - الخمص: خلاء البطن من الطعام - فانكفأت - أي انقلبت ورجعت - إلى امرأتي فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً، فأخرجت لي جراباً - أي وعاء من جلد - فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن قال: فذبحتها وطحنت، وفرغت إلى فراغي، فقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه قال: فجئته فساررته، فقلت: يا رسول الله، إنا قد ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا، فتعال أنت في نفر معك، فصاح رسول الله ﷺ وقال: «يا أهل

(١) البخاري: (٣/١٣١٠)، ابن حبان: (٤٨٠/١٤).

(٢) البخاري: (٧٤/١)، مسلم: (٤/١٧٨٣)، ابن حبان (٤٧٧/١٤).

الخندق! إن جابراً قد صنع لكم سوراً» - وهو الطعام الذي يدعى إليه، وقيل الطعام: مطلقاً - «فحيهلاً بكم». ومعناه أعجلته.

وقال: رسول الله ﷺ: «لا تنزلن برمتكم ولا تحبزن عجيتكم حتى أجيء»، فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتى فقالت: بك، وبك - أي ذمته ودعت عليه - فقلت: قد فعلت الذي قلت لي - معناه: أني أخبرت النبي بما عندنا فهو أعلم بالمصلحة - فأخرجت له عجيتنا فبصق فيها ﷺ وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك، ثم قال: «ادعي خابزة فلتخبز معك، واقدحي من برمتكم» - أي اغرفي والمقدح المغرفة - «ولا تنزلوها»، وهم ألف فأقسم بالله، لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا - أي شعبوا وانصرفوا - وإن برمتنا لتغط - أي تغلي ويسمع غليانها - كما هي وإن عجيتنا - أو كما قال الضحاك - لتخبز كما هو - أي يعود إلى العجين - (١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة غزاها وهي غزوة تبوك فأرمل فيها المسلمون واحتاجوا إلى الطعام، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في نحر إبلهم تحملهم وتبلغهم علوهم ينحرونها؟ ادع يا رسول الله بغبرات الزاد فادع الله فيها بالبركة، قال: «أجل»، فدعا بغبرات الزاد، فجاء الناس بما بقي معهم، فجمعت ثم دعا الله فيها بالبركة، ودعاهم بأوعيتهم فملاءوها وفضل كثير، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقي الله عزوجل بهما عبداً غير شاك فيهما إلا دخل الجنة» (٢). فهذه معجزة ظاهرة في تكثير الطعام القليل حتى أصبح كثيراً.

(١) البخاري: (٣٩٥/٧)، ومسلم: (١٦١٠/٣).

(٢) مسلم: (٥٥/١).



يرد على القدح حتى انتهت إلى النبي ﷺ وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إلي فتبسم فقال: «يا أبا هر» قلت: لبيك يا رسول الله قال: «بقيت أنا وأنت»، قلت: صدقت يا رسول الله قال: «اقعد فاشرب»، فقعدت فشربت فقال: «اشرب» فشربت، فما زال يقول: «اشرب»، حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلگا، قال: «فأرني»، فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة<sup>(١)</sup>.

### ١٠. ثمانون رجلاً يأكلون بعض أرغفة الخبز وتكفيهم:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخرجت خماراً لها فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت يدي ولائتني ببعضه - أي لفتني به -، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ، قال: فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس، فقامت عليهم، فقال لي رسول الله ﷺ: «أرسلك أبو طلحة؟» فقلت: نعم، قال: «بطعام؟» قلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «قوموا»، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله ﷺ والناس وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسول الله ﷺ: «هلم يا أم سليم: ما عندك؟» فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ، ففتت وعصرت أم سليم عكة فآدمته، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأكل القوم كلهم والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر البخاري: الفتح (٦٤٥٢.١١).

(٢) البخاري في الصحيح: (ح/٣٥٧٨)، ومسلم: (ح/١٤٢).

## ١١. قصعة الشريد يأكل منها المئات:

عن سمرة بن جندب قال: بينما نحن عند النبي ﷺ إذ أتى بقصعة فيها طعام فتعاقبوها إلى الظهر؛ يقوم قوم ويقعد آخرون، قال رجل لسمرة: هل كانت تُمد؟ قال: فمن إيش تعجب ما كانت تمد إلا من هاهنا، وأشار إلى السماء<sup>(١)</sup>.

## ١٢. البركة في الشعير:

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه، فأطعمه شطر وسق شعير، فما زال الرجل يأكل منه وامراته ومن ضيفاه حتى كاله، فأتى النبي ﷺ فقال: «لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم» - أي لاستمر دائماً أبداً وما انقطع خيره -<sup>(٢)</sup>.

## ١٣. امتلاء عكة سمن بعد فراغها

روى الحافظ أبو يعلى عن أنس بن مالك -خادم رسول الله ﷺ- أنه قال: كانت لأمي -أم سليم- شاة فجمعت من سمنها في عكة فملأت العكة، ثم بعثت بها ربيبة فقالت: يا ربيبة أبلغني هذه العكة رسول الله ﷺ يأتدم بها، فانطلقت بها ربيبة حتى أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هذه عكة سمن بعثت بها إليك أم سليم قال: «أفرغوا لها عكتها» فأفرغت العكة ودفعت إليها، قالت: فانطلقت بها وجئت وأم سليم ليست في البيت فعلقت العكة على وتد فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر، فقالت: يا ربيبة أليس أمرتك أن تنطقي بها إلى رسول الله ﷺ؟ فقالت: بلى قد فعلت فإن لم تصدقيني فانطقي فسل رسول الله ﷺ، فانطلقت ومعها ربيبة، فقالت: يا رسول الله إني بعثت معها إليك بعكة فيها سمن قال: «قد

(١) البيهقي في دلائل النبوة: (٩٣/٦)، الترمذي في السنن: (٣٦٢٥).

(٢) مسلم (٣/١٦١٢)، والترمذي: (٥/٥٩٥).

فعلت قد جاءت» قالت: والذي بعثك بالحق ودين الحق إنها لمتملئة تقطر سمناً. قال أنس: فقال رسول الله ﷺ: «يا أم سليم أتعجيبين إن كان الله أطعمك كما أطعمت نبيه، كلي وأطعمي». فجاءت إلى البيت فقسمت في قعب لنا وكذا وكذا، وتركت فيها ما ائتمنا به شهراً أو شهرين. فهذه إحدى المعجزات المحمدية إذ ليس مما جرت به سنة الله في الخلق أن يمتلىء الإناء بعد إفراغه.

#### ١٤. البركة في مزود أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيت رسول الله ﷺ يوماً بتمرات فقلت: ادع الله لي فيهن بالبركة، قال: فصفهن بين يديه ثم دعا، فقال لي: «اجعلهن في مزود» - الوعاء من الجلد وغيره يجعل فيه الزاد - «وأدخل يدك ولا تنثره»، قال: فحملت منه كذا وكذا وسقاً في سبيل الله ونأكل ونطعم، وكان لا يفارق حقوي، فلما قُتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انقطع عن حقوي فسقط. حسن<sup>(١)</sup>، رواه أحمد.

وفي رواية: أنه قال: أصبت بثلاث مصيبات في الإسلام لم أصب بمثلهن:

١. موت رسول الله ﷺ وكنت صويحبه.

٢. وقتل عثمان.

٣. والمزود. قالوا: وما المزود يا أبا هريرة؟ قال: قلت: تمر في مزود. قال: جئت به، فأخرجت تمرًا فأتيته قال: فمسه ﷺ ودعا فيه ثم قال: «ادع عشرة»، فدعوت عشرة فأكلوا حتى شبعوا، ثم كذلك حتى أكل الجيش كله وبقي من تمر معي في المزود، فقال: «يا أبا هريرة إذا أردت أن تأخذ منه شيئاً، فأدخل يدك فيه ولا تكفه»، قال: فأكلت منه حياة النبي ﷺ وأكلت منه حياة أبي بكر كلها، وأكلت منه حياة عمر كلها، وأكلت منه حياة عثمان كلها، فلما قتل عثمان انتهب

(١) مسند أحمد: (٢٥٨/١٦)، والترمذي في السنن: (ح/ ٣٨٣٩)، وابن حجر في الفتح: (٢٨١/١١).

ما في يدي، وانتهب المزود، ألا أخبركم كم أكلت منه، أكلت منه أكثر من مائتي وسق<sup>(١)</sup>.

### ١٥. توفية دين جابر الذي استغرق كل ماله:

روى البخاري<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى في دلائل النبوة المحمدية قصة جابر: فقال: حدثنا أبو نعيم وساق السند إلى جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: إن أبي توفي وعليه دين، فأتيت النبي ﷺ فقلت: إن أبي ترك ديناً وليس عندي إلا ما يخرج نخلة ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه، فانطلق معي لكيلا يفحش علي الغرماء، فمشى حول بيدر من بيادر التمر فدعا ثم آخر ثم جلس عليه فقال ﷺ: «انزعه» فأوفاهم الذي لهم وبقي مثل ما أعطاهم.

### ١٦. دلائل نبوته ﷺ فيما يتعلق ببعض الحيوانات:

قصة البعير وسجوده وشكواه لرسول الله ﷺ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه، وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وأن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه - أي نستقي عليه - وأنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا»، فقاموا فدخلوا الحائط والجمل في ناحيته، فمشى النبي ﷺ نحوه فقالت الأنصار: يا رسول الله إنه قد صار مثل الكلب الكلب وإنما نخاف عليك صولته. فقال ﷺ: «ليس عليّ منه بأس». فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجداً بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط، حتى أدخله في العمل

(١) البيهقي في دلائل النبوة: (٦/١٠٩-١١٠/ح/٢٣٦٤).

(٢) البخاري في الصحيح: (٣٥٨٠).

فقال له أصحابه: هذه البهيمة لا تعقل تسجد لك، ونحن أحق أن نسجد لك، فقال: «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها، والذي نفس محمد بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تتفجر بالقيح والصدید ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه»<sup>(١)</sup>. رواه الإمام أحمد في مسنده. وعن عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: أردني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسرَّ إليَّ حديثاً لا أخبر به أحداً أبداً وكان رسول الله ﷺ أحب ما استتر به في حاجته هدف أو حائش نخل - أي جماعة النخل - فدخل يوماً حائطاً من حيطان الأنصار، فإذا جمل قد أتاه فجر جر - أي ردد صوته في حنجرتة -، فلما رأى النبي ﷺ حنَّ وذرفت عيناه فمسح رسول الله ﷺ سراته - الظهر، وقيل: السنام - وذفراه - العظم الشاخص خلف الأذن - فسكن، فقال ﷺ: «من صاحب هذا الجمل؟» فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله، فقال ﷺ: «أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكها الله، إنه شكاً إليَّ أنك تجيئه وتدببه» - تكذُّه وتُتعبه<sup>(٢)</sup>.

### ١٧. نطق الغزاة ووفائها له ﷺ:

فقد روي عن أبي سعيد الخدري قال: مر رسول الله ﷺ بطيبة إلى خباء، فقالت: يا رسول الله حلني حتى أذهب فأرضع خشفي، ثم أرجع فتربطني، فقال رسول الله ﷺ: «صيد قوم وربطة قوم». قال: فأخذ عليها فحلفت له، فحلها، فما مكث إلا قليل حتى جاءت وقد نفظت ما في ضرعها، فربطها رسول الله ﷺ ثم استوهبها من صاحبها، فوهبها له، فحلها، ثم قال: «لو تعلم

(١) ابن كثير في البداية والنهاية: (٦/١٤٦.١٤١)، الهيثمي في مجمع الزوائد: (٦/٩).

(٢) أحمد في المسند: (٣/١٨٩.١٩٥)، أبو داود: (٢٥٤٩).



البهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سميناً أبداً»<sup>(١)</sup>. وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مرَّ النبي ﷺ على قوم قد اصطادوا ظبية فشدوها على عمود فسطاط، فقالت: يا رسول الله إني أُخِذْتُ ولي خشفان فاستأذن لي أرضعها وأعود إليهم، فقال النبي ﷺ: «أين صاحب هذه؟». فقال القوم: نحن يا رسول الله قال: «خلوا عنها حتى تأتي خشفيها ترضعها وترجع إليكم». فقالوا: من لنا بذلك؟ قال: «أنا»، فأطلقوها فذهبت فأرضعت خشفيها ثم رجعت إليهم، فأوثقوها فمرَّ بهم رسول الله ﷺ فقال: «أين صاحب هذه». فقالوا: هذا يا رسول الله، فقال: «تبعونها؟». فقالوا: هي لك يا رسول الله فقال: «فخلوا عنها» فأطلقوها فذهبت. فنطقها ووفؤها له ﷺ آية من آيات النبوة ومعجزة من معجزاته ﷺ.

#### ١٨. خروج الجن من الصبي بدعائه ﷺ:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن به لهما، وأنه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا، قال: فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا له، فثعَّ ثعَّة فخرج منه مثل الجرو الأسود يسعى<sup>(٢)</sup>.

#### ١٩. إخبار الذئب بنبوته:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأفعى الذئب على ذنبه فقال: ألا تتقي الله؟ تنزع مني رزقاً ساقه الله إلي؟. فقال: يا عجبي ذئب يقعي على ذنبه يكلمني كلام الإنس. فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ يشرب يخبر الناس بأنباء ما قد

(١) ابن كثير في البداية والنهاية: (٦ / ١٦٩)، البيهقي في الدلائل: (٦ / ٣٤).

(٢) أحمد في المسند: (٤ / ٧٨.١١)، ابن كثير في البداية والنهاية: (٦ / ٢٩٨).

سبق، قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره.

فأمر رسول الله ﷺ فنودي: الصلاة جامعة، ثم خرج، فقال للراعي: «أخبرهم»، فأخبرهم فقال رسول الله ﷺ: «صدق، والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فنخذه بما أحدث أهله بعده»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما كلم الذئب راعياً لغنم، فقال الرجل: تالله إن رأيت كالיום ذئباً يتكلم. فقال الذئب: أعجب من هذا الرجل في النخلات بين الحرتين - أي المدينة - يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم وكان الرجل يهودياً، فجاء النبي ﷺ فأسلم وخبره فصدقه النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

#### ٢٠. عصمته ﷺ من الناس:

لقي رسول الله ﷺ من أعدائه كثير الأذى وعظيم الشدة منذ أن جهر بدعوته ولكن الله تبارك وتعالى حفظه ونصره وعصمه من الناس كما قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [١٧] [المائدة].

وقد كان النبي ﷺ يُحْرَسُ قبل نزول هذه الآية من قبل بعض أصحابه، فلما نزلت هذه الآية قال ﷺ: «يا أيها الناس انصرفوا عني فقد عصمني الله ﷻ».

(١) أحمد في المسند: (٤١٢)، البيهقي في الدلائل: (٦ / ٤١)، سنن الترمذي (٢١٨١).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند: (٨٨ / ٣).

## ٢١. ومن الأمثلة على عصمة الله لرسوله ﷺ وكف الأعداء عنه:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يَعْرِفُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ؟ - أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب - قَالَ: قِيلَ: نَعَمْ فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَنْ رَأَيْتَهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَطَانٍ عَلَى رَقْبَتِهِ أَوْ لِأَعْفَرٍ وَجْهَهُ فِي التَّرَابِ. قَالَ: فَآتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَصِلِي وَزَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقْبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَاجَأَهُمْ - أي بغتهم - مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبِيهِ - أي رجع يمشي إلى ورائه - وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخُنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهُوَ لَا وَأَجْنَحَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَخَتَطَفْتَهُ الْمَلَائِكَةُ عَضْوًا عَضْوًا»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قِصَّةِ الْمُهْجَرَةِ النَّبَوِيَّةِ قَالَ: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَ مَا مَالَتِ الشَّمْسُ وَاتَّبَعْنَا سِرَاقَةَ بَنِ مَالِكٍ فَقُلْتُ: أُتِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا». فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَارْتَطَمَتْ بِهِ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا، فَقَالَ: إِنِّي أَرَاكُمْ قَدْ دَعَوْتُمْ عَلِيَّ فَادْعُوا لِي، فَالَّهِ لَكُمْ أَنْ أُرْدَ عَنْكُمْ الْطَلْبَ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: كَفَيْتُمْ مَا هُنَا، فَلَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ، قَالَ: وَوَفَى لَنَا.

وعن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَنِينًا فَوَلَّى صَحَابَةُ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا غَشَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - أي أتوه من كل جانب - نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ ثُمَّ قَبْضُ قَبْضَةٍ مِنَ تَرَابِ الْأَرْضِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وَجُوهَهُمْ فَقَالَ: «شَاهَتِ الْوُجُوهَ» - أي قبحت - فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلَأَ عَيْنِيهِ تَرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ، فَوَلَّوْا مَدْبِرِينَ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ ﷻ، وَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ<sup>(٢)</sup>.

(١) مسلم: (١٤٠/١٧).

(٢) مسلم في الصحيح: (١٧٧٧ - ٢٧٩٧).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: غزونا مع رسول الله ﷺ قبل نجد - أي ناحية نجد في غزوته إلى غطفان وهي غزوته ذي أمر موضع من ديار غطفان - فأدركنا رسول الله ﷺ في وادٍ كثير العضاة - هي كل شجرة ذات شوك - فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها. قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر. قال: فقال رسول الله ﷺ: «إِنْ رَجَلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَأَخَذَ السَّيْفَ فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَيَّ فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلْتًا» - أي مسلولاً - «فِي يَدِهِ فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟، قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ قَالَ: فَشَامَ السَّيْفَ» - أي رده في غمده - «فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٍ». ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ. رواه البخاري ومسلم<sup>(١)</sup>.

### ٢٣. جالسٌ أمامها ولا تراه:

قالت أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾<sup>(١)</sup> جاءت العوراء أم جميل، ولها ولولة وفي يدها فهر، وهي تقول: مذمماً أئينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا، ورسول الله ﷺ جالس، وأبو بكر إلى جنبه، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لقد أقبلت هذه، وأنا أخاف أن تراك، فقال رسول الله ﷺ: «إِنهَا لَنْ تَرَانِي»، وقرأ قرآنًا اعتصم به منها: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾<sup>(٢)</sup>. قال: فجاءت حتى قامت على أبي بكر، فلم تر النبي ﷺ، فقالت: يا أبا بكر بلغني أن صاحبك هجاني، فقال أبو بكر: لا ورب هذا البيت ما هجاك - أي: أنه حكى ما قاله ربه، وما كان هذا كلامه، وإنما كلام ربه تعالى فلم يكن هاجياً لها -، قال: فانصرفت وهي تقول: لقد علمت قريش أني بنت سيدها.

(١) البخاري في الصحيح: (٤١٣٩)، مسلم في الصحيح: (٨٤٣).

وفي رواية عبد الله بن عباس<sup>(١)</sup>: لما نزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ ﴾ جاءت امرأة أبي لهب للنبي ﷺ ومعه أبو بكر، قال: يارسول الله إنها امرأة بذيئة وأحاف أن تؤذيك فلو قمت. قال: «إنها لن تراني»، فجاءت فقالت: يا أبا بكر أين صاحبك؟، قال: ما يقول الشعر. قالت: أنت عندي مصدق وانصرف. قلت: يارسول الله لم ترك. قال ﷺ: «ما زال ملكٌ يسترني منها بجناحيه».

#### ٢٤. معجزة شفاء الضرير بدعائه ﷺ

عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أدع الله أن يعافيني فقال: «إن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لأخرتك، وإن شئت دعوت لك»، قال: لا، بل أدع الله لي، قال: فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين، وأن يدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك في حاجتي هذه فتقضى، اللهم شفعه فيّ، ففعل الرجل فبرأ<sup>(٢)</sup>. وهذا الدعاء خاص في حياته ﷺ وليس بعد مماته فليعلم.

#### ٢٥. ألقى ﷺ على رءوسهم التراب ولا يرونه:

لما أمر النبي ﷺ علياً رضي الله عنه يوم الهجرة أن يبني بيت في مضجعه تلك الليلة، واجتمع أولئك النفر من قريش يتطلعون من صير الباب ويرصدونه، ويريدون بيته ويأتمرون أيهم يكون أشقاها، فخرج رسول الله ﷺ عليهم، فأخذ حفنة من البطحاء، فجعل يذرهم على رءوسهم، وهم لا يرونه وهو يتلو: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝١ ﴾. ومضى -رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر، فخرجوا من خوخة في دار أبي بكر ليلاً، وجاء رجل ورأى القوم ببابه، فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمداً. قال: خبتم وخسرتم، قال: والله مر بكم

(١) الهيثمي / مجمع الزوائد: (١٤٧/٧).

(٢) البخاري في التاريخ الكبير: (٢١٠/٦)، والطبراني في المعجم الكبير: (١٩/٩)، وصححه الذهبي،

والبيهقي في دلائل النبوة: (١٦٦/٦).

وذّر على رءوسكم التراب، قالوا: والله ما أبصرناه، وقاموا ينفضون التراب عن رءوسهم، وهم: أبو جهل والحكم بن العاص وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وأمّية بن خلف وزمعة بن الأسود وطعيمة بن عدي وأبو لهب وأبي بن خلف ونبية ومنبه ابنا الحجاج<sup>(١)</sup>.

### ٢٦. حاول اغتيال النبي ﷺ فنزلت عليه أسود فهالته:

عن عروة بن الزبير قال: كان النضر بن الحارث ممن يؤذي الرسول ﷺ ويتعرض له، فخرج رسول الله ﷺ يوماً يريد حاجته في نصف النهار في حر شديد، فبلغ أسفل من ثنية الحجون، وكان يبعد إذا ذهب لحاجته، فرآه النضر بن الحارث فقال: لا أجده أبداً أخلى منه الساعة فأغتاله، قال: فدنا إلى رسول الله ﷺ ثم انصرف راجعاً مرعوباً إلى منزله فلقبه أبو جهل فقال: من أين الآن؟ فقال النضر: اتبعت محمداً رجاء أن أغتاله وهو وحده ليس معه أحد، فإذا أسود - أي أسود - تضرب بأنياها على رأسه فاتحة أفواهها، فهالتي فدعرت منها ووليت راجعاً، فقال أبو جهل: هذا بعض سحره<sup>(٢)</sup>.

### ٢٧. أراد أن يدمغ النبي ﷺ بحجر فبيست يده على الحجر:

عن المعتمر بن سليمان عن أبيه: أن رجلاً من بني مخزوم قام إلى رسول الله ﷺ وفي يده فهر - حجر يملأ الكف - ليرمي به رسول الله ﷺ، فلما أتاه وهو ساجد رفع يده وفيها الفهر ليرمي به رسول الله ﷺ، فبيست يده على الحجر فلم يستطع إرسال الفهر من يده، فرجع إلى أصحابه، فقالوا: أجنبنت عن الرجل؟ قال: لم أفعل ولكن هذا في يدي لا أستطيع إرساله فعجبوا من ذلك، فوجدوا أصابعه قد بيست على الفهر، فعالجوا أصابعه حتى خلصوها، وقالوا هذا شئ يراد<sup>(٣)</sup>.

(١) أبو نعيم في الدلائل: (٢٠٥/١ ح/ ١٥٤-١٥٥).

(٢) ابن سعد في الطبقات: (١٠٩/١-١١٠)، أحمد في المسند: (٣٤٨/١)، ابن هشام: (٤٨٣-٤٨٤).

(٣) أبو نعيم في الدلائل: (١٥١-١٥٢ ح).

## ٢٨. أراد قتل النبي ﷺ فنزل عليه شواظ من نار:

قال شيبه بن عثمان: لما غزا النبي ﷺ يوم حنين تذكرت أبي وعمي قتلها علياً وحمزة فقلت: اليوم أدرك ثأري في محمد، فجئت من خلفه فدنوت منه ودنوت حتى لم يبق إلا أن أسوره بالسيف رُفع لي شواظ من نار كأنه البرق، فخفت أن يحبسني فنكصت القهقري، فالتفت إلي النبي ﷺ فقال: «يا شيبه» قال: فوضع رسول الله ﷺ يده على صدري فاستخرج الله الشيطان من قلبي، فرفعت إليه بصري وهو أحب إلي من سمعي وبصري ومن كذا وكذا<sup>(١)</sup>.

## ٢٩. شفاء عيني علي رضي الله عنه بتفاله ﷺ:

ففي الصحيح: قال ﷺ في غزوة خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله علي يده». فلما أصبحوا نادى علياً فقالوا: مريض يا رسول الله يشكو عينه، فقال: «اتنوني به». فأتي به فنفت في عينه بقليل من ريقه ﷺ فبرأ لتوه ولم يمرض بعينه بعد ذلك قط.

## ٣٠. ردّ عين قتادة بعد تدليها على وجته.

في غزوة أحد أُصيب قتادة بن النعمان في عينه حتى سقطت وتدلّت على وجته - أي على أحد خديه - فردها عليه الصلوة والسلام بيده الشريفة فبرأت على الفور، وصارت عينه تلك أحسن عينيه. فتلك من آيات الله التي أيّد بها رسوله<sup>(٢)</sup>.

## ٣١. شفاء الصبي بفضل سورة ﷺ:

روى ابن أبي شيبه أن امرأة من خثعم أتت النبي ﷺ بصبي به بلاء لا يتكلم، فأتى النبي ﷺ فمضمض فاه، وغسل يديه، ثم أعطاه إياه وأمرها

(١) الهيثمي في مجمع الزوائد: (١٨٧/٦).

(٢) والرواية أخرجه ابن إسحاق في السيرة النبوية (٣ / ٣٠)، ابو نعيم في الدلائل برقم (٤١٨٤١٧)،

الحاكم في المستدرک (٣ / ٢٩٥).

بسقيه ومسحه به، ففعلت فبرئ الولد وعقل عقلاً يفضل له عقول الناس.

### ٣٢. تكلم ذراع الشاة بين يديه

عندما انتهى ﷺ من غزوة خيبر دعت امرأة إلى وليمة، وهو القائل: «لو دعيت إلى كراع لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع لقبلت»، فأجاب ومعه ستة من الصحابة، فقدمت له شاة مسمومة، فأخذ الذراع، أول ما بدأ ﷺ بذراع الشاة فلما أصبح في فمه الشريف الطاهر المبارك ذاق لقمة فأنطق الله ذراع الشاة فتكلم بصوت معروف قال: يا رسول الله! أنا مسموم - تكلم الذراع وقال: أنا مسموم - فرمى به ﷺ، ولفظ اللقمة، وبقيت آثار السم، فدبت بجسمه، فمات بعد سنة شهيداً بالسم.

### ٣٣. إنطاقة للطفل الأبكم

وروى البيهقي صاحب «السنن» قال: أتته امرأة بصبي لها صغير لم يتكلم - ولد أبكم أخرس لا ينطق كلمة، وعالجوه، ونظروا إلى لسانه، وأشاروا إليه وهو كالصخرة إنما يأكل ويشرب ويرضع -، قال لها ﷺ: «ما بال ابنك هذا؟» قالت: يا رسول الله ابني هذا أبكم، فالتفت إليه ﷺ قال: «من أنا؟» قال: أنت رسول الله، ثم نطق بعدها وكان خطيباً من خطباء العرب.

### ٣٤. تحول جذل الحطب سيفاً

لقد انكسر سيف عكاشة بن محصن يوم بدر فأعطاه النبي ﷺ جذل الحطب فقال له: «اضرب به»، فانقلب في يده سيفاً صارماً طويلاً أبيض شديد المتن، فقاتل به، ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد عكاشة في قتال أهل الردة.

### ٣٥. إجابة النبي ﷺ للسائل قبل أن يسأله:

عن وابصة الأسيدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئاً من البر والإثم إلا سألته عنه، وحوله عصابة من المسلمين يستفتونه، فجعلت أتخطاهم، فقالوا: إليك يا وابصة عن رسول الله، فقلت: دعوني فأدنو



منه، فإنه أحب الناس إليّ أن أدنو منه قال: «دعوا وابصة، ادن يا وابصة»، مرتين أو ثلاثاً. قال: فدنوت منه حتى قعدت بين يديه، فقال: «يا وابصة أخبرك أم تسألني؟ فقلت: لا، بل أخبرني فقال ﷺ: «جئت تسأل عن البر والإثم»، فقلت: نعم، فجمع أنامله فجعل ينكت بهنّ في صدري ويقول: «يا وابصة استفت قلبك» - ثلاث مرات - «البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس وتردد في صدرك، وإن أفتاك الناس وأفتوك»<sup>(١)</sup>.

### ٣٦. وقوف الكفار أمام باب الغار

جدت قريش في طلب الرسول ﷺ وأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخذوا معهم القافة - متبعوا الأثر - حتى انتهوا إلى باب الغار فوقفوا عليه، قال أبو بكر: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا، فقال ﷺ: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن فإن الله معنا». وكان النبي ﷺ وأبو بكر يسمعان كلامهم فوق رؤوسهما، ولكن الله عمى عليهم أمرهما. رواه البخاري ومسلم<sup>(٢)</sup>.

### ٣٧. نزول المطر الشديد يوم تبوك بدعاء النبي ﷺ:

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قيل لعمر بن الخطاب: حدثنا عن شأن ساعة العسرة، فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد - أي قلة نزول المطر -، فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى أن كان أحدنا ليذهب فيلتمس الرجل فلا يجده حتى يظن أن رقبته ستقطع، حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ثم يجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، إن الله قد عودك في الدعاء خيراً، فادع الله لنا. فقال ﷺ: «أو تحب ذلك؟». قال:

(١) أحمد في المسند: (٢٢٨/٤)، البيهقي دلائل النبوة: (٢٩٢/٦).

(٢) البخاري في الصحيح: (٤٦٦٣)، مسلم في الصحيح: (٢٣٨١).

نعم، فرفع ﷺ يديه نحو السماء فلم يرجعها حتى قالت السماء، فأظلت، ثم سكبت فملاءوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدهاجاوزت العسكر<sup>(١)</sup>.

### ٣٨. سعد مجاب الدعوة بسبب دعاء الرسول ﷺ:

عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ». فكان لا يدعو إلا استجيب. أخرجه الترمذي، والحاكم وصححه. ومن هذا ما رواه جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شكا أهل الكوفة سعدًا، يعني ابن أبي قاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لا يحسن يصلي، فعزله واستعمل عليهم عمارة، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، فقال: أما والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ لا أحرَم عنها؛ أصلي صلاة العشاء فأركد في الأوليين وأخف في الآخرين، قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، وأرسل معه رجلاً أو رجلاً إلى الكوفة يسأل عنه أهل الكوفة، فلم يدع مسجداً إلا سأل عنه ويثنون عليه معروفًا، حتى دخل مسجداً لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له: أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة، فقال: أما إذا نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا، قام رياءً وسمعة، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن. قال عبد الملك بن عمير الراوي عن جابر بن سمرة: فأنا رأيت بعدُ قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق فيغمزهن، وكان بعد ذلك إذا سُئِل يقول: شيخٌ كبيرٌ مفتونٌ، أصابتنِي دعوة سعد<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن كثير في البداية والنهاية: (٩/٥، ٩٦/٦)، البيهقي دلائل النبوة: (٢٥١)، الهيثمي مجمع الزوائد: (١٩٧/٦).

(٢) البخاري في الصحيح: (٧٥٥)، أحمد في المسند: (٧٤/٣-٧٩).

### ٣٩. الفرس الضعيف يسبق ويدر الأموال الطائلة:

عن جعيل الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: غزوت مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته، وأنا على فرس لي عجفاء ضعيفة، قال: فكنت في أخريات الناس، فلحقني رسول الله ﷺ وقال: «سر يا صاحب الفرس». فقلت: يا رسول الله، عجفاء ضعيفة قال: فرفع رسول الله ﷺ مخفقةً معه فضربها بها وقال: «اللهم بارك له». قال: فلقد رأيتني أمسك برأسها أن تقدم الناس، ولقد بعث من بطنها باثني عشر ألفاً<sup>(١)</sup>.

### ٤٠. دعاؤه ﷺ لعبد الرحمن بن عوف:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لعبد الرحمن بن عوف: «بارك الله لك». رواه البخاري. قال عبد الرحمن: فلقد رأيتني لو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب تحته ذهباً أو فضة<sup>(٢)</sup>.

وفتح الله له أبواب الرزق، ومنّ عليه بركات من السماء والأرض. وكان عبد الرحمن بن عوف حين قدم المدينة فقيراً لا يملك شيئاً، فأخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال سعد لعبد الرحمن: إن لي زوجتين فاختر أجملهما أطلقها ثم تعتد ثم تتزوجها، وإن لي من المال كذا وكذا فخذ منه ما شئت. فقال عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك، بارك الله لك في زوجتيك ومالك، ثم قال: دلوني على السوق<sup>(٣)</sup>.

فصار يتعاطى التجارة، وفي أقرب زمن رزقه الله مالا كثيراً بركة دعائه ﷺ، حتى أنه لما توفي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين، أو اثنتين وثلاثين، حُفِرَ الذهب

(١) الهيثمي في مجمع الزوائد: (٢٦٥/٥).

(٢) البخاري في الصحيح: (٥٩٣٤ - ٦٣٨٦)، وابن سعد في الطبقات: (٣/٢٧٠/ح/٤٣٨٥).

(٣) البخاري في الصحيح: (٣٧٨١)، الترمذي في الصحيح: (١٩٣٣).

من تركته بالفئوس، حتى جُرحت الأيدي من كثرة العمل، وأخذت كل زوجة من زوجاته الأربع ربع الثمن ثمانين ألفاً. وقيل: إن نصيب كل واحدة كان مائة ألف، وقيل: بل صولحت إحداهن على نيف وثمانين ألف دينار، وأوصى بألف فرس وخمسين ألف دينار في سبيل الله، وأوصى بحديقة لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن، بيعت بأربعمائة ألف، وأوصى لمن بقي من أهل بدر لكل رجل بأربعمائة دينار، وكانوا مائة، فأخذوها وأخذ عثمان فيمن أخذ، وهذا كله غير صدقاته الفاشية في حياته، وعطاءاته الكثيرة، وصلاته الوفيرة؛ فقد أعتق في يوم واحد وثلاثين عبداً، وتصدق مرة بعير - وهي الجمال التي تحمل الميرة -، وكانت سبعمائة بعير، وكان أرسلها للتجارة، فجاءت تحمل من كل شيء فتصدق بها وبها عليها من طعام وغيره بأحلاسها وأقتابها.

وجاء أنه تصدق مرة بشطر ماله، وكان الشطر أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفاً، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم تصدق بخمسمائة فرس في سبيل الله ثم بخمسمائة راحلة.

#### ٤١. زاد أولاده، وعمره، وماله، بسبب دعاء النبي ﷺ:

إنه أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحدثنا عن ذلك فيقول: جاءت أم سليم، وهي أم أنس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إلى رسول الله ﷺ وقد أزرنتي بخمارها وردتني ببعضه، فقالت: يا رسول الله، هذا أنيس أتيتك به يخدمك فادع الله له، قال: «اللهم أكثر ماله وولده». أخرج البخاري في الدعوات. وفي لفظ: «اللهم أكثر ماله وولده وأطّل عمره واغفر له». قال أنس: فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي يتعادون على نحو المائة. قال: وحدثني ابنتي أمينة أنه قد دُفن من صليبي إلى مقدم الحجاج البصرة: تسعة وعشرين ومائة.

وروى الترمذي وغيره أن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خدم رسول الله ﷺ عشر سنين، ودعا له، وكان له بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيها

ريحان يجيء منها ريح المسك. حسن: أخرجه الترمذي في المناقب، وقال: حديث حسن. وفي رواية قال: دفنت من صلبي مائة واثنتين، وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين، ولقد بقيت حتى سئمت الحياة، وأرجو الرابعة.

فولده إذن يزيدون على المائة، وأما عمره فقد مات وعمره مائة عام وقيل: عشر ومائة، وكانت وفاته سنة ثلاث وتسعين على الراجح، وأما ماله فقد كانت السحابة تمطر في أول أرضه ولا تمطر في آخرها لعظم مساحة أرضه.

#### ٤٢. دعا له ﷺ فطال عمره وهو شاب:

ثبت أنه ﷺ دعا للسائب بن يزيد ومسح بيده على رأسه، فطال عمره حتى بلغ أربعاً وتسعين سنة، وهو تام القامة معتدل، ولم يشب منه موضع أصابته يد رسول الله ﷺ، ومُتَّع بحواسه وقواه<sup>(١)</sup>.

#### ٤٣. ابن عباس حَبْرُ الأمة بسبب دعاء النبي ﷺ:

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: أتى رسول الله ﷺ الخلاء فوضع له وضوءاً، فلما خرج قال: «من صنع هذا؟» قالوا: ابن عباس، قال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل». وعنه قال: إن رسول الله ﷺ وضع يده على كتفي ثم قال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»<sup>(٢)</sup>.

وقد استجاب الله لرسوله ﷺ هذه الدعوة في ابن عمه؛ فكان إماماً يُهتدى بهداه، ويُقتدى بسناه في علوم الشريعة، ولا سيما في علم التأويل وهو التفسير؛ فإنه انتهت إليه علوم الصحابة قبله، وما كان عقله من كلام ابن عمه رسول الله ﷺ. قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عاشه أحد منا،

(١) البخاري في الصحيح: (١٤٣)، مسلم في الصحيح: (٢٤٧٧).

(٢) البخاري في الصحيح: (١٤١-١٤٣)، أحمد في المسند: (٤/١٢٧-٣١٦)، وهو في الصحيح دون قوله:

«وعلمه التأويل».

وكان يقول: نعم ترجمان القرآن ابن عباس. رواه الحاكم في المستدرک. هذا وقد تأخرت وفاة ابن عباس عن وفاة عبد الله بن مسعود ببضع وثلاثين سنة، فما ظنك بما حصله بعده في هذه المدة؟! . وقيل: خطب الناس ابن عباس في عشية عرفة، ففسر لهم سورة البقرة تفسيراً لو سمعه الروم والترك والديلم لأسلموا.

#### ٤٤. دعا ﷺ عليه فاختلج لسانه:

عن عبد الرحمن بن أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كان فلان يجلس إلى النبي ﷺ، فإذا تكلم النبي ﷺ بشيء اختلج - ردد الكلام على هيئة المستهتر - بوجهه، فقال له النبي ﷺ: «كن كذلك». فلم يزل يختلج حتى مات<sup>(١)</sup>.

#### ٤٥. ثبوت جرير على الفرس بعد أن كان لا يثبت:

عن جرير البجلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فضرب بيده على صدري حتى رأيت أثر يده على صدري، وقال: «اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً»، فما سقطت عن فرسي بعد. رواه أبو نعيم. وأخرجه الشيخان عنه بلفظ: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا تريحني من ذي الخلصة» - صنم -، فقلت: يا رسول الله، لا أثبت على الخيل، فضرب في صدري وقال: «اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً»، فسرت إليها في مائة وخمسين فارساً من أحسن فأتيناها فحرقناها<sup>(٢)</sup>.

#### ٤٦. كان إذا باع شيئاً ربح فيه بسبب دعاء النبي ﷺ له:

صاحب هذه الشهادة عروة بن أبي الجعد البارقي، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أعطاه رسول الله ﷺ ديناراً ليشتري له به شاة، فاشتري به شاتين وباع إحداهما بدينار

(١) ابن حجر العسقلاني في الإتحاف: (٥٩٥/١٠).

(٢) البخاري في الصحيح: (٣٠٢٠) ومسلم: (٢٤٧٦).

وأناه بشاة ودينار، فقال له ﷺ: «بارك الله لك في صفقة يمينك». وفي رواية: فدعا له بالبركة في البيع، فكان لو اشترى التراب لربح فيه<sup>(١)</sup>.

#### ٤٧. حضور الطعام الطهي بدعاء النبي ﷺ:

عن واثلة بن الأسقع، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حضر رمضان ونحن في أهل الصفة فصمنا، فكنا إذا أفطرننا أتى كل رجل منا رجل من أهل البيعة فانطلق به فعشاه، فأتت علينا ليلة لم يأتنا أحد، وأصبحنا صيامًا، وأتت علينا القابلة فلم يأتنا أحد، فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فأخبرناه بالذي كان من أمرنا، فأرسل إلى كل امرأة من نسائه يسألها هل عندها شيء؟ فما بقيت منهن امرأة إلا أرسلت تقسم: ما أمسى في بيتها ما يأكل ذو كبد. فقال لهم رسول الله ﷺ: «فاجتمعوا»، فدعا وقال: «اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك، فإنها بيدك لا يملكها أحد غيرك». فلم يكن إلا ومستأذن يستأذن فإذا بشاة مصلية ورغف، فأمر بها الرسول ﷺ فوضعت بين أيدينا، فأكلنا حتى شبعنا، فقال لنا رسول الله ﷺ: «إنا سألنا الله من فضله ورحمته، فهذا فضله، وقد ادخر لنا عنده رحمته»<sup>(٢)</sup>.

#### ٤٨. نزول المطر بدعائه ﷺ:

أحلت المدينة وأصابها قحط شديد فدخل رجل المسجد، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب، فاستقبل الرجل النبي ﷺ وقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله لنا يغيثنا، فرفع الرسول ﷺ يديه فقال: «اللهم اسقنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا». قال أنس: والله ما في السماء من سحب ولا قرعة - قطعة السحاب - ولا شيء وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت،

(١) الترمذي في الصحيح: (١٢٥٨)، النووي في المجموع: (٢٦٢/٩).

(٢) أبو نعيم في حلية الأولياء: (١٤٣١-١٤٣٣)، البيهقي في الدلائل: (١٢٦/٦) ح/ (٢٣٨٤).

والله ما رأينا الشمس ستاً، ثم دخل الرجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة والرسول ﷺ قائم يخطب، فاستقبله الرجل وقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، ادع الله يمسكها، فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والجبال ومنابت الشجر»<sup>(١)</sup>. قال أنس: فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس. فهذه المعجزة هي نزول المطر بدعائه ﷺ قد كررت مرات عديدة وهي معجزة سماوية كانشقاق القمر لا دخل لغير الله فيها وهي آية من آيات نبوته ﷺ.

#### ٤٩- يأم أصحابه ﷺ فيراهم من خلفه:

عن أبي هريرة إن الرسول ﷺ قال: «هل ترون قبلي هاهنا، فوالله ما يخفى عليّ ركوعكم ولا سجودكم، إني لأراكم من وراء ظهري». متفق عليه<sup>(٢)</sup>. وفي رواية عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فإني أراكم من أمامي وخلفي، وإيم الذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»، قالوا يا رسول الله: وما رأيتم؟ قال: «رأيت الجنة والنار»<sup>(٣)</sup>.

#### ٥٠- يخبر ﷺ أحد الصحابة إن الشيطان قد خلفه في أهله:

عن قتادة بن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كانت ليلة شديدة الظلمة والمطر فقلت: لو أني اغتنمت العتمة مع النبي ﷺ ففعلت، فلما انصرف أبصرني ومعه عرجون يمشي عليه، فقال: «ياقتادة تخرج هذة الساعة؟» قلت: اغتنمت شهود الصلاة معك، فأعطاني العرجون فقال: «إن الشيطان قد خلفك في أهلك فأذهب بهذا العرجون» - العذق - «فاستعن به حتى تأتي بيتك فتجده في زاوية البيت فاضربه بالعرجون»،

(١) البخاري في الصحيح: (١٠١٣. ١٠١٤. ١٠١٥)، مسلم في الصحيح: (٨٩٧).

(٢) البخاري: (٤١٨. ٧٤١)، مسلم: (١٠٩)، وأحمد في المسند (١٠٣/٢، ٣٦٥، ٣٧٥).

(٣) مسلم: (٢١٠٧)، وأحمد في المسند (١٥٤/٣)، وابن حجر في فتح الباري: (٥٢١/١١).



فخرجت من المسجد فأضاء مثل الشمعه نورًا فاستضأت به فأتيت أهلي فوجدتهم رقادًا، فنظرت في الزاوية فإذا فيها قنفذ، فلم أزل أضربه به حتى خرج<sup>(١)</sup>.

٥١. اليهود يسألون الرسول ﷺ عما لا يعلمه إلا نبي:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء عبد الله بن سلام إلى الرسول ﷺ مقدمه المدينة فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشرط الساعة؟، وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ والولد ينزع إلى أبيه وينزع إلى أمه.

قال: «أما أول أشرط الساعة، فناز تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد إذا سبق ماء الرجل نزعة إليه، وإذا سبق ماء المرأة نزعه إلى أمه». فأسلم ابن سلام. رواه البخاري<sup>(٢)</sup>.

وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاء حبرٌ - عالم - فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعةً كاد يصرع منها، فقال: لما تدفعني؟ قلت: ألا تقول يا رسول الله؟ قال: إنها سميت باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: «إن اسمي الذي سماني به أهلي محمد»، فقال اليهودي<sup>(٣)</sup>: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ قال: «في الظلمة دون الجسر»، قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: «فقراء المهاجرين» قال: مم تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زيادة كبد نون» - الحوت -، قال: فما غذائهم على أثره<sup>(٤)</sup>؟ قال: «ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها» قال: فما شراهم عليه؟ قال ﷺ: «من عين

(١) الطبراني في المعجم الكبير: (٦ / ١٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (٤١ / ٢).

(٢) البخاري: (٩١١٣ - ٣٩٣٨ - ٤٤٨٠)، وأحمد في المسند (٣ / ٢٧١، ١٨٩، ١٠٨)، البغوي في شرح السنة:

(٣٧٢ / ١٣)، الهيثمي في موارد الظمان: (٢٢٥٣)، فتح الباري: (٧ / ٢٧٢)، ابن كثير في التفسير: (٨ / ٢١١).

(٣) مسلم في الصحيح: (ح / ٣١٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (٤١ / ٢).

(٤) في صحيح مسلم: (ح / ٣١٥) على أثرها.

فيها تسمى سلسيلا»<sup>(١)</sup>، قال: صدقت، وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال ﷺ: «ينفعك إن حدثتك؟». قال أسمع بأذني قال ﷺ: «سل»، قال: جئت أسئلك عن الولد، قال ﷺ: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آثنا بإذن الله» فقال اليهودي: صدقت وأنت لنبِّي، ثم انصرف، فقال رسول الله ﷺ: «إنه سألني هذا الذي سألني عنه، وما أعلم شيئاً منه حتى أتاني الله به». رواه مسلم<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: حضرت عصابةً من اليهود يوماً النبي ﷺ فقالوا: حدثنا عن خلالٍ نسألك عنها لا يعلمها إلا نبي، قال: «سلوا عن ما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه، إن أنا حدثتكم بشيء تعرفونه أتبايعني على الإسلام؟» قالوا: لك ذلك، قال: «فسلوني عن ما شئتم» قالوا: أخبرنا عن أربع خلالٍ نسألك عنها: أخبرنا عن الطعام الذي حرم إسرائيل على نفسه من قبل ما تنزل التوراة، وأخبرنا عن ماء الرجل كيف يكون الذكر منه، حتى يكون ذكراً، وكيف تكون الأنثى منه حتى تكون أنثى، ومن وليك من الملائكة، قال: «فعلیکم عهد الله لئن أنا حدثتكم لتبايعني» فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق، قال: «أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل» - يعقوب - «مرض مرضاً شديداً طال سقمه منه، فنذر لله إن شفاه الله من سقمه ليُحرِّمَنَّ أحب الشراب إليه: ألبان الإبل، وأحب الطعام إليه: لحمانها؟» قالوا: اللهم نعم، قال: «اللهم أشهد» قال: «أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على

(١) السلسيل: الشراب السهل المرور في الحلق لعذوبته واسم عين في الجنة.

(٢) مسلم في الصحيح: (ح / ٣١٥)، الطبراني في الكبير: (٨٨/٢)، ابن خزيمة في صحيحه: (٢٣٢)، ابن كثير في تفسيره: (٤٣٧/٤) البيهقي في الدلائل: (٢٦٣/٦)، ابن كثير في البداية والنهاية: (١٩٦/٦).

موسى، هل تعلمون أن هذا النبي تنام عيناه ولا ينام قلبه؟» قالوا: اللهم نعم، قال: «اللهم اشهد عليهم». قالوا: أنت الآن حدثنا من وليك من الملائكة، فعندها نجامعك أو نفارقك، قال: «وليي جبريل، ولم يبعث الله نبيًا قط إلا وهو وليه»، قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليك غيره من الملائكة لبايعناك وصدقتناك، قال: «ولم؟» قالوا: إنه عدونا من الملائكة<sup>(١)</sup>. فأنزل الله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ [البقرة]. ونزلت ﴿فَبَاءُوا بَعْضَ عَلَى عَصَبٍ وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة].

#### ٥٢- إخباره ﷺ عن قبر أبي رغال:

روي عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنا مع رسول الله ﷺ حين خرج إلى الطائف، فمررنا بقبر، فقال: «هذا قبرُ أبي رغال وهو أبو ثقيف، وكان من ثمود، وكان بهذا الحرم يدفع عنه، فلما خرج منه أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان قد دفن فيه وآية ذلك أنه دُفِنَ معه غصنٌ من ذهبٍ، إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه معه». قال: فابتدرناه فأخرجنا الغصن<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*\*\*

وبهذا تم الكتاب في طبعته الثالثة وصلى الله على من هذه إضاءات من سيرته نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) البيهقي في دلائل النبوة: (٢٦٦/٦)، ابن سعد في الطبقات: (١٧٤-١٧٦).

(٢) ابن كثير في البداية والنهاية: (١٢٩/١)، أبو داود في سننه: (٣٠٨٨).

## المراجع

١. القرآن الكريم.
٢. تفسير الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير ت: ٣١٠هـ.
٣. صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت: ٢٥٦هـ المكتبة الرحيمية، الهند - ١٣٨٤هـ.
٤. صحيح مسلم: أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت: ٢٦١هـ. تحقيق: فؤاد عبد الباقي، الرياض، ١٤٠٠هـ.
٥. المسند: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ت: ٢٤١هـ. المكتب الإسلامي، بيروت.
٦. دلائل النبوة: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت: ٤٥٨هـ. ط ١، ١٤٠٥هـ.
٧. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني ت: ٢٠٢هـ. نشر وتوزيع محمد علي السيد، سوريا، ط ١، ١٣٨٨هـ.
٨. سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت: ٢٧٩هـ، دار الدعوة، سوريا، ١٣٨٥هـ.
٩. سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت: ٢٧٥هـ، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، دار الفكر العربي، بيروت، ١٣٩٥هـ.
١٠. سنن النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت: ٣٠٣هـ.
١١. فتح الباري شرح صحيح البخاري: الحافظ ابن حجر أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ت: ٨٥٢هـ، المطبعة السلفية، الروضة، القاهرة.
١٢. شرح صحيح مسلم، الأمام محي الدين بن شرف النووي ت: ٦٧٦هـ.

- دار الفكر، بيروت.
١٣. مستدرک الحاکم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحاکم النيسابوري ت: ٤٠٥هـ، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض.
١٤. سيرة ابن إسحاق برواية: أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري ت: ٢١٨هـ.
١٥. الروض الأنف للسهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي ت: ٥٨١هـ، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢هـ.
١٦. الدرر في اختصار المغازي والسير: ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد النمري ت: ٤٦٣هـ. تحقيق: د/ مصطفى أديب البغا، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ١٤٠٤هـ.
١٧. الطبقات الكبرى: ابن سعد محمد بن سعد بن منيع البصري ت: ٢٣٠هـ، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ.
١٨. تاريخ الرسل والملوك: الطبري أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد - ت - ٣١٠، دار المعارف، مصر.
١٩. زاد المعاد: ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن قيم الجوزية) ت: ٧٥٢هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٩هـ.
٢٠. البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ت: ٧٧٤هـ، تحقيق: محمد عبد العزيز النجاري.
٢١. مجمع الزوائد للهيثمي: أبو بكر نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان ت: ٨٠٧هـ، دار الكتاب، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ.
٢٢. كتاب المغازي للواقدي - محمد بن عمر بن واقد ت: ٢٠٧هـ تحقيق: د/ مارسدن جونس، بيروت، ١٣٨٤هـ.

٢٣. السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية د. مهدي أحمد رزق الله، مركز الملك فيصل للبحوث، ط ١، ١٤١٢ هـ.
٢٤. المواهب اللدنية: الحافظ أحمد بن محمد القسطلاني ت: ٩٢٣ هـ.
٢٥. فقه السيرة: الشيخ محمد الغزالي.
٢٦. سبل الهدى والرشاد: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي الشامي ت: بمصر ٩٤٢ هـ.
٢٧. تهذيب الأسماء واللغات: الإمام يحيى بن شرف الدين النووي ت: ٦٧٦ هـ.
٢٨. نور النبراس: الحافظ برهان الدين أبو الوفاء محمد بن خليل سبط ابن العجمي ت: ٨٤١ هـ.
٢٩. الأستيعاب: الحافظ أبي يوسف بن عبد البر ت: ٤٦٣ هـ.
٣٠. الموطأ: أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبجي ت: ١٧٩ هـ.
٣١. معرفة الصحابة: أبو نعيم.
٣٢. مجمع الزوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي ت: ٨٠٧ هـ.
٣٣. سير أعلام النبلاء: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت: ٧٤٨ هـ.
٣٤. المعجم الكبير: الطبراني.
٣٥. موارد الظمآن: علي بن أبي بكر الهيثمي ت: ٨٠٧ هـ.
٣٦. صحيح ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ت: ٣١١ هـ.
٣٧. صحيح ابن حبان: أبو حاتم محمد بن حبان البستي ت: ٣٥٤ هـ.
٣٨. السنن الكبرى: أحمد بن الحسين البيهقي ت: ٤٥٨ هـ.
٣٩. الإصابة في تمييز الصحابة: الحافظ ابن حجر العسقلاني ت: ٨٥٢ هـ.

٤٠. تاريخ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠هـ.
٤١. مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز.
٤٢. الإيضاح في مناسك الحج والعمرة: الإمام يحيى بن شرف الدين النووي ت ٦٧٦هـ.
٤٣. معالم مكة التاريخية: عابد بن غيث البلادي.
٤٤. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور
٤٥. إنارة الدجى في مغازي خيرالورى: القاضي حسن بن محمد المشاط، ط ٤ عام ١٤١٤هـ، دارالغرب الإسلامي، بيروت.
٤٦. روضة الأنوار في سيرة النبي المختار: صفى الرحمن المباركفوري، دارالسلام، الرياض، ط ٢، ١٤١٥هـ.
٤٧. عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير: الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى، ط ١، ١٤١٣هـ، دمشق، دار ابن كثير للطباعة والتوزيع.
٤٨. الرحيق المختوم: صفى الرحمن المباركفوري، ط ١، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٠هـ.
٤٩. حياة سيد العرب: حسين عبد الله باسلامة، ط ١، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.
٥٠. الدر الثمين في سيرة الرسول الامين ﷺ، معيض بن عبد الله الزهراني، ط ٢ دار طيبة الخضراء مكة المكرمة - ١٤٢٤هـ.

## الفهرس

الصفحة	العنوان
٥	تقديم د. ياسين بن ناصر الخطيب .....
٩	المقدمة .....
١٣	مقدمة الطبعة الثانية .....
١٥	مقدمة الطبعة الثالثة .....
١٩	تعريف السيرة .....
١٩	أشهر من ألف في المغازي .....
٢١	منهج أهل السير في الأخذ بالأخبار .....
٢٥	التوحيد في ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ .....
٢٧	أنبياء الله الذين ذكرهم القرآن .....
٣٠	إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبو الأنبياء .....
٣٤	جرهم وخزاعة وولاية البيت .....
٣٧	قصي بن كلاب وولاية البيت .....
٤١	حفر زمزم .....
٤٣	أولاد عبد المطلب .....
٤٩	نذر عبد المطلب .....
٥١	بيان أمر الحمس .....
٥٢	حادثة الفيل .....
٥٦	النسب النبوي الشريف .....
٥٧	قصة حملته ﷺ .....
٥٩	مولده ﷺ .....



الصفحة	العنوان
٦٠	رضاعته ﷺ .....
٦١	حادثة شق الصدر .....
٦٢	وفاة أمه ﷺ وكفالة جده .....
٦٣	خروج النبي ﷺ إلى الشام .....
٦٤	حرب الفجار .....
٦٤	حلف الفضول .....
٦٦	عبد الله بن جدعان .....
٦٧	حياة العمل .....
٦٧	أبرز الحكم والعبر من رعى الغنم .....
٦٨	زواج النبي ﷺ بخديجة .....
٧٠	بناء الكعبة وقصة التحكيم .....
٧٤	حالة مكة قبل البعثة .....
٧٥	أصنام القبائل العربية .....
٨٠	سيرته قبل البعثة .....
٨١	بدء الوحي .....
٨٣	فتور الوحي .....
٨٤	مراتب الوحي .....
٨٨	تعذيب المسلمين .....
٩١	ابتداء الدعوة .....
٩٢	أول دم أريق في الإسلام .....
٩٤	حماية أبي طالب للرسول ﷺ .....

الصفحة	العنوان
٩٨	الهجرة إلى الحبشة .....
٩٩	قصة الغرانيق .....
١٠٤	كتاب الرسول ﷺ للنجاشي .....
١٠٤	إسلام حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .....
١٠٥	إسلام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .....
١٠٦	المقاطعة العامة .....
١١٠	عام الحزن .....
١١٠	وفاة خديجة وأبي طالب .....
١١٢	الأذى والعناد بعد وفاة أبي طالب .....
١١٤	زواجه ﷺ من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .....
١١٤	زواج الرسول ﷺ بسودة بنت زمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .....
١١٥	خروج الرسول ﷺ إلى الطائف .....
١١٨	الإسراء والمعراج .....
١٢٢	من مشاهداته ﷺ ليلة الإسراء .....
١٢٣	فرض الصلاة .....
١٢٤	عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل .....
١٢٦	بدء إسلام الأنصار .....
١٢٨	بيعة العقبة الأولى .....
١٢٩	إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير .....
١٣١	البراء بن معرور وصلاته إلى الكعبة .....
١٣٣	بيعة العقبة الثانية .....

العنوان	الصفحة
النقباء .....	١٣٤
إسلام عبد الله بن عمرو بن حرام .....	١٣٦
إسلام عمرو بن الجموح وقصة صنمه .....	١٣٧
الهجرة للمدينة .....	١٣٨
المؤامرة في دار الندوة .....	١٤٠
سراقة بن مالك وملاحقة الرسول ﷺ .....	١٤٦
قصة أم معبد ووصفها للرسول ﷺ .....	١٤٧
وصف أم معبد لرسول الله ﷺ .....	١٤٨
وصول الرسول ﷺ المدينة .....	١٤٩
بناء المسجد .....	١٥٥
حجرات زوجات النبي ﷺ .....	١٥٨
بناء النبي ﷺ بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .....	١٥٨
المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار .....	١٥٩
حوادث السنة الأولى .....	١٦٢
إسلام عبد الله بن سلام .....	١٦٣
حوادث السنة الثانية .....	١٦٦
مشروعية الأذان .....	١٦٧
تحويل القبلة .....	١٦٨
زواج علي بفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .....	١٦٩
مكائد قريش للمسلمين بعد الهجرة .....	١٧١
مراحل الجهاد .....	١٧٢

العنوان	الصفحة
خصائص الرسول ﷺ	١٧٣
وصايا النبي ﷺ للجيش	١٧٤
الغزوات والسرايا قبل بدر	١٧٥
أول لواء عقده النبي ﷺ	١٧٦
سرية عبيدة بن الحارث	١٧٨
سرية سعد بن أبي وقاص	١٧٩
غزوة الأبواء أو ودان	١٧٩
غزوة بواط	١٨٠
غزوة سفوان أو بدر الأولى	١٨٠
غزوة العشيرة	١٨١
سرية نخلة	١٨١
غزوة بدر الكبرى	١٨٥
رؤيا عاتكة	١٨٧
تقبيل سواد بن غزية بطن الرسول ﷺ	١٩٧
الإمداد بالملائكة	١٩٩
بعض الأحكام والدروس من غزوة بدر	٢١٣
أهم الأحداث بين بدر وأحد	٢١٤
غزوة بني سليم بالكدر	٢١٥
مؤامرة اغتيال الرسول ﷺ	٢١٦
غزوة السويق	٢١٧
غزوة بني قينقاع	٢١٨

الصفحة	العنوان
٢١٩	قتل كعب بن الأشرف .....
٢٢١	غزوة أحد .....
٢٢٩	أثر مخالفة الرماة لأمر رسول الله ﷺ .....
٢٣٥	شهادة حمزة ومصعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .....
٢٣٧	دور الملائكة في أحد .....
٢٣٨	البطولات الإيمانية في أحد .....
٢٣٩	الدروس والعبر من غزوة أحد .....
٢٤١	أهم الأحداث بين أحد والأحزاب .....
٢٤١	غزوة حمراء الأسد .....
٢٤٤	سرية الرجيع .....
٢٤٦	سرية بئر معونة .....
٢٤٨	إجلاء بني النضير .....
٢٤٩	غزوة الأحزاب .....
٢٥٢	غدر بني قريظة وأثره على المسلمين .....
٢٥٤	تخاذل الأحزاب ونهاية الغزوة .....
٢٥٦	أهم الدروس والعبر من غزوة الأحزاب .....
٢٥٩	غزوة بني قريظة .....
٢٦٢	غزوة بني لحيان .....
٢٦٣	سرية زيد بن حارثة إلى العيص .....
٢٦٣	غزوة بني المصطلق (المريسيع) .....
٢٦٥	جويرية بنت الحارث .....

الصفحة	العنوان
٢٦٨	خبر الإفك .....
٢٧٤	أهم الدروس والعبر من غزوة بني المصطلق (المريسيع) .....
٢٧٥	صلح الحديبية .....
٢٨٢	بنود صلح الحديبية .....
٢٨٥	خبر المستضعفين .....
٢٨٦	أثر صلح الحديبية على الدعوة الإسلامية .....
٢٨٦	بعض الدروس والعبر من صلح الحديبية .....
٢٨٧	مكاتبة الملوك والأمراء .....
٢٩٥	غزوة خيبر .....
٣٠٢	الشاة المسمومة .....
٣٠٣	زواجه ﷺ بصفية .....
٣٠٣	أهم الدروس والعبر من غزوة خيبر .....
٣٠٥	إسلام خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص .....
٣٠٥	قدوم جعفر بن أبي طالب .....
٣٠٦	حصار وادي القرى .....
٣٠٧	غزوة ذات الرقاع .....
٣٠٨	عمرة القضاء .....
٣١٠	غزوة مؤتة .....
٣١٧	فتح مكة .....
٣٢٠	كتاب حاطب بن أبي بلتعة الى قريش .....
٣٢٢	إسلام العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .....

الصفحة	العنوان
٣٢٢	إسلام عبد الله بن أبي أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .....
٣٢٢	إسلام أبي سفيان بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .....
٣٢٦	دخول الرسول ﷺ مكة .....
٣٢٧	بني شيبه ومفتاح الكعبة .....
٣٢٨	إسلام عتاب بن أسيد والحارث بن هشام .....
٣٣٠	تأمين مكة .....
٣٣١	الذين أهدر دمهم الرسول ﷺ يوم الفتح .....
٣٣٣	محاولة اغتيال الرسول ﷺ .....
٣٣٤	بيعة النساء .....
٣٣٥	سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة .....
٣٣٨	أهم الأحكام والدروس من فتح مكة .....
٣٣٩	غزوة حنين .....
٣٤٤	أثر خروج الطلقاء مع المسلمين .....
٣٤٤	محاولة اغتيال الرسول ﷺ .....
٣٤٥	غنائم المسلمين في حنين .....
٣٤٧	قدوم وفد هوازن .....
٣٤٧	غزوة الطائف .....
٣٥١	أهم الأحكام والدروس من غزوتي حنين والطائف .....
٣٥٢	أهم الأحداث والسرايا التي وقعت بين غزوتي الطائف وتبوك .....
٣٥٢	المصدقون .....
٣٥٣	إسلام كعب بن زهير .....

الصفحة	العنوان
٣٥٧	السرايا .....
٣٦٠	غزوة تبوك .....
٣٦٩	أكيدر دومة الجندل .....
٣٧٠	محاولة اغتيال الرسول ﷺ .....
٣٧١	تعرض النبي ﷺ لمحاولات القتل خلال بعثته .....
٣٧٣	ذو البجادين .....
٣٧٥	آخر الغزوات .....
٣٧٦	الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك .....
٣٨٠	الأحكام والعبر والفوائد من غزوة تبوك .....
٣٨٢	الوفود .....
٣٨٢	وفد ثقيف .....
٣٨٣	عروة بن مسعود الثقفي .....
٣٨٤	وفد بني تميم .....
٣٨٥	وفد طيء .....
٣٨٦	وفد عبد القيس .....
٣٨٦	وفد بني حنيفة (وفيهم مسيلمة الكذاب) .....
٣٩٠	وفد بني عامر .....
٣٩٠	تدبير الغدر برسول ﷺ .....
٣٩٢	وفد بجيلة .....
٣٩٢	وفد دوس (وفيهم عامر بن الطفيل) .....
٣٩٤	الأحكام والعبر والفوائد من أخبار الوفود .....



الصفحة	العنوان
٣٩٥	حجة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.....
٣٩٧	وفاة عبد الله بن أبي بن سلول.....
٣٩٨	حجة الوداع.....
٤٠٢	سرية أسامة بن زيد.....
٤٠٤	من أحوال النبي ﷺ الشخصية.....
٤٠٧	مرض الرسول ﷺ ثم وفاته.....
٤١٣	زوجات الرسول ﷺ أمهات المؤمنين.....
٤١٨	سراريه ﷺ.....
٤١٩	أولاده ﷺ.....
٤٢٠	خدمه ﷺ.....
٤٢٥	خادماته ﷺ.....
٤٢٧	مواليه ﷺ.....
٤٢٨	إماؤه ﷺ.....
٤٢٨	كتابه ﷺ.....
٤٢٩	حكمة تعدد زوجات الرسول ﷺ.....
٤٣١	بعض شمائل الرسول ﷺ.....
٤٤٢	معجزات ودلائل نبوته ﷺ.....
٤٧٩	المراجع.....
٤٨٣	الفهرس.....